

مكتبة الآثار السلفية

عقائد السلف

لأئمة

أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي

دكتور

على سامي النشار
عماز جمعي الطالبي

الناشر // منشأف بالاسكندرية

جلال حزي وشركاه

١٩٧١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لم يمتن الباحثون في مجال العقائد الإسلامية ، وأصولها ، بدراسة أو تحليل العقائد السلفية التي تعتمد على صريح القرآن ، وناطق السنة ، والحقيقة أن دراسة الإسلام وعقائده ، لا يمكن أن تكون قائمة على سوقها إن لم تتناول ما كتبه السلف من أهل القرن الثالث والرابع ، وما صنفه من نهج نهجهم من بعدهم ، على توالى المصور ، إلى عهد ابن تيمية (+ ٧٢٨ هـ) ، ومن أخذ عنه من الأعلام ، حتى عصرنا هذا .

ولذلك رأينا أن نتجه لدراسة هذا الجانب الاساسى في مجال الدراسات الإسلامية ، وأن نعطيه ما يستحقه من عناية واهتمام ، ونعتقد أن أول خطوة في هذه الدراسة إنما هي نشر هذه المؤلفات الدفينة ، وبعث هذه الرسائل والنصوص التي غفل أكثر الناس عنها ، حتى إن المؤسسات الثقافية الكبرى عندنا كالآزهر ، وبقية الجامعات لم تولها أى اهتمام ولا اعتبار في مناهجها ودراساتها ، ذلك أن الدارسين اعتمدوا على كتب المتأخرين المشوبة بكثير من الأنظار الغربية الدخيلة . وآراء عهد انحطاط الحضارة الإسلامية ، مع أن المنهج العلمى التاريخى الصحيح ، يقتضى أن نرجع إلى الأصول الأولى قبل كل شيء .

لقد صنف السلف من أهل القرن الثالث والرابع مؤلفات ، ورسائل كثيرة في هذا المجال العقائدى الإسلامى ، فتكلم في ذلك أبو عبد الرحمن عبد الله ابن المبارك بن واضح الحنظلى (+ ١٨١ هـ) وأبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ التميمى القطان البصرى المحدث الحجة الناقد [+ ١٩٨ هـ] وابن أبى شبة أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العيسى [+ ٢٢٥ هـ] وألف في ذلك كتاب السنة ، ويحيى بن يحيى بكير بن عبد الرحمن بن يحيى الحنظلى الحافظ [+ ٢٢٦ هـ]

وأبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي [+ ٢٢٨ هـ] ، وعبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخارى [+ ٢٢٩ هـ] الذى ألف ، كتاب الرد على الجهمية ، والإمام أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم المعروف بابن راهوية شيخ البخارى أيضا [+ ٢٣٨ هـ] ، وألف الإمام أحمد بن حنبل [+ ٢٤١ هـ] كتاب الرد على الجهمية والزنادقة ، وصنف الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى [+ ٢٥٦ هـ] ، كتاب خلق أفعال العباد ، و الرد على الجهمية ، وألف أبو بكر أحمد بن محمد بن هاني الأثرم البغدادى تلميذ الإمام أحمد [+ ٢٧٣ هـ] ، كتاب السنة ، وصنف أبو على حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال تلميذ الإمام أحمد ابن حنبل أيضا [+ ٢٧٣ هـ] ، كتاب السنة .

وكتب أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني [+ ٢٧٥ هـ] ، كتاب السنة ، وكذلك فعل أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبل الشيباني البصرى [+ ٢٧٧ هـ] فألف ، كتاب السنة ، وصنف عثمان بن سعيد الدارى تلميذ يحيى بن معين [+ ٢٨٠ هـ] ، كتاب الرد على الجهمية ، وكتاب الرد على بشر المريسى ، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل [+ ٢٩٠ هـ] ، وصنف أبو بكر أحمد بن على بن سعيد المروزي [+ ٢٩٢ هـ] ، كتاب السنة ، وألف أيضا أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن ممتدة العبدى [+ ٣٠١ هـ] ، كتاب التوحيد (١) ، وتكلم فى ذلك أبو العباس ابن سريج [+ ٣٠٦ هـ] وصنف أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الحلال مرتب آثار الإمام أحمد بن حنبل [+ ٣١١ هـ] ، كتاب السنة ، وألف أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة [+ ٣١١ هـ] ، كتاب التوحيد .

وكتب أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصهبانى العسال [+ ٣٤٩ هـ] ، كتاب السنة ، وألف أيضا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني

(١) عبد القادر بن أحمد الدوسى بن بدران الدمشقي (+ ١٣٠٨ هـ) المدخل إلى المذهب

الإمام أحمد بن حنبل (إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة ١٣٣٨ هـ) ص ١٦٣ .

[+ ٣٦٠ هـ] د كتاب السنة ، وكذلك أيضا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر ابن حيان [+ ٣٦٩ هـ] فإنه كتب د كتاب السنة ، وألف عبيد الله بن محمد بن بطة العكبرى [+ ٣٨٧ هـ] د كتاب الإبانة ، وصنف أبو القاسم هبة الله بن الحسن الرازي اللالكائي [+ ٤١٨ هـ] د كتاب السنن ، وكتب في ذلك من المغاربة أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله الطائفي الأندلسي [+ ٤٢٩ هـ] د كتاب الأصول ، وصنف أيضا في ذلك أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الهروي [+ ٤٣٤ هـ] د كتاب السنة ، وألف أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي [+ ٤٥٨ هـ] كتاب الأسماء والصفات وتكلم في ذلك في عدة كتب حافظ المغرب بلا منازع أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي [+ ٤٦٣ هـ] وغير هؤلاء كثير (١) .

وابتدأت آراء الجهمية في القرن الثاني للهجرة ، ولم تلبث مقالة الجهمية هذه ، أن انتشرت في المائة الثالثة ، وتولى إذاعتها والدعاية لها ، والكتابة فيها بشر المريسي [+ ٢١٨ هـ] وهو فقيه ومتكلم ، ينسب إلى المرجئة أحيانا ، وينسب أحيانا أخرى إلى الجهمية ، ويذكر ابن تيمية أن أصل الجهمية ومقالتها يرجع إلى عناصر دخيلة على الإسلام ، لأن جهم بن صفوان [+ ١٢٨ هـ] أخذ مقالته عن جعد ابن درهم ، وقيل أيضا إن جعد بن درهم أخذ التعطيل عن أبان بن سميان ، وأخذها أبان عن طالوت ، وأخذها طالوت عن خاله لييد بن الأعصم اليهودي ، أما جعد بن درهم فهو من أرض حران التي كانت فيها عناصر كثيرة من الصابئة والفلاسفة ، ومن ثم فإن مقالة الجهمية ترجع إلى عناصر فلسفية وصابئية ، ويهودية ، وقد أخذ الفارابي [+ ٣٣٩ هـ] نفسه عن فلاسفة حران ، كما أخذ جهم بن صفوان عن البوذية أو السمنية ، ولما انتشرت آراء الجهمية ومذهبها في التعطيل وإنكار الصفات وفي القول بخلق القرآن تصدى لها الاتمة من سلف هذه

(١) ابن تيمية ، الفتاوى الحوابة الكبرى ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ، وطبعت بنفقة

محمد صالح بن حسن نصيف ، مطبعة السلفية ، مكة المكرمة ، ١٣٥١ هـ ، ص ١٧ — ٢٠

الامة بالرد ، وبيان ضلالها وإنحرافها ، وأخذها بما لا يتسق مع الكتاب والسنة ، ولا مع نصوصها الصريحة ، الناطقة المبينة ، الواضحة ، التي ليها كنهانها ، لا يضل عن فهمها إلا من أعمته الغواية ، أو وقع صريحا تحت أقدام الصابئة والفلاسفة ، والدخلاء من الملل والنحل الزائفة ، فتسكلم في ذلك مالك ، وسفيان بن عينية ، وعبد الله بن المبارك وغيرهم^(١) ، وحذروا من مقالاتهم ، ومذاهبهم ، وفاضلوا عن الدين . وبنشوء مقالة الجهمية ؛ نشأ التأويل الذي اعتبر أصل الفتنة في تعطيل النصوص ، والتجاوز بها عن معانيها التي وضعت لها لغة وشرعا إلى معاني وآراء مدخولة ، تتحملها الباطنية ، والغنوصية ومن اليها من الجمعيات السرية التي كانت ترمى إلى هدم الشريعة ؛ وإضلال معتقديها ، وبليلة ما استقر في قلوبهم ؛ وامتزج بنفوسهم ، من عقائد واضحة ؛ لاليس فيها ، ولا شائبة من غموض .

وبذلك يتضح لنا أن السلف هم أول من رد على منكرى الصفات ، وليس إنكار الصفات إلا رأيا فلسفيا ، تسرب إلى صفوف المسلمين ، ويمكن لنا القول بأن رد السلف على أهل التعطيل يعتبر أول خطوة في الرد على النزعات الفلسفية في تاريخ الإسلام ، ذلك الرد الذي توسع فيه من جاء بعد ذلك من الخلف ، الذي لم يستطع التخلص من آثار الفلسفة تمام التخلص ، رغم نقضه لها ، ومدافعتها ؛ كما فعل الكثيرون من أصحاب المقالات .

وقد وصلتنا نماذج جميلة من هذه الردود ، ومن هذا النقد المنهجي السلفي ، للمقالات المخالفة ، والآراء الدخيلة . ومن هذه النماذج الناقدة التي ردت على الزنادقة والجهمية ، كتاب الرد على الجهمية والزنادقة ، لأحمد بن حنبل إمام أهل السنة ، وناصر الملة . الذي رأينا أن نفتتح به هذا السفر من رسائل السلف وكتبهم . ويحسن بنا أن نترجم لمؤلف كل رسالة أو كتاب ثم نقول كلمة عن رسالته أو مؤلفه . ونبدأ بشيخ السنة وإمام الساف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

١ — الإمام أحمد بن حنبل .

هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان^(١) ولذلك يلقب بالشيباني ، حملت به أمه بمرور وولدت له ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤ هـ أما أبوه فهو والو سرخس واسمه محمد توفي سنة ١٧٩ هـ نشأ ببغداد ، وتولت أمه تربيته ، وظهرت عليه لوائح النجابة في صباه ، ومن شدة رغبته في أخذ الحديث أنه كان يذهب إلى المساجد مبكراً حتى إن أمه كانت تشفق عليه . وتدعوه لأن ينتظر حتى يصبح الناس^(٢) ، ولم يقتصر في أخذ العلم على علماء بغداد فقط ، بل إنه رحل إلى الكوفة ، والبصرة ، ومكة والمدينة ، واليمن والشام ، وأرض فارس ، وخراسان ، ثم عاد إلى بغداد .

ابتدأ الاشتغال بالحديث وعمره ست عشرة سنة ، وكان أول سفر له ، رحلته إلى الكوفة سنة ١٨٣ هـ وذهب إلى البصرة سنة ١٨٦ هـ ودخل مكة للطلب على يد الإمام سفيان بن عيينة سنة ١٨٧ هـ ورحل إلى اليمن للأخذ على المحدث المشهور عبد الرزاق الصنعاني سنة ١٩٧ هـ ، وقد قال فيه الإمام الشافعي [٢٤٠ +] : [أحمد بن حنبل إمام في ثمان خصال : إمام في الحديث ، إمام في الفقه ، إمام في اللغة ، إمام في القرآن . إمام في الفقر . إمام في الزهد ، إمام في الورع . إمام في السنة^(٣) . أخذ الإمام أحمد عن شيوخ كثيرين أحصاهم الحافظ عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه . مناقب الإمام أحمد بن حنبل^(٤) . وأخذ

(١) أبو اليمن مجيد الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي (٨٦٠ - ٨٩٢٨ هـ) ، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، تحقيق محمد عبدي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ص ٦

(٢) ن ٢٠٠ م ص ٧

(٣) ن ٣٠٠ م ص ٩

(٤) نشره محمد أمين الحانجي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، (١٣٤٩ هـ) ص ٣٣ - ٥٦ .

عنه جم غفير من الشيوخ والائمة . في الحديث والفقه . وغيرهما .

ذهب الإمام أحمد إلى أن الإيمان قول وعمل . وإلى أنه يزيد وينقص . أما موقفه من القول بخلق القرآن . فهو معروف في تاريخ الامة الاسلامية .

إذ كان موقفه في تلك الفتنة التي امتحن فيها أشد امتحان ، موقفا فريدا ، رائعا . لم يقف أحد من الفقهاء ، ولا من محدثي ذلك الموقف الذي وقفه الإمام أحمد . وبه أثبت أن المسلم الحق لا ترعزعه الزلازل . ولا تأخذ قلبه الفتن . ولا توهنه الشدائد ولا تقف أمامه الصعاب ، مهما يكن مصدرها أو مآثاها . لم ترتعد فرائص أحد بن حنبل من قوة السلطان . إذ وقف صابرا محتسبا . أمام المأمون ، والمعتمد ، والواثق . وما كان قد سلط عليه من عذاب . وضرب السياط المبرح ، الذي قام به جلادوه ، الذين أسالوا دمه ، ومزقوا من جسده . وحبسوه في ظلمات السجن ، ولسكنه ثبت ، وصبر ، واشتد مراسه .

ومات الخلفاء الثلاثة ، وبقي من بعدهم ، حياء للسنة ، قاتلا للبدعة . ولذلك سماه أهل عصره : ناصر السنة وقامع البدعة ، وإمام أهل السنة . وساعده على ذلك المتوكل ، الذي ناصر السنة ، ورفع المحنة ، وأمر بنشر أحاديث الصفات والرؤية^(١) ولقد أودى كثير من محدثي معه ، وامتحنوا ولقوا في سبيل ذلك ما لقوا أمثال أبي نعم بن دكين ، وأبي عمرو الحارث بن مسكين ، والإمام أحمد ابن نصر الخزاعي ، وأبا مسهر الغساني ، عبد الله الأعلى بن مسهر ، ولكن اشتهر من بين هؤلاء جميعا إمام أهل السنة أحمد بن حنبل .

أما ما يتعلق بالصفات فإنه صرح فيما يرويه ابنه عبد الله بقوله : (هذه الأحاديث

(١) مقدمه محمد محيي الدين عبد الحميد ، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الامام

نروها كما جاءت^(١) وقال أيضا بأن ما يرجع إلى عالم الغيب لا ينبغي الخوض فيه ، وإنما يفوض أمره إلى الله ، وصرح بذلك وبينه فقال : « من صفة المؤمن من أهل السنة ، والجماعة إرجاء ما غاب عنه من الأمور ، إلى الله » .

كما جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة يرون ربهم ، فيصدقها ولا يضرب لها الأمثال^(٢) » ووقف من أهل الكلام موقفا معارضا . فقال : (لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة^(٣)) ولم يقبل أبدا آراء الواقفة ، واللفظية ، والجهمية ، والقدرية ، إذ أنه اعتبرها من أهل البدع ، المخالفة للسنة ، وقد عبر لنا عن جملة من الاعتقادات فيما رواه ابن الجوزي عن عبد الملك بن أبي القاسم عن عبد الله بن محمد الأنصاري عن أبي يعقوب وأحمد بن حمزة ، وغيرهما عن أحمد بن محمد بن عيسى عن يعقوب بن إسحق عن سعيد بن خشنام مولى بني هاشم عن محمد بن يونس السرخسي عن محمد بن حميد الأندلسي .

قال . قال أحمد بن حنبل : صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله . وأقر بجميع ما جاءت به الأنبياء والرسل . وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه : ولم يشك في إيمانه . ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنوب وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله ، وفوض أمره إلى الله ، ولم يقطع بالذنوب . العصمة من عند الله ، وعلم أن كل شيء بقضاء الله ، وقدره . الخير والشر جميعا ، ورجا لمحسن أمة محمد ، وتخوف على مسيئتهم . ولم ينزل أحدا من أمة محمد الجنة بالإحسان ؛ ولا النار

(١) أبو الفرج : عبد الرحمن بن الجوزي ، مناقب الامام أحمد بن حنبل ،

ص ١٠٠ - ١٠٦ .

(٢) ن . م . ص ١٠٦ .

(٣) ن . م . ص ١٠٦ .

بذنب اكتسبه . حتى يكون الله الذى ينزل خلقه حيث يشاء ، وعرف حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم . وقدم أبا بكر وعمر عثمان . وعرف حق على بن أبى طالب ، والزبير وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، على سائر الصحابة ، فإن هؤلاء التسعة الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبل حراء .

فقال النبي . صلى الله عليه وسلم « اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ، والنبي دعا شترهم ؛ وترحم على جميع أصحاب محمد صغيرهم وكبيرهم ، وحدث بفضائلهم ؛ وأمسك عما شجر بينهم .

وصلاة العيدين والخوف والجمعة والجماعات مع كل أمير أو فاجر والمسح على الخفين في السفر والحضر . والتقصير في السفر ، والقرآن كلام الله ، وتزييله ، وليس بمخلوق . والإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، والجهاد ماض ، منذ بعث الله محمدا إلى آخر عصاة ، يقاتلون الرجال ، لا يضرهم جور جائر ، والشراء والبيع حلال إلى يوم القيامة ، على حكم الكتاب والسنة ، والتكبير على الجنائز أربعا ، والدعاء لائمة المسلمين بالصلاح .

ولا تخرج عليهم بسفك ، ولا تقاقل في فتنه وتلزم بيتك ، والإيمان بعباد القبر ، والإيمان بمنكر ونكير ، والإيمان بالحوض والشفاعة ، والإيمان بأن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ، وأن الموحدين يخرجون من النار ، بعدما امتحنوا ، كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تضرب لها الأمثال . هذا ما أجمع عليه العلماء في الآفاق (١) .

مؤلفاته :

من أشهر مصنفاته كتاب السنة العظيم ، المسمى « بالمسند » يضم بين دفتيه ثلاثين ألف حديث ابتدأ في تصنيفه سنة ١٨٠ هـ وكان يوصى ابنه بالعناية به ويقول له : (احتفظ بهذا المسند ، فإنه سيكون للناس إماما)^(١) .

ومن مؤلفاته « التفسير » ، وبه مائة ألف وعشرون ألف حديث ، وألف « الناسخ والمنسوخ » ، « والمقدم والمؤخر في كتاب الله » ، « وجوابات القرآن » ، « والتاريخ » ، « حديث شعبة » ، « والمناسك » ، « الصغير » ، « الكبير » ، « الرد على الزنادقة في دعواهم التناقض على القرآن » ، « الرد على الجهمية » ، « فضائل الصحابة » ، « وكتاب الزهد » .

ومع هذا فقد كان يمنع من كتابة كلامه ومسائله^(٢) .

١ — كتاب الرد على الزنادقة والجهمية :

من أهم الكتب التي وصلتنا عن السلف في مجال الرد على الزنادقة والمشككين في القرآن ، والمتأولين له على غير تأويله ، وفي مجال النضال عن الكتاب ، ومدافعة الطاعنين فيه ، والمخرفين لمعانيه ، بطريق التأويل الزائغ ، وقد حاول بعضهم^(٣) أن يشكك في نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد بن حنبل ، والواقع أن

(١) العليمي ، المنهج الأحمد ، ص ١٩ ، مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، ص ١٩١

(٢) ن . م . ص ١٩١ ، و ص ١٩

(٣) كما فعل الشيخ زاهد السكوثرى ، في تعليقه على كتاب ابن تيمية (+ ٢٧٦ هـ)

« الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية » مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٥٥ بدعوى أن نسبته إليه إنما كانت تعزى إليه في القرن الرابع الهجري عن طريق رواية مجعولة ، وأتى بطل قاذحة — حسب تصويره — المتن والسند . ولا ندري ما هي هذه العلل القاذحة ، التي صرح بأنه ذكرها في موضع آخر ، ولم نجد لها ذكرا في تعليقاته التي نعلمها .

الخلال (٥٣١١+) رواه عن طريق ابن أحمد بن حنبل وهو عبد الله ، وقد نص الخلال على هذا الكتاب في كتابه « السنة » وأورده بمجلته ، لأنه قد جمع في هذا الكتاب نصوص الإمام أحمد ، وكلامه . وقد قلده في هذا البيهقي فجمع في كتابه الذي سماه « جامع النصوص » ، كلام الشافعي ونصوصه (١) ، وقد أورد ابن القيم خطبة كتاب « الرد على الزنادقة والجهمية » ، في كتابه « لإجتاع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (٢) » وعدة مسائل منه (٣) .

قال الخلال . كتبت هذا الكتاب من خط عبد الله ، وكتبه عبد الله من خط أبيه (٤) واحتج القاضى أبو يعلى في كتابه المشهور « بإبطال التأويل » ببعض نقول من كتاب « الرد على الزنادقة والجهمية » ، ونسبها إلى أحمد بن حنبل ، وكذلك ابن عقيل نقل عنه ، ما نقله في بعض ، كتبه ونسبه إلى الإمام أحمد (٥) .

وقد ذكر ابن القيم أيضا أن أصحاب الإمام أحمد بن حنبل نقلوا عنه هذا الكتاب قديما وحديثاً ، وعنه نقل البيهقي وعزى ذلك إلى أحمد بن حنبل ، ونسبه إليه أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية .

قال ابن القيم « ولم يسمع عن أحد من متقدمى أصحابه ولا متأخريهم طعن فيه (٦) » ، ومن الأدلة التي تثبت صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام أحمد بن حنبل

(١) ابن القيم ، إجتاع الجيوش الإسلامية ، على غزو المعطلة والجهمية ، القاهرة ،

(دوت تاريخ) ص ٦٥ .

(٢) ص ٩٥

(٣) ص ٩٥ — ٩٩

(٤) ن . م . ص ١٠٠

(٥) ن . م . ص ١٠٠

(٦) ن . م . ص ١٠

أن القاضي أبا الحسين بن القاضي ابن يعلى قال . أبى قرأت فى كتاب أبى جعفر محمد بن أحمد صالح بن أحمد بن حنبل ، قال قرأت على أبى صالح بن أحمد ، هذا الكتاب فقال :

هذا كتاب عمله أبى فى مجلسه ردا على من احتج بظاهر القرآن ، وترك ما فسرہ رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يلزم أتباعه ،^(١) ، ويبدو أن الذى جعل بعض الكتاب يظن فى نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد بن حنبل هو ورود الخضر ابن المثنى ، فى سند الرواية ، لأن الكتاب رواه أبو بكر عبد العزيز غلام الخلال ، عن الخلال عن الخضر بن المثنى المذكور عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ، غير أن الخضر بن المثنى هذا مجهول ؛ والرواية عن مجهول مقدوح فيها ، ومطعون فى سندها .

وقد تكفل الجواب عن هذا ابن القيم فى كتابه « اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعتلة والجهمية » ، فذكر أن الخلال قال : إنه كتبه عن خط عبد الله بن أحمد ، وكتبه عبد الله من خط أبيه ، ومن جهة أخرى فإنه قد عرف الخلال الخضر ، وروى عنه ، ولا يضر جهالة غيره له^(٢) ، وأغلب الظن أن الخلال أسنده إلى الخضر بن المثنى لأنه أحب أن يتصل سنده على طريقة أهل الحديث والآثار ، يضاف إلى ذلك أن الخضر كان صغير السن حين أخذ الكتاب عن عبد الله ، ولم يكن من المعمرين ، ولا من الأئمة المشهورين بالعلم ، ولم يرو الخلال عن الخضر هذا الكتاب وحده ، بل روى عنه عدة آثار عن الإمام أحمد بن حنبل .

وذكر هذا الكتاب باعتباره من مؤلفات الإمام أحمد بن حنبل أيضا أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمى (٨٦٠ — ٩٢٨ هـ) . فى كتابه « المنهج الأحمد فى تراجم أصاب الإمام أحمد ،

(١) ن : م : ص : ١٠١

(٢) ن : م : ص : ١٠٠

ولكن يفهم منه أن الكتاب كتابان ، الرد على الزنادقة فى عواهم التناقض على القرآن ، كتاب منفرد ، « والرد على الجهمية » كتاب آخذ مستقل ، حيث قال : (والرد على الزنادقة فى دعواهم التناقض فى القرآن ، والرد على الجهمية) (١) .

ومما يدلنا على أنها كتابان مستقلان ، أننا وجدنا فى بعض المخطوطات مخطوطات لهذا الكتاب فلاحظنا أن « الرد على الجهمية » وجد مستقلا ، فى نسخة مخطوطة . عن « الرد على الزنادقة » فى مكتبة « روان كشك » توجد نسخة من الرد على الجهمية كتب سنة ١٠٨٤ ، رقما ٥/٥١٠ بها ١١ ورقة مقاس ٢٩/١٧ سم وهو النص الخاص « بالرد على الزنادقة » فقط ، وكذلك نسخة الظاهرية ضمن مجموع رقم ١١٦ من ص ١ — ٢٣ فإنها رغم أنه كتب عليها : « الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى . . . » إلا أنها لا تشمل إلا على نص « الرد على الجهمية » ولم يتفطن إلى ذلك ناشر هذه النسخة السيد محمد فهر شقيقه (٢) .

ونشر ذلك اعتقادا منه أنه كتاب كامل ؛ مع أنه لم ينشر إلا نصفه ، وتوجد نسخة أخرى فى مكتبة « روان كشك » مخطوطة تشتمل على الرد على الزنادقة وعلى الجهمية فى آن واحد ، وهى واقعة تحت رقم ٤/٥١٠ وبها ٨٥ ورقة ومقاسها ٢٩/١٧ سم (٣) .

وقد جاء بعد ذلك الشيخ محمد بن أحمد السفارينى الأثرى الحنبلى (١١٤٤ — ١١١٨ هـ) فلخص فى كتابه « لوامع الأنوار البهية » وسواطع الأسرار الأثرية ،

(١) المنهج الأحمدى ١٩

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل ، حققه وقدم له : محمد فهر شقيقه ، منشورات مكتبة ابن الهيثم ، — ص ١٩ .

(٣) فهرس المخطوطات المصورة ، تصنيف نوّاد سيد ، القاهرة ، ١٩٥٤ ج ١

لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية (١) ما كتبه في ذلك ابن القيم، وأثبت أن الكتاب من مؤلفات الإمام أحمد بن حنبل (٢) .

أما من أثبتته من غير أصحاب الإمام أحمد فهو ابن النديم الذي ذكر له كتباً عديدة ومنها الرد على الجهمية ، فقال : (وله من الكتب : كتاب العلل ، كتاب التفسير . كتاب الناسخ والمنسوخ ، كتاب الزهد ، كتاب المسائل ، كتاب الفضائل ، كتاب الفرائض ، كتاب المناسك ، كتاب الإيمان ، كتاب الآثارية ، كتاب طاعة الرسول ، كتاب الرد على الجهمية ، كتاب المسند يحتوى على نيف وأربعين ألف حديث) (٣) .

ولكن ابن الجوزي لم يذكر هذا الكتاب، وإن كان قد نص على أنه لم يحص جميع مؤلفات ابن حنبل فقال (وأشياء آخر) (٤) ، وذكره أيضاً ابن حجر العسقلاني في شرح لصحيح البخاري (٥) :

موضوع الكتاب :

يشتمل هذا الكتاب على قسمين ، يرد الإمام في القسم الأول منه ، على الزنادقة الذين كانوا يشككون الناس في القرآن ، ويأخذون آيات معينة مقطوعة عن سياقها ، وعن جملة القرآن ، ويدعون أنها متناقضة مع آيات أخرى ، وأخذوا بعض المتشابه من القرآن وضلوا به ، وأضلوا ، وزاغوا عن الحق ، فأجاب أحمد بن

(١) طبع هذا الكتاب في مطابع دار الأصفهاني وشركاه بمكة سنة ١٣٨٠ هـ على ثقة الشيخ علي آل ثاني حاكم قطر . وبه تعليقات نفى الديار النجدية ، الشيخ عبد الرحمن الباطين (+ ١٢٨٢) ، وهو كتاب يقع في جزئين . وبه ٩٥٨ صفحة . بالجزء الأول ٤٧٨ ص ، وبالثاني ٤٨٠ ص .

(٢) ص ٦٦ — ٦٧ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ط . فلوجل (١٨٧٢ م) ص ٢٢٩

(٤) مناقب الامام أحمد ص ١٩١

م (٢)

(٥) فتح الباري ، ج ١٣ ص ٤٢٢

حنبل عن جميع ما ادعوا فيه من التناقض ، ومسلك في ذلك منهجا موضوعيا ، وهو أنه يسوق قول الزنادقة . ودعواهم ، ثم يأخذ بعد ذلك في الرد عليهم ، وبيان وجه الحق ، واعتمد في ذلك على تفسير القرآن بالقرآن ، والنظر إليه في جملة مما أفحم به هؤلاء الذين لم يفهموا القرآن في جملة ، واقتطعوا منه آيات ، ثم زعموا أنها متناقضة ، واعتمد ابن حنبل كذلك على أصول اللغة العربية ومواصفاتها ، وعلى لسان العرب ، وقانونه في مخاطباتهم ، ومحاوراتهم ، تلك اللغة التي لم يكن هؤلاء الزنادقة على معرفة بها ، ولا على اطلاع على أسرارها اطلاع الإمام ابن حنبل عليها ، وعلى ما يتصل بها من مواصفات الشرع ، وألفاظه واستعمالاتها ، وبين بذلك زيف دعوى الزنادقة ، وبهرجة مزاعمهم الواهية ، ومطاعنهم الخائبة ، في سوق الدعاوى الفاشلة ، الباطلة .

أما القسم الثاني فهو يشتمل على رد الإمام على فرقة الجهمية وعلى رأسها عيمها الأول ، ومؤسس بدعتها ، جهم بن صفوان (+ ١٢٨ هـ) الذي تأثر بعناصر فلسفية في نفي الصفات ، وبعناصر يهودية وصابئة ، وبوذية ، في ترمذ ، والكوفة ، وحران ، فطلع على الناس ببدعته في نفي الصفات ، والجبر ، وخلق القرآن ، لأن الله — في نظره — لا يمكن أن يتصف بصفة تكون مشتركة بينه وبين خلقه .

فذلك — في تصوره — يقتضى التشبيه ، إلا أنه أثبت أن الله قادر وفاعل لأن العبد لا يوصف بقدرة ، ولا بفعل .

وزعم أيضا أن الله يتصف بعلوم حادثة لافي محل ، وأنه لا يجوز أن يعلم الشيء قبل وجوده وخلق ، ووافقه في ذلك هشام بن الحكم الشيعي ، وسلب عن الإنسان كل اختيار وإرادة ، وكسب ، وجعله بمثابة جماد أو شجرة أو ماء وزعم أيضا أن الإيمان معرفة فقط ، وأنه لا يتبعض ، ولا ينقسم إلى اعتقاد وقول وعمل ، وأن المعارف والاعتقادات لا تزيد ولا تنقص (١) .

(١) عبد القادر بن أحمد بن بدران الدمشقي ، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل

ولذلك كله اشتد السلف في الرد عليه ، لأن مذهبه يؤدي إلى تعطيل الصفات ، وإلى تعطيل التكليف والشرع ؛ وإبطال النبوات والرسالات ، ما دام يعتقد أن الإنسان لا كسب له ، ولا اختيار ، وإنما هو ريشة في مهب الرياح .

ولذلك نحمد الإمام أحمد بن حنبل قد رد في هذا الجزء من الكتاب على الجهمية في مسألتين أساسيتين وهما مسألة الصفات ومسألة خلق القرآن ويمكن القول بأن جهم بن صفوان أول من قال بوحدة الوجود في تاريخ الإسلام وذلك أنه حينما سئل عن الله قال : (هو هذا الهواء ، مع كل شيء ، وفي كل شيء ، ولا يخلق من شيء) (١) .

وأخرج البخاري عن طريق عبد العزيز بن أبي سلمة قال : (كلام جهم صفة بلا معنى ، وبناء بلا أساس ، ولم يعد قط في أهل العلم ، وقد سئل عن رجل طلق امرأته قبل الدخول ، فقال تعتد امرأته) (٢) وقال . عبد الله بن المبارك :

ولا أقول بقول جهم إن له قولاً يضارع قول الشرك أحياناً

وأخرج ابن أبي حاتم (+ ٣٢٧ هـ) في كتابه الرد على الجهمية من طريق خلف بن سليمان البلخي ، قال : (كان جهم من أهل الكوفة ، وكان فصيحاً ، ولم يكن له نفاذ في العلم ، فلقبه قوم من الزنادقة فقالوا له : صف لنا ربك الذي تعبده ، فدخل البيت لا يخرج مدة ، ثم خرج فقال : هو هذا الهواء مع كل شيء) (٣) .

(١) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، بإسرح صحيح البخاري ، المطبعة البنية القاهرة

١٣٤٨ هـ ج ١٣ ص ٢٩٥ .

(٢) ن . م . ص ٢٩٥ .

(٣) ن . م . ص ٢٩٥ .

وأخرج ابن خزيمة في كتاب التوحيد ، وعنه أيضا أخذ البيهقي في كتابه
الاسماء والصفات ، قال : (سمعت أبا قدامة يقول سمعت أبا معاذ البلخي يقول :
كان جهم على معبر ترمذ ، وكان كوفي الأصل ، فصيحا ، ولم يكن له علم ؛
ولا مجالسة أهل العلم فقليل له صف لنا ربك ، فدخل البيت لا يخرج كذا ، ثم خرج
بعد أيام فقال : هو هذا الهواء ، مع كل شيء ؛ وفي كل شيء ، ولا يخلو منه
شيء) (١) .

ويروى أن أبا حنيفة قال : (بالغ جهم في نفي التشبيه حتى قال : إن الله ليس بشيء) (٢) ،
ولم يذكر السلف على الجهمية الجبرية فحسب وإنما أجمعوا على ذم الجهمية بسبب
إنكار الصفات ، حتى زعموا أن القرآن ليس كلام الله ، وأنه مخلوق (٣) .

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد قال في شأن جهم : (انه كان من أهل
خراسان ، من أهل ترمذ . وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه
في الله تعالى ، فلقى أناسا من المشركين يقال لهم السمنية . . .) (٤) .

وذكر مناظرته مع هؤلاء السمنية الذين سألوه : هل رأى إلهه ؟ وهل سمع
كلامه ؟ أو شم رائحته ؟ أو أحس به ؟ فقال لهم : لا ، فقالوا له : فما يدريك إذن
أنه إله ؟ فتحير جهم في أمره ، وترك الصلاة أربعين يوما ، ثم أحتج عليهم بحجة
تشبه حجة النصارى ، وهي الاستدلال بالروح ، أو الحلول (٥) .

وذكر أيضا أن جهم بن صفوان بن كلامه على ثلاث آيات متشابهة وهي قوله
تعالى : (ليس كمثله شيء) (الشورى / ١١) وقوله : (وهو الله في السموات

(١) ن . م . ص ٢٩٥ .

(٢) ن . م . ص ٢٩٤ .

(٣) ن . م . ص ١٩٤ .

(٤) الرد على الجهمية والرافضة ص ٦٥ .

(٥) ن . م . ص ٦٦ .

(والأرض) (الأنعام/٣) ، وقوله : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)
(الأنعام/١٠٢) وتأول القرآن على غير تأويله .

وكذب بأحاديث رسول الله وهو غير عالم بها ولا بصحتها أو مقبها ، وذهب
إلى أن من وصف الله بشيء مما وصف الله به نفسه في القرآن أو في الحديث كان
مضبها ، فأضل بذلك كثيرا من الناس .

وذكر الإمام أحمد بن حنبل أنه أثر في جماعة من أصحاب أبي حنيفة
(+ ١٥٠ هـ) . وفي جماعة من أصحاب عمرو بن عبيد المعتزلي البصري
(+ ١٤٢ هـ) ؛ فأصبح الجهمية يقولون في الله : (ليس كمثل شيء من الأشياء ،
وهو تحت الأرضين السبع ، كما هو عل العرش ، ولا يحلو منه مكان ، ولا يكون
في مكان دون مكان ، ولم يتكلم ولا يتكلم ، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا ، ولا
الآخرة ، ولا يوصف ، ولا يعرف بصفة ، ولا يفعل (؟) ولا له غاية ؛ ولا له
منتهى ، ولا يدرك بعقل ، وهو وجه كله ؛ وهو علم كله ، وهو سمع كله ، ولا بصر
كله ، هو نور كله ، وهو قدرة كله ، ولا يكون فيه شيان . ولا يوصف بوصفين
مختلفين ، وليس له أعلى ، ولا أسفل ، ولا نواحي ، ولا جوانب ، ولا يميز ولا شمال ،
ولا هو خفيف ، ولا ثقيل ، ولا له لون ، ولا له جسم ، وليس هو بمعمول ، ولا معقول
وكلما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه ، فهو على خلافه) (١) .

وليس هذا الأسلوب السلي ، إلا نفس أسلوب المعتزلة والفلاسفة الذين
ينفون الصفات ، وليس ذلك غريبا فقد نص ابن تيمية في هذا الكتاب على أن
أصحاب عمرو بن عبيد المعتزلي قد تأثروا بالجهمية وأخذوا عنهم . كما تأثر أصحاب
أبي حنيفة أيضا بهم . بل إن ابن قتيبة (+ ٢٧٦ هـ) صرح بأن أبا حنيفة نفسه
تكلم في القرآن ، كما تكلم جهم بن صفوان (٢) .

(١) الرد على الزنادقة والجهمية ص ٦٧ — ٦٨ .

(٢) رد الامام الدرامي عثمان بن سعيد ، على بهر المريسي الخنيد ص ٥٠٢ .

وغارض عثمان بن سعيد الدارمي (+ ٢٨٠ هـ) الذين قلدوا أبا حنيفة فقال : (فبؤسالك ، ولأصحابك الذين قلدتم دينكم أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمد بن الحسن ، في أكثر ما تفتون ، مما لا تقعون من أكثره على كتاب ولا سنة) (١) .

وذهب الجهمية إلى أن الله شيء لا كالأشياء . إلا أن الإمام أحمد ابن حنبل يرد على ذلك بأنه إذا كان شيئاً لا كالأشياء ، فعنى ذلك أنه لا شيء عند أهل العقل ، وأنه عدم محض .

وأبان عن أن الجهمية لا يؤمنون بشيء وإنما يسترون بذلك دفعا للشناعة التي تلحقهم إذا ما أعلنوا بما يعتقدون ، وأبانوا عنه ظاهراً ، صريحاً ، للناس . وليس هناك دليل في القرآن ، يدل على أنه مخلوق ، وأما ما استدلل به الجهمية من قوله تعالى : (إنا جعلناه قرآناً عربياً) [الزخرف / ١] فإن جعل في هذه الآية لا تدل على الخلق ، كما زعم هؤلاء الجهمية ، وذلك لأن جعل في القرآن وردت على وجهين بالنسبة للمخلوقين ، الوجه الأول بمعنى التسمية مثل قوله تعالى : (الذين جعلوا القرآن عضين) [الحجر / ٩١] .

وقوله تعالى : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً) [الزخرف / ١٩] أى أنهم سمووا القرآن عضين ، وسموا الملائكة إناثاً ، والوجه الثاني بمعنى فعل من أفعال المخلوقين .

وذلك كقوله تعالى : (يعملون أصابعهم في آذانهم) [البقرة / ١٩] ، وأما جعل بالنسبة لله ، فقد وردت بمعنى خلق ، وعلى معنى غير خلق .

وبما ورد في القرآن على معنى خلق قوله تعالى : (الحمد لله الذي خلق السموات الأرض ، وجعل الظلمات والنور) [الأنعام / ١] أى خلق الظلمات والنور وأمثال ذلك كثيرة في القرآن .

وأما ما ورد على غير معنى خلق فمثل قوله تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ، ولا سائبة) (١٠٣ / المائدة) ومثل قوله : (إني جاعلك للناس إماما) (البقرة / ٢٤) فجعل في هاتين الآيتين ليست بمعنى خلق ^(١) .

وادعى الجهمية أن القرآن هو غير الله ، وأنه فعل الله ، وإذا غيرا فإنه يكون مخلوقا ، إلا أن ابن حنبل وصف هذه الدعوى بأنها من المغالط ، لأن الله لم يصرح في القرآن بأنه هو أو غيره ، وإنما قال إنه كلامه ، فسميناه بما سماه الله به .

ومن جهة أخرى فإن الله ميز وفصل بين قوله ، وبين خلقه فقال : (ألا له الخلق والأمر) (الأعراف / ٥٤) فكل مخلوق من المخلوقات داخل في قوله : (ألا له الخلق) ؛ وأما ما ليس بخلق فهو قوله : (والأمر) والأمر هنا هو قوله ، وقوله هو كلامه ^(٢) .

وبين بعد ذلك أصول العربية في الوصل والفصل بين التراكيب اللغوية ، ما لا يجعل الشك يتطرق إلى ما يذهب إليه من التفسير ، والإبانة لمعنى القول والأمر والخلق وغير الخلق ^(٣) .

وفرق أحمد بن حنبل أيضا بين الشيء وبين القول لأن الشيء ما كان بقوله ، وليس الشيء هو أمره ، أو قوله فالمخلوق إنما هو المقول له كن ، لا الـ كن ، نفسها ، وذلك أن الجهمية ، أدعت أن القرآن شيء وبما أنه شيء فهو مخلوق لأن الله قال : (خالق كل شيء) ^(٤) ، وإذا كان القرآن شيئا فإنه غير داخل في الأشياء المخلوقة .

(١) ن . م . ص ٩٦ — ٧١

(٢) ن : م : ص ٧٣

(٣) ن . م . ص ٧٤

(٤) ن . م . ص ٧٦

أما قوله تعالى : (ما يأتينهم من ذكر من ربهم محدث) (العنكبوت / ٤٥) فالمراد بالذكر هنا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه مذكر ومبلغ ، لأن هذه الآية انفردت بذكر النبي ، ولذلك وصف بأنه محدث لأن النبي ، كان لا يعلم ، قلبا عليه الله ، كان ذلك محدثا له (١) .

وليس فيما استدل به الجهمية ، من قوله : (تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلته) (النساء / ١٧١) وبما أن الله سمي عيسى كلبه وبما أن عيسى مخلوق فالكلمة مخلوقة ، أى أن القرآن مخلوق ليس في ذلك أى دليل ، وذلك لأن عيسى تجرى عليه أوصاف لا تجرى على القرآن ، ولا يجوز لنا أن نقيس القرآن على عيسى ، فميسى مخلوق ، « بكن » ، وليس عيس هو « السكن » ، وإنما كان « بالسكن » والسكن من الله قوله ، وكلامه ، وليس مخلوقا (٢) .

وكذلك قوله تعالى : (ووح منه) في شأن عيسى ، فميسى ليس من ذات الله كما تزعم النصارى ، حيث أعلنت أنه من ذات الله ، كما أن الخرقه يقال فيها لأنها من هذا الثوب ، لأن عيسى كان بالكلمة ، وليس هو كلمة وإنما هو أثر الكلمة ، ومخلوقها ، ومعنى روح الله هنا ، أنهاروح كانت بكلمة الله ، ومخلوقة بأمره ، كما يقال عبد الله ، وأرض الله (٣) فهي فعل من أفعال الله وخلق من مخلوقاته .

وقول الله هو الحق وبالحق خلق الله السموات والأرض ، وليس قوله شيئا كائنا حادثا ، كما حدثت الأشياء التي توجد في السموات والأرض (٤) .

ورد على الجهمية بعد ذلك فيما يتعلق بالرؤية (٥) ، وبتكليم الله تعالى لموسى

(١) ن : م : س ٨٢

(٢) ن : م : س ٨٣

(٣) ن : م : س ٨٣

(٤) ن : م : س ٤٨

(٥) ن : م : س ٨٥

عليه السلام (١) ورد عليهم أيضا قولهم إن صفات الله مخلوقة ، وإنكارهم للاستواء على العرش ، وتأويلهم له (٢) ، ومذهبهم في المعية (٣) ثم نقد رأيهم في الأحاديث التي أستدلوا بها على أن القرآن مخلوق حادث (٤) ، ثم تأويلهم لقول الله تعالى ، : (هو الأول والآخر) (٥) ورد مذهبهم في أن الله نور كله ، وبهذا ختم هذه الرسالة الناقدة لمنهج الزنادقة ، والجهمية ، في تأويل الآيات المتشابهة وفي دعوى التناقض في القرآن .

ولكن بقي سؤال وهو هل أن الجهمية التي رد عليها الإمام أحمد بن حنبل هي مقالة جهم بن صفوان ، أم أنه يقصد بذلك المعتزلة أيضا ، وقد لقبوا بالجهمية عند كثير من السلف المتقدمين والمتأخرين ؟

يرى الشيخ السلفي المعاصر جمال الدين القاسمي (+ ١٣٣٢ هـ) أن المقصود بالجهمية في هذه الرسالة إنما هم المعتزلة وقال : (فالإمام أحمد في كتابه الرد على الجهمية ، والبخاري في الرد على الجهمية ، ومن بعدهم إنما يعنون بالجهمية ، فيه المعتزلة ، لأنهم كانوا في المتأخرين أشهر بهذه المسائل من الجهمية ، ولكن كان غرض المتقدمين بالرد والمناقشة ، الجهمية لأنها الام لغيرها ، والسابقة على سواها في الظهور ، بل هي أول فئة ظهرت في الإسلام بمذهب التأويل (٦) .

(١) ن : م : ص ٨٧

(٢) ن : م : ص ٩٢

(٣) ن : م : ص ٩٥

(٤) ن : م : ص ١٠٠

(٥) ن : م : ص ١٠٠

(٦) القاسمي ، كتاب تاريخ الجهمية والمعتزلة ، مطبعة المنار ، القاهرة ، ١٣٣١

ص ٤٤ — ٤٥ وكان قد طبع في المجلد السادس عشر من مجلة المنار .

أى أنه اعتبر أحمد بن حنبل والبخارى من السلف المتأخرين، أما من قبلهما من المتقدمين ، والواقع أنه يمكن لنا القول بأن رسالة أحمد بن حنبل قصد بها الرد على الجهمية المعتزلة والجهمية الأولى ، لأنه ابتداء بذكر جهم بن صفوان وبذكر تاريخه وصفاته ، ثم ذكر بعد ذلك أنه تأثر به جماعة من أصحاب أبى حنيفة ، وأصحاب عمرو بن عبيد المعتزلى، لأن الفرقتين قد اشتركتا فى عدة مقالات ، قال الإمام ابن تيمية : (لما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات فى أوائل المائة الثالثة على عهد المأمون ، وأخيه المعتصم . ثم الوافق ، ودعوا الناس إلى التجهم ، وإبطال صفات الله تعالى ، وطلبوا أهل السنة للنناظره ، لم تكن المناظره مع المعتزلة فقط بل كانت مع جنس الجهمية من المعتزلة ، والنجرارية والضرارية ، وأنواع المرجئة . فكل معتزلى جهمى . وليس كل جهمى معتزليا . لكن جهم أشد تعطىلا . لأنه ينفى الاسماء والصفات . وبشر المريسى كان من المرجئة . ولم يكن من المعتزلة . بل كان من كبار الجهمية (١) .

وقد استعنا فى تحقيق نص «الرد على الزنادقة والجهمية» بنسخة طبعت بمطبعة الإمام بمصر (دون تاريخ) تقع فى ٤٦ ص وهى التى رمزنا إليها بالالف وبندسخة أخرى طبعت بحماه بتحقيق محمد فخر شقنه . (١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧) معتمدا فى ذلك على مخطوطة فى الظاهرية تحت رقم ١١٦ ضمن مجموع . ولكن هذه النسخة ينقصها « الرد على الزنادقة » ورمزنا إلى هذه النسخة بحرف (ب) .

ورأينا أن نلحق بكتاب الإمام أحمد بن حنبل فقرة فى الرد على الجهمية أيضا لأحد تلاميذه وأصحابه المحدث الثقة أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الحافظ المتوفى سنة ٢٧٥ هـ الذى ذكر الذهبى عنه أنه كان يتشبه بشيخه الإمام أحمد ، ويحذو حذوه . وهو نص مأخوذ من كتابه « مسائل الإمام أحمد » الذى نشره وقدم له الشيخ رشيد رضا . كما حققه الشيخ بهجت البيطار وقارنه بنسخة أخرى

في الظاهرية تعتبر من أقدم ما يوجد فيها من المخطوطات إذ أنها نسخت سنة ٢٦٦ هـ
أى في حياة المؤلف نفسه (١) .

وقد طبع بمطبعة المنار ، القاهرة ١٣٥٣ هـ ويقع هذا النص فيه من ص
٢٦٢ — ٢٧٤ . وأكثر ماورد في هذه الفقرة مروى عن الإمام أحمد بن حنبل
رحمة الله ورضى عنه .

٢ - خلق أفعال العباد للإمام البخارى .

أما مؤلفه فهو أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن إسماعيل ابن إبراهيم ، بن
المغيرة ، برد زبه . الجعفى ولد في ١٣ شوال سنة ١٩٤ هـ ببخارى قرب سمرقند
الواقعة الآن تحت سيطرة الاتحاد السوفياتى ، تلك المدينة العظيمة في تاريخ الإسلام ،
ولسكنك إذا دخلتها اليوم وجدت مساجدها قد خربت ، وآثارها الإسلامية
القديمة آيلة إلى الاندثار ، وبها قبر قثم بن عباس الصحابى الجليل ، وبخارى
مدينة كبيرة من بلاد التركستان على نهر زرافستان وقد فتحت في منتصف القرن
الأول الهجرى ، وأصبحت مركزا هاما من مراكز الثقافة الإسلامية (٢) ، وما تزال
بها مدرسة للعلوم الإسلامية إلى اليوم .

ولد البخارى في أسرة صالحة ذات ثراء وعلم وتقى ، ومات والده وهو طفل ،
فحدثت أمه عايه ورعته خير رعاية ، وحجت به أمه ، ورجعت إلى بخارى . أما
ابنها فقد بقى في الحجاز ، معتكفا على العلم . وعلى لقاء شيوخه ، والاختلاص عنهم .
أخذ عن شيوخ كثيرين في موطنه وفي غير موطنه من بلاد الإسلام ، فقد حدث
عن الداخلى ، ومحمد بن يوسف البيكندى ، وهارون بن الأشعث قال البخارى

(١) مسائل الامام أحمد بن حنبل من (م) .

(٢) لجنة احياء كتب السنة ، التعريف بأمر المؤنن في الحديث ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ

(فلما طعنت في ست عشرة حفظت كتب ابن المبارك ، ووكيح ، وعرفت كلام هؤلاء) (١) ويذكر لنا أيضا أنه لقي مايزيد على ألف شيخ من شيوخ الحديث قال : (لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز ، والعراق ، والشام ، ومصر ، وخراسان ، فآرايت واحدا منهم ، يختلف في هذه الأشياء : إن الدين قول وعمل ، وأن القرآن كلام الله (٢)) ونص على دخوله إلى بلدان كثيرة فقال : (دخلت إلى الشام ومصر ، والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، واقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصى كم دخلت الكوفة ، وبغداد مع المحدثين) (٣) ؛ وأحصى من كتب عنهم الحديث فقال : (كتبت عن ألف وثمانين نفسا ، ليس منهم ، إلا صاحب حديث) (٤) وكان يجالس أحمد بن حنبل في بغداد ، ولما ودعه أسف ابن حنبل لوداعه ، قال البخاري : (دخلت بغداد ثمان مرات كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل ، فقال لي آخر ماودعته : يا أبا عبد الله ، ترك العلم والناس وتصير إلى خراسان ؟) (٥) ، ومن أشهر شيوخه في الحديث مريح بن النعمان ، وأحمد بن حنبل ، وأبو مسلم بن عبد الرحمن بن أبي يونس ، وأبو نعيم الفضل بن دكين ، والحسن بن عطية ، ومحمد بن عبد الله الأنصاري ، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي ، وأحمد بن عبد الملك الحراني ، وإسماعيل بن عبد الله الرقي ، ومحمد بن يوسف الفريابي ، وأبو اليمان بن نافع ، وحيوة بن شريح ، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ، وأبو الوليد أحمد بن محمد الأزرق ، وأصبغ بن الفرغ وسعيد بن أبي مريم ، ويحيى بن عبد الله بن بكير ، ويحيى بن بشر الزاهد

(١) ابن حجر ، فتح الباري ج ١ ص ١٩٣

(٢) السبكي ، طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢١٧

(٣) ابن حجر ، هدى الساري ، ص ١٩٤

(٤) ن ٥٠ ص ١٩٤

(٥) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢١٧

ومحمد بن يحيى الصائغ ، ومحمد بن مقاتل ، وقد أحصى المؤرخون وأصحاب الحديث شيوخ البخارى فى خمس طبقات (١) .

أما ما يتعلق بحفظه ، وقدرته على استحضار الحديث ، فأمر ليس له نظير ، إذ حدثنا عن نفسه أنه يحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتى ألف حديث غير صحيح ، (٢) وأخرج كتابه الجامع من نحو مئتي ألف حديث ، وصنعه فى ستة عشر سنة (٣) ، وكان يحفظ الحديث من سماعه مرة واحدة . لما أتاه الله من قدرة عجيبة على الحفظ والاستظهار .

مصفاته :

من أعظم مؤلفاته كتابه فى الحديث المسمى « بالجامع الصحيح » ، والذي أشتهر عند الناس بصحيح البخارى ، يذكر ابن حجر أنه رواه عنه تسعون ألفا ، ومنها الأدب المفرد (٤) ، ورفع اليدين فى الصلاة (٥) ، والقراءة خلف الإمام (٦) ، وبر الوالدين ، والتاريخ الكبير (٧) ، والتاريخ الأوسط ، والتاريخ الصغير (٨) . وخلق أفعال العباد (٩) وكتاب الضعفاء (١٠) ، والجامع الكبير ، والمسند الكبير ،

(١) ن : م : س ٢٠٢

(٢) طبقات الشافعية ص ٢٢١

(٣) طبع بالقاهرة ١٣٧٥ هـ .

(٤) طبع فى الهند ١٢٥ هـ

(٥) طبع فى الهند سنة ١٢٩٩ هـ

(٦) طبع فى الهند بعناية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١ - ١٣٦٢ هـ فى أربع مجلدات تحتوى على ثمانية أجزاء .

(٧) طبع فى الهند فى طبع حجرى عام ١٣٢٥ هـ

(٨) طبع فى الهند ١٣٠٦ هـ .

(٩) له كتابان بهذا الاسم ، الضعفاء الكبير والضعفاء الصغير وقد طبع الضعفاء الصغير

فى الهند عام ١٣٢٥ هـ

أما التاريخ الأوسط فتوجد نسخة منه مخطوطة فى حيدرآباد بالهند وكذلك كتاب الضعفاء الكبير فإنه توجد منه نسخة فى (باتنه) وذلك المسقى بروكلمان (التعريف بالبخارى ص ٨٧) .

التفسير الكبير ، وتوجد منه نسخة في المكتبة الوطنية في الجزائر وأخرى في المكتبة الوطنية في باريس^(١) ، كتاب الأشربة ، كتاب الهبة ، كتاب أسامي الصحابة ، كتاب الوجدان ، كتاب المبسوط ، كتاب العلل ، كتاب الكنى ، كتاب الفرائد ، كتاب سنن الفقهاء ، كتاب قضايا الصحابة ، والتابعين .

وقد سلك في كتابه « الجامع الصحيح » منهجا نقديا ، وشروطا في الرواة غاية في الضبط ، والعناية ، والتحرى ، مما جعله من أصح الكتب التي وصلتنا في الحديث .

والمصنف الذي يهمننا هنا إنما هو كتابه « خلق أفعال العباد » ، وقد طبع هذا الكتاب « في المطبع الأنصاري الواقع في الدهلي » باهتمام المولى عبد المجيد^(٢) . وهو يقع من ص ٦٩ — ٩٦ . وذلك في سنة ١٣٠٦ هـ في طبعة حجرية ، وهو من أهم الكتب التي وصلتنا في مجال العقائد السلفية التي عزمنا على بحثها والاهتمام بها ، ولم يشك أحد في ثبوت نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه ، وذلك أنه رواه عنه يوسف بن ريمان بن عبد الصمد ، والغريزي^(٣) .

وذكره ابن حجر ونقل عنه في شرحه لمصحيح البخاري ، في عدة مواضع وخاصة في آخر شرحه ، حين بين معاني كتاب البخاري ، في « التوحيد والرد على الجهمية » نقل قوله : (قال البخاري في كتاب خلق أفعال العباد : بلغني أن جهميا كان يأخذ عن الجعد بن درهم ، وكان خالد القسري وهو أمير العراق . خطب فقال : إني مضح بالجعد بن درهم لأنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم

(١) التعريف بأمر المؤمنين في الحديث ، ص ٧٢ .

(٢) وقد كتب ذلك على أول دفتر القدى طبع به مع كتاب إعلام أهل العصر ، بأحكام وكنى الفجر ، وكتاب الملو ، وكتاب القول المحقق .

(٣) التعريف بالبخاري ص ٧٢ .

موسى تكليماً^(١) ، وقال ابن حجر أيضاً ناقلاً عن البخارى ، من كتابه وخلق أفعال العباد :

(ثم وجدت بيان مراده فى كتابه الذى أفرده فى خلق أفعال العباد ، فقال :
اختلف الناس فى الفاعل ، والفعل ، والمفعول)^(٢) .

ونقل عنه أيضاً تفرقة بين ذكر الله وذكر العبد فقال : (قال البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد بين هذه الآية أن ذكر العبد ، غير ذكر الله عبده ، لأن ذكر العبد الدعاء والتضرع ، والثناء ، وذكر الله الإجابة)^(٣) ونقل منه رأى البخارى فى مسألة كسب الإنسان أفعاله^(٤) .

موضوع الكتاب :

تحدث فيه البخارى عن القرآن أولاً . ورد فيه على الجهمية القائلين بخلقه . ويشبه حديثه فى ذلك ، حديث الإمام أحمد بن حنبل و فى الرد على الزنادقة والجهمية .

وقد نسب إلى الإمام البخارى أنه كان يقول : لفظى بالقرآن مخلوق . وأنه لما سئل عن ذلك أجاب بقوله : القرآن كلام الله غير مخلوق . وأفعال العباد مخلوقة . والامتحان بدعة^(٥) .

(١) ابن حجر ، فتح البارى ، ج ١٣ ص ٢٩٥ .

(٢) ن : م : ص ٣٧٥ .

(٣) ن : م : ص ٤١٨ .

(٤) ن : م : ص ٤٢٠ .

(٥) هدى السارى ص ٢٠٣ .

ولكن سائله نسب إليه أنه قال : « لفظى بالقرآن مخلوق » ، وقد رد على ذلك بقوله : (من زعم من أهل نيسابور . وقومس . والرى . وهمذان . وبغداد . والكوفة . والبصرة . ومكة . والمدينة أنى قلت : « لفظى بالقرآن مخلوق » ، فهو كذاب . فإنى لم أقله . إلا أنى قلت : أفعال العباد مخلوقة) (١) . وقد صرح فى كتابه « خلق أفعال العباد » بمذهبه فى القرآن فقال : « والقرآن كلام الله غير مخلوق » (٢) .

وأما أفعال العباد فقد بين لنا أنها مخلوقة . فقال : (سمعت عبد الله بن سعيد يقول : سمعت يحيى بن سعيد يقول : ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون : إن أفعال العباد مخلوقة . قال أبو عبد الله (أى البخارى) حركاთهم وأصواتهم : واكتسابهم . وكتاباتهم مخلوقة . فأما القرآن المتلو ، المبين ، فى المصاحف ، المسطور ، المكتوب . المدعى فى القلوب ، فهو كلام الله ، ليس بخلق . قال الله (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) (٣) .

وبين أن المداد والرق أو الورق الذى كتب فيه القرآن فهو مخلوق . قال البخارى : (فأما المداد والرق ونحوه فإنه خلق . كما أنك تكتب « الله » ، فأنه فى ذاته هو الخالق . وخطك واكتسابك من فعلك . لأن كل شئ دون الله ، يصنعه ، وهو خلق) (٤) .

وكذلك أصوات العباد ، فإنها مخلوقة مؤلفة . قال : (وأن أصوات العباد مؤلفة حرفا ، فيها التطريب والغمز واللحن ، والترجيع) (٥) .

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) ص ١٣٦ .

(٣) ن : م : ص ١٣٨ .

(٤) ن : م : ص ١٤٠ .

(٥) ن : م : ص ١٤٦ .

وأما ما يروى من أن الإمام أحمد بن حنبل كان يقول بقدّم الصوت والحرف أو أنه كان يبدع من يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فإنه غير صحيح ، قال البخارى : (فأما ما احتج بن الفريقان لمذهب أحمد ويدعيه كل لنفسه فليس بثابت كثير من أخبارهم ، وربما لم يفهموا دقة مذهبه ، بل المعروف عن أحمد ، وأهل العلم ، أن كلام الله غير مخلوق ، وما سواه مخلوق ، وأنهم كرهوا البحث ، والتنقيب عن الأشياء الغامضة ، وتجنبوا أهل الكلام ، والخوض والتنازع ، إلا فيما جاء فيه العلم ، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

ولكن يمكن أن يفهم من البخارى أن التلفظ بالقرآن مخلوق ، وذلك أنه بين أن التلاوة مخلوقة ، والمتلو غير مخلوق ، فقال : فبين أن التلاوة من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأن الوحي من الرب ، ومنه قول عائشة ، رضى الله عنها : (ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى) ، فبينت رضى الله عنها : أن الإنزال (من الله ، وأن الناس يتلون) (٢) .

وبما أنه صرح بأن أصوات العباد مخلوقة لأنها من الأفعال ، فالتلاوة إذن مخلوقة وليست التلاوة إلا التلفظ بالقرآن ، ومن أجل هذا نسبوا إلى البخارى أنه قال : ولفظي بالقرآن مخلوق ، لأنه لازم مذهبه في خلق التلاوة والأصوات والبخارى منهج في الاستدلال في غاية الدقة وذلك أنه يورد النصوص من القرآن والسنة ، وكلام السلف ، ثم يستخلص منها مذهبه فيما يذهب إليه من عقائد وآراء ، وما هذا المنهج إلا منهج استقرائي ، شديد التبع للنصوص . وفحصا والإستنتاج منها ، بكل حذر ، ودقة ، واحتياط ، ولم نر لأحد من المؤلفين هذه الدقة المنهجية التي سار عليها البخارى في هذا الكتاب الجليل ، ويمكن القول إن هذا المنهج سار عليه أهل الحديث قاطبة . ولكن البخارى قد تفوق في هذا ، فلم يكن له نظير ، ولا شبيهه .

(١) ن : م : ص ١٥٤

(٢) ن : م : ص ١٦١

وقد بين لنا غاية البيان أن التلاوة غير المتلو ، وأن القراءة غير المقروء فقال :
(وهذا واضح بين عند ما كان عنده أدنى معرفة أن القراءة غير المقروء) (١) ،
وقال أيضا : (القراءة هي التلاوة ، والتلاوة غير المتلو) (٢) وقال : (وإنما منسب
إلى العباد القراءة لا القرآن ، لأن القرآن كلام الرب ، جل ذكره ، والقراءة فعل
العبد ، ولا يخفى معرفة هذا القدر إلا على من أعمى الله قلبه ، ولم يوفقه ، ولم
يسده سبيل الرشاد ، وليس لأحد أن يشرع ، في أمر الله عز وجل ، بغير
علم . كما زعم بعضهم أن القرآن بالفاظنا ، وألفاظنا به شيء واحد ، والتلاوة هي
المتلو ، والقراءة هي المقروء ، فقليل له : إن التلاوة فعل التالى ، وعمل
القارىء . فرجع وقال ظننتها مصدرين ، فقليل له : هلا أمسكت كما أمسك كثير من
أصحابك) (٣) .

فهو يرد هنا على من زعم أن التلفظ بالقرآن قديم ؛ وأن فعل التلاوة أو
القراءة قديم ، كما زعم بعض الناس في عصره ، وغلوا في القول بغير علم ، ولا
هدى ، ولا بصيرة ، وأضلوا ناسا كثيرين ، فقالوا بتقديم الصوت والحرف ، ويبدو
في أغلب الظن أن البخارى رحمه الله ألف هذا الكتاب في بيان خلق أفعال العباد
ليبين من خلاله إلى الناس أن تلاوة القرآن ، وكتابته ، كل ذلك مخلوق . مادام
فعلا للإنسان ، وعملا من أعماله ، التى تنسب إليه ، ويحدثها ، ويقوم بها وبين
لنا أن سبب ضلال كثير من الناس إنما هو جهلهم بمعانى اللغة العربية
وعجمتهم (٤) .

وليس اللفظ هو المدلول به عليه ، فإذا تلفظ الإنسان بلفظ الله ، فليس الله
هو لفظه به ، قال البخارى : فإن اللفظ غير الذى تلفظ به ، لأنك تلفظت بالله ،

(١) ن : م : ص ١٩٩

(٢) ن : م : ص ٢٠٠

(٣) ن : م : ص ٢٠٠ — ٢٠١

(٤) ن : م : ص ٢٠١

وليس الله هو لفظك ، وكذلك تُلَفِّظ بصفة الله ، بقول الله ، وليس قولك : الله هو الصفة ، إنما تصف الموصوف ، فأنت الواصف ، والله الموصوف بكلامه ، كالواصف الذى يصف بكلام غير الله ، وأما الموصوف بصفته وكلامه فهو الله^(١) .
ولإذا كان الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه قد قال :

« لاتعجبني قراءة حمزة ، فليس معنى ذلك أنه قال : « لا يعجبني القرآن » ،^(٢) .
وحلل الإمام البخارى الفعل والمفعول والفاعل تحليلا فى غاية الدقة والبراعة ، قال : فالفعل إنما هو إحداث الشيء ، والمفعول هو الحدث لقوله : (خلق السموات والأرض) (الأنعام ٧٣) فالسموات والأرض مفعول ، وكل شيء سوى الله بقضائه فهو مفعول ، فتخليق السموات فعله ، لأنه لا يمكن أن تقوم سماء بنفسها ، من غير فعل الفاعل ، وإنما تنسب السماء إليه ، لحال فعله ، ففعله من ربوبيته حيث يقول : (كن فيكون) (يس ٨٢) ولكن منه صنعته ، وهو الموصوف به ، كذلك قال رب السماوات ورب الأشياء^(٣) ، فالفعل عنده إنما هو صفة ، أما المفعول فغيره ، والوصف إنما هو قول القائل ، فإذا قيل :

هذا رجل طويل ، وجميل ، فالطول والجمال صفتان للرجل ، وقول القائل أو لفظ الالفاظ إنما هو وصف ، وإذا قال القائل : الله رحيم أو عليم أو قدير ، فقول هذا القائل والفاظه وصف ، أما الرحمة أو العلم ، أو القدرة فذلك كله صفات ، فكأن الوصف هو اللفظ ، أما الصفة فهي المعنى^(٤) ، ثم بين لنا مذاهب المسلمين فى الفعل والفاعل والمفعول فقال :

(واختلف الناس فى الفاعل والمفعول والفعل فقالت القدرية : الافاعيل كلها من البشر ، ليست من الله ، وقالت الجبرية الافاعيل كلها من الله ، وقالت الجهمية :

(١) ن . م . ص ٢٠٤ .

(٢) ن . م : ص ٢٠٥ .

(٣) ن . م . ص ٢١٠ — ٢١١

(٤) (١) — ٢١٢ .

الفعل والمفعول واحد، ولذلك ، قالوا « كن ، مخلوق (١) » ، وقال أهل العلم: التخليق فعل الله ، أفاعيلنا مخلوقة ، لقوله تعالى : (وأمروا قوا لكم أو اجبروا به إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق) (الملك ١٤) يعنى السر والجهر من القول ، فقل الله صفة الله ، والمفعول غيره ، من الخلق (٢) .

وبذلك بين لنا البخارى مذاهب الناس فى الفعل والمفعول والتكوين والمكون ، والأمر والمأمور ، وفرق بين الفعل الذى هو صفة الله ، وبين المفعول وهو ما ينشأ عن الفعل ، فالفعل قديم لأنه صفة من صفات الله وهو التكوين ، والمفعول مخلوق قال البخارى فى كتاب التوحيد والرد على الجهمية : (فعل الرب تبارك وتعالى وأمره ، فالرب بصفاته وفعله ، وأمره ، وهو الخالق ، هو المكون غير مخلوق ، وما كان بفعله ، وأمره ، وتخليقه ، وتكوينه ، فهو مفعول مخلوق مكون (٣) .

وقد ذهب جماعة من السلف كابى حنيفة وغيره إلى أن التكوين صفة لله قديمة ، وهو قوله كن ، وجميع أفعاله ترجع إلى صفة التكوين هذه ، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماترىدى ، وذهب آخرون كابن كلاب والاشعرى إلى أن صفة التكوين حادثة ، والسبب الذى جعلهما يذهبان إلى ذلك أنهما خشيا أن يلزم من القول بقديم التكوين ، قدم المكون ، أو المخلوقات ، ولذلك أزموا ابن كلاب والاشعرى أنهما قالوا بحلول الحوادث بالله ، لأنهما قالوا بحدوث التكوين أى بحدوث أفعاله (٤) .

أما البخارى فقد ذهب مذهب السلف كابى حنيفة ، وغيره ، ويبدو أنه يقصد بالجهمية فى هذا السياق أصحاب جهنم بن صفوان ، الذين ذهبوا إلى أن الفعل والمفعول واحد ، ولذلك قالوا بخلق القرآن وبخلق « كن » التى هى صفة التكوين .

(١) فى الأصل : « قالوا لكن مخلوق » ، والتصحيح من فتح البارى ج ١٣ ص ٣٧٠ .

(٢) ن ٠ م ٠ ص ٢١٢

(٣) فتح البارى ج ١٣ ص ٣٧٠

(٤) ابن حجر ، فتح البارى ج ١٣ ص ٣٧٠

وهذا يلزم الأشاعرة أيضا، لأنهم قالوا بأن الفعل والمفعول واحد ، والدليل على ذلك أنهم قالوا بأن صفة التكوين حادثة ، ولذلك لم تنسق نظرية الأشاعرة هنا ، مع مذهبهم في الصفات ، وفي قولهم إن الله لا تحمل به الجوارث ، والذي انتهى إليه البخارى من بيان التخليق والخلق ، والفعل والمفعول ، هو أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن تلاوته وقراءته وكتابته وحفظه في القلوب فعل للعبد أو مفعول له والمفعول مخلوق (١) ، وبالمجلة فإن الامام البخارى قد بين في هذا الكتاب أفعال للعباد ، ورد فيه أيضا على الجهمية التي تشمل المعتزلة والجهمية الاولى ، ورد فيه أيضا على المعتزلة الذين يعطلون النصوص عن دلالاتها ، ويعطلون الله عن صفاته العللى ، وأسمائه الحسنى .

٣ — الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة :

أما مؤلف هذا الكتاب فهو إمام من أئمة الحديث ، وعلم من أعلام اللغة ، والأدب ، ومناضل من المناضلين عن السنة ، المدافعين عن الروح الإسلامية ضد التيارات الدخيلة ، والعناصر الأجنبية ، وأوشاب الحضارة الوثنية التي غزت الحضارة الإسلامية في عهده .

ولد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في مرو في سنة ٢١٣ هـ ونشأ ببغداد ، أخذ عن إسحاق بن (راهويه) وأبى إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان وأبى حاتم السجستاني ، وذكر ابن تيمية أن ابن قتيبة من المنتسبين إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل فقال : (وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق ، والمنتسرين لمذاهب السنة المشهورة ، وله في ذلك مصنفات متعددة) (٢)

ويقال إنه كان معظما عند أهل المغرب ، وكانوا يهتمون من وقع في ابن قتيبة أو استجاز الوقية فيه بالزندقة ، ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه ،

(١) خلق أفعال العباد ص ٢١٣

(٢) ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، نشر محمد زهرى للنهار ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ

١٩٦٦ م . ط من مقدمة الناصر . نقلا عن تفسير سورة الاخلاص لابن تيمية .

لاخير فيه) وابن قتيبة في أهل الحديث والسنة كالجاحظ في أهل الاعتزال إذ أنه خطيب أهل السنة ، وكانهم الأعظم ، كما أن الجاحظ ، كاتب المعتزلة وأديبهم الأكبر^(١) وتوفي سنة ٢٧٦ هـ .

مؤلفاته :

بلغت مؤلفاته زهاء ثلاثمائة مصنف ، منها أدب الكاتب ، وغريب القرآن ، وغريب الحديث ، وعيون الأخبار ، ومشكل القرآن ، ومشكل الحديث ، وطبقات الشعراء ، والأشربة ، وإصلاح المثلث ، وكتاب التنقيح ، وكتاب الخيل ، وكتاب اعراب القرآن ، وكتاب الأنواء ، وكتاب المسائل والجوابات ، وكتاب الميسر والقدر ، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة .

وقد دافع في كتابه « تأويل مختلف الحديث » عن المحدثين ، الذين استجاز المعتزلة وغيرهم ثلبيهم : واثماتهم ، ورواية الباطل : والتناقض في الحديث : وأدى ذلك الى اختلاف بين المسلمين : وقطع العصم : وكثرة النحل : وتكفير بعضهم لبعض وكل يحتاج بالحديث : ويدافع عن مذهب : بالاستشهاد به والاستدلال بنصه : سواء في ذلك الخارجي والرافضي والقدرى والجهمي والمعتزلي ، والمرجئي : وذكر أن أهل الكلام يقولون في مقالاتهم (ما لا يعلمون : ويفتنون الناس بما يأتون ، ويبصرون القذى في عيون الناس ، وعيونهم تطرف على الأجزاء ويتهمون غيرهم في النقل : ولا يهتمون آراءهم في التأويل)^(٢) . لأن معاني الكتاب والسنة : وما فيهما من حكم : وبدائع لا تدرك بمنهج المتكلمين الخائضين في الجوهر والعرض ، والتولد والطفرة : والسكينة : والكيفية ، والائنية^(٣) ولكنهم يريدون أن يتزعموا : وأن تكون لهم رئاسة وأتباع : ومقالات وآراء : وذبح الى أن منهجهم لا يستقيم ، لأنهم فيه مختلفون : غير متحدين : فليس فيهم

(١) ابن قتيبة : تفسير سورة الاخلاص ص ٨٦

(٢) تأويل مختلف الحديث ، ص ١٣

(٣) ن . م . ص ١٤

واحد إلا وله مذهب قائم بنفسه في الدين : يدين به : ويدعو اليه : ويستهوئ اليه أتباعا : وإخوانا . والخطر في ذلك أنهم لم يختلفوا في الفروع وإنما اختلفوا في الأصول في التوحيد : وفي صفات الله (١) .

أما كتاب ، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشببهة ، فقد دفع الى تأليفه بسبب اختلاف المحدثين بعد أن كانوا متحدين ، واقتراحهم بعد أن كانوا على كلمة واحدة : وعلى منهج واحد : قال ابن قتيبة : (وكان آخر ما وقع من الاختلاف ، أمرا خاصا باصحاب الحديث : الذين لم يزالوا بالسنة ظاهرين وبالاتباع قاهرين ، يداجون بكل بلد ولا يداجون . . . الى أن كادهم الشيطان بمسالة لم يحملها الله تعالى أصلا في الدين : ولا فرعا ، . . . فناشرها : وعظم شأنها : حتى فرقت جماعتهم وشئت كلمتهم : ووهنت أمرهم وأشمت حاسديهم) (٢) : وصرح ابن قتيبة بفرضه من تأليف هذا الكتاب : وبغايته : فذكر أن غايته بيان اختلاف أهل الحديث في اللفظ بالقرآن . مما أدى الى أن كفر بعضهم بعضا : وبخس فريق منهم فريقا آخر ، مع أن هذا الاختلاف لا يوجب قطع الالفة ، ولا يؤدي الى الوحشة : وما كان ينبغي أن يؤدي اليها : لأنهم متفقون على أصل واحد وهو أن القرآن كلام غير مخلوق ، قال ابن قتيبة :

(ثم انتهى بنا القول الى ذكر غرضنا من هذا الكتاب وغايتنا من اختلاف أهل الحديث ، في اللفظ بالقرآن وتشابكهم ، واكفار بعضهم بعضا ، وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الالفة ، ولا مما يوجب الوحشة ، لأنهم مجمعون على أصل واحد وهو ، القرآن كلام الله غير مخلوق) (٣) . ولكن قبل أن يدخل في بيان اختلاف أهل الحديث في شأن التلظظ بالقرآن : قدم لذلك بمقدمة رد فيها على غلو الجهمية : في التأويل وفي التعطيل ، تأويل الآيات والاحاديث : وتعطيل الصفات وسلك في الرد

(١) ن . م . س ١٥

(٢) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشببهة ، ص ٢٢٤

(٣) ن . م . س ٢٤٥

عليهم منها اعتماد فيه على دلالات اللغة وأوضاعها العربية : ولم ينجح في ذلك منهج المتكلمين قال ابن قتيبة :

(فقدمت القول فيه بذكر بعض ما تأولته الجهمية في الكتاب والحديث ... ولم أهد في أكثر الرد عليهم طريق اللغة . فاما الكلام فليس من شأننا . ولا أرى أكثر من هلك إلا به . وبحمل الدين . على ما يوجب القياس) (١) . وذلك لأن المعتزلة ذهبوا الى أن العدل يقتضى أن يكون الانسان فاعلا ، وقاسوا معاني العدل الى ما على العدل الانساني . ولما نظروا في كتاب الله وجدوه يناقض رأيهم فأولوه ، بتأويلات مستكرهة . وأخرجوه من خارج بعيدة . وعرض لعدة تأويلات ، وبأبطالها لأنها مخالفة لدلالات الألفاظ ، وأوضاع اللغة العربية التي أنزل بها القرآن ، ولكن يعقب على ذلك بأنه لما رأى جماعة من أهل الإثبات إفراط أهل القدر قابلوهم بغلو ، وعارضوا إفراطهم بإفراط آخر ، فقالوا بمذهب جهم في الجبر المحض ، وجعلوا العبد لا يستطيع شيئا ، ولا يفعل فعلا على الحقيقة (٢) ، وتعمق جماعة أخرى في بيان معنى التوحيد ونفى التشبيه عن الخالق ، فأدى غلوهم في ذلك إلى نفي الصفات ، ولما رأى جماعة من المسلمين إفراط هؤلاء في النفي ، والغلو في التأويل في هذا الشأن ، عارضوهم بغلو آخر ، وإفراط في التثنية ، فذهبوا إلى القول بالتشبيه المحض ، والقول بالحدود ، وجعلوا الألفاظ الواردة في الحديث على ظاهرها ، وقالوا فيها بالكيفية ، وجاءوا بأحاديث منكرة كحديث عرق الخيل ، وحديث عرفات (٣) ، وعقب على ذلك بالقول بأن كلا الفريقين غالط . (وقد جعل الله التوسط منزلة العدل ، ونهى عن الغلو فيما دون صفاته ، من أمر ديننا فضلا عن صفاته ، ووضع عنا أن نفكر فيه كيف كان ؟ وكيف قدر ؟ وكيف خلق ؟ .

(١) ن : م . ص ٢٢٥

(٢) ن : م : ص ٢٣١

(٣) ن : م : ص ٢٤٣

ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركيبنا ، ووسعنا (١)

ولكنه عاد فصرح بمذهبه الذي هو مذهب السلف فقال : (وعدل القول في هذه الاخبار أن تؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها ، فتؤمن بالرؤية ، والتجلى ، وأنه يعجب ، وينزل إلى السماء وأنه على العرش استوى ، وبالنفوس واليدين ، من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو بحد أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت ، فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غدا إن شاء الله تعالى) (٢) .

وجاء قوم وهم الرافضة فعلوا في حب علي ، وفي تقديمه على من قدمه رسول الله من الصحابة ، فادعوا أنه شريك النبي في النبوة ، وأن الأئمة من بعده يعلنون الغيب ، فقابل جماعة أخرى ذلك بغلو في تأخير علي وبخسه حقه ، ولسبوه إلى الممالة على قتل عثمان ، وجعلوه من أئمة الفتن ، ولم يوجبوا له اسم الخلافة بدعوى أن الناس لم يتفقوا عليه ، مع أنهم أوجبوها ليزيد بن معاوية لإجماع الناس عليه ، ومن أجل هذا تحامى كثير من المحدثين أن ينقلوا فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأن يحدثوا بالأحاديث التي وردت في شأنه مع أنها أحاديث لها مخارج صحاح (٣) .

واعتنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص ومعاوية ، ويريدون بذلك غمزه ، والاستنقاص منه (٤) .

ولإذا ذكرت فضائله وقرابته من رسول الله (تعبرت الوجوه ، وتكرت العيون وطرت حسائك الصدور) (٥) وعقب ابن قتيبة على ذلك فقال : (وهذا هو الجهل

(١) ن : م : ص ٢٤٣ .

(٢) ن . م . ص ٢٤٤ .

(٣) ن : م : ص ٢٤٤ .

(٤) ن . م . ص ٢٤٤ .

(٥) ن . م . ص ٢٤٤ .

بعينه ، والسلامة لك أن لا تهلك بمحبته ، ولا تهلك ببنفضته ، وأن لا تحمل ضغنا عليه بمحبة غيره ، فإن فعلت فأنت جاهل مفرط في بغضه (١) .

ثم أخذ بعد ذلك في بيان اختلاف المحدثين في اللفظ بالقرآن ، فبين أن جماعة منهم اعتقدت أن القراءة هي القرآن غير مخلوقة ، وذهب جماعة أخرى إلى أن القراءة عمل ، وأنها غير القرآن وأن من زعم أن القراءة غير مخلوقة فقد زعم أن أعمال العباد أيضا غير مخلوقة ، ووقعت بسبب ذلك حيرة ، ونزلت بلية ، ففرع الناس إلى العلماء ليعينوا لهم ما اختلفوا فيه ، ولكن هؤلاء العلماء أنفسهم اختلفوا عليهم فذهبت طائفة منهم إلى أن القراءة فعل محض ، وبذلك فهي مخلوقة كسائر أفعال الإنسان المخلوقة والقرآن غير القراءة وتابع هذه الطائفة جماعة من الاتباع ، وذهبت طائفة أخرى إلى أن القراءة هي القرآن بعينه ، ومن قال بأن القراءة فعل مخلوق فقد زعم أن القرآن أيضا مخلوق ، وتابع هذا الفريق أيضا جماعة أخرى من الاتصار والاتباع ، وأخذوا بمقاتلتهم في ذلك .

أما الطائفة الثالثة فقد رأت أن الكلام في هذه المسألة بدعة ، لا ينبغي أن يتكلم الناس فيها ، ولا أن يخوضوا في أمرها ، واختلفت الروايات والنقول عن الإمام أحمد بن حنبل — فيما يرى ابن قتيبة — وادعاه كل فريق ، وحكى عنه قولاً ، وروى رواية ، ومن عجيب ما نسبوه إليه وهو ما لا يشك أحد في بطلانه وفي أنه كذب عليه ، قولهم :

(من زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمي ، والجهمي كافر ، ومن زعم أنها غير مخلوقة ، فهو مبتدع ، وكل بدعة ضلال) (٢) .

قال ابن قتيبة في أمر نسبة هذا القول إلى الإمام أحمد بن حنبل :

(فكيف يتوهم على أبي عبد الله مثل هذا القول ؟ وأنت تعلم أن الحق لا يخلو

(١) ن . م . ص ٢٤٣

(٢) ن . م . ص ٢٤٦

من أن يكون في أحد الأمرين (١) ،

ولم يعذر ابن قتيبة أيضا الذين أرادوا السكوت والتجاهل ، بعد أن وقعت الفتنة ، وإنما يمكن أن يكون السكوت مستحسنا ، أما بعد أن انتشرت الفتنة هذا الانتشار ، وليس يمكن السكوت على أمر من الدين ، ولا تحتمل غرائز الناس السكوت عنه ، ونقد أشد النقد بعض المحدثين الذين ينصبون أنفسهم للتحديث وهم لا تمييز لهم ، ولا بصارة ، ولا علم ، وليس لبعض هؤلاء المحدثين إلا تقدم السن ، وأنه قد سمع ابن عيينة أو يزيد بن هارون أو غيرهما (٢) .

ثم بين لنا مذهبه فقال : (وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن أن القراءة لفظ (٣) واحد يشتمل على معنيين أحدهما عمل ، والآخر قرآن) .

وتعرض لمسألة أخرى اختلف فيها المحدثون وهي مسألة الإيمان ، وهل هو مخلوق أو غير مخلوق ، وذهب جماعة إلى أنه غير مخلوق ، وهذا يؤدي إلى القول بأن أفاعيل الإنسان غير مخلوقة قال ابن قتيبة : (فياسبحان الله ، ما أعجب هذا ، وأعجب قائله ؟) (٤) .

وذهب جماعة أخرى إلى أن روح الإنسان غير مخلوق مستدلين على ذلك بقوله تعالى : (ونفخت فيه من روحي) وليس هذا إلا مذهب النصارى في الحلول ، حلول اللاهوت في الناسوت ، وقرر ابن قتيبة أن الإيمان مخلوق ، لأنه لفظ باللسان وعقد بالقلب ، واستعمال للجوارح ، وهذه كلها أفعال للعباد (٥) ، مخلوقة ، وذهب

(١) ن : م : ص ٢٤٦

(٢) ن . م . ص ٢٤٧ — ٢٤٨

(٣) ن : م . ص ٢٤٨

(٤) ن : م . ص ٢٥٠

(٥) ن : م : ص ٢٥١

إلى أن الله خالق الروح أيضا (١)، وهو مذهب جميع المسلمين ، وبهذا انتهى كتاب ابن قتيبة الذي يعتبر وثيقة من أهم الوثائق في بيان اعتقادات أهل السلف وغلو بعض الناس في التنزيه ، وغلو بعضهم الآخر في التشبيه ، واختلاف المحدثين في اللفظ بالقرآن .

٤ — الرد على الجهمية للإمام أبي سعيد الدارمي .

أما مؤلفه عثمان بن سعيد الدارمي السجزي ، أخذ الأدب عن ابن الأعرابي ، والفقه عن أبي يعقوب البويطي ، وأخذ الحديث عن يحيى بن معين ، وعن علي ابن المديني ، ودخل البصرة وأخذ بها الحديث عن يحيى بن معين ، ودخل الشام وبه أخذ عن الحسن بن علي والأثرم ، ومحمد بن صالح كيلجة ، وبدمشق عن إبراهيم بن عبد الله ، بن العلاء وأخذ عن غيرهم من الشيوخ لا تعد كثرة ، ولا تحصى . وتوفي سنة ٢٨٠ هـ وقيل سنة ٢٨٢ هـ ، ودفن بهراة .

وأما الكتاب فهو من أقوى هذه الكتب أسلوبا ، ومن أمتها حجة ، ولم نر أحدا يضارعه في جمال الأسلوب وعنف اللمحة ، وجزالة الالفاظ ، وقوة الشكيمة ، وأخذ الخصم من رقبته ، وذبحه من نحره ، وقصم ظهره ، ولا عجب في ذلك فهو من تلاميذ ابن الأعرابي اللغوي العظيم ، والأديب الأكبر . وقد قال ابن قيم الجوزية في كتابه « اجتماع الجيوش الإسلامية » في شأن كتابين من كتب الدارمي ، وهما الرد على الجهمية وكتاب « النقض على بشر المريسي » :

(وكتابه من أجل الكتب المصنفة في السنة ، وأنفعها وينبغي لكل طالب سنة ، مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والائمة أن يقرأ كتابيه . وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ،

ويعظم ما جدا، وفيهما من تقرير التوحيد، والأسماء والصفات بالعقل والنقل، ليس في غيرهما (١). رد في هذا الكتاب على الجهمية وعلى دعاة الضلال، والمفرضين من ذوى الملل والديانات الأخرى وعلى المعطلة فمقد بابا في الإيمان بالعرش (٢)، وبابا آخر في الاستواء (٣)، وبابا في الاحتجاب (٤) وبابا في النزول (٥) وبابا في الإيمان بكلام الله تبارك وتعالى (٦) ذهب فيه إلى أن زعيم القائلين بخلق القرآن إنما هو الوليد بن المغيرة الذى حكى عنه القرآن فى قوله تعالى : (إن هذا إلا قول البشر) (المدمر / ٢٥) ، وأنه لافرق بين قوله هذا وقول الجهمية والمعتزلة بأن القرآن مخلوق ، قال أبو سعيد :

(وكذلك صار لاتباعه الذين تلقفوا منه هذه الكلمة خزي وتباب فى كل شئ من أمرهم) (٧) . واحتج الإمام الدارمى على الواقعة ، الذين قالوا : لانقول فى القرآن مخلوق ، ولاغير مخلوق ، قال الدارمى : (أما قولكم مبتدع ، فظلم وحيف فى دعواكم حتى تفهموا الأمر وتعقلوه ، لانكم جہلتم أى الفريقين أصابوا السنة والحق ، فيكون من خالفكم مبتدعة عندهم ، والبدعة أمرها شديد ، والمنسوب إليها سىء الحال بين أظهر المسلمين ، فلا تعجلوا البدعة حتى تستيقنوا) (٨) وعقدا بابا آخر فى الاستدلال على كفر الجهمية (٩) وبابا فى قتل الزنادقة والجهمية (١٠) وبه ختم الكتاب وتوجد نسخة من هذا الكتاب فى المكتبة الظاهرية ، وقد استعنا بنشرة

GöstA ViTEsTAM ، لندن ١٩٦٠ .

٥ - رد الامام الدرامى عثمان بن سعيد على المريسى العنيد . ألفه الإمام الدارمى الذى سبق أن ترجمنا له ، أما الكتاب فقد رد فيه على بشر المريسى وهو

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، ص ١١٠

(٢) ص ٢٦٣	(٣) ص ٢٦٧	(٤) ص ٢٨٣
(٥) ص ٢٨٤	(٦) ص ٢٢٤	(٧) ص ٣٣٨
(٨) ص ٢٣٤	(٩) ص ٣٤٦	(١٠) ص ٣٥٢

بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي ، وهو من أصحاب الرأي ، درس للفقه الحنفي على القاضي أبي يوسف ، واتجه اهتمامه إلى الاشتغال بالكلام ، وغلا في القول بخلق القرآن ، وروى شيئا يسيرا من الحديث عن حماد بن سلمة ، وسفيان بن عيينة ، وأبي يوسف القاضي ، وهو من المرجئة أيضا وقد توفي سنة ٢١٨ هـ وقيل سنة ٢١٩ هـ .

أما الكتاب فيبدو أن سبب تأليفه يعود إلى أن أحد أصحاب بشر المريسي رد على الإمام الدارمي ، في كتابه «الرد على الجهمية» ، ولذلك صنف هذا الكتاب ليرد عليه وعلى شيخه المريسي خاصة لأنه كان عمدته ، وكان يورد كلامه وحججه . قال الدارمي : أما بعد فقد عارض مذاهبا في الإنكار على الجهمية من بين ظهركم معارض وانتدب لنا منهم مناقض ، ينقض ما روينا فيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه بتفاسير المضل المريسي الجهمي^(١) وكان رده عليه قويا كأقوى مايكون الرد ، وكان أسلوبه فيه أيضا في غاية المتانة والجمال ، كما سبق أن أشرنا في كتابه «الرد على الجهمية» رد في كتابه هذا على بشر المريسي ، وعلى أهل الاعتزال مذاههم في الصفات ، وفي التأويل فعقد بابا في «أسماء الله وأنها غير مخلوقة» ،^(٢) وبابا في «الزول»^(٣) وآخر في «السمع والبصر» وفي الرؤية^(٤) وأبوابا أخرى كثيرة في مسائل شتى ، ترجع كلها إلى الصفات وإلى التأويل ، ولا تريد أن نطيل في الحديث على هذا الكتاب ، فإن القارئ سيجد فيه متعة عند قراءته ، ولكن يوجد فيه بعض الغلو في الإثبات ، وفي تكفير المخالفين ، حيث أطلق على الله بعض الأسماء التي لم ترد في الكتاب والسنة كالحركة مثلا ، وقد نبه إلى ذلك الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله فقال : (لولا أنه أتى فيه ببعض ألفاظ دعاه إليها عنف الرد ، وشدة الحرص على إثبات صفات الله وأسمائه التي كان يبائع بشر المريسي الضال المارق وشيعته في نفقها

(١) رد الإمام الدارمي ، عثمان بن سعيد على المريسي النعبد ، ص ٣٥٩

(٢) ص ٣٦٣

(٣) ص ٣٧٧

(٤) ص ٤١٣

غير أنه كان الأولى والاحسن أن لا يأتى بها وأن يقتصر على الثابت من الكتاب والسنة الصحيحة ، كمثل الجسم والمكان والخير ، فإننى لا أوافقها عليها ، ولا استجيز إطلاقها ، لأنها لم تأت فى كتاب الله ولا فى سنة صحيحة (١) ، وقال الذهبي أيضا فى هذا الكتاب : (فى كتابه بحوث عجيبة مع المريسي ، يبالغ فيها فى الإثبات ، والسكوت عنها أشبه بمنهج السلف فى القديم والحديث) (٢) .

وقد استعنا فى نشر هذا الكتاب بطبعة أمصار السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ

٦ - ملحق من التفسير المسمى : حاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمى .

رأينا أن نلحق بهذه المجموعة من الرسائل قطعة من تفسير الإمام محمد جمال الدين القاسمى السطنى المعاصر ، نحافيا نحو السلف فى التفسير ، وفى بيان مسألة الصفات وخاصة مسألة الاستواء ومسألة الملية اعتمد فيها على آراء السلف ، وعلى ما ذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل ، وابن تيمية .

ويعتبر محمد جمال الدين من أعلام دمشق ، وكبار علمائها فى العلوم الإسلامية والعربية ، ويكفى تفسيره للدلالة على عظمة الرجل ، وعلو كعبه فى الفهم ، وسعة المعرفة ، والإحاطة بعلوم الشرع .

هو محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل ابن أبى بكر المعروف بالقاسمى نسبة إلى جده المذكور ، وكان أبوه معروفا بالخلاق وهو فقيه الشام ومن العلماء الصالحين ، فى تلك الديار ، ولد ضحوة الاثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣ هـ ١٧ ايلول ١٨٦٦ بدمشق .

أخذ القرآن عن الشيخ عبد الرحمن المصرى ، والكتابة عن الشيخ محمود القوصى ، وأخذ أكثر العلوم الإسلامية بالمدرسة الظاهرية ، فدرس على شيوخ أعلام مثل الشيخ رشيد الذى أخذ عنه التوحيد والصرف والنحو والمنطق والبيان والعروض ،

(١) مقدمة على كتاب الرد على شرح المريسي ، مطبعة انصار السنة المحمدية القاهرة ١٣٥٨ هـ

من ٢ - ل .

(٢) ن . م . م ل

وأخذ التجويد عن الشيخ أحمد الحلواني، وأخذ أيضا عن الشيخ سليم العطار والشيخ بكرى العطار، والشيخ حسن جبينه الدسوقي وغيرهم.

وأصبح بعد ذلك فقيها من أعظم الفقهاء، وأصوليا ومفسرا، ومحدثا، وأديبا كما كان على جانب عظيم من التقوى، وقد ترجم له الشيخ رشيد رضا رحمه الله في مجلة المنار، المجلد السابع عشر، وقال فيه: (صديقنا الصفي، وخلصنا الوفي، وأخونا الروحي)، وقد بلغت رسائله، وتصانيفه ٧٩ مؤلفا وقد اعتمدنا في ترجمته على مقدمة الشيخ محمد بهجت البيطار على كتاب محمد جمال الدين القاسمي المسمى قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (١) وعلى مقدمة ابن الشيخ محمد جمال الدين أيضا لهذا الكتاب، وهو الشيخ ظافر القاسمي (٢).

وتوفي الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله في رجب ١٣٣٢ هـ ١٨ نيسان ١٩١٤، ودفن في مقبرة «الباب الصغير» بدمشق.

وفي خاتمة هذه المقدمة نود أن نشكر الشيخ محمد رشاد غانم جزيل الشكر، على تكريمه بجميع مافى مكتبته العامرة بالذخائر السلفية، ووضع تحت تصرفنا، وإليه يرجع الفضل في إخراج هذه المجموعة من الرسائل السلفية النادرة، التي تفضل فأعارها لنا، كما أثار كثيرا من المراجع والرسائل التي اعتمدنا عليها في إخراج هذه الكتب.

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) .

عهار الطالبى

الأستاذ المساعد

بجامعة الجزائر

٢٧ جمادى الثاني ١٣٩٠ هـ

٢٩ أغسطس ١٩٧٠

الدكتور على سامى النشار

استاذ الفلسفة الاسلامية

بجامعة الاسكندرية

الاسكندرية

(١) تحقيق وتعليق محمد بهجت البيطار، ط ٢ القاهرة ٥، ١٤٨٠ هـ / ١٩٦١ م

(٢) م. م. م.

الرد على الزنادقة والجهمية
لإمام أهل السنة
(أحمد بن حنبل (٤١١هـ))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا أبو طاهر المبارك بن المبارك بن المعطوش (١) ، في كتابه ، أن أبا الفنائم (٢) ، محمد بن أحمد (٣) بن محمد المهتدي (٤) بالله (٥) أجاز لهم أن أبا القاسم (٦) عبد العزيز بن علي الأزجي (٧) ، أجاز لهم عن أبي بكر عبد العزيز ، المعروف بغلام الخلال (٨) أداء (٩) ، قال : أخبرني الحضر بن المثنى الكندي (١٠) قال :

(١) ب : المعطوشى . وهو تصحيف . والمعطوش هو ابن هبة الله الطار ، اعتبره الذهبي مسند أهل العراق ، ولد سنة ١١١٣/٥٠٧ ، أخذ عن أبي علي بن المهدي ، وأبي الفنائم بن المهتدي بالله وتوفي سنة ١٢٠٣/٥٠٩ . (الذهبي ، العبر ٤/٣١٠ ، ابن حجر ، تبصير المتقبة بتحرير المشتبه ، القسم الرابع ص ١٣٠٩) .

(٢) ب : أبا القاسم ، وهو غلط من الناسخ .

(٣) ب : محمد

(٤) أ : المهدي . وهو تصحيف .

(٥) الهاشمي الخطيب ، روى عن البرمكي ، وأبي الحسن الفزويني ، توفي سنة ١١٢٣/٥١٧ ، (الذهبي ، العبر ٤/٤٩) .

(٦) ب : أبا الفنائم وهو غلط .

(٧) ب : الأزجي . والأزجي : فتح الألف والزاي ، نسبة إلى باب الأزج ، وهي عملة ببغداد (الليث) واسمه أبو القاسم عبد العزيز بن علي الخياط ، حدث سني توفي سنة ١٠٥٢/٥٤٤ (الذهبي ، العبر ٣/٣٠٦) .

(٨) هو عبد العزيز بن جعفر بن أحمد له مؤلفات كثيرة ، توفي سنة ٩٧٤/٣٦٣ وكان من الزهاد العبادة (الذهبي ، العبر ٢/٣٣٠) .

(٩) أ : أداء

(١٠) أ : — أخبرني الحضر بن المثنى الكندي قال . وفي طبقات الحنابلة لأبي يعلى : =

أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل (١) رحمه الله تعالى (٢) قال :

هذا ما أخرجه أبي رحمه الله ، في الرد على الزنادقة ، والجهمية ، فيما شكت فيه ، من متشابه القرآن ، وتأولته (٣) على غير تأويله .

قال (٤) أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ورضي عنه (٥) :

الحمد لله الذى جعل فى كل زمان ، فترة من الرسل ، بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحبون بكتاب الله الموتى (٦) ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكمن قتيلا لإبليس قد أحيوه ، وكمن ضالا تأتاه قد هدوه ، فإحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم .

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عقول الفتنة ، فهم مختلفون فى الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة (٧) الكتاب ، يقولون على الله ، وفى الله (٨) ، وفى كتاب الله (٩) بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون (١٠) عليهم ، فتعوذ بالله من فتن المضلين (١١) .

== خضر بن مثنى الكندى . وذكره فى رجال الطبقة الثانية ، ونص على أنه نقل عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أشياء ومنها الرد على الجهمية ونقل فقرات منه (أبو الحسين محمد ابن أبى يعلى ، طبقات الحنابلة ، نشر الشيخ محمد حامد الفقى ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٢/هـ ١٣٧١ ج ٢ ص ٤٧ — ٤٨) .

- (١) ولد عبد الله سنة ٢١٣/هـ ٨٢٨ وتوفى سنة ٢٩٠/هـ ٩٠٣ .
- (٢) ب : تعالى .
- (٣) ب : وتأولوه .
- (٤) ب : فقال
- (٥) ب : — رحمه الله تعالى ورضي عنه .
- (٦) ب : — ويصبرون منهم على الأذى ، يحبون بكتاب الله الموتى .
- (٧) ب : متفقون على مخالفة .
- (٨) ب : — وفى الله
- (٩) ب : وفى الكتاب .
- (١٠) ب : يشبهه .
- (١١) ب : الضالين .

[الرد على الزنادقة]

باب بيان ما ضلت فيه
الزنادقة (١) من متشابه القرآن

قال أحمد في قوله عز وجل : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها)
[٥٦ / النساء] ، قالت الزنادقة : فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت ، وأبدلهم
جلودا غيرها ، فلا نرى إلا أن الله يعذب جلودا لم تذب حين يقول : (بدلناهم
جلودا غيرها) فشكوا في القرآن ، وزعموا أنه متناقض .

فقلت : إن قول الله : (بدلناهم جلودا غيرها) ليس يعني جلودا غير

(١) تطلق الزندقة على الثنوية وخاصة المانوية كما تطلق على من أسر الكفر وأظهر
الإيمان (ابن حجر ، فتح الباري ج ١٢ ص ٢٢٦ - ٢٢٧) والواقع أن معنى الزندقة
اتسم فاصبح يشمل أصحاب البدع والمجون كما يشمل أهل الإلحاد (د. عبد الرحمن بدوي ،
من تاريخ الإلحاد في الاسلام ص ٢٥) ويشمل أيضا المعتزلة الذين اعتبرهم الامام أحمد بن حنبل
زنادقة (الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، مناقب الامام أحمد بن حنبل ، مكتبة
الخانجي ، ص ١٥٨ حيث صرح بأن : علماء المعتزلة زنادقة) وذلك لأنهم كانوا على صلة
بالمناويين يبادلونهم ويتأثرون بهم . وأغلب الظن أن الامام أحمد بن حنبل يرد هنا على
الزنادقة أمثال ابن الراوندي (+ ٢٤٥ هـ) المعاصر له وهو أشهر الملاحدة وقد طعن ابن
الراوندي في القرآن في كتابه « الدامغ » وربما كانت هذه الأقوال التي ردها ابن حنبل وفندها
من أقواله التي بثها في كتبه التي لم تصل إلينا ، وما وصل إلينا لا يبعدو أن يكون شذرات
قليلة أوردها ابن الجوزي في كتابه (المنتظم في تاريخ الامم حوادث ٢٩٨ هـ) وربما أن الطعن
في القرآن يتصل بالقول بأنه مخلوق فقد جمع إمام السلفية بين الرد على الزنادقة وعلى الجهمية
الذين يقولون بخاق القرآن . وجملة القول إن الامام أحمد يقصد بالزنادقة هنا الذين يزعمون
أن القرآن متناقض ويشيرون حوله الشكوك والظنون والالهام كما يفهم ذلك من استعراضه لأقوالهم
ونقضها واحدا تلو الآخر .

جلودهم ، وإنما يعنى بدلناهم جلودا غيرها ، تبديلها تجديدها ، لأن جلودهم إذا فضجت ، جددتها الله ، وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام ، ووجوه كثيرة ، وخواطر (١) يعلمها العلماء .

وأما قوله عز وجل . (هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون) [٣٥ / المرسلات] ثم قال في آية أخرى . (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) [٣١ / الزمر] فقالوا كيف يكون هذا من الكلام المحكم ، قال . (هذا يوم لا ينطقون) ثم قال في موضع آخر (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فزعموا أن هذا الكلام ينقض بعضه بعضا ، فشكوا في القرآن .

أما تفسير (هذا يوم لا ينطقون) ، فهذا أول ما تبعث الخلائق ، على مقدار ستين سنة لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم في الاعتذار ، فيعتذرون ، ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون ، فذلك قوله . (ربنا أبصرنا ، وسمعنا ، فارجعنا نعمل صالحا) [١٢ / السجدة] ، فإذا أذن لهم في الكلام فتكلموا ، واختصموا فذلك قوله . (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) عند الحساب ، وإعطاء المظالم ، ثم يقال لهم بعد ذلك ، (لا تختصموا لدى) أى عندى ، (وقد قدمت إليكم بالوعيد) [٢٨ / ق] فإن العذاب مع هذا القول كائن .

وأما قوله . (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما) [٩٧ / الاسراء] وقال في آية أخرى . (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة [٥٠ / الأعراف] فقالوا . كيف يكون هذا من الكلام المحكم) ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما) ثم يقول في موضع آخر ، أنه ينادى بعضهم بعضا ؟ فشكوا في القرآن من أجل ذلك .

أما تفسير (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ،) [٤٤ / الأعراف] (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) فإنهم أول ما يدخلون النار يكلم بعضهم بعضا .

وينادون . (يامالك ليقض علينا ربك ، قال إنكم ما تكون) [٧٧ / الزخرف]
ويقولون (ربنا أخرنا إلى أجل قريب) [٤٤ / إبراهيم] (ربنا غلبت علينا
شقتنا) [١٠٦ / المؤمنون] فهم يتكلمون حتى يقال لهم . (اخسأوا فيها
ولا تكلمون) [١٠٨ / المؤمنون] فصاروا فيها عميا وبكما وصما ، وينقطع الكلام ،
ويبقى الزفير والشهيق ، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة من قول الله .

وأما قوله . (فلا أنساب بينهم يومئذ ، ولا يتساءلون) [١٠١ / المؤمنون]
وقال في آية أخرى . (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) [٥٠ / الصافات] فقالوا :
كيف يكون هذا من المحكم ؟ فشكوا في القرآن من أجل ذلك .

فأما قوله عز وجل : (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) فهذا عند
النفخة الثانية ، إذا قاموا من القبور ، لا يتساءلون ، ولا ينطقون في ذلك الموطن ،
فاذا حوسبوا ، ودخلوا الجنة والنار ، أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، فهذا
تفسير ما شكت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (ماسلككم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين) [٤٣ / المدثر]
وقال في آية أخرى . (فويل للمصلين) [٤ / الماعون] فقالوا إن الله قد ذم قوما
كانوا يصلون ، فقال . (ويل للمصلين) ، وقد قال في قوم إنهم إنما دخلوا النار
لأنهم لم يكونوا يصلون فشكوا في القرآن من أجل ذلك ، وزعموا أنه متناقض .

قال . وأما قوله . (فويل للمصلين) عنى (١) بها المنافقين ، الذين هم عن
صلاتهم ساهون ، حتى يذهب الوقت ، (الذين يراؤون) [٦ / الماعون] يقول إذا
رأوهم صلوا ، وإذا لم يروهم لم يصلوا .

وأما قوله ، (ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين) [٤٣ / المدثر]

(١) كذا في الأصل ، وأصل صوابه . نفى .

يعنى (١) الموحدين المؤمنين ، فهذا ما شكت فيه الرنادقة .

وأما قوله عز وجل : (خلقكم من تراب) [١١ / فاطر] ثم قال : (من طين لازب) [١١ / الصافات] ثم قال : (من سلاله) [١٢ / المؤمنون] ثم قال : (من حمى مسنون) [٢١ / الحجر] ثم قال : (من صلصال كالفخار) [١٤ / الرحمن] فشكوا في القرآن وقالوا : هذا ملابسة (٢) ينقض بعضه بعضا ... نقول ، هذا بدء خلق آدم ، خلقه الله أول بدء من تراب ، ثم من طينة حمراء وسوداء وبهضاء من طينة طيبة وسبخة ، فكذا ذريته طيب ، وخبيث ، أسود وأحمر ، وأبيض ، ثم بل ذلك التراب فصار طينا ، فذلك قوله ، (من طين) فلما لصق الطين ببعضه ببعض ، فصار طينا لازبا بمعنى لاصقا : ثم قال (من سلاله من طين) [١٢ / المؤمنون] يقول : مثل الطين إذا عصر انسل من بين الأصابع ، ثم تنن فصار حمى مسنونا ، فخلق من الحمى ، فلما جف صار صلصا لا كالفخار ، يقول ، صار له صلصلة كصلصلة الفخار ، له دوى كدوى الفخار .

فهذا بيان خلق آدم ، وأما قوله : (من سلاله من ماء مهين) [٨ / السجدة] فهذا بدء خلق ذريته ، من سلاله يعنى النطفة إذا انسلت من الرجل ، فذلك قوله : (من ماء) يعنى النطفة ، (مهين) يعنى ضعيف . فهذا ما شكت فيه الرنادقة .

وأما قوله : (رب المشرق والمغرب) [٢٨ / الشعراء] (ورب المشرقين ورب المغربين) [١٧ / الرحمن] (ورب المشارق والمغارب) [٤٠ / المعارج] فشكوا في القرآن ، وقالوا كيف يكون هذا من الكلام المحكم ؟

أما قوله : (رب المشرق والمغرب) فهذا اليوم الذى يستوى فيه الليل والنهار ، أقسم الله بمشرقه ومغربه ، وأما قوله : (رب المشرقين ، ورب المغربين) فهذا

(١) كذا في الأصل ولعله : فيمى .

(٢) كذا في الأصل ولعله . ليس أو عليس .

أطول يوم في السنة ، وأقصر يوم في السنة ، أقسم الله بمشرقها ومغربها ، وأما قوله : (رب المشارق ورب المغارب) فهو مشارق السنة ومغربها ، فهذا ما شكت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (وأن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) [٤٧ / الحج] وقال في آية أخرى : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) [٥ / السجدة] وقال في آية أخرى : (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبراً جميلاً) [٤ / المعارج] فقالوا : فكيف يكون هذا من الكلام المحكم ، وهو ينقض بعضه بعضاً ؟

قال : أما قوله : (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) فـهذا من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض كل يوم كألف سنة ، وأما قوله : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة) وذلك أن جبرائيل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويصعد إلى السماء في يوم كان مقداره ألف سنة ، وذلك أنه من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام ، فهبوط خمسمائة ، وصعود خمسمائة عام ، فذلك ألف سنة .

وأما قوله : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) يقول : لو ولي حساب الخلائق غير الله ، ما فرغ منه في يوم مقداره خمسون ألف سنة ، ويفرغ الله منه مقدار نصف يوم من أيام الدنيا ، إذا أخذ في حساب الخلائق ، فذلك قوله : (وكفى بنا حاسبين) [٤٧ / الأنبياء] يعني سرعة الحساب .

وأما قوله : (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا ، أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون — إلى — قوله : — والله ربنا ما كنا مشركين) [٢٣ / الأنعام] فأنكروا أن كانوا مشركين ، وقال في آية أخرى : (ولا يكتمون الله حديثاً) [٤٢ / النساء] فشكوا في القرآن ، وزعموا أنه متناقض .

أما قوله : (والله ربنا ما كنا مشركين) وذلك أن هؤلاء المشركين إذا رأوا ما يتجاوز الله عن أهل التوحيد يقول بعضهم لبعض : إذا سألنا نقول : لم تكن مشركين ، فلما جمعهم الله ، وجمع أصنامهم ، وقال (أين شركائ الذين كنتم تزعمون) [٢٢ / الأنعام] قال الله : (ثم لم تسكن فتنهم إلا أن قالوا والله ربنا ، ما كنا مشركين) فلما كنتموا الشرك ، ختم على أفواههم وأمر الجوارح فنطقت بذلك . فذلك قوله : (اليوم نختم على أفواههم ، وتكلمنا أيديهم ، وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) [٦٥ / يس] فأخبر الله عز وجل عن الجوارح حين شهدت ، فهذا تفسير ما شككت فيه الزنادقة .

أما قوله عز وجل : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) [٥٥ / الروم] وقال : (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا) [١٠٣ / طه] وقال : (إن لبثتم إلا يوما) [١٠٤ / طه] وقال : (إن لبثتم إلا قليلا) [٥٢ / الإسراء] ومن أجل ذلك شككت الزنادقة .

أما قوله : (إن لبثتم إلا عشرا) وذلك إذا خرجوا من قبورهم ، فنظروا إلى ما كانوا يكذبون به من أمر البعث ، قال بعضهم لبعض : إن لبثتم في القبور إلا عشر ليال ، واستكثروا العشر ، فقالوا : إن لبثتم إلا يومافى القبور ، ثم استكثروا اليوم فقالوا : (إن لبثتم إلا قليلا) ثم استكثروا القليل فقالوا : (إن لبثتم إلا ساعة من نهار) فهذا تفسير ما شككت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) [١٠٩ / المائدة] قالوا لا علم لنا ، وقال في آية أخرى : (ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) [١٨ / هود] فقالوا : وكيف يكون هذا فيقولون : لا علم لنا ، وأخبر عنهم أنهم يقولون : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ؟ فزعموا أن القرآن ينقض بعضه بعضاً .

أما قوله : (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) ، فإنه يسألهم عند

زفرة جهنم فيقول : ماذا أجبتم في التوحيد ؟ فتذهب عقولهم عند زفرة جهنم فيقولون : لا علم لنا ، ثم ترجع إليهم عقولهم من بعد فيقولون : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، فهذا تفسير ما شككت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [٢٣ / القيامة] وقال في آية أخرى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) [١٠٣ / الأنعام] فقالوا كيف يكون هذا ؟ يخبر أنهم ينظرون إلى ربهم ، وقال في آية أخرى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فشكوا في القرآن وزعموا أنه ينقض بعضه بعضا .

أما قوله : (وجوه يومئذ ناضرة) يعنى الحسن والبياض (إلى ربها ناظرة) يعنى تعالين ربها في الجنة .

وأما قوله : (لا تدركه الأبصار) يعنى في الدنيا دون الآخرة ، وذلك أن أن اليهود قالوا لموسى : (أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) [١٥٣ / النساء] فأتوا وعوقبوا لعقولهم : (أرنا الله جهرة) وقد سألت مشركو قريش ، النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا (أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) [٩٢ / الإسراء] فلما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم هذه المسألة قال الله تعالى : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سأل موسى من قبل) [١٠٨ / البقرة] حين قالوا : (أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) الآية فأنزل الله سبحانه يخبر أنه لا تدركه الأبصار أى أنه لا يراه أحد في الدنيا ، دون الآخرة فقال : (لا تدركه الأبصار) يعنى في الدنيا ، أما في الآخرة فإنهم يرونه . فهذا تفسير ما شككت [فيه] ^(١) الزنادقة .

(١) سقط فيه « من الأصل » .

وأما قول موسى (مبجأناك تبت لأك) [١٤٣/الأعراف] وقال السحرة (لأنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين [٥١/الشعراء] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) إلى قوله : (وأنا أول المسلمين) [١٦٣/الأنعام] قالوا . فكيف قال موسى : (وأنا أول المؤمنين) وقد كان قبله إبراهيم مؤمنا^(١) ويعقوب واسحق ، فكيف جاز لموسى أن يقول : (وأنا أول المؤمنين) ، وقالت السحرة : (أن كنا أول المؤمنين) ، وكيف جاز للنبي أن يقول : (وأنا أول المؤمنين) وقد كان قبله مسلمون كثير ، مثل عيسى ومن تبعه ، فشكوا فى القرآن ، وقالوا : إنه متناقض .

أما قول موسى : (وأنا أول المؤمنين) فإنه حين قال : (رب أرنى انظر لأك ، قال : لن ترأى) [١٤٣/الأعراف] ولا يرأى أحد فى الدنيا ، إلامات (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقا فلما أفاق قال : مبجأناك تبت لأك) [١٤٣/الأعراف] أى (٢) أول المصدقين ، أنه لا يراك أحد فى الدنيا إلامات .

وأما قول السحرة : (أن كنا أول المؤمنين) أى (٢) أول المصدقين بموسى من أهل مصر من القبط .

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم (وأنا أول المسلمين) أى من أهل مكة . فهذا تفسير ما شككت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) [٤٦/غافر] وقال فى آية أخرى . (فأى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) [١١٥/المائدة] وقال فى آية أخرى . (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) [١٤٥/النساء] فشكوا فى القرآن ، وقالوا : إنه يفتض بعضه بعضا .

أما قوله : (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) يعنى (١) عذاب ذلك الباب الذى هم فيه ، وأما قوله : (فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) وذلك (٢) أن الله مسخهم خنازير فعذبهم بالمسخ ، ما لم يعذب سواهم من الناس ، وأما قوله : (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) لأن (٣) جهنم لها سبعة أبواب : جهنم ، ولظى ، والحطمة ، وسقر ، والسعير ، والجحيم ، والهاوية ، وهم فى أسفل درك فيها .

وأما قوله تعالى : (ليس لهم طعام إلا من ضريع) [٦ / الناشية] ثم قال (إن شجرة الزقوم طعام الآثيم [٤٣ / الدخان] فقد أخبر أن لهم طعاما غير الضريع ، فشكوا فى القرآن ، وزعموا أنه متناقض .

أما قوله : (ليس لهم طعام إلا من ضريع) يقول (٤) : ليس لهم طعام فى ذلك الباب ، إلا من ضريع ، ويأكلون الزقوم فى غير ذلك الباب ، فذلك قوله : (إن شجرة الزقوم طعام الآثيم) فهذا تفسير ما شككت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) [١١ / محمد] ثم قال فى آية أخرى : (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) [٦٢ / الأنعام] فقالوا : كيف يكون هذا من الكلام المحكم : يخبر أنه مولى من آمن . ثم قال : (وأن الكافرين لا مولى لهم) فشكوا فى القرآن .

أما قوله : (ذلك بأن الله مولى للذين آمنوا) يقول (٥) . ناصر الذين آمنوا ، (وأن الكافرين لا مولى لهم) يقول : لا ناصر لهم .

وأما قوله : (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) لأن (٦) فى الدنيا أبواب

(١) كذا فى الأصل	(٢) كذا فى الأصل
(٣) كذا فى الأصل	(٤) كذا فى الأصل
(٥) كذا فى الأصل	(٦) كذا فى الأصل

باطل ، فهذا ما شككت فيه الزنادقة

وأما قوله : (إن الله يحب المقسطين) [٤٢ / المسائدة] وقال في آية أخرى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) [١٥ / الجن] فقالوا : كيف يكون هذا من الكلام المحكم ؟

أما قوله : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) يعني (١) العادلون (٢) بالله ، الجاعلون (٣) له عدلاً ، من خليقته ، فيعبدونه مع الله ، وأما قوله : (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) يقول : اعدلوا فيما بينكم وبين الناس إن الله يحب الذين يعدلون . وقال في آية أخرى : (أله مع الله بل هم قوم يعدلون) [٦٠ / النسل] يعني يشركون . فهذا تفسير ما شككت فيه الزنادقة .

وأما قوله : (والمؤمنون وللمؤمنات بعضهم أولياء بعض) [٧١ / التوبة] ، وقال في آية أخرى . (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) [٧٦ / الأنفال] وكان عند من لا يعرف معناه ينقض بعضه بعضاً .

أما قوله : (الذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) ، يعني من الميراث ، وذلك أن الله حكم على المؤمنين لما هاجروا إلى المدينة أن لا يتوارثوا إلا بالهجرة ، فإن مات رجل بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم وله أولياء بمكة لم يهاجروا ، كانوا لا يتوارثون ، وكذا إن مات رجل بمكة وله ولي مهاجر مع النبي ، صلى الله عليه وسلم . كان لا يرثه المهاجر ، فذلك قوله : (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء) من الميراث ، (حتى يهاجروا) فلما كثر المهاجرون ، رد ذلك الميراث إلى الأولياء هاجروا ، أو لم يهاجروا . وذلك قوله : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين)

[٧٥/الأنفال] وأما قوله : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)
[٧١/التوبة] يعنى فى الدين ، والمؤمن يتولى المؤمن فى دينه ، فهذا تفسير ماشكت
فيه الزنادقة .

وأما قوله لابليس : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) [٤٢/الحجر] وقال
موسى حين قتل النفس (هذا من عمل الشيطان) [١٥/القصاص] فشكوا فى القرآن ،
وزعموا أنه متناقض .

أما قوله : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) يقول عبادى الذين استخلصهم
الله لدينه ليس لابليس عليهم سلطان أن يضلهم فى دينهم أو عبادة ربهم ، ولكن
يصيب منهم من قبل الذنوب ، فاما الشرك فلا يقدر إبليس أن يضلهم عن دينهم ،
لأن الله سبحانه استخلصهم لدينه .

وأما قول موسى : (هذا من عمل الشيطان) يعنى من تزوين الشيطان ، كازين
ليوسف ، ولآدم وحواء ، وهم عباد الله المخلصون ، فهذا تفسير ماشكت فيه
الزنادقة .

وأما قول الله للكفار (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا)
[٣٤/الجمعة] وقال فى آية أخرى : (فى كتاب لا يضل ربى ولا يندى) [٥٢/طه]
فشكوا فى القرآن .

أما قوله : (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) يقول : نترككم فى
النار (كما نسيتم) كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا .

وأما قوله : (فى كتاب لا يضل ربى ولا يندى) يقول . لا يذهب من حفظه
ولا ينساه .

وأما قوله تعالى : (ونحشره يوم القيامة أعمى) ، قال رب لم حشرتنى أعمى ،

وقد كنت بصيراً) [١٢٥/طه] وقال في الآية الأخرى . (فبصرك اليوم حديد) [٣٢/ق] فقالوا فكيف يكون هذا ، من الكلام المحكم ؟ فيقول : إنه أعمى ، ويقول : (فبصرك اليوم حديد) فشكوا في القرآن .

أما قوله . (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن حجته ، وقال : رب لم حشرتني أعمى) عن حقي ، (وقد كنت بصيراً) بها مخصوصاً بها (١) فذلك قوله . (فعميت عليهم الأنبياء يومئذ) [٦٦/القصص] يقول : الحجج (فهم لا يتساءلون) [٦٦/القصص] وأما قوله : (فبصرك اليوم حديد) وذلك أن الكافر إذا خرج من قبره ، شخص بصره ، ولا يطرف بصره . حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث فذلك قوله . (لقد كنت في غفلة من هذا ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) يقول : غطاء الآخرة ، فبصرك يحذف النظر لا يطرف حتى يعاين جميع ما كان يكذب به من أمر البعث ، فهذا تفسير ما شككت فيه الزنادقة .

وأما قوله لموسى : (إني معكما أسمع وأرى) [٤٦/طه] وقوله في موضع آخر . (إنا معكم مستمعون) [١٥/الشعراء] وقالوا . كيف قال : (إني معكما) ؟ وقال في آية أخرى . (إنا معكم مستمعون) [١٥/الشعراء] فشكوا في القرآن من أجل ذلك .

أما قوله : (إنا معكم) فهذا في مجاز اللغة ، يقول الرجل للرجل : أنا منجري عليك رزقك ، إنا سنفعل بك كذا ، وأما قوله : (إني معكما أسمع وأرى) فهو جائز في اللغة ، يقول الرجل الواحد للرجل : سأجرى عليك رزقك أو سأفعل بك خيراً .

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢) : وكذلك الجهم (٣) وشيعته ، دعوا الناس إلى

(١) في الأصل : لها .

(٢) ب : — قال الإمام أحمد رحمه الله .

(٣) ذكر ابن تيمية أن أبا حنيفة قال : أنا نانا من خراسان ضالان الجهمية (جهم) =

المتشابه من القرآن والحديث ، فضلوا (١) وأضلوا بكلامهم بشرا (٢) كثيرا .

— فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله ، أنه كان من أهل خراسان ، من أهل ترمذ (٣) . وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه في الله تعالى (٤) ، فلقى أناسا من المشركين (٥) يقال لهم السمنية (٦) فعرفوا الجهم ، فقالوا له : — تكلمك (٧) فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا . وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك ، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له :

— ألسنت تزعم أن لك إلها ؟ قال الجهم : نعم . فقالوا له : فهل رأيت (٨) إلهك (٩) . ؟ قال : لا . قالوا : فهل سمعت كلامه ؟ قال : لا . قالوا فشمت (١٠)

==والمشبهة (مقاتل بن ساجان) وجهم هو أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي مولد بني راسب ويقال إن أصله من الكوفة ، ثم ظهر بترمذ وخرج الحارث بن سريج الذي خرج على أمراء خراسان وزعم جهم أنه خرج داعيا للكتاب والسنة والعدوى ، وكان في آخر عهد بني أمية ، فقتله والي خراسان سالم بن أحوز المازني ، وممزي قتله إلى مصر بن سيارة ، ويذكر ابن تيمية أيضا أن جهم بن صفوان كان يناظر السمنية فشككوه في إيمانه (الرد على المنطقيين ص ٤٢٩) وقتل ذلك عن أحمد بن حنبل ومصدره هو هذا النص من الرد على الجهمية وكان يجادل المتكلمين وينسب إليه أنه قال حين سئل عن ربه : (هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ولا يخلو من شيء) وهذا تصريح بوحدة الوجود المخالفة تمام المخالفة للإسلام (مجموعة التفسير لابن تيمية ص ٣٨٨) .

(١) ب — فضلوا . (٢) أ : معسر

(٣) ب : الترمذ . (٤) أ : — تعالى .

(٥) أ : من الكفار .

(٦) السمنية نسبة إلى سومات بلدة بالهند وهم البوذية وأظهر نخلة لهم القول بالتناسخ .

(٧) ب : تكلم . (٨) أ : + عين

(٩) ب : إلهك . (١٠) أ : أشمت .

له رائحة . ٤ . قال : لا . قالوا : فوجدت له حساً ^(١) . ٤ . قال : لا . قالوا : فوجدت له بجسا ؟ قال : لا . قالوا : فما يدريك أنه إله . ١٩ . قال : فتحـير الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يوماً . ثم أنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى ، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذى فى عيسى هو روح الله من ذات الله ، فإذا أراد أن يحدث أمراً دخل فى بعض خلقه ، فتكلم على لسان خلقه ، فيأمر بما يشاء ^(٢) ، وينهى عما شاء ، وهو روح غائبة ^(٣) عن الأبصار .

— فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة ، فقال للسمى :

— ألسنت تزعم أن فيك روحاً . ٤ . قال : نعم ، فقال ^(٤) : هل ^(٥) رأيت روحك ؟ قال : لا . قال : فسمعت كلامه . ٤ . قال : لا . قال : فوجدت له حساً أو بجسا . ٤ . قال : لا . قال فكذلك الله لا يرى له وجه ، ولا يسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، ولا يكون فى مكان دون مكان ، ووجد ثلاث آيات ^(٦) من المتشابه . قوله : (ليس كمثل شئ) [١١ / الشورى] (وهو الله فى السموات والأرض) [٣ / الأنعام] ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار [١٠٣ / الأنعام] ، فبنى أصل كلامه على هذه الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله ، وكذب بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعم أن من وصف ^(٧) الله بشئ ^(٨) بما وصف به نفسه فى كتابه أو حدث عنه رسوله ، كان كافراً ، وكان من المشبهة ، فأضل بكلامه بشراً كثيراً ، وتبعه ^(٩) على قوله رجال

-
- | | |
|------------------|-----------------------|
| (١) ب : بجسا | (٢) أ : شاء . |
| (٣) أ : غائب . | (٤) ب : قال . |
| (٥) أ : فهل . | (٦) أ : + من القرآن . |
| (٧) ب : + من . | |
| (٨) ب : غيثا . | |
| (٩) ب : واتبعه . | |

من أصحاب أبي حنيفة (١). وأصحاب عمرو بن عبيد (٢) بالبصرة ، ووضع دين الجهمية . فإذا سألهم (٣) الناس عن قول الله (٤) : (ليس كمثل شيء) يقولون : ليس كمثل شيء من الأشياء ، وهو تحت الارضين السبع (٥) ، كما هو على العرش ولا يخلو منه مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان ، ولم يتكلم ، ولا يتكلم (٦) ولا ينظر (٧) إليه أحد في الدنيا ، ولا في الآخرة ، ولا يوصف ، ولا يعرف بصفة ، ولا يفعل ؟ ولا له غاية ، ولا له منتهى . ولا يدرك بعقل ، وهو وجه كله ، وهو علم كله ، وهو سمع كله ، وهو بصر كله ، وهو نور كله ، وهو قدرة كله ، ولا يكون فيه (٨) شيان (٩) ، ولا يوصف بوصفين مختلفين ، وليس له أعلى ، ولا

(١) فقيه العراق الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، ولد سنة ٨٠ هـ ورأى أنسا وروى عن عطاء بن أبي رباح وثقه على حماد بن أبي سليمان المتوفى سنة ١٢٠ هـ وتوفى مسجونا سنة ١٥٠ هـ وقبره في بغداد بحى الأعظمية . ونسب إليه أنه يرى ما تقول به الجهمية من عدم خلود النار ، ولكن ما وجد في كتابه الفقه الأكبر يتعارض مع هذا لأنه يريد على الجهمية هذا القول وهو في الواقع يعيل إلى المرجئة ويرى استاذنا الدكتور النشار أن المقصود بأبي حنيفة هنا هو واصل بن عطاء القى يكنى بأبي حنيفة فوقع الخطأ من النسخ لأن أبا حنيفة لم يكن بالبصرة كما هو في النص وإنما كان بالكوفة وفند الزعم بأن أبا حنيفة كان من الجهمية وهو ما نقله الخطيب في تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٧٤ (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ١ ص ٢٦٩ . الذهبي العبر ج ١ ص ٢١٤ — ٢١٥) .

(٢) عمرو بن عبيد البصري المتوفى سنة ١٤٢ هـ وقيل ١٤٣ هـ كان من أصحاب الحسن البصري فيما يذكر الذهبي ثم اعتزل عنه كما اعتزل واصل بن عطاء . (الذهبي ، العبر ج ١ ص ١٩٣) وتوجد بين المعتزلة والجهمية أوجه تشابه كنهج الانبياء في التأويل وكالقول بخلق القرآن ونفى الصفات وغيرهما .

- | | |
|--------------------|--------------------|
| (٣) ب : فسألهم . | (٤) ب : قوله . |
| (٥) ب : السابعة . | (٦) أ : ولا تكلم . |
| (٧) ب : ولا ينظر . | (٨) أ : فيه . |

(٩) ١ : شيئين

أسفل ، ولا نواحي ، ولا جوانب ، ولا يمين ، ولا شمال ولا هو خفيف ولا ثقيل (١) ولا له لون (٢) ولا له جسم وليس هو بمعمول (٣) ولا معقول . — وكلما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه ، قال أحمد : وقلنا هو شيء (٤) .

— فقالوا : هو شيء لا كالأشياء ، فقلنا : إن الشيء الذي لا كالأشياء ، قد عرف أهل العقل ، أنه لا شيء .

— فعند ذلك ، تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء (٥) ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في (٦) العلانية .

— فإذا قيل لهم : من تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر أمر هذا الخلق ، فقلنا : هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة . قالوا : نعم . فقلنا : قد عرف المسلمون أنكم لا تؤمنون بشيء (٧) ، وإنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرونه (٨) . فقلنا لهم : (٩) هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى . قالوا : لم يتكلم ولا يكلم (١٠) ، لأن الكلام لا يكون إلا بمجاجة ، والجوارح عن الله منفية .

— فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله ، ولا يعلم أنهم إنما

(١) ب : ولا هو ثقيل ولا خفيف

(٢) ب : ولا له نور (٣) ب : — بمعمول

(٤) ب : — قال أحمد : وقلنا هو شيء

(٥) : لا يشتبون شيئا بشيء . ويمكن أن يكون صوابه لا يشتبون شيئا لشيء

(٦) أ : من (٧) أ : لا تثبتون شيئا بشيء

(٨) أ : تظهرون (٩) ب : لهم

(١٠) ب : ولا يتكلم

يعود قولهم إلى ضلالة وكفر^(١). ولا يشعر أنهم لا يقولون قولهم إلا (٢) فريية في الله .

فما يسأل عنه الجهمي يقال له : تجمد في كتاب الله أنه يخبر عن القرآن (٣) أنه مخلوق ؟ فلا يجمد . فيقال له : فتجمده (٤) في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن القرآن مخلوق — فلا يجمد . فيقال له : فن أين (٥) قلت . ؟ فسيقول : من قول الله : (إنا جعلناه قرآنا عريبا) [١ / الزخرف] . وزعم أن « جعل » بمعنى « خلق » (٦) . فكل مجعول هو مخلوق ، فادعى كلمة من الكلام المتشابهة يحتاج بها من أراد أن يلحد في تنزيله ، ويستغنى الفتنة في تأويلها . وذلك أن — جعل — في القرآن من المخلوقين على وجهين ، على معنى التسمية (٧) وعلى معنى فعل من أفعالهم وقوله : (الذين جعلوا القرآن عضين) [٩١ / الحجر] ، قالوا هو شعروا بآباء (٨) الأولين وأضغاث أحلام — فهذا على معنى التسمية (٩) .

— قال (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) [١٩ / الزخرف] يعني أنهم سموهم إناثا .

— ثم ذكر « جعل » على (١٠) غير معنى التسمية (١١) فقال : (يجعلون أصابعهم في آذانهم) [١٩ / البقرة] ، فهذا (١٢) على معنى فعل من أفعالهم ،

(١) ب : — ولا يعلم أنهم أعما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر

(٢) أ : إنا يعود إلى قولهم

(٣) ب : القرآن (٤) أ : فتجمد

(٥) أ : فلم (٦) أ : — « جعل » بمعنى « مخلوق »

(٧) ب : تسمية (٨) ب : وأساطير

(٩) ب : تسمية (١٠) ب : جعل

(١١) ب : تسمية (١٢) ب : — فهذا

— وقال (حتى إذا جملة ناراً) ، هذا على معنى فعل، فهذا^(١) جعل المخلوقين .
ثم جعل من أمر^(٢) الله على معنى « خلق » وجعل على معنى غير خلق^(٣) لا يكون
إلا خلق^(٤) ولا يقوم إلا مقام خلق خلقاً^(٥) لا يزول عنه المعنى — وإذا قال^(٦) الله
« جعل » على غير معنى خلق لا يكون خلق ، ولا يقوم مقام خلق ، ولا يزول
عنه المعنى .

— فما؟ قال الله « جعل » على معنى « خلق » قوله : (الحمد لله الذى خلق السموات
والارض وجعل الظلمات والنور) [١/الأنعام] يعنى وخلق الظلمات والنور .

وقال (وجعل لكم السمع والأبصار) [٧٨/النحل] يقول: وخلق لكم السمع
والأبصار^(٧) وقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) [١٢/الاسراء] . ويقول :
(وخلقنا الليل والنهار آيتين) .

— وقال : (وجعل الشمس سراجاً) [١٦/نوح] وقال : (هو الذى خلقكم
من نفس واحدة وجعل منها زوجها) [١٨٩/الأعراف] يقول: خلق منها زوجها^(٨)
يقول : وخلق من آدم حواء . وقال : (وجعل لها رواسي) [٦١/النحل] يقول:
وخلق لها رواسي^(٩) ومثله في القرآن كثير .

— فهذا وما كان مثله^(١٠) لا يكون إلا على معنى خلق .

(١) ب : — فهذا

(٢) أ : — أمر (٣) ب : — وجعل على معنى غير خلق

(٤) ب : — خلق (٥) ب : — خلقاً

(٦) أ : فإذا

(٧) ب : — يقول وخلق لكم السمع والأبصار

(٨) ب : — يقول : خلق منها زوجها .

(٩) أ : — وخلق لها رواسي .

(١٠) أ : مثاله

— ثم ذكر — جعل — على غير معنى — خلق ، قوله : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة) [١٠٣ / المائدة] . لا يعنى ما خلق الله من بحيرة ولا سائبة .

— وقال الله ^(١) لإبراهيم . (إني جاعلك للناس إماما) [٢٤ / البقرة] ، لا يعنى إني خالق للناس إماما ، لأن خلق إبراهيم كان متقدما .

— وقال إبراهيم : (رب اجعل هذا البلد آمنا) [٣٥ / إبراهيم] .

— وقال إبراهيم : (رب اجعلنى مقيم الصلاة) [٤٠ / إبراهيم] لا يعنى اخلقنى مقيم الصلاة .

— وقال (يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ^(٢)) [١٧٦ / آل عمران] .

— وقال لأم موسى : (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) [٧ / القصص] . لا يعنى و ^(٣) خالقوه من المرسلين - لأن ^(٤) الله وعد أم موسى أن يرده إليها ، ثم يجعله من بعد ذلك ^(٥) رسولا .

وقال : (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعا فيجعله في جهنم ^(٦)) [٣٧ / الأنفال] .

— وقال : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) [٥ / القصص] ^(٧) .

(١) أ : — الله

(٢) أ : + لا يعنى : يريد الله أن لا يخلق لهم حظا في الآخرة .

(٣) أ : — و (٤) ب : ان

(٥) ب : — ذلك (٦) أ : + لا يعنى فيخلقه في جهنم

(٧) أ : + لا يعنى ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين

— وقال (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) [١٤٣ / الأعراف] لا يعنى وخلقه دكا (١) .

— ومثله فى القرآن كثير . فهذا وما كان على مثاله لا يكون على معنى خالق . فإذا قال الله ، جعل ، على معنى خلق ، وقال ، جعل ، على غير معنى خلق ، فبأى حجة قال الجهمى . جعل - على معنى - خلق ؟ فان رد الجهمى الجعل (٢) إلى المعنى الذى وصفه الله فيه وإلا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . فلما قال الله . (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) (٣) [الزخرف] وقال (لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين وقال) فإنما يسرناه بلسانك ، [٩٧ / مريم] فلما جعل الله القرآن عربيا ويسره بلسان بنبيه صلى الله عليه وسلم ، كان ذلك فعلا من أفعال الله تبارك وتعالى ، جعل القرآن به عربيا يعنى هذا بيان لمن أراد الله هداة مبينا ، وليس كما زعموا معناه أنزلناه بلسان العرب وقيل بيناه (٤) .

— ثم إن الجهم ادعى أمرا آخر وهو من المحال فقال : —

— أخبرونا عن القرآن ، أ (٥) هو الله ، أو غير الله ؟ فادعى فى القرآن أمرا يوم الناس . فإذا مثل الجاهل عن القرآن ، هو الله ، أو غير الله ؟ فلا بد له من أن يقول بأحد القولين . فان قال : هو الله . قال له الجهمى : كفر . وإن قال : (٦) هو غير الله ، قال : صدقت . فلم لا يكون غير الله مخلوقا ؟ فيقع فى نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمى (٧) .

(١) لا يعنى وخلقه دكا

(٢) أ : جعل

(٣) أ : + يقول جعله عربيا ، جملة جملا على معنى فعلا من أفعال الله على غير معنى خلق وقال فى سورة الزخرف (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) .

(٤) ب : — مبينا وليس كما زعموا معناه أنزلناه بلسان العرب وقيل بيناه .

(٥) ب : — هذا

(٦) أ : — هو

(٧) ب : —

— وهذه المسألة من الجهمي (١) من المغالطة. فالجواب (٢) للجهمي إذا سأل فقال: أخبرونا عن القرآن، هو الله أو غير الله: ؟. قيل له: وإن الله جل ثناؤه (٣) لم يقل في القرآن إن القرآن أنا. ولم يقل: غيري. وقال: هو كلامي، فسميناه باسم سماه الله به، فقلنا: كلام الله - فنسب القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين، ومن سماه باسم (٤) غيره كان من الضالين.

— وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه، ولم يسمه قولاً فقال (ألا له الخلق والأمر) [٥٤/الأعراف]. فلما قال: ألا له الخلق (٥)، لم يبق شيئاً مخلوق (٦) إلا كان داخلاً في ذلك.

ثم ذكر ما ليس بخلق فقال (والأمر) فأمره هو قوله، تبارك الله رب العالمين (٧) أن يكون قوله خلقاً.

— وقال: (إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم) [٤/الدخان]، ثم قال القرآن: (أمرنا من عندنا) [٥/الدخان].

وقال: (لله الأمر من قبل ومن بعد) [٤/الروم].

— يقول: لله القول من قبل الخلق، ومن بعد الخلق، فأنه يخلق ويأمر، وقوله غير خلقه.

— وقال: (ذلك أمر الله أنزله اليكم) [٥/الطلاق] وقال (حتى إذا جاء أمرنا وفار الثنور) [٤٠/هود].

-
- | | |
|------------------|-----------------------|
| (١) أ : + هي | (٢) أ : والجواب |
| (٣) ب : ثناه | (٤) أ : + من |
| (٥) أ : + والأمر | (٦) ب : هيئاً مخلوقاً |
| (٧) ب : بأن | |

[بيان ما فصل الله بين قوله وخلقه]

— وذلك أن الله جل ثناءه إذا سمي الشيء الواحد باسمين أو ثلاثة أسامى فهو مرسل غير منفصل (١) ، وإذا سمي شيئين مختلفين (٢) لا يدعها مرسلين (٣) حتى يفصل بينهما . من ذلك قوله :

— (يا أيها العزيز إن له أبا شيئا كبيرا) [٧٨ / يوسف] فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسامى ، وهو مرسل . ولم يقل ، إن له أبا وشيئا وكبيرا .

— وقال : (عسى ربه إن طلقكن أن يبدل أزواجهن خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تآبات عابدات) [٥ / التحريم] ، ثم قال . ثيبات وأبكارا (٤) .

— فلما كانت البكر غير الثيب ، لم يدعه مرسلاً حتى فصل بينهما ، فذلك قوله « وأبكارا » .

— وقال : (وما يستوى الأعمى) [١٩ / فاطر] ثم قال : (والبصير) ، فلما كان البصير غير الأعمى فصل بينهما .

— ثم قال (ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور) [٢١ / فاطر] . فلما كان كل واحد (٥) من هذا الشيء (٦) غير الشيء الآخر فصل بينهما .

ثم قال : (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق

(١) أ : مفصل (٢) ب : لم

(٣) ب : مرسلاً

(٤) أ : + فهذا شيء واحد فهو مرسل فلما ذكر شيئين مختلفين فصل بينهما فذلك

قوله : (ثيبات) .

(٥) ب : + منهما (٦) ب : - من هذا الشيء

البارىء المصور ([٢٤ / الحشر] فهذا (١) كله شيء (٢) واحد ، فهو مرسل ليس بمفصل (٣) .

فلذلك (٤) إذا قال الله : (ألا له الخلق والأمر) لأن (٥) الخلق غير الأمر ، فهو منفصل (٦) .

بيان ما أبطل الله أن يكون القرآن الإوحيا وليس بمخلوق

— قوله : (والنجم إذا هوى) [١ / النجم] . قال : وذلك أن قریشا قالوا : إن القرآن شعر . وقالوا : أساطير الأولين . وقالوا : أضغاث أحلام . وقالوا : تقوله محمد من تلقاء نفسه . وقالوا : تعلمه من غيره - فأقسم الله بالنجم (٧) إذا هوى ، يعنى القرآن إذا نزل ، فقال (والنجم إذا هوى ، ماضل صاحبكم) ، يعنى محمدا ، (وماغوى وماينطق عن الهوى) يقول : إن محمدا لم يقل هذا القرآن من تلقاء نفسه . فقال : (إن هو) ، يقول ما هو ، يعنى القرآن ، (إلاوحى يوحى) فأبطل الله أن يكون القرآن شيئا غير الوحى ، لقوله (إن هو) يقول : ما هو إلا وحى يوحى . ثم قال : (عليه) ، يعنى علم محمدا جبريل (٨) صلى الله عليه وسلم . وهو : (شديد القوى ذو مرة فاستوى) إلى قوله (فأوحى إلى عبده ما أوحى) فسمى الله القرآن وحيا ، ولم يسمه خلقا .

— ثم إن الجهم ادعى أمرا آخر فقال : أخبرونا عن القرآن ، هو شيء ؟ .

(١) ب : — فهذا	(٢) أ : + امم
(٣) ب : منفصل	(٤) أ : فكذلك
(٥) ب : كان	(٦) أ : مفصل
(٧) ب : يقول	(٨) أ : علم جبريل محمدا

فقلنا : نعم هو شيء . فقال . (إن الله خلق كل شيء) فلم لا يكون القرآن مع (١) الأشياء المخلوقة ، وقد أقررتم أنه شيء ؟ .

— فلمعمرى . لقد ادعى أمرا أمكنه فيه الدوى (٢) ، ولبس على الناس بما ادعى فقلنا : إن الله (٣) فى القرآن لم يسم كلامه (٤) شيئا ، إنما سمي شيئا الذى كان يقوله ، ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى : (إنما قلنا لشيء) [٤٠ / النحل] فالشيء ليس هو قوله ، إنما الشيء الذى كان بقوله . (٥) وفى آية أخرى (إنما أمره إذا أراد شيئا) [٨٢ / يس] فالشيء ليس هو (٦) أمره ، إنما الشيء ، الذى كان بأمره .

— ومن الأعلام والدلالات أنه لا يعنى كلامه مع الأشياء المخلوقة ، قال الله (٧) للريح التى أرسلها على عاد : (تدمر كل شيء بأمر ربها) [٢٥ / الأحقاف] وقد أتت تلك (٨) الريح على أشياء لم تدمرها ، منازلهم ، ومسكنهم ، والجبال التى يحضرتهم ، فأتت عليها تلك الريح ولم تدمرها . وقال : (تدمر كل شيء) .

— فكذلك (٩) إذا قال (خالق كل شيء) لا يعنى نفسه ولا عليه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة .

— وقال للملك سبأ (وأوتيت من كل شيء) [٢٣ / النمل] . وقد كان ملك

(١) أ : من (٢) أ : الدعوى

(٣) أ : + سبحانه (٤) أ : لم يسم كلامه فى القرآن

(٥) أ : + قال (٦) أ : — هو

(٧) ب : — افة (٨) ب : — تلك

(٩) ب : فلذلك

سليمان شيئا^(١) ولم توتّه . وكذلك^(٢) إذا قال : (خالق كل شيء) لا يعنى كلامه مع الأشياء المخلوقة .

— وقال الله لموسى : (واصطنعتك لنفسى) [٤١ / طه] ، (يحذركم الله نفسه) [٢٨ / آل عمران] .

— وقال : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) [٥٤ / الانعام] .

— وقال : (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) [١١٦ / المائدة] .

— ثم قال (كل نفس ذائقة الموت) [١٨٥ / آل عمران] .

— فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعنى نفسه مع النفس التى تذوق الموت ، وقد ذكر الله عز وجل كل نفس^(٣) . فكذلك إذا^(٤) قال (خالق كل شيء) لا يعنى نفسه ، ولا علمه ، ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة .

— ففى هذا دلالة وبيان لمن عقل عن الله . فرحم الله من فكر ، ورجع عن القول الذى يخالف الكتاب والسنة ، ولم يقل على الله إلا الحق ، فان الله قد أخذ ميثاق خلقه . فقال : (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق) [١٦٩ / الأعراف] .

— وقال فى آية أخرى : (إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) [٢٣ / الأعراف] فقد^(٥) حرم الله أن يقال عليه الكذب وقد قال : (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) [٦٠ / الزمر] فأعاذنا الله ولياكم من فتن المضلين .

— وقد ذكر الله كلامه فى غير موضع من القرآن ، فسأه كلاما ، ولم يسمه

(١) ب : — شيئا

(٢) ب : — ولذلك

(٣) أ : نفسه

(٤) أ : أن

(٥) أ : وقد

خلقا . قوله : (فتلقى آدم من ربه كلمات) [البقرة / ٣٧] وقال : (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) [البقرة / ٧٥] وقال (ولما جاء موسى لميقاتنا وكنهه ربه) [الأعراف / ١٤٣] . وقال (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) [الأعراف / ٤٤] . وقال (وكلم الله موسى تكليما) [النساء / ١٦٤] وقال : (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته) [الأعراف / ١٥٨] .

— فأخبرنا الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بالله وبكلام الله .

— وقال : (يريدون أن يبطلوا كلام الله) [الأعراف / ٤٤] وقال : (لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي) [السجدة / ١٠٩] وقال : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) [التوبة / ٦] ولم يقل حتى يسمع خلق الله .

— فهذا منصوص بلسان عربي مبين لا يحتاج إلى تفسير، هو مبين^(١) بحمد الله :

— وقد سألت الجهمية^(٢) . أليس إنما قال الله : (قولوا آمنا بالله) [البقرة / ١٣٦] و (قولوا للناس حسنا) [البقرة / ٨٣] و (قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) [العنكبوت / ٤٦] و (قولوا قولا سديدا) [الأحزاب / ٧٠] و (فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون) [آل عمران / ٦٤] . وقال : (وقل الحق من ربكم) [السجدة / ٢٩] .

— وقال : (فقل سلام) [الانعام / ٥٤] . ولم نسمع الله يقول : قولوا إن كلامي خلق .

— وقال : (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا) [النساء / ١٧١] .

— وقال : (ولا تقولوا لمن أتىكم السلام لست مؤمنا) [النساء / ٩٤] و (ولا تقولوا راعنا) [البقرة / ١٠٤] ، (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) ،

[١٥٤/البقرة] ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله، [١٢٤/الكهف]،
 وفلا تقل لها أف ولا تنهرهما، [٢٣/الاسراء]، ولا تدع مع الله إلها آخر، [٨٨/القصص]،
 ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، [١٥١/الانعام]، ولا تجعل يدك مغلولة إلى
 عنقك، [٢٩/الاسراء]، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، [١٥١/الانعام]،
 ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، [١٥٢/الانعام]، ولا تمش في الأرض
 مرحا، [١٨/لقمان] .

— ومثله في القرآن كثير .

— فهذا ما نهى الله عنه . ولم يقل لنا لا تقولوا إن القرآن كلامي .

— وقد سمّت الملائكة كلام الله كلاما ولم تسمّه خلقا، قوله : حتى إذا فزع
 عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم، [٢٣ / مباء) .

— وذلك أن الملائكة لم يسمعوا صوت الوحي ما بين عيسى ومحمد صلى الله
 عليه (١) وسلم ، وبينهما (٢) كذا وكذا سنة .

— فلما أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، سمع (٣) الملائكة صوت الوحي
 كوقع الحديد على الصفا ، فظنوا أنه أمر من (٤) الساعة ، ففزعوا وخرّوا لوجوههم
 سجدا ، فذلك قوله : (حتى ، إذا فزع عن قلوبهم) يقول : حتى إذا انجلى الفزع عن
 قلوبهم رفع (٥) الملائكة رؤوسهم فسأل (٦) بعضهم بعضا : فقالوا : (٧) ماذا قال
 ربكم ، ولم يقولوا ، ماذا خلق ربكم

-
- | | |
|----------------|-----------------|
| (١) أ : عليهما | (٢) أ : وبينهما |
| (٣) أ : سمعت | (٤) أ : + أمر |
| (٥) أ : رفعت | (٦) ب : فسألوما |
| (٧) ب : فقولوا | |

— فهذا بيان لمن أراد الله هداة .

— ثم إن الجهم ادعى أمرا آخر فقال :

أنا أجد آية في كتاب الله تبارك وتعالى (١) تدل على القرآن أنه مخلوق (٢) . فقلنا : في أى آية ؟ فقال (٣) : (ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث) [٢ / الانبياء] . فزعم أن الله قال للقرآن (محدث) وكل محدث مخلوق .

— فلعمري ، لقد شبه على الناس بهذا . وهى آية من المتشابهة فقلنا في ذلك قولاً واستعنا بالله ، ونظرنا في كتاب الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

— اعلم أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما فكان أحدهما أعلى من الآخر ثم جرى عليها اسم مدح فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه ، وإن جرى عليه اسم ذم ، فأدناها أولى به ، ومن ذلك قول الله تعالى (٤) في كتابه : (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) [٦٥ / الحج] (عينا يشرب بها عباد الله) [٦ / الانسان] يعنى الأبرار دون الفجار فإذا (٥) اجتمعوا (٦) في اسم الانسان ، واسم العباد فالمعنى (٧) في قول الله جل ثناؤه عينا يشرب بها عباد الله ، يعنى الأبرار دون الفجار ، لقوله إذا انفرد الأبرار (إن الأبرار لفي نعيم) [١٣ / الانفطار] وإذا انفرد الفجار (٨) (وإن الفجار لفي جهيم) [١٤ / الانفطار] . وقوله (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) . فالمؤمن أولى به وإن اجتمعا في اسم الناس ، لأن المؤمن إذا انفرد أعطى المدحة (٩) لقوله : إن الله بالناس لرؤوف رحيم ، وكان بالمؤمنين رحيماً

(١) أ : — تبارك وتعالى (٢) أ : تدل على ان القرآن مخلوق

(٣) أ : + قول الله تبارك وتعالى (٤) أ : — تعالى

(٥) ب : — يعنى الأبرار دون الفجار فإذا

(٦) ب : فاجتمعوا (٧) ب : في المعنى

(٨) أ : الكفار (٩) أ : المبيح

[٤٣/ الاحزاب] وإذا انفرد الكفار جرى عليهم الذم في قوله: (ألا لعنة الله على الظالمين) [١٨ هود]

وقال: (أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) [٨٠/ المائدة] فهؤلاء لا يدخلون في الرحمة وفي قوله: (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) [٢٧/ الشورى]. فاجتمع الكافر والمؤمن^(١) في اسم العبد، والكافر^(٢) أولى بالبغى من المؤمنين، لأن المؤمنين^(٣) انفردوا ومدحوا^(٤) فيما بسط لهم من الرزق وهو قوله^(٥): (وإذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) [٦٧/ الفرقان] وقوله (وما رزقناهم ينفقون) [٢/ البقرة]. وقد بسط^(٦) الرزق لسليمان بن داوود، ولذئ القرنين، وأبى بكر، وعمر، ومن كان على مثالهم^(٧) ممن بسط له، فلم ييغ.

— وإذا انفرد الكافر وقع عليه اسم البغى في قوله لفارون (فبغى عليهم) [٧٦/ القصص]، ونمرود^(٨) بن كنعان حين آتاه الله الملك، فحاج في ربه، وفرعون حين قال موسى: (ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالا في الحياة الدنيا) [٨٨/ يونس]. فلما اجتمعوا في الاسم الواحد^(٩) فجرى عليهم^(١٠) اسم البغى كان الكفار^(١١) أولى به. كما أن المؤمن أولى بالمدح. فلما قال الله^(١٢)

(١) أ: فاجتمع المؤمنون والكفار (٢) أ: والكفار

(٣) ب: + اذا (٤) ب: — و

(٥) أ: قول الله (٦) أ: الرزق + لداوود

(٧) ب: مثلها (٨) أ: نمرود

(٩) أ: اسم واحد (١٠) ب: عليها

(١١) أ: الكافر (١٢) أ: + تبارك

تعالى : (ما يأتيتهم من ذكر من ربهم محدث) فجمع بين ذكرين . ذكر الله وذكر نبيه . فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث ، ألم تسمع إلى قوله : (ولذكر الله أكبر) [٤٥ / العنكبوت] . ، (هذا ذكر مبارك) [٥١ / الأنبياء] — وإذا (١) انفرد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه جرى عليه اسم الحدث ، ألم تسمع إلى قوله : (والله خلقكم وما تعملون) [٩٥ / الصافات] فذكر النبي (٢) صلى الله عليه وسلم له عمل ، والله له خالق محدث (٣) . والدلالة على أنه جمع بين ذكرين لقوله : (ما يأتيتهم من ذكر من ربهم محدث) فأوقع عليه الحدث عند إتيانه لإيماننا وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء ، إلا مبلغ (٤) ومذكر . وقال الله (٥) (وذكروا أن الذكرى تنفع المؤمنين) [٥٥ / الذاريات] . (فذكر إن نفعت الذكرى) [٩ / الأعلى] . (إنما أنت مذكر) [٢١ / الغاشية] .

— فلما اجتمعوا في اسم الذكر ، جرى عليهم اسم الحدث ، وذكر النبي (٦) إذا انفرد ، وقع عليه اسم الخلق (٧) وكان أولى (٨) بالحدث من ذكر الله الذي إذا انفرد ، لم يقع عليه اسم خلق ولا حدث . فوجدنا دلالة من قول الله (٩) : (ما يأتيتهم من ذكر من ربهم محدث) إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فعله الله ، فلما علمه الله ، كان ذلك (١٠) محدثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم . — ثم إن الجهم ادعى أمرا آخر فقال . إنا وجدنا آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق (١١) . فقلنا : أي آية . ا . فقال (١٢) : قول الله (١٣) : (إنما المسيح

(١) أ : فإذا (٢) ب : للنبي . (٣) أ : ومحدث

(٤) ب : لا يأتينا إلا بالأنباء مبلغ (٥) أ : + تعالى

(٦) ب : فكان الذي . (٧) أ : خلق .

(٨) ب : أولا — وكان . (٩) أ : + تعالى

(١٠) ب : — ذلك

(١١) ب : على القرآن أنه مخلوق . (١٢) ب : قال .

(١٣) أ : + تعالى .

عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ([١٧١ / النساء] وعيسى مخلوق . فقلنا : إن الله منعك الفهم في القرآن ، عيسى تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على القرآن ، لأنه يسميه مولوداً وطفلاً وصيباً وغلماً (١) يا كل ويشرب ، وهو مخاطب بالامر والنهي ، يجرى عليه اسم (٢) الخطاب والوعد والوعيد ، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم ، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى . هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى ؟ . ولكن المعنى من قول الله (٣) جل ثناؤه : (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم) . فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له دكن ، فكان عيسى بكن ، وليس عيسى هو الكن (٤) ، ولكن بالكن (٥) كان ، فالكن من الله قول (٦) وليس الكن مخلوقاً . — وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى ، وذلك أن الجهمية قالوا : عيسى روح الله وكلمته ، لأن (٧) الكلمة مخلوقة . وقالت النصارى عيسى روح الله من ذات الله وكلمته (٨) من ذات الله . كما يقال : إن هذه الخرقه من هذا الثوب ، وقلنا نحن : إن عيسى بالكلمة كان ، وليس عيسى هو الكلمة . — وأما قول الله (٩) « وروح منه » يقول : من أمره كان الروح فيه كقوله (١٠) (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) [١٣ / الجاثية] . يقول من أمره وتفسير (١١) روح الله إنما معناها (١٢) : أنها روح بكلمة الله خلقها الله (١٣) كما يقال : عبد الله ، وسماؤه الله وأرض الله (١٤) .

- (١) ب : لأنه يجرى عليه تسمية مولود وطفل وصبي وغلماً .
 (٢) ب : — اسم الخطاب . (٣) أ : قوله .
 (٤) أ : كن ، (٥) أ : بكن .
 (٦) ب : من قوله . (٧) أ : إلا
 (٨) أ : وكلمة الله . (٩) أ : + تعالى .
 (١٠) ب : لقوله . (١١) أ : ويفسر .
 (١٢) أ : معناه . (١٣) ب : — الله .
 (١٤) ب : — وأرض الله .

— ثم إن الجهم^(١) ادعى أمرا آخر فقال : إن الله يقول : (خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام) [٤/السجدة] . فزعم أن القرآن لا يخلو أن يكون في السموات^(٢) أو في الأرض أو فيما بينهما ، فشبّه على الناس ولبس عليهم فقلنا له : أليس إنما أوقع الله جل ثناؤه الخلق^(٣) والمخلوق على^(٤) مافي السموات والأرض وما بينهما ، فقالوا : نعم . فقلنا : هل فوق السموات شيء مخلوق ؟ . قالوا : نعم . فقلنا : فإنه^(٥) لم يجعل ما فوق السموات مع الأشياء المخلوقة ، وقد عرف أهل العلم أن فوق السموات السبع الكرسي والعرش واللوح المحفوظ والحجب وأشياء كثيرة لم يسمها ولم يجعلها مع الأشياء المخلوقة ، وإنما وقع الخبر من الله على السموات والأرض وما بينهما .

— وقلنا فيما ادعوا ، أن القرآن لا يخلو أن يكون في السموات أو في الأرض أو فيما بينهما . فقلنا الله : تبارك وتعالى يقول : (ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) [٨/الروم] فالذى خلق به السموات والأرض قد كان قبل السموات والأرض ، والحق الذى خلق به السموات والأرض هو قوله لأن الله يقول الحق وقال : (فالحق والحق أقول) [٤٨/ص] . ويوم يقول : كن ، فيكون قوله الحق^(٦) ، فالحق الذى خلق به السموات والأرض قد كان قبل السموات والأرض ، والحق قوله ، وليس قوله مخلوقا .

(١) أ : الجهمى

(٢) أ : السماء

(٣) أ : + على

(٤) أ : — على

(٥) ب : إنه

(٦) أ : — الذى خلق به السموات والأرض هو قوله لأن الله يقول الحق وقال :

(فالحق والحق أقول) ويوم يقول . (وكن) فيكون قوله الحق .

بيان ما جحدت ^(١) الجهمية من قول الله

(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [٢٣/القيامة]

قال أحمد رحمه الله ^(٢) : فقلنا لهم : لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم . فقالوا : لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه لأن المنظور إليه معلوم ^(٣) موصوف لا يرى إلا شيء يفعله ^(٤) . فقلنا : أليس الله يقول : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقالوا : إن معنى ^(٥) (إلى ربها ناظرة) إنها ^(٦) تنظر الثواب من ربها ^(٧) ، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته وتلو آية ^(٨) من القرآن (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) [٥٥/الفرقان] فقالوا : لأنه حين قال : (ألم تر إلى ربك) أنهم لم يروا ربهم . ولكن المعنى ألم تر إلى فعل ربك ، فقلنا : إن فعل الله لم يزل العباد يرونه ، وإنما قال : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقالوا : إنما تنظر ^(٩) الثواب من ربها ^(١٠) فقلنا : إنها مع ما تنتظر الثواب هي ترى ربها . فقالوا : إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة ، وتلو آية من المتشابهة من قول الله جل ثناؤه (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف معنى قول الله : (لا تدركه الأبصار) وقال : (إنكم سترون ربكم) ^(١١) . وقال لموسى : (لن تراني) [١٤٣/الاعراف] ولم يقل : لن أرى ، فأيهما ^(١٢) أولى أن تتبع ، ^(١٣) النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ب : + به (٢) ب : - قال أحمد رحمه الله

(٣) أ : معدود (٤) أ : إنما ترى الأشياء بفعله

(٥) أ : إنما (٦) ب : إنها

(٧) أ : إلى الثواب ربها (٨) أ : وتاويله

(٩) أ : ينتظرون (١٠) أ : وبهم

(١١) ب : أخرجه البخاري ومسلم والترمذي

(١٢) ب : فأينا . (١٣) أ : يتبع

حين قال : إنكم سترون ربكم . أو قول الجهمي حين قال : لاترون ربكم . والاحاديث في أيدي (١) أهل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن أهل الجنة يرون ربهم ، لا يختلف فيها أهل العلم .

— ومن حديث سفیان (٢) عن أبي اسحق (٣) عن عامر بن سعد في قول الله (٤) (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [٢٦ / يونس] قال : النظر إلى وجه الله .

— ومن حديث ثابت البناني (٥) ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (٦) قال : إذا استقر أهل الجنة في الجنة نادى مناد يا أهل الجنة : إن الله قد أذن لكم في الزيادة .

(١) ب : يدى .

(٢) سفیان بن عیینة أبو محمد الهلالي شيخ الحجاز كوفي نزل مكة سمع الزهري وزياد ابن علاقة وكان عالماً بالتفسير وقال فيه أحمد بن حنبل : ما رأيت أحداً أعلم بالسنن من ابن عيينة توفي سنة ١٩٨ هـ .

(الذهبي ، المعبر ج ١ ص ٣٢٦)

(٣) أبو اسحاق الشيباني سليمان بن فيروز الكوفي سمع عبد الله بن أبي أوفى وجماعة توفي سنة ١٤١ هـ .

(الذهبي المعبر ، ج ١ ص ١٩٢) .

(٤) أ : قوله .

(٥) هو من التابعين معاصر للإمام مالك توفي بالبصرة سنة ١٢٣ هـ والبناني بضم الباء وفتح النون نسبة إلى بنائه وهي قبيلة عربية (الذهبي ، المعبر ج ١ ص ١٥٦ . أسلم بن سهل الرزاز الواسطي (+ ٢٩٢ هـ) (تاريخ واسط ص ١٣٠) .

(٦) عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي فقيه ومقرئ أخذ عن عثمان وعن هلى توفي سنة ٨٢ هـ (الذهبي المعبر ج ١ ص ٩٦) .

قال : فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله (١) لا إله إلا هو (٢) .

— وإنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن الله ، لأن الله قال للكفار (٣) (كلا لأنهم عند ربهم يومئذ لمحجوبون) [١٥ / المطففين] فإذا كان الكافر يحجب عن الله ، والمؤمن يحجب عن الله ، فافضل المؤمن على الكافر ؟

— والحمد (٤) لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته ، وجعلنا ممن اتبع ، ولم يجعلنا ممن ابتدع ، والحمد لله وحده (٥) .

[بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى]

فقلنا . أنكرتم ذلك . ٤ . قالوا : إن الله لم يتكلم (٦) ولا يتكلم . إنا كون شيئا فعبّر عن الله ، وخلق صوتا فأسمع (٧) وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفقتين . فقلنا : هل يجوز لمكون (٨) أو غير الله أن يقول (يا موسى إني أنا ربك) [١٢ / طه] أو يقول (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) [١٤ / طه] فمن زعم ذلك (٩) فقد زعم أن (١٠) غير

(١) أ : + فيتجلى لهم ذكر الحديث قال أحمد رحمه الله .

(٢) ب : روى مسلم حديثا في معناه .

(٣) أ : — للكفار (٤) أ : فالحمد

(٥) ب : والحمد لله رب العالمين .

(٦) أ : يتكلم . (٧) أ : فأسمعه

(٨) أ : أن يكون المكون غير .

(٩) أ : أن ذلك غير الله

(١٠) أ : — فقد زعم أن

الله (١) ادعى الربوبية (٢) كما زعم الجهم أن الله كون شيئاً كان يقول ذلك المسكون (ياموسى إني أنا الله رب العالمين) [٣٠/ القصص] (٣). وقد قال جل ثناؤه : (وكلّم الله موسى تكليماً) [١٦٤/ النساء] . وقال . (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) [١٣٤/ الأعراف] . وقال : (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) [١٤٤/ الأعراف] . فهذا منصوص القرآن . فأما (٤) ما قالوا : إن الله (٥) لا يتكلم فكيف (٦) يصنعون بحديث الأعمش (٧) ، عن خيشمة ، عن عدى بن حاتم الطائى (٨) . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ما (٩) بينه وبينه ترجمان (١٠) . وأما قولهم إن الكلام لا يكون إلاّ من جوف وفم وشفتين ولسان ، أليس الله قال (١١) للسموات والأرض (إئتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين) [١١/ فصلت] . أتراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات . ؟ . وقال (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) [٨٩/ الأنبياء] . أتراها سبحت (١٢) بجوف وفم ولسان وشفتين؟ والجوارح إذ شهدت على الكافر فقالوا : (لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى

(١) أ : + فقد . (٢) أ : + ولو كان

(٣) أ : + ولا يجوز أن يقول إني أنا الله رب العالمين .

(٤) أ : وأما (٥) أ : + لم يتكلم

(٦) أ : كيف .

(٧) الأعمش : أبو محمد سليمان بن مهران الأسدى توفى ١٤٨ هـ وهو محدث الكوفة

(٨) عدى بن حاتم الطائى توفى سنة ٦٧ هـ وقيل ٦٨ هـ وهو القدى قال فيه النبى

صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريم قوم فاكرموه .

الذهبي العبر ج ١ ص ٧٤ .

(٩) أ : ليس (١٠) متفق عليه

(١١) أ : ليس قال الله (١٢) ب : يسبحن

أنطلق كل شيء) أتراها (١) أنها (٢) نطقت بجوف وفم ولسان ؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء .

وكذلك الله تكلم كيف شاء . من غير أن يقول (٣) بجوف (٤) ولا فم ولا شفيتين ولا لسان (٥) .

قال أحمد رضى الله عنه (٦) : فلما خنقته (٧) الحنجرة قال : —

إن الله كلم موسى ، إلا أن كلامه غيره . فقلنا : وغيره مخلوق ؟ قال : نعم . فقلنا : هذا مثل قواكم الأول إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشئعة بما تظهرون (٨) ، وحديث الزهري قال : لما سمع موسى كلام ربه قال : يارب هذا الذى سمعته هو كلامك . ؟ . قال : نعم يا موسى هو كلامى ، إنما كلمتك بقوة عشر آلاف لسان ، ولى قوة الألسن كلها ، وأنا أقوى من ذلك ، وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك ولو كلمتك بأكثر من ذلك لم ت . قال : فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له : صف لنا كلام ربك . قال (٩) : سبحان الله ، وهل أستطيع أن أصفه لكم . قالوا : فشببه . قال : هل سمعتم أصوات الصواعق التى تقبل فى أحلى حلاوة سمعتها ، فكأنه مثله (١٠) .

وقلنا للجهمية : من القائل يوم القيامة (يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس

(١) أ : تراها (٢) أ : — أنها

(٣) أ : نقول (٤) أ : جوف

(٥) أ : ولا لسان ولا شفيتين .

(٦) ب : — قال أحمد رضى الله عنه .

(٧) ب : خنقته (٨) ب : — بما تظهرون .

(٩) أ : فقال .

(١٠) رواه الطبرى فى تفسيره بلفظ قريب منه . وكذلك ابن كثير ويبد عليه الضعف

إذ فى رواية ابن كثير الفضل الرقاشى وهو ضعيف عند المحدثين .

اتخذوني وأى إلهين من دون الله [١١٦ / المائدة] . أليس الله هو القائل (١) ؟
قالوا : فيكون (٢) الله شيئا ، فيعبر عن الله كما كونا (٣) شيئا (٤) فعبر لموسى ، .

قلنا : فمن القائل (فأنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ، فلنقصن عليهم بعلم) [٧ / الاعراف] أليس الله هو الذى يسأل ؟ . قالوا : هذا كله إنما يكون شيئا فيعبر عن الله . قلنا (٥) قد أعظمتم على الله الفرية ، حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبّهتموه بالاصنام التى تعبد من دون الله لأن الاصنام لا تتكلم ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان .

فلما ظهرت عليه الحجة قال : —

إن الله يتكلم ، ولكن كلامه مخلوق . قلنا : وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق ، فقد شبّهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق . ففى مذهبكم قد كان فى وقت من الاوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم ، وكذلك بنو آدم . كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله (٦) لهم كلاما وقد جمعتم بين (٧) كفر وتشبيه ، وتعالى الله (٨) عن هذه الصفة ، بل جمعتم (٩) نقول : إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء ولا نقول : لأنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام (١٠) ، ولا نقول : لأنه قد كان لا يعلم (١١) حتى خلق علماً فعمل (١٢) ولا نقول لأنه

-
- | | |
|--|----------------|
| (١) أ : + قال | (٢) أ : يكون |
| (٣) أ : كونه | (٤) أ : — شيئا |
| (٥) أ : فقلنا | (٦) أ : — الله |
| (٧) ب : — جمعتم | (٨) ب : فتعالى |
| (٩) أ : — بل جمعتم ويبدو أنها كانت فى الهامش تصحيحا للنسخة فكتب ذلك الناسخ فى المتن لأن (جمعتم) قد سقطت منه وتصحيح النص : (بل نقول) كما فى (أ) | |
| (١٠) أ : كلاما | (١١) ب : ولا |
| (١٢) أ : — فعلم | |

قد (١) كان ولا قدرة له (٢) حتى خلق لنفسه القدرة، ولا نقول : إنه قد (٣) كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورا ، ولا نقول : إنه قد (٤) كان ولا عظمة له حتى خلق لنفسه عظمة .

— فقالت الجهمية (٥) ، لما وصفنا الله بهذه (٦) الصفات : إن زعمتم أن الله ونوره ، والله وقدرته ، والله وعظمته ، فقد قلتم بقول النصارى حين زعموا (٧) أن الله لم يزل ونوره . ولم يزل وقدرته .

— قلنا : لا نقول إن الله لم يزل وقدرته ، ولم يزل ونوره . ولكن نقول : لم يزل بقدرة ونوره ، لا متى قدر ، ولا كيف قدر .

— فقالوا : لا تكونون موحدين أبدا حتى تقولوا : قد كان الله ولا شيء .

فقلنا : نحن نقول : قد كان الله ولا شيء . ولكن إذا قلنا : إن الله لم يزل بصفاته كلها ، أليس إنما نصف لها واحداً بجميع صفاته؟ وضربنا لهم في ذلك مثلاً ، فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع ، وكرب (٨) وليف وسعف وخوص وجحار (٩) ؟ ، واسمها اسم شيء واحد ، وسميت نخلة بجميع صفاتها ، فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد ، لا نقول إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا يقدر (١٠) حتى خلق له (١١) قدرة ، والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول

(٢) أ : — له

(١) أ : — قد .

(٣) أ : — قد

(٤) أ : — قد

(٦) أ : وصفنا الله من الله هذه

(٥) أ : الجهمي + لنا

(٧) أ : زعمتم

(٩) شعم النخل وقلبها

(٨) أصول الصف الغايضة

(١١) أ : — له

(١٠) أ : ولا قدرة

قد كان في وقت من الاوقات ولا يعلم حتى خلق له علما (١) فعلم . والذي لا يعلم هو جاهل ، ولكن نقول : لم يزل الله عالما قادرا (٢) لامتى ، ولا كيف ، وقد سمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي (٣) فقال (ذرى ومن خلقت وحيدا) [١١ / المدثر] وقد كان هذا الذى سماه الله (٤) (وحيدا) له عينان وأذنان ولسان وشفطان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه الله (وحيدا) بجميع صفاته ، فكذلك الله ، وله المثل الأعلى ، هو بجميع صفاته إله واحد .

بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش

فقلنا لهم : أنكرتم (٥) أن يكون الله على العرش ، وقد قال تعالى (٦) : — (الرحمن على العرش استوى) [٥٤ / الأعراف] (٧) . وقال : (خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) ، فقالوا : هو تحت الأرض (٨) السابعة . كما هو على العرش ، فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان ، ولا يخلو منه مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان . وتلوا آية من القرآن (وهو الله في السموات وفي الأرض) [٣ / الأنعام] . فقلنا : قد عرف المسلمون أما كن كثيرة ليس فيها من عظم (٩) الرب شيء . فقالوا : أى مكان؟

(١) : — له علما (٢) : + ما لكا

(٣) مات بعد الهجرة بثلاثة اشهر .

(٤) : — الله . (٥) : + ذلك

(٦) : + جل ثناؤه .

(٧) : + وقال : (ثم استوى على العرش فأسأل به خبيرا) .

(٨) ب : الأرضين (٩) ب : عظيم

فقلنا : أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش (١) والأماكن القذرة ليس فيها من عظم (٢) الرب شيء ، وقد أخبرنا أنه في السماء فقال : (أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) [١٦ / الملك] ، (أم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) [١٧ / الملك] . وقال : (إله يصعد الكلم الطيب) . [١٠ / فاطر] ، وقال : (إني متوفيك ورافعك إلی) [٥٥ / آل عمران] وقال (بل رفعه الله إله) [٥١٨ / النساء]

وقال : (وله من في السموات والأرض ومن عنده) [١٩ / الأنبياء] وقال : (يخافون ربهم من فوقهم) [٥٠ / النحل] . وقال : (ذی المعارج) [٢ / المعارج] وقال : (وهو القاهر فوق عباده) [١٨ / الأنعام] وقال (٣) (وهو العلی العظيم) [٥٢٥ / البقرة] .

— فهذا خبر الله (٤) أخبرنا أنه في السماء ووجدنا كل شيء أسفل منه مدموما يقول الله جل ثناؤه : (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) [١٤٥ / النساء] (وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلها تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) [٢٩ / فصلت] .

— وقلنا لهم : أليس تعملون (٥) أن إبليس كان (٦) مكانه (٧) والشیاطین

(١) مكان قضاء الحاجة في البساتین

(٢) ب : عظیم

(٤) ب : — خبر الله

(٣) ب : — وقال

(٥) أ : أنعملون

(٦) ب : مكانه

(٧) ب : مكان

مكانهم (١) ، فلم يكن الله ليجتمع (٢) هر وإبليس في مكان واحد ، وإنما معنى قول الله (٣) جل ثناؤه (وهو الله في السموات وفي الأرض) يقول : هو إله من في السموات وإله من في الأرض ، وهو على العرش وقد أحاط عليه (٤) بما دون العرش ، ولا يخلو من علم الله مكان . ولا يكون علم الله في مكان دون مكان . فذلك قوله : (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) [١٢ / الطلاق] .

— ومن الاعتبار في ذلك ، لو أن رجلا كان في يديه قدح من قوارير صاف وفيه شراب صاف ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح ، فאלله (٥) وله (٦) المثل الأعلى ، قد أحاط بجميع خلقه ، من غير أن يكون في شيء من خلقه .

— وخصلة أخرى ، لو أن رجلا بنى دارا بجميع مرافقها ، ثم أغلق بابها وخرج منها ، كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره ، وكل سعة كل بيت ، من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار . فאלله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه (٧) وعالم كيف هو ، وما هو ، (٨) من غير أن يكون في شيء مما خلق .

(١) ب : + مكان	(٢) أ : مجتمع
(٣) أ : قوله	(٤) أ : بعلمه
(٥) أ : — فאלله	(٦) أ : والله
(٨) أ : ما خلق	(٨) أ : — وما هو

(بيان^(١)) ما تأولت الجهمية من قول الله: (ما يكون من

نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة

إلا هو سادسهم)^(٢) [٧/المجادلة]

قالوا: إن (٣) الله (٤) معنا وفينا — فقلنا (٥): الله جل ثناؤه (٦) يقول: (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) [٧/المجادلة]. ثم قال (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) يعني الله بعلبه (ولا خمسة إلا هو) يعني (٧) الله بعلبه (سادسهم) ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم) يعني بعلبه فيهم (أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) [٧/المجادلة] .

— يفتح الخبر (٨) بعلبه ويختم الخبر (٩) بعلبه ويقال للجهمي: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه فقل له . هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه ؟ فإن قال : نعم فقد زعم أن الله بائن من خلقه دونه ، وإن قال : لا ، كفر (١٠) .

— إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان ، فقل : أليس الله كان ولا شيء . فيقول نعم . فقل له : حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجا (١١) من نفسه فإنه يصير

(١) أ : + قال احمد رحمه الله

(٢) أ : + الآية (٣) ب : — إن

(٤) أ : + عز وجل

(٥) أ : فقلت + لم قطعتم الخبر من اوله ؟ إن

(٦) أ : عز وجل (٧) أ : + الا

(٨) ب : الخبر

(١٠) ما بين قوسين سقط من (ب) والصواب إسقاطه لأنه غير واضح .

(١١) أ : خارج

إلى ثلاثة أقوال (١) لابد له (٢) من واحد منها . إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر ، حين زعم أن الجن والإنس والشیاطین فی نفسه .

— وإن قال : خلقهم خارجا من نفسه ثم ، دخل فيهم ، كان هذا كفرا أيضا (٣) حين زعم أنه دخل في مكان وحش (٤) قدر ردى .

— وإن قال : خلقهم خارجا من نفسه، ثم لم يدخل فيهم ، رجع عن قوله أجمع . وهو قول أهل السنة .

— إذا أردت أن تعلم أن الجهمي لا يقرب علم الله فقل له : الله يقول : (ولا يحيطون بشيء من علمه) [البقرة / ٢٥٥] وقال : (لئن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه) [النساء / ١٦٦] وقال : (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) [هود / ٤١] (٥) و (٦) قال (وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) [فصلت / ٤٧] فيقال له : تقرر بعلم الله هذا الذي وقفك عليه بالأعلام والدلالات أم لا ؟

— فإن قال : ليس له علم ، كفر .

— وإن قال : لله علم محدث ، كفر ، حين زعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم حتى أحدث له علما (٧) فعلم .

فإن قال : لله علم وليس مخلوقا ولا محدثا ، رجع عن قوله كله ، وقال بقول أهل السنة .

(١) أ : اأوئل (٢) أ : — لابد له من

(٣) أ : — أيضا (٤) ب : وحشى

(٥) أ : (فان تولوا فاعلم إنما أنزل بعلم الله)

(٦) ب : — و (٧) ب : — له علما

بيان ما ذكر الله في القرآن (وهو معكم)

وهذا على وجوه :

قال الله جل ثناؤه لموسى : (لئنئى معكما) [٤٦ / طه] ، يقول : فى الدفع عنكما .

وقال : (ثمانى اثنين لاذهما فى الغار لاذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) [٤٠ / التوبة] . يقول : (١) فى الدفع عنا .

وقال : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) [٢٤٩ / البقرة] . يقول : فى النصر لهم على عدوهم .

وقال : (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الاعلون والله معكم) [٣٥ / محمد] فى النصر لكم على عدوكم .

وقال : (ولا يستخفون من الله وهو معهم) [١٠٨ / النساء] ، يقول : بعلبه فيهم .

وقال : (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا إن معى ربى سيهدين) [٦٢ / البقرة] . يقول : فى العون على فرعون .

فلما ظهرت الحججة على الجهمى بما ادعى على الله أنه مع خلقه ، قال : هو فى كل شىء غير مماس لشيء ، ولا مباين (٢) منه ، فقلنا . إذا كان غير مباين أليس هو مماس . قال : لا . قلنا : فكيف يسكون فى كل شىء غير مماس لشيء ولا مباين ؟ فلم يحسن الجواب . فقال : بلا كيف فيخدع جهال الناس بهذه الكلمة وهو عليهم (٣)

(١) سقط ما بين القوسين من (أ)

(٣) ب : — له

(٢) سقط ما بين القوسين من (ب)

فقلنا له : (١) أليس إذا كان يوم القيامة ، أليس إنما هو في الجنة والنار والعرش والهواء . قال : بلى . فقلنا : فأين (٢) سيكون ربنا ؟ فقال : سيكون في كل شيء ، كما كان حين كان في الدنيا ، في (٣) كل شيء . فقلنا : فإن (٤) مذهبكم إن ما كان من الله (على العرش فهو على العرش وما كان من الله) (٥) في الجنة فهو في الجنة ، وما كان من الله في النار فهو في النار ، وما كان من الله في الهواء فهو في الهواء .

فمعد ذلك تبين كذبهم على الله جل ثناؤه .

وزعمت الجهمية أن الله جل ثناؤه (٦) في القرآن إنما هو اسم مخلوق ، فقلنا : قبل أن يخلق هذا الاسم ، ما كان اسمه ؟ قالوا : لم يكن له اسم . فقلنا : وكذلك قبل أن يخلق العلم كان جاهلا لا يعلم حتى يخلق (٧) لنفسه علما ، وكان ولا نور له حتى يخلق (٨) لنفسه نورا ، (٩) وكان ولا قدرة له حتى يخلق (١٠) لنفسه قدرة ، فعلم الخبيث أن الله قد فضحه وأبدى عورته حين زعم أن الله جل ثناؤه (١١) في القرآن إنما هو (١٢) اسم مخلوق .

وقلنا للجهمية : لو أن رجلا حلف بالله الذي لا إله إلا هو كاذبا ، كان لا يبحث لأنه حلف (١٣) بشيء مخلوق ولم يحلف بالخالق ، ففضحه الله في هذه . وقلنا له : أليس النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء من بعدهم ، والحكام والقضاة ، إنما كانوا يحلفون بالناس بالله الذي لا إله إلا هو ؟

(١) ب : — له

(٢) أ : أين

(٣) ب : وفي

(٤) أ : + في

(٥) سقط ما بين قوسين من (ب)

(٦) أ : — جل ثناؤه

(٧) أ : خالق

(٨) أ : خلق

(٩) أ : — و

(١٠) أ : خلق

(١١) أ : — جل ثناؤه

(١٢) ب : هذا

(١٣) أ : كان حلفه

فكانوا في مذهبهم مخطئين ، إنما كان ينبغي (١) للنبي عليه السلام (٢) ، ولئن بعده في مذهبكم أن يحلفوا بالذي اسمه الله ، وإذا أرادوا أن يقولوا : لا إله إلا الله يقولون (٣) . لا إله إلا الذي خلق الله ، وإلا لم يصح توحيدهم . ففضحه الله بما ادعى على الله الكذب . ولكن نقول (٤) : إن الله هو الله وليس الله باسم (إنما الاسماء شيء سوى الله لأن الله إن لم يتكلم فبأي شيء خلق الخلق) (٥) قالوا (٦) : أموجود عن الله أنه خلق الخلق بقوله وبكلامه . ؟

وحين قال : (إنما قولنا شيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون) [٤٠ / النحل] . فقالوا : إنما معنى (قولنا شيء إذا أردناه) د يكون ، قلنا (٧) . فلم أخفيتم (٨) ؟ أن يقول له ، فقالوا : إنما معنى كل شيء في القرآن معانيه ، وقال الله مثل قول العرب : قال الحائط ، وقالت (٩) النخلة فسقطت ، فالجهمية لا يقولون بشيء . فقلنا : على هذا أفيتم ؟ قالوا : نعم . فقلنا : فبأي شيء خلق الخلق إن كان الله في مذهبكم لا يتكلم ؟ فقالوا : بقدرته . فقلنا : هي شيء ؟ قالوا (١٠) . نعم فقلنا : قدرته مع الأشياء المخلوقة . ؟ قالوا : نعم فقلنا : كأنه خلق خلقا بخلق وعارضتم القرآن وخالفتموه حين قال الله جل ثناؤه (خالق كل شيء) فاخبرنا الله أنه يخلق وقال (١١) (هل من خالق غير الله) [٣ / فاطر] فإنه ليس أحد يخلق غيره ، وزعمتم أنه خلق الخلق غيره فتعالى الله (١٢) عما قالت (١٣) الجهمية علوا كبيرا .

(١) ب : — ينبغي

(٢) أصل الله عليه وسلم

(٣) أ : يقولوا

(٤) ب : يقول

(٥) — قط ما بين قوسين من (ب)

(٦) أ : — قالوا

(٧) أ : فقلنا

(٨) ب : أضفتم

(٩) أ : قال

(١٠) أ : فقالوا

(١١) سقط ما بين قوسين من (ب)

(١٢) ب : — الله

(١٣) أ : يقول

بيان ما ادعت الجهمية أن القرآن مخلوق من الاحاديث التي رويت

فقالوا : جاء في الحديث (١) : إن القرآن يمجىء في صورة الشاب الشاحب
فيأتي صاحبه فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول له (٢) : من أنت ؟ فيقول : أنا القرآن
الذي أطمأت نهارك وأسهرت ليلك ، قال : فيأتي به الله فيقول : يارب (٣) .
فادعوا أن القرآن مخلوق من قبل هذه الاحاديث . فقنأهم : القرآن لا يمجىء إلا
بمعنى (٤) أنه (٥) قد جاء من قرأ (قل هو الله أحد) [١/الإخلاص] فله كذا وكذا . ألا نرون
أن من قرأ (قل هو الله أحد) لا يمجىءه إلا بشوابه (٦) لأننا نقرأ القرآن فيقول : يارب (٧)
ويمجىء ثواب القرآن فيقول : يارب ، لأن (٨) كلام (٩) الله لا يمجىء ولا يتغير من
حال إلى حال . وإنما معنى أن القرآن يمجىء أنما يمجىء ثواب القرآن : يارب .

بيان ما تأولت الجهمية من قول الله (١٠) (هو الاول والآخر)

فزعوا أن الله هو قبل الخلق ، فصدقوا ، وقالوا : يكون الآخر بعد
الخلق فلا يبقى شيء ولا أرض ولا الجنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب ولا عرش
ولا كرسى .

(١) أ : — فقالوا : جاء في الحديث .

(٢) أ : — له

(٣) روى الترمذي حديثاً بهذا المعنى وقال حديث صحيح .

(٤) ب : — إلا بمعنى . (٥) أ : — إنه

(٦) أ : لا يمجىءه بل يمجىء ثوابه

(٧) ب فيقول يارب . (٨) أ : فيقول يارب لأن

(٩) أ : وكلام . (١٠) أ : + تأمل

وزعموا أن شيئاً مع الله لا يكون ، هو الآخر كما كان ، فأصلوا بهذا بشراً كثيراً .

وقلنا : أخبرنا الله عن الجنة ودوام أهلها فيها فقال : (لهم فيهم نعيم مقيم) [٢١ / التوبة] فإذا قال جل وجهه : (مقيم) . وقال : (خالدين فيها أبداً) [٥٧ / النساء] وقال : (أكلها دائماً) فإذا قال الله دائماً لا ينقطع أبداً [(١)] وقال (وما هم منها بمخرجين) [٤٨ / الحجر] . وقال : (إن الآخرة هي دار القرار) [٣٩ / عامر] . وقال : (إن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) [٦٤ / المكنوت] وقال : (ما كثرين فيها أبداً) [٣ / الكهف] وقال : (٢) (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) [١٠٧ / آل عمران] ، وقال : (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) [٣٣ / الواقعة] ومثله في القرآن كثير .

وذكر أهل النار فقال : (٣) (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) [٢٦ / فاطر] وقال : (أولئك يئسوا من رحمتي) [٢٣ / العنكبوت] . وقال : (لا ينالهم الله برحمته) [٤٩ / الأعراف] . وقال : (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما كنون) [٧٧ / الزخرف] . وقال : (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيصر) [٢١ / إبراهيم] . وقال : (خالدين فيها أولئك هم شر البرية) [٦ / البينة] . وقال : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) [٥٦ / النساء] .

وقال : (كلما أراد أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) [٢٠ / السجدة] . وقال : (إنها عليهم مؤصدة) [٨ / الهرة] ومثله في القرآن كثير .

وأما (٤) السماء والأرض فقد بادتا (٥) لأن أهلها صاروا إلى الجنة

(١) سقط ما بين القوسين من (ب) (٢) أ : — وقال

(٣) أ : وقال

(٥) أ : زالتا

(٤) أ : فأما

والنار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب لأنه سقف الجنة والله عليه فلا يهلك ولا يبيد .

وأما قوله : (كل شيء هالك إلا وجهه) [٨٨ / القصص] . وذلك أن الله أنزل (كل من عليها فان) [٦٤ / الرحمن] .

قالت الملائكة : هالك أهل الأرض وطعموا في البقاء ، فأُنزل الله آية (١) يخبر عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون (٢) . فقال : (كل شيء) من الحيوان (هالك) يعني ميت (إلا وجهه) أنه حي لا يموت ، فأيقنوا عند ذلك بالموت .

وقلنا للجهمية حين زعموا أن الله في كل مكان لا يخلو منه مكان . فقلنا : أخبرونا عن قول الله (٣) جل ثناؤه : (فلما تجلّى ربه للجبل) [١٣٤ / الأعراف] لم يتجلّى (٤) للجبل إن كان فيه بزعمهم ؟ ، فلو كان فيه كما تزعمون (٥) لم يكن يتجلّى لشيء هو فيه ، ولكن الله جل ثناؤه على العرش وتجلّى لشيء (٦) لم يكن فيه ، ورأى الجبل شيئاً (٧) لم يكن رآه قبل ذلك ؟

وقلنا للجهم : لله (٨) نور ؟ فقال : هو نور كله ، فقلنا : فالله (٩) قال : (وأشرقّت الأرض بنور ربها) [٦٩ / الزمر] . فقد أخبر الله جل ثناؤه أن له نورا . فقلنا : أخبرونا حين زعتم أن الله في كل مكان وهو نور . فلم لا يضيء البيت المظلم من النور الذي هو فيه إن (١٠) زعتم أن الله في كل مكان ؟

(١) أ : أنه . (٢) أ : انكم تموتون .

(٣) أ : قوله (٤) أ : تجلّى .

(٥) أ : بزعمون . (٦) أ : — لهي .

(٧) ب : — شيئاً . (٨) أ : الله .

(٩) أ : فالله .

(١٠) ب : أن .

وما بال السراج إن (١) أدخل البيت يضيء ؟

فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى (٢) .

فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن القول الذى يخالف الكتاب والسنة
وقال بقول العلماء وهو قول المهاجرين والانصار ، وترك دين الجهم (٣)
وشيعته .

هذا (٤) آخره ، والحمد لله (٥) وحده وصلى الله على (٦) سيد محمد وآله وصحبه
وسلم .

* * *

(كتبه لنفسه ، محمد بن محمد بن على بن أحمد المقدسى الحنبلى ثالث من شهر
ذى الحجة الحرام سنه إحدى وعشرين وثمانمائة) .

(٢) أ : — تعالى

(٤) ب : — هذا

(٦) أ : — أشرف الانبياء والمرسلين بها

(١) أ : اذا

(٣) أ : جهم

(٥) أ : رب العالمين

ملحق في الجهمية^(١)

من كتاب مسائل الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه
تأليف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الحافظ
المتوفى سنة ٢٧٥ هـ . الذى كان يتشبه بشيخه
الإمام أحمد فيما ذكره الذهبى فى (العبر ج ٢ ص ٥٥)

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي أيام صنع بشر ما صنع - يعنى المريسى - يقول : من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب ، فإن تاب ، وإلا ضربت عنقه .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد ذكر له رجل أن رجلا قال : إن أسماء الله مخلوقه والقرآن مخلوق .

قال أحمد : كفر بين . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : قلت : لأحمد من قال : القرآن مخلوق أهو كافر ؟ قال : أقول هو كافر .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد قال : حدثنا نوح بن ميمون قال : حدثنا بكير بن معروف ، عن المقاتل بن حيان ، عن الضحاك فى قوله عز وجل : (ما يسكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) [٧ / المجادلة] قال : هو على العرش وعلمه معهم .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد قال : حدثنا شريح

(١) أخذ من كتاب مسائل الإمام أحمد رضى الله عنه الذى نشره وقدم له الشيخ رشيد رضا رحمه الله (مطبعة المنار ، مصر ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٢٦٢ - ٢٧٤) وقد اخترنا لملاحقه بكتاب الرد على الجهمية والزنادقة لأحمد بن حنبل لأن أكثر ما ورد فيه مروي عنه .

ابن النعمان ، قال : حدثنا عبد الله بن نافع قال : قال مالك : الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد ذكر له عن رجل في شيء ، في الرؤية فغضب وقال : من قال : إن الله لا يرى فهو كافر .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد وسأله علي بن عثام بن علي حين ذكر محنة الأسرى عند فداهم ، قال أحمد : يا بون ، يعني يا بون الإجابة ويدفعونه أشد الدفع ، قيل فيقاتلون ؟ قال : لا .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد وقيل له في رجل حدث بحديث عن رجل عن أبي العطف : يعني أن الله لا يرى في الآخرة . فقال : لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم ، ثم قال : أخزى الله هذا .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد ذكر القرآن فقال : سمعت أبا نصر هاشم بن قاسم يقول : ليس بمخلوق .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد يقول : قيل لي ما تقول أراه في شيء مما مضى ؟ قال فقلت : لا يكون من الله شيء مخلوق . قال أبو داود : سمعت أحمد سئل ، هل لهم رخصة أن يقول الرجل كلام الله ثم يسكت ؟ قال : ولم يسكت ؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ، ولكن حيث تكلموا فيها تكلموا لأى شيء لا يتكلمون ؟

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد ذكر رجلين كانا وقفا في القرآن ، ودعيا إليه ، فجعل يدعو عليها وقال في هذا لأحدهما فتنة عظيمة ، وجعل يذكرهما بالمكره . قال أبو داود . رأيت أحمد سلم عليه رجل من أهل بغداد من وقف فيها بلغني فقال : اغرب لا أرينك تجيء إلى بابي - في كلام غليظ - ولم يرد عليه السلام وقال له : ما أحوجك إلى أن يصنع بت ما صنع عمر بصيغ .

قال أبو داود : فهمنى بصبيغ بعض ولد أحمد . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قيل له : كتب إليك فلان - رجل من المحدثين كان قذف بالوقف - كتابا يأتوك به ، قال : ما أحب كتابا مثله إذا كان على ذلك رأى فقيل له : لعل فيه شيء ، فأذن أن يأتوا به .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قيل له : إن فلانا ، يعنى هذا الرجل ، روى عنك أنك أمرته أن يقف ، قال : وأنا لم أثبتة معرفة إلا بعد ، وإنه ربما سألنى الانسان عن الشيء فأقف ، لا أقف إلا كراهية الكلام فيه .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قيل له : ماترى فى الصلاة خلف من يقول فى القرآن : كلام الله ، ويقف ؟ قال : يعجبني أن يجفوا . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد يتكلم فى اللفظية وينكر عليهم كلامهم ، أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال له هارون : يا أبا عبد الله هم جهمية ؟ فجعل يقول هم وهم ولم يصرح بشيء ، ولم ينكر عليه ما قال من قوله : هم جهمية . قال أبو داود : كتبت رقعة وأرسلت بها إلى عبد الله وهو يومئذ متوار ، فأخرج إلى جوابه مكتوبا فيه ، قلت : رجل يقول التلاوة مخلوقة ، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة والقرآن ليس بمخلوق ، ماترى فى بجانبه ؟ وهل يسمى مبتدعا ؟ وعلى ما يكون عقد القلب فى التلاوة والالفاظ ؟ وكيف الجواب فيه ؟ قال : عذا بجانب ، وهو فوق المبتدع وما أراه إلا جهميا ، وهذا كلام الجهمية ، القرآن ليس بمخلوق ، قالت : عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هزأ من الكتاب وأخر متشابهات) [٧ / آل عمران] الآية قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأحدروهم فإنهم هم الذين عنى الله ، فالقرآن ليس بمخلوق .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا الحسن بن الصباح البزاز قال : أخبرنا معبد أبو عبد الرحمن ثقة عن معاوية بن عمار قال : سألت جعفر

ابن محمد عن القرآن فقال : ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله . قال : أبو داود : هو معبد بن راشد الكوفي ، روى عنه موسى بن داود ورويم بن يزيد ، قال أبو داود : وسمعت الحسن بن الصباح قال : قال لي أحمد ابن حنبل كان يفتي بقول ابن أبي ليلى ، يعني معبد ، أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا عباس بن عبد العظيم قال : حدثني عمرو بن هارون قال : سمعت سفیان بن عيينة ومثله عن القرآن فقال : كلام الله وليس بمخلوق .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا محمد بن يونس النسائي وكان ثقة قال : سمعت وهب بن جرير يقول : القرآن ليس بمخلوق . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم قال : سمعت أبا النضر هاشم بن القاسم يقول : القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا عباس العنبري ، وأحمد بن عبدة قالا : سمعنا أبا الوليد يقول : القرآن كلام الله ، وكلام الله ليس بمخلوق .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا عباس العنبري قال : سمعت أبا الوليد يقول : القرآن كلام الله ليس ببائن من الله . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا وهب بن بقية قال : سمعت وكيع بن الجراح يقول : القرآن ليس بمخلوق . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا عباس العنبري قال : سمعت أبا الوليد يقول : من لم يعقد قلبه على أن القرآن ليس بمخلوق فهو خارج من الإسلام .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت إسماعيل بن إبراهيم ابن راهويه وهناد بن السري ، وعبد الأعلى بن حماد وعبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريري ، وحكيم بن سيف الرقي وأيوب بن محمد وسوار بن عبد الله والربيع ابن سليمان صاحب الشافعي وعبد الوهاب بن الحكم ومحمد بن الصباح بن سفیان وعثمان بن أبي شيبة ومحمد بن بكر بن الريان وأحمد بن جواس الحنفي وهب بن

بقية ومن لا أحصيه من علمائنا ، كل هؤلاء سمعهم يقولون : القرآن كلام الله ليس بمخلوق . قال أبو داود : وبعضهم قال : القرآن غير مخلوق .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا حمزة بن سعيد المروزي قال : سألت أبا بكر بن عياش قلت يا أبا بكر ، قد بلغك ما كان من أمر ابن علي في القرآن فما تقول ؟ . فقال : اسمع إلىّ ويلك ، من زعم لك أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو الله لا تجالس ولا تكلمه .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا عميد الله بن عمر ابن ميسرة قال : قال عبد الرحمن بن مهدي : لو كان إلى الأمر لقمتم على الجسر فلا يمرّ في أحد يقول : القرآن مخلوق ، إلا ضربت عنقه وألقيته قال : قال وكيع : يستتاب .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أبو بكر بن خلاد الباهلي قال : سمعت ، وكيعا يقول للريسي : إن سئلت عنه أمرتهم أن يستتيبوه ، فإن تاب ، وإلا أمرتهم أن يسفكوا دمه أو يقتلوه أو يصلبوه .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة قال : حدثنا أبو الوزير محمد بن أعين قال : سمعت النضر بن محمد يقول : من قال في هذه الآية « إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني » : مخلوق ، فهو كافر . فحدثت إلى عبد الله بن المبارك فأخبرته بقول النضر فقال : صدق عافاه الله ما كان ليأمر أن يعبد مخلوقا .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا عباس بن عبد العظيم أن محمد بن يحيى بن سعيد حدثه قال : سمعت معاذ بن معاذ يقول : من قال القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا عباس بن عبد العظيم وأحمد بن منان قال : حدثنا شاذ بن يحيى قال سمعت يزيد بن هارون يقول : من قال القرآن مخلوق فهو والله الذى لا إله إلا هو ، زنديق .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن منان قال : قال لى عمرو بن عثمان بن عاصم : سمعت يزيد بن هارون يقول : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم قال : حدثنا زهير بن نعيم قال : سمعت سلام بن أبي مطيع يقول : الجهمية كفار ولا يصلى عليهم . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت الربيع بن سليمان قال : سمعت أبا يعقوب البويطى يقول : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر . قال أبو داود : سمعت أحمد بن منان قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : الجهمية يستتابون .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سألت أحمد بن عبد الله يونس فقال : لا يصلى خلف من قال : القرآن مخلوق ، هؤلاء كفار . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : وسألت أحمد بن صالح عن قال القرآن مخلوق . فقال : كافر .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن منان قال : سمعت شاذ بن يحيى قال : سمعت رجلاً قال ليزيد بن هارون : يا أبا خالد ما تقول فى الجهمية ؟ قال : يستتابون . فقال له السائل : يا أبا خالد ، وأى شيء الجهمية ؟ فأطرق يزيد ثم رفع رأسه فقال : من توهم الرحمن على العرش استوى خلاف ما فى قلوب العباد فهو جهى .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن هاشم الرملى قال : حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال : ترك جهم الصلاة أربعين يوماً وكان فيمن خرج مع الحارث بن سريج .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا يحيى بن شبيل قال : كنت جالسا مع مقاتل بن سليمان وعباد بن كثير إذ جاء شاب فقال : ما تقول في قوله : (كل شيء هالك إلا وجهه) [القصص / ٨٨] فقال مقاتل : هذا جهمي . ثم قال : ويحك إن جهم^(١) والله ما حج هذا البيت ولا جالس العلماء ، إنما كان رجلا (٢) أعطى لسانا) .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله قال : حدثني أبي قال : قال إبراهيم بن طهمان : حدثنا من لا يتهم غير واحد أن جهما رجعا عن قوله ، ونزع عنه ، وتاب إلى الله ، ما ذكرته ولا ذكر عندي إلا دعوت الله عليه ، ما أعظم ما أورث أهل القبلة من منطقة العظيم .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا الحسن بن الصباح قال : حدثنا علي بن الحسن بن شقيق عن بن المبارك قال : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا إبراهيم بن الحارث الانصاري قال : حدثنا إبراهيم بن عمر الكوفي قال : سمعت عبد الحميد الحماني يقول : جهم كافر بالله . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : وحدثنا عبد الوهاب ابن عبد الحكم قال : سمعت شعيبا أبا صالح قال : وحدثنا أبو داود قال : وحدثنا أحمد بن إبراهيم قال : حدثني الثقة قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : بشر المريسي ، وأبو بكر بن الأصم كافرين حلالين (٣) الدم .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : وسمعت قتبية بن سعيد يقول : لبشر المريسي ، كافر ، أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود . قال : حدثنا

(١) كذا في الأصل وصوابه : جهم

(٢) كذا في الأصل وصوابه : رجلا .

(٣) كذا في الأصل .

إسحاق بن الصباح قال : سمعت الحسن بن علي يقول : سمعت يزيد بن هارون يقول : بشر المريسى كافر بالله . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو دواد قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم قال : محمد بن عمر الكلابى قال : سمعت وكيعا يقول : كفر المريسى .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم قال : سمعت أبا النضر هاشم يقول : (كان أبو بشر المريسى يهودى قصار صباغ ^(١)) فى سويقة نصر بن مالك) . أخبرنا أبو بكر : حدثنا أبو داود قال : وسمعت إسحاق بن إبراهيم بن راهويه يقول : من قال : لا أقول القرآن مخلوق ، ولا غير مخلوق فهو جهمى .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت قتبية بن سعيد قيل له : الواقعة ، فقال : هؤلاء يعنى الواقعة - شر ، يعنى ، من قال : (القرآن مخلوق) .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت عثمان بن أبى شبة يقول : « هؤلاء الذين يقولون كلام الله ويسكتون ، شر من هؤلاء من قال القرآن مخلوق . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد بن صالح المصرى عن يقول : القرآن كلام الله ولا يقول مخلوق ولا غير مخلوق قال : هذا شاك . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت عبد الله بن محمد أبو محمد الضعيف قال : « قعد الخوارج هم أخبث الخوارج ، وقعد الجهمية هم الأوفقة ، ^(١) . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد بن إبراهيم يقول : سمعت محمد بن مقاتل العبادانى ، وكان من خيار المسلمين يقول فى الواقعة : « هم عندى شر من الجهمية » . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود

(١) كذا فى الأصل

(٢) كذا فى الأصل : أى الواقعة .

قال : سمعت أحمد بن صالح ذكر اللفظية فقال « هؤلاء أصحاب بدعة ويدخل عليهم أكثر من البدعة » . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت إسماعيل بن إبراهيم سئل عن اللفظية فبدعهم .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي أن أحمد بن محمد بن حنبل قال له : إن اللفظية إنما يدورون على كلام جهنم يزعمون أن جبريل إنما جاء بشيء مخلوق — يعنى جبريل مخلوق — جاء به إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم قال : سألت أحمد بن حنبل قلت : هؤلاء الذين يقولون : إن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ؟ قال « هم شر من قول الجهمية ، من زعم هذا ، فقد زعم أن جبريل جاء بمخلوق وأن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بمخلوق .

باب في القدرة والإيمان

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال له رجل : « تلجئني القدرة إلى أن أقول : الزنا بقدر ، والسرة بقدر ، قال : « الخير والشر من الله . » . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : « سمعت أحمد سئل عن القدرى يجادل ؟ قال : ما يعجبني ، قال لا يدعى ، قال ذلك أخرى أن لا تكلمه إذا كان صاحب جدال . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد يقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، الصلاة والزكاة والحج والبر كله من الإيمان ، والمعاصي تنقص الإيمان . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : وسمعت أحمد وذكر ابن عيينة فقال : سمعته يقول : الإيمان يزيد . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد يقول : سمعت سفيان يقول : لا يعنف من قال : الإيمان ينقص .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال : بلغني أن مالك ابن أنس وابن جريج وفصيل بن عياض قالوا : الإيمان قول وعمل . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد يقول : إذا قال الرجل : لا أصلي فهو كافر . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال حسن يعني ابن سعيد . يعني الزيادة والنقصان ورآه . يعني قوله : الإيمان يزيد وينقص . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال : سمعت وكيعا يقول : كذا كان سفيان يقول . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد قال : حدثنا إبراهيم بن شماس قال : سمعت جرير بن عبد الحميد يقول : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا إبراهيم بن شماس قال : سألت بقة بن الوليد وابن عياض فقالا : الإيمان قول وعمل .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن حنبل قال : حدثنا شريح بن النعمان قال : حدثنا عبد الله بن نافع قال : كان مالك يقول : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد قال : حدثنا إبراهيم بن شماس قال : سألت أبا اسحاق الفزاري فقلت : الإيمان قول وعمل ؟ قال : نعم . قال أبو داود قال : وسمعت ابن المبارك يقول : الإيمان قول وعمل .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال : قال يحيى - يعني القطان - الإيمان قول وعمل . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : وسمعت أحمد قال له رجل : قيل لي : أمؤمن أنت ؟ فقلت : نعم . هل عليّ في ذلك شيء ؟ هل الناس إلا مؤمن وكافر ؟ فغضب أحمد وقال : هذا كلام الإرجاء قال الله عز وجل : (وآخرون مرجون لأمر الله) [التوبة / ١٠] من هؤلاء ؟ ثم قال أحمد : أليس الإيمان قول وعمل^(١) ؟ فقال الرجل : بلى . قال : فجئنا

(١) كذا في الأصل .

بالقول ؟ قال : نعم . قال : فجتنا بالعمل ؟ قال : لا . قال فكيف تعيب أن تقول
إن شاء الله وتستثنى ؟ قال أبو داود : فأخبرني أحمد بن شريح أن أحمد بن حنبل
كتب إليه في هذه المسئلة : إن الإيمان قول وعمل ، فجتنا بالقول ، ولم نجبه
بالعمل ، فنحن مستثنون في العمل . أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال :
وسمعت أحمد قال له هذا الرجل : أعلّ في هذا شيء إن قلت : أنا مؤمن ؟ فقال
أحمد : لا تقل أنا مؤمن حقاً ، ولا ألبته ، ولا عند الله .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال : سمعت سفيان
يقول : إذا سئل : مؤمن إن شاء الله ؟ لم يجبه . وسؤالك لىأى بدعة ، ولا أشك
فى إيمانى ، وقال إن شاء الله ، ليس يكره وليس بداخل فى الشك . أخبرنا
أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : سمعت أحمد قال : سمعت يحيى بن سعيد
القطان ، يقول : ما أدركت أحداً من أصحابنا ، ولا بلغنى إلا قال على الاستثناء .
أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال أحمد : وكان يحيى يقول : الإيمان
قول وعمل . قال يحيى : وكان سفيان ينكر أن يقول أنا مؤمن .

أخبرنا أبو بكر قال : حدثنا أبو داود قال : وسمعت أحمد قال : حدثنا وكيع
قال : قال سفيان : الناس عندنا مؤمنون فى الأحكام والمواريث ، نرجو أن
نكون كذلك ، ولا ندرى ما حالنا عند الله .

خلق أفعال العباد

للإمام البخاري (٥٠٦هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب ما ذكر أهل العلم للمعطلة الذين يريدون

أن يبدلوا كلام الله عز وجل

(الجزء الأول)

حدثني الحكم بن محمد الطبري - كتبت عنه بمكة - قال :

حدثنا سفيان بن عيينة (١) قال : أدركت مشائخنا (٢) منذ سبعين سنة ، منهم ،

عمرو بن دينار (٣) ، يقولون : القرآن كلام الله وليس بمخلوق .

وقال أحمد بن الحسن : نا أبو نعيم (٤) ، حدثنا سليمان القاريء قال : سمعت

سفيان الثوري (٥) يقول : قال لي حماد بن أبي سليمان (٦) ، أبلغ أبا فلان

(١) أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي حافظ ، نزل بمكة سمع الزهري وغيره قال

أحمد بن حنبل : ما رأيت أحدا أعلم بالسنن من ابن عيينة وهو أيضا من كبار المفسرين قال

ابن وهب : لأعلم أحد أعلم بالتفسير من ابن عيينة توفي سنة ١٩٨ هـ (الذهبي ، العبر ج ١

ص ٣٢٦)

(٢) في نسخة : مشائخنا .

(٣) عمرو بن دينار أبو محمد الجعفي عالم أهل مكة سمع ابن عباس وجابرا وغيرهما وهو

حدث وفقه . توفي سنة ١٢٦ هـ (الذهبي ، العبر ج ١ ص ١٦٣) .

(٤) أبو نعيم الفضل بن دكين الملائى الحافظ ، حدث الكوفي روى عن الأعمش توفي

سنة ٢١٩ هـ (الذهبي ، العبر ج ١ ص ٣٧٧)

(٥) أبو عبد الله سفيان سعيد الثوري فقيه الكوفة وهو أمير المؤمنين في الحديث قال

فيه أحمد بن حنبل : لا يتقدم سفيان في قلبي أحد . وكان يعارض المنصور وينكر عليه ظلمه توفي

سنة ١٦١ هـ (الذهبي ، العبر ج ١ ص ٢٥٣)

(٦) حماد بن أبي سليمان مولد لإبراهيم بن أبي موسى الأشعري توفي سنة ١٢٠ هـ

(طبقات خليفة بن خياط ص ١٦٢) .

المشرك أنى برىء من دينه . وكان يقول القرآن مخلوق .

حدثنا قتيبة (١) ، حدثني القاسم بن محمد ، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب عن أبيه عن جده قال - شهدت خالد بن عبد الله القسرى (٢) بواسط في يوم لاضحى وقال ارجعوا فضحوا تقبل الله منكم فإنى مضح بالجعد بن درهم (٣) زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، تعالى الله علواً كبيراً عما يقول ابن درهم ، ثم نزل فذبحه .

قال أبو عبد الله : قال قتيبة : بلغنى أن جها كان يأخذ الكلام من الجعد ابن درهم .

حدثنا محمد عبد الله جعفر البغدادي قال : سمعت أبا زكريا يحيى بن يوسف الزمى قال : كنا عند عبد الله بن إدريس (٤) فجاءه رجل فقال : يا أبا (٥) محمد ، ما تقول فى قوم يقولون : القرآن مخلوق ؟ فقال : أمن اليهود ؟ قال : لا . قال : فمن النصارى قال : لا . قال : فمن المجوس ؟ . قال : لا . قال فمن ؟ : قال : من أهل التوحيد . قال : ليس هؤلاء من أهل التوحيد ، هؤلاء الزنادقة . من زعم (٦) أن

(١) أبو رجاء قتيبة بن سعيد حدث خراسان سمع ما أسكاوا الليث توفى سنة ٢٤١ هـ (الذهبي ، العبر ، ج١ ٤٣٣)

(٢) فى الأصل القسرى . وهو والى هشام بن عبد الملك على العراق توفى سنة ١٢٦ هـ .

(٣) هو مؤدب بن محمد الجعدي آخر ملوك بنى مروان وهو أول من قال ببعدة خلق القرآن .

(٤) أبو محمد عبد الله إدريس الأزهرى الحافظ الكوفى قال فيه أحمد بن حنبل : كان نسيج وحده . توفى سنة ١٩٢ هـ .

(٥) فى الأصل : يا أبا (٦) فى الأصل : زعم .

القرآن مخلوق ، فقد زعم أن الله مخلوق ، يقول الله : (بسم الرحمن الرحيم) فأن الله لا يكون مخلوقا ، والرحمن لا يكون مخلوقا ، والرحيم لا يكون مخلوقا ، وهذا أصل الزنادقة (١) . من قال هذا فعليه لعنة الله ، لا تجالسوهم ولا تناكحوهم . وقال وهب بن جرير (٢) والجهمية الزنادقة ، إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى ، وحلف يزيد بن هارون (٣) بالله الذي لا إله إلا هو ، من قال إن القرآن مخلوق فهو زنديق ويستتاب فإن تاب وإلا قتل .

وقيل لأبي بكر بن عياش (٤) . إن قوما ببغداد يقولون : إنه مخلوق ، فقال : ويلك من قال هذا على من قال القرآن مخلوق لعنه (٥) الله وهو كافر زنديق ولا تجالسوهم .

وقال الثوري (٦) . من قال القرآن مخلوق فهو كافر - وقال حماد بن زيد : القرآن كلام الله نزل به جبرئيل ما يجادلون إلا أنه ليس في السماء إله (٧) . وقال ابن مقاتل : سمعت ابن المبارك (٨) يقول : من قال : إني أنا الله لا إله إلا أنا . مخلوق ، فهو كافر . لا ينبغي للمخلوق أن يقول ذلك . وقال أيضا :

(١) في نسخة : الزنادقة (٢) أبو العباس توفي سنة ٢٠٦ هـ

(٣) أبو خالد توفي سنة ٢٠٦ هـ

(٤) الإمام أبو بكر بن عياش الأسدي الكوفي مقرر وعحدث توفي سنة ١٩٣ هـ (البر

ج ١ ص ٣١١) .

(٥) في الأصل : لعنة .

(٦) لعله يقصد محمد بن الصلت الثوري الحافظ البصري المتوفى سنة ٢٢٨ هـ . وهناك عمار بن محمد النوري الكوفي ابن أخت سفيان ولكنه توفي سنة ٢٨٢ هـ متأخرا عن البخاري ولا يقصد سفيان الثوري لأنه سبق أن نقل عمله وسماء بأسمه لابلقيه .

(٧) أبو اسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدي وهو ثقة عند المحدثين توفي سنة

١٧٩ هـ .

(٨) الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي قال أحمد بن حنبل : لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه توفي سنة ٢٨١ هـ (الذهبي ، ج ١ ص ٢٨٠)

فلا أقول يقول الجهم أن له قولا يضارع قول الشرك أحيانا
ولا أقول تخلى من بريته رب العباد وولى الامر شيطانا
ما قال فرعون هذا فى تجبره فرعون موسى ولا فرعون ها مانا
وقال ابن المبارك : لانقول كما قالت الجهمية لانه فى الارض هاهنا بل على
العرش استوى وقيل له : كيف تعرف ربنا ! قال : فوق سماواته على
عرشه . وقال لرجل منهم : أتظنك خال (١) منه ؟ فبهت الآخر وقال : من قال :
لا إله إلا هو ، مخلوق ، فهو كافر ، ولنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع
أن نحكي كلام الجهمية .

وقال معاوية بن عمار (٢) سمعت جعفر بن محمد يقول : القرآن كلام الله
وليس بمخلوق .

وقال سعيد بن عامر : الجهمية أشرف قولا من اليهود والنصارى ، قد اجتمعت
اليهود والنصارى وأهل الاديان أن الله تبارك وتعالى على العرش ، وقالوا هم :
ليس على العرش شيء .

وقال ضمرة (٣) عن ابن شاذب (٤) : ترك الجهم الصلاة أربعين يوما على
وجه الشك فخاصمه بعض السمنية ، فشك فأقام أربعين يوما لا يصلى . قال ضمرة
وقد رآه ابن شاذب .

وقال عبد العزيز بن أبى سلة (٥) إن كلام جهم صفة بلامعنى ، وبناء بلا
أساس ولم يعد قط من أهل العلم .

(١) كذا فى اصل وامله خاليا . مفعول ثان لظن ؟

(٢) لعله : معاوية بن عمرو لانه أدركه البخارى توفى سنة ٢١٤ هـ

(٣) ضمرة بن ربيعة الفلستى روى عن الاوزاعى . توفى سنة ٢٠٢ هـ

(٤) عبد الله بن شاذب البلخى ثم البصرى ثم نزيل بيت المقدس روى عن الحسن البصرى
وطبقته توفى سنة ١٥٦ هـ ويشير هذا النص إلى أنه رأى جهم بن صفوان .

(٥) لعله عبد العزيز بن أبى سليمان الذى رأى أباه سعيد الخدرى ، والمتوفى سنة ١٦٢ هـ =

— ولقد سئل جهم عن رجل طلق أمراة قبل أن يدخل بها فقال :عليها العدة .
فخالف كتاب الله بحمله . وقال الله سبحانه : (فالسكنم عليهن من عدة تعتدونها)
[٤٩ / الأحزاب] .

وقال علي (١) : إن الذين قالوا إن الله ولدا أ كفر من الذين قالوا إن الله لا يتكلم .

وقال : احذر من المريسي (٢) وأصحابه فإن كلامهم يستجلب الزندقة ،
وأنا كنت أستاذهم جهما فلم يثبت لي أن في السماء لها .

وكان إسماعيل بن أبي أويس (٣) يسميهم زنادقة العراق وقيل له : سمعت
أحدا يقول : القرآن مخلوق . فقال : هؤلاء الزنادقة والله ، لقد فرت إلى اليمن حين
سمعت العباسي يكلم بهذا ببغداد فرارا من هذا الكلام .

— وقال علي بن الحسن (٤) . سمعت ابن مصعب يقول : كفرت الجهمية في غير
موضع من كتاب الله ، قولهم : إن الجنة تفتى . وقال : الله (إن هذا لرزقنا ماله
من نفاد) [٥٤ / ص] فمن قال : إنها تنفذ (٥) فقد كفر . وقال : (أكلها دائم
وظلها) [٣٥ / الرعد] فمن قال : إنها لا تدوم فقد كفر . وقال : (لا مقطوعة

= أو هو عبد العزيز بن أبي حازم سلمة بن دينار المتوفى سنة ١٨٤ هـ وهو الأقرب

(١) لا يقصد به علي بن أبي طالب وإنما هو أحد المحدثين وهم كثير ممن يسمون ببلى .

(٢) بشر المريسي نسبة إلى مريس قرية بمصر وهو فقيه متكلم داع إلى القول بخلق القرآن روى عن حماد بن سلمة وحكم طائفة من العلماء بكفره . توفي سنة ٢١٨ هـ .

(٣) كذا في الأصل ، وهو : إسماعيل بن أويس أبو عبد الله الحافظ المدني سمع من مالك وتوفى في سنة ١٢٦ هـ .

(٤) علي بن الحسن بن سفيان حدث مرو ، كان يجادل اليهود ، وكتب التوراة والإنجيل .

توفى سنة ٢١٥ هـ .

(٥) في الأصل : تنفذ .

ولا ممنوعة) [٢٣/ الواقعة] فمن قال إنها تنقطع فقد كفر . وقال : (عطاء غير مجذوذ) [١٠٨/ هود] فمن قال : إنها تنقطع فقد كفر . وقال : أبلغوا الجهمية أنهم كفار وأن نساءهم طوالق .

وقال ابن المبارك عن معمر ^(١) عن قتاده ^(٢) (وكلية ألقاها إلى مريم) [١٧١/ النساء] قال : هو قوله : كن فكان .

وقال ابن معدان : سألت الثوري (وهو معكم أينما كنتم) [٤/ الحديد] قال : عليه .

وقال أبو الوليد : سمعت يحيى بن سعيد يقول ، وذكر له أن قوما يقولون ، القرآن مخلوق ، فقال : كيف تصنعون بـ : (قل هو الله أحد) [١/ الإخلاص] كيف تصنعون بقوله : (إني أنا الله لا إله إلا أنا) [١٤/ طه] .

وقال عفان : من قال : (قل هو الله أحد) مخلوق فهو كافر .

وقال علي بن عبد الله : (القرآن كلام الله) من قال : إنه مخلوق فهو كافر لا يصلى خلفه .

قال ركيع : من كذب بحديث إسماعيل عن قيس عن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤية فهو جهمي فاحذروه .

(١) معمر بن راشد الأزدي الحافظ البصري صاحب الزهري وسمع قتادة وهو من أقدم شيوخه . توفي سنة ١٥٣ هـ .

(٢) قتادة بن دهماء السدوسي أبو الخطاب الحافظ البصري روى عن معمر عنه قال أحمد بن حنبل : قل من يتقدم قتادة كان عالما بالتفسير توفي سنة ١١٧ هـ وقيل ١١٨ هـ (الذهبي ، العبر ج ١ ص ١٤٦) .

(٣) يحيى بن سعيد التيمي الكوفي ثقة في الحديث روى عن الشعبي توفي سنة ١٤٤ هـ

(٤) وكيع بن الجراح الرضائي أبو سفيان قال أحمد : ما رأيت أوعى ، ولا أخفظ من وكيع توفي سنة ١٩٧ هـ .

وقال أبو الوليد : من قال القرآن مخلوق فهو كافر ومن لم يعقد قلبه على أن القرآن ليس بمخلوق فهو خارج من الاسلام .

قال أبو عبد الله : نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت أضل في كفرهم منهم . وإنى لاستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم .

وقال عبد الرحمن بن عفان . سمعت سفيان بن عيينة التي ضرب فيها المريسى فقام ابن عيينة من مجلسه مخضباً فقال : ويحكم القرآن كلام الله ، قد صحبت الناس وأدركتهم ، هذا عمرو بن دينار ، وهذا ابن المنكدر (١) حتى ذكر منصوراً (٢) ، والأعشى (٣) ، ومسرعة بن كدام (٤) ، فقال ابن عيينة : قد تكلموا في الاعتزال والرفض والقدر وأمرؤا باجتناب القوم ، فما نعرف القرآن إلا كلام الله ، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله ، ما أشبه هذا القول بقول النصارى ، ولا تجالسوهم ولا تسمعوا كلامهم .

وقال عبد الله بن محمد : سمعت ابن عيينة وذكر المريسى فقال : ما تقول الدويبة ما تقول الدويبة ؟ استهزاء به . قال : وسمعت محمد بن عبيد (٥) يقول : جاء ذاك الخبيث فسألني عن حديث ولو عرفته ما حدثته .

وقال الحميدى : (٦) حدثنا حصين عن مسلم بن صبيح عن شتير بن شكل

(١) محمد بن المنكدر التميمي المدني الحافظ سمع من عائشة وأبي هريرة توفي سنة ١٣٠

وقيل ١٣١ هـ

(٢) في الأصل : منصور .

(٣) الامام أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي توفي سنة ١٤٨ هـ حدث الكوفة .

(٤) أبو سلمة الهلال الحافظ أخذ عن قتاه وآخرين توفي سنة ١٥٥ هـ .

(٥) محمد بن عبيد الطنافسي الكوفي الحافظ توفي سنة ٢٠٥ هـ .

(٦) أبو بكر عبد الله بن الزبير الفرشي الحميدى قال الامام أحمد بن حنبل : الحميدى

لما . توفي سنة ٢١٩ هـ

عن عبد الله رضى الله عنه قال : ما خلق الله من أرض ولا سماء ، ولا الجنة ولا نار أعظم من (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) [٢٥٥ / البقرة] قال سفيان فى تفسيره : إن كل شىء مخلوق ، والقرآن ليس بمخلوق ، وكلامه أعظم من خلقه ، لأنه يقول للشىء كن فيكون ، فلا يكون شىء أعظم مما يكون به الخلق والقرآن كلام الله .

وقال زهير السخيتانى : سمعت سلام بن أبى مطيع (١) يقول : الجهمية كفار . وقال : عبد الحميد : جهم كافر بالله العظيم .

وقال وكيع : أحدثوا (٢) هؤلاء المرجئية الجهمية والجهمية (٣) كفار ، والمريسي جهمي ، وعلمتم كيف كفروا . قالوا : يكفيك المعرفة ، وهذا كفر . والمرجئية يقولون الإيمان قول بلا فعل . وهذا بدعة فمن قال : القرآن مخلوق فهو كافر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم يستتاب وإلا ضربت عنقه . وقال وكيع : على المريسي : لعنة الله ، يهودى هو أو نصرانى . قال له رجل : كان أبوه أو جده يهوديا أو نصرانيا . قال وكيع : عليه وعلى أصحابه لعنة الله ، القرآن كلام الله . وضرب وكيع لإحدى يديه على الأخرى ، وقال : سىء ببغداد يقال له المريسي يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، وقال يزيد بن هارون : لقد حرّضت أهل بغداد على قتله جهدى ولقد أخبرت من كلامه بشىء مرة وجدت وجهه فى صلبى بعد ثلاث .

قال على بن عبد الله : إنما كان غايته أن تدخل الناس فى كفره .

وقال عبيد الله بن عائشة : لا تصل خلف من قال القرآن مخلوق ولا كرامة له ، فإن صلى وكبر كيما يحتاط لنفسه فذاك ، ويحتمبه أحب إلى ، ولأنهم يقولون شىء لا شىء ، يقولون الله لا شىء .

(١) أبو سعيد البصرى قال أحمد بن حنبل : ثقة صاحب سنة . توفى سنة ١٧٣ هـ

(٢) كذا بالاصل : وأعله : أحدث .

(٣) فى الاصل : الجهميته .

وقال سليمان بن داود الهاشمي (١) ، ومهل بن مزاحم : من صلى خلف من يقول :
القرآن مخلوق أعاد الصلاة .

وقال بن الأسود : سمعت ابن مهدي (٢) يقول ليحيى بن سعيد : لو أن
جهنميا بيني وبينه قرابة ما استحللت من ميراثه شيئا ، وقال : ابن مهدي : ولو رأيت
رجلا على الجسر ويبدى سيف يقول القرآن مخلوق لضربت عنقه ، وقال يزيد بن
هارون : المريسي أخبر من أثنائي .

قال أبو عبد الله : ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف
اليهود والنصارى ، ولا يسلم عليهم ولا يعادون ولا ينابون ولا يشهدون ولا
يؤكل ذبائحهم .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : هما ملتان : الجهمية ، والرافضية ، وقيل لأبي
عبيد : (٣) إن المريسي سئل عن ابتداء خلق الأشياء عن قول الله عز وجل (إنما
قولنا لنبيه إذا أردنا أن نقول له كن فيكون) [٤٠ / النحل] فقال : كله كلام صلة .
فغنى قوله : إن يقول صلة ، كقوله : قالت السماء فأمطرت ، وكقوله : قال الجدار فقال ،
قال : قال الله تعالى (جدارا يريد أن ينقض فأقامه) [٧٧ / الكهف] والجدار
لا لإرادة له ، فغنى قوله : إذا أردناه كونه (٤) فكان ، لم يكن عند المريسي جواب
أكثر من هذا . يعني أن الله تعالى لا يتكلم .

(١) أبو أيوب سليمان بن داود بن علي الهاشمي . سمع من إسماعيل بن جعفر ، روى
أن الإمام أحمد أنى عليه ورثته للخلافة توفي سنة ٢١٩ هـ .

(٢) أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي البصري أحد أركان الحديث بالعراق توفي سنة
١٩٨ هـ .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي قال الإمام أحمد : أبو عبيدة أستاذ . توفي
سنة ٢٢٤ هـ .

(٤) في الاصل : كونه .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : أما تشبيه قول الله : (إذا أردناه) بقوله : قالت السماء فأمطرت وقال الجدار فقال ، فإنه لا يشبه ، وهذه أغلوطة أدخلها ، لأنك إذا قلت قالت السماء ، ثم تسكت لم يدر مامعنى قالت حتى يقول فأمطرت ، وكذلك إذا قلت : أراد الجدار ثم لم يبين مامعنى أراد لم يدر مامعناه ، وإذا قلت : قال الله ، اكتفيت بقوله : قال . فقال ، مكتف لا يحتاج إلى شيء يستدل به على قال ، كما احتجت إذا قال الجدار فقال ، وإلا لم يكن لقال الجدار معنى ، ومن قال هذا فليس شيء من الكفر إلا وهو دونه ، ومن قال هذا فقد قال على الله ما لم يقله اليهود والنصارى ، ومذهبه التعطيل للخالق .

وقال علي : سمعت بشر بن المفضل (١) وذكر ابن خلوبة بالبصرة جهمي فقال : بشر هو كافر وسئل وكيع عن مثني الانماطي فقال : كافر ، وقال عبد الله ابن داود : لو كان علي المثني الانماطي سبيل لزعزعت لسانه من قفاه ، وكان جهميا .

وقال سليمان بن داود الهاشمي : من قال القرآن مخلوق فهو كافر وإن كان القرآن مخلوقا كما زعموا ، فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار إذ قال : (أنا ربكم الأعلى) [٢٤ / النازعات] وزعموا أن هذا مخلوق ، والذي قال : (لئن أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني) هذا أيضا قد ادعى ما ادعى فرعون ، فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار من هذا وكلامها عنده مخلوق . فأخبر بذلك أبو عبيد فاستحسنه وأعجبه .

وقال أحمد بن محمد : قد تبين لي أن القوم كفار .

وقال الفضيل بن عياض (٢) : إذا قال لك جهمي : أنا أكفر برب يزول

(١) أحد حفاظ البصرة توفي سنة ١٨٧ هـ .

(٢) شيخ الحجاز أبو علي الفضيل بن عياض المروزي توفي سنة ٢٨٧ هـ وقد نسب

إليه ذلك يزيد بن هارون المتوفى سنة ٢٠٦ هـ .

عن مكانه . فقل أنا أو من برب يفعل ما يشاء . وقال ابن عيينة : رأيت ابن إدريس قائما عند كتاب ، قلت : ما تفعل يا أبا محمد ههنا ، قال : أسمع كلام ربى من فى هذا الغلام .

وحذريز يد بن هارون عن الجهمية وقال : من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر فى قلوب العامة فهو جهمى ، ومحمد الشيبانى (١) جهمى .

وقال ضمرة بن ربيعة عن صدقة ، سمعت سليمان التيمى يقول : (لو سألت (٢) أين الله ؟ لقلت فى السماء ، فإن قال فأين كان عرشه قبل السماء ؟ لقلت على الماء . فإن قال : فأين كان عرشه قبل الماء ؟ لقلت : لا أعلم قال أبو عبد الله وذلك لقوله تعالى : (ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء) [٢٥٥ / البقرة] . يعنى إلا بما بين .

وقال ابن عيينة ومعاذ بن معاذ (٣) والحجاج بن محمد (٤) ويزيد بن هارون وهاشم بن القاسم (٥) ، والربيع بن نافع الحلبي (٦) ، ومحمد بن يوسف (٧) ، عاصم

(١) أبو عبد الله محمد بن الحسن الفيثاني قاضى القضاة السكونى سمع أبا حنيفة ومالكا ابن مفول وهذا النص يشير إلى أنه من الجهمية . توفى سنة ١٨٩ هـ .

(٢) كذا فى الاصل ، ولعله : سئلت .

(٣) معاذ بن معاذ أبو المثنى العنبرى قاضى البصرة قال أحمد : كان ثعا وما رأيت أعقل منه توفى سنة ١٩٦ هـ .

(٤) الحجاج ابن محمد المصيصى صاحب ابن جريج أحد الحفاظ قال أحمد : ما كان أصح حديثه وأضبطه وأشد تماهده للحروف توفى سنة ٢٠٦ هـ .

(٥) أبو النضر هاشم بن القاسم الخراسانى توفى سنة ٢٠٧ هـ وكان حافظا شديدا التمسك بالحق والانكار على من خالفه .

(٦) ابوبة الحلبي الحفاظ روى مسلم عن رجل عنه وكذلك البخارى ، توفى سنة ٢١٤ هـ .

(٧) أبو عبد الله محمد بن يوسف الحفاظ القريانى ادركه البخارى واخذ عن الازاعمى والثورى ورحل إليه الامام أحمد ولكنه لم يدركه إذ بلغه موته وهو فى طريقه إليه توفى سنة

ابن علي بن عاصم ، ويحيى بن يحيى ، وأهل العلم : من قال القرآن مخلوق فهو كافر .

وقال محمد بن يوسف : من قال : إن الله ليس على عرشه فهو كافر ، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر .

وقيل لمحمد بن يوسف : أدركت الناس ، فهل سمعت أحدا يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : الشيطان يكلم بهذا من يكلم بهذا فهو جهمي ، والجهمي كافر .

وحدثني أبو جعفر محمد عبد الله ثني محمد بن قدامة السلال الأنصاري قال : سمعت وكيعا يقول : لا تستخفوا بقولهم : القرآن مخلوق فإنه من شر قولهم وإنما يذهبون إلى التعطيل .

وحدثني أبو جعفر قال : سمعت الحسن بن موسى الأشيب (١) وذكر الجهمية فقال : منهم ، ثم قال : أدخل رأس من رؤساء الزنادقة يقال له شمله على المهدى (٢) فقال : دلني على أصحابك فقال : أصحابي أكثر من ذلك . فقال : دلني عليهم ، فقال : صنفان من ينتحل القبلة والقدرية : الجهمي إذا غلا ، قال : ليس ثم شيء وأشار الأشيب إلى السماء ، والقدرى إذا غلا . قال : هما اثنان خالق خير وخالق شر ، فضرب عنقه وصلبه .

وحدثني أبو جعفر ، حدثني يحيى بن أيوب (٣) قال : سمعت أبا نعيم البلخي قال : كان رجل من أهل مرو صديقا للجهم ثم قطعه وجفاه . فقيل له : لم جفوته ؟

(١) أبو علي البغدادي تولى قضاء الموصل ثم طبرستان كان ثقة توفي سنة ٢٠٩ هـ

(٢) أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر عبد الله بن محمد اشتهر بتبعه للزنادقة وقتلهم

والفسريد بهم وكان حسن الأخلاق مات سنة ١٦٩ هـ

(٣) يحيى بن أيوب المقاتري أبو زكريا البغدادي أحد أئمة الحديث والسنة توفي سنة

فقال : جاء منه ما لا يحتمل ، قرأت يوما آية كذا ، وكذا نسيها يحيى ، فقال : ما كان أظرف محمدا فاحتملتها اثم قرأ سورة طه فلما قال : (الرحمن على العرش استوى) قال : أما والله لو وجدت سبيلا إلى حكمها لحكمتها من المصحف فاحتملتها . ثم قرأ سورة القصص فلما انتهى إلى ذكر موسى قال : ما هذا ؟ ذكر قصة في موضع فلم يتمها ، ثم ذكر ههنا فلم يتمها ، ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه ، فوثبت عليه .

وحدثني أبو جعفر قال : سمعت يحيى بن أيوب قال : كنا ذات يوم عند مروان بن معاوية الفزاري (١) فسأله رجل عن حديث الرؤية فلم يحدثه به فقال له : إن لم تحدثني به فأنت جهمى . فقال مروان : أتقول لى جهمى ، وجهم مكث أربعين يوما لا يعرف ربه ؟

حدثني أبو جعفر ، حدثني هارون بن معروف (٢) ويحيى بن أيوب قالوا : قال ابن المبارك : كل قوم يعرفون ما يعبدون إلا الجهمية .

حدثني أبو جعفر قال : سمعت يزيد بن هارون . وحدثنا حديث اسماعيل عن قيس عن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم : إنكم راؤون ربكم . فقال يزيد : من كذب بهذا فهو برىء من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وحدثني أبو جعفر قال : ثنا أحمد بن خالد خلال قال سمعت يزيد بن هارون وذكر أبا بكر الأصم ، والمريسي فقال : هما والله زنديقان كافران بالرحن حلال الدم .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : من زعم أن الله لم يكلم موسى فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

(١) أبو عبد الله مروان بن معاوية الفزاري السكوني الحافظ : قال أحمد بن حنبل ثبت حافظ ، وقال ابن المديني ثقة (الذهبي ، المعرج ١ ص ٣٣١) وتوفي سنة ١٩٣ هـ .

(٢) هارون بن معروف الضرير وثقة الذهبي ويكنى بأبي علي توفي سنة ٢٣٩ هـ .

وقال مالك بن أنس (١) : القرآن كلام الله . وقال يزيد بن هارون :
والذى لا إله إلا هو ما هم إلا زنادقة ، وقال : مشركون .

وسئل عبد الله بن إدريس عن الصلاة خلف أهل البدع فقال : لم يزل في
الناس إذا كان فيهم مرضى أو عدل فصل خلفه . قلت : فالجهمية ؟ قال : لا ، هذه
من المقاتل ، هؤلاء لا يصلى خلفهم ولا ينا كحون وعليهم التوبة .

وسئل حفص بن غياث (٢) فقال فيهم ما قال ابن إدريس في قتل الجهمية ، وقال :
لا أعرفه . قيل له : قوم يقولون : القرآن مخلوق . قال : لاجزاك الله خيرا أو ردت
على قلبي شيئا لم يسمع به قط . فقلت : إنهم يقولونه قال : هؤلاء لا ينا كحون
ولا يجوز شهادتهم .

وسئل ابن عيينة فقال نحو ذلك . قال : فأتيت وكيعا فوجدته من أعلمهم
به فقال : يكفرون من وجه كذا ، ويكفرون من وجه كذا ، حتى أكفرهم من كذا
وكذا وجها .

وقال وكيع : الرافضية شر من القدرية ، والحرورية شر منها ، والجهمية
شر هذه الأصناف . قال الله (وكلم الله موسى تكليما) [النساء / ١٦٤] ويقولون :
لم يكلم . ويقولون : الايمان بالقلب . وقال الحسن بن الربيع : هذا كلام أحدثوه ،
ولقد سألت عن حديث في هذا الباب فسرني ذلك .

حدثنا أبو جعفر قال : سمعت أبا المنذر يذكر عن سمع معتمر بن سليمان (٣)

(١) إمام دار الهجرة صاحب الموطأ توفي سنة ١٧٩ هـ .

(٢) أبو عمر حفص بن غياث بن طلق النخعي قاضي الكوفة روى عن الأعمش وطبقته
(البرج ١ ص ٣١٤) توفي سنة ١٩٤ هـ .

(٣) أبو محمد معتمر بن سليمان بن طرخان التميمي المافظ البصري ، عابد حجة ، حافظ
توفي سنة ١٨٧ هـ .

ينكر على من قال: القرآن مخلوق ويبدعه . قال أبو عبد الله: سلم بن أحوز (١)
الذى قتل جها .

- حدثنا محمد بن كثير (٢) حدثنا إسرائيل حدثنا عثمان بن المغيرة عن سالم عن
جابر رضى الله عنه قال : كان النبی صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه بالوقوف فقال:
ألا رجل يحملنى إلى قومه ؟ فإن قریشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : لما أسرى بالنبی صلى الله عليه وسلم
من مسجد السكبة ، فإذا موسى فى السماء السابعة بتفضيل كلام الله .

وقال أبو ذر (٣) رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله
عز وجل : (عطائى كلام ، وعذابى كلام) وإذا أردت شيئا فأنما أقول له : كن
فيكون .

وقال عبد الله بن أنيس رضى الله عنه : سمعت النبی صلى الله عليه وسلم يقول :
إن الله يحشر العباد يوم القيامة فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب
(أنا الملك وأنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة واحدا من أهل
النار يطلبه بمظلة) .

وقال أبو هريرة (٤) رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : إذا قضى الله
الامر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاً لقوله كأنه سلسلة على صفوان

(١) فى الأصل : أخون .

(٢) محمد بن كثير الصنعاني ثم المصيصي روى عن الأوزعي ، محدث ، حسن الحديث .

توفى سنة ١١٦ هـ .

(٣) أبو ذر الغفاري واسمه جندب كان يذهب مذهب الزهد ، والشدة فيه توفى

سنة ٣٢ هـ .

(٤) قيل إنه توفى سنة ٤٧ هـ ، وقيل توفى سنة ٥٩ هـ (الصبر ج ١ ص ٦٢ - ٦٣) .

(فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلي الكبير) وكذا قال ابن عباس (١) وابن مسعود (٢) رضى الله عنها ، وأهل العلم .

وقال خباب بن الارت (٣) رضى الله عنه : تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه .

وقال نيار بن مكرم الأسدي رضى الله عنه : لما نزلت (ألم غلبت الروم) [الروم / ١] خرج أبو بكر يصيح يقول : كلام ربى .

وكانت أسماء (٤) بنت أبي بكر رضى الله عنها إذا سمعت القرآن قالت : كلام ربى كلام ربى .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرب على خلقه .

وقال أبو ذر رضى الله عنه : قلت : يا رسول الله من أول الأنبياء ؟ قال : آدم . قلت : لانه نبى . قال : نعم مكلم .

وقال ابن عباس رضى الله عنها : لما كلم الله موسى كان النداء فى السماء . وكان الله فى السماء .

حدثني موسى بن مسعود ، حدثنا سفیان بن سعید عن عبد الرحمن بن عابس ،

(١) عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وحبر الأمة ، توفى بالطائف سنة ٦٨ هـ .

(٢) عبد الله مسعود الفقيه العظيم والصحابى الجليل توفى سنة ٣٢ هـ .

(٣) خباب بن الارت البدرى قتل شهيدا سنة ٣٧ هـ .

(٤) أم ابن الزبير ذات النطاقين من المهاجرات الأول توفيت رضى الله عنها سنة ٧٣ هـ .

بعد ابنها بقليل .

حدثني ناس من أصحاب عبد الله عن عبد الله رضى الله عنه قال : أصدق الحديث كلام الله .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر الشفاعة ، قال : يقول نوح : انطلقوا إلى إبراهيم فإن الله اتخذته خليلا فيأتون إبراهيم فيقول : انطلقوا إلى موسى فإن الله كلبه تكليما .

وقال أبو هريرة وابن عمر (١) رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله اصطفى موسى بكلامه وبرسالته .

وقال عدى بن حاتم (٢) رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه وليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله ، لو ينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، ولو بكلمة طيبة) .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ألا أبشرك عما لقي أبوك ؟ إن الله كلم أباك من غير حجاب) فقال له : «عبدى سلى ، فقال : يارب رددنى إلى الدنيا حتى أقتل فيك ، قال : «فإني قد قضيت عليهم أن لا يرجعوا ، قال : يارب فأبلغهم عنا . ، فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) [آل عمران / ١٦٩] قال عبد الله وهو عبد الله بن عمرو بن حرام قتل يوم أحد شهيدا وقال جبير بن مطعم (٣) عن

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل توفي سنة ٧٣ هـ وقيل ٧٤ هـ (الذهبي ، المعبر ، ج ١ ص ٨٣) .

(٢) عدى بن حاتم الطائى توفي سنة ٦٧ هـ وهو الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أناكم كريم قوم فأكرموه .

(٣) جبير بن مطعم بن هدى ، أسلم بعد بدر ، وتوفي سنة ٥٤ هـ .

النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله على عرشه فوق سماواته وسماواته فوق أرضيه (١) مثل القبة وقال ابن مسعود في قوله « ثم استوى على العرش » قال العرش على الماء ، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه .

وقال قتادة (٢) في قوله « وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله » قال : يعبد فى السماء ويعبد فى الأرض وقال ابن عباس : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة بما تعدون) [السجدة / هـ] . قال : من أيام السنة . وقال الله : (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ، أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) [الملك / ١٧] .

وقال عمران بن حصين (٣) رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بى كم نعبد اليوم إلهها . قال : سبعة ، ستة فى الأرض وواحد فى السماء . قال : فأبهم تعد لرغبتك ولرهبتك؟ قال : الذى فى السماء قال : ، أما إنك إن أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك . فلما أسلم الحصين قال : يا رسول الله ، علمنى الكلمتين اللتين وعدتني . قال : (اللهم ألهمنى رشدى) (٤) وأعدنى من شر نفسى) .

وقال بعض أهل العلم : إن الجهمية هم المشبهة لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والاصم والابكم الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخلق وقالت الجهمية : وكذلك لا يتكلم ولا يبصر نفسه ، وقالوا : إن اسم الله مخلوق ويلزمهم أن يقولوا إذا أذن

(١) فى الأصل : أرضيه .

(٢) قتادة بن دعابة السدوسى البصرى قال أحمد بن حنبل : قال أن نحمد من تقدم فتاهة توفى سنة ١١٧ هـ .

(٣) عمران بن حصين الخزازى فقيه أهل البصرة أرسله عمر بن الخطاب إليها . توفى سنة ٥٢ هـ .

(٤) فى الأصل : اللهمنى .

المؤذن أن يقولوا: لا إله إلا الذي اسمه الله، وأشهد أن محمداً رسول الذي اسمه الله لأنهم قالوا إن اسم الله مخلوق. ولقد اختصم يهودى ومسلم إلى بعض معظليهم فقضى باليمين على المسلم، فقال اليهودى حلفه. فقال المخاصم لإليه: احلف بالله الذى لا إله إلا هو. فقال اليهودى: حلف بالخالق لا بالمخلوق، فإن هذا فى القرآن وزعمت أن القرآن مخلوق فحلفه بالخالق، فهبت الأخر. وقال: قوما حتى أنظر فى أمركما، وخسر هنالك المبطلون.

حدثنا الحسن بن صباح، ثنا معبد أبو عبد الرحمن الكوفى، نزل بغداد ثنا معاوية بن عمار قال: سألت جعفر بن محمد عن القرآن فقال: ليس بخالق ولا مخلوق.

وقال أبو عبد الله: احتج هؤلاء^(١) (بمعنى الجهمية) بآيات وليس فيها احتجوا به أشد التباساً من ثلاث آيات. قوله (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) [الفرقان/٢] فقالوا: إن قلتم: إن القرآن لا شيء كفرتم، وإن قلتم: إن القرآن شيء فهو داخل فى الآية. والثانية: قوله (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه) [النساء/١٧١] قالوا: فأنتم قلتم بقول النصارى لأن المسيح كلمة الله، وهو خلق فقلتم: إن كلام الله ليس بمخلوق، وعيسى من كلام الله. والثالثة (ما يأتيتهم من ذكر من ربهم محدث) [الأنبياء/٢] وقلتم ليس بمحدث. قال أبو عبيدة. أما قوله (وخلق كل شيء) فهو كما قال. وقال فى آية أخرى: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [النحل/٤٠] فأخبر أن أول خلق خلقه بقوله، وأول خلق هو من الشيء الذى قال: (وخلق كل شيء) فأخبر أن كلامه قبل الخلق، وأما تحريفهم (إنما المسيح عيسى بن مريم) فلو كان كما قالوا لكان ينبغى أن يكون بين اللفتين (وكلته ألقاها إلى مريم) لأن عيسى مذكر، والكلمة مؤنثة لا اختلاف بين العرب فى ذلك، وإنما خلق الله عيسى بالكلمة لا أنه الكلمة، ألا تسمع إلى قوله: (وكلته ألقاها إلى مريم وروح

(١) الحسن بن الصباح أبو على البزاز سمع سفيان بن عيينه، وكان أحمد بن حنبل يجهل ويرفع قدره. وقال أبو حاتم: صدوق. توفى ببغداد سنة ٢٤٩ هـ.

منه) يعنى جبريل عليه السلام كما قال فى آية أخرى (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) [مريم/١٧] وقال: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) [آل عمران/٥٩]، فخلق عيسى وآدم بقوله كن، وليس بين هاتين الآيتين خلاف، وأما تحريفهم (من ذكر ربهم محدث) فإنما حدث عند النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما علم الله ما لم يكن يعلم.

وقال أبو عبد الله: والقرآن كلام الله غير مخلوق، لقول الله عز وجل: (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) [الأعراف/٥٤] فبين أن الخلاق والطلب، والحديث والمسخرات بأمره، تم شرح فقال: (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) [الأعراف/٥٤] قال ابن عينة: قد بين الله الخلق من الأمر بقوله ألا له الخلق والأمر، فالخلق بأمره كقوله (لله الأمر من قبل ومن بعد) [الروم/٤] وكقوله (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) [يس/٨٢] وكقوله (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) [الروم/٢٥] ولم يقل بخلقه.

حدثنا أصبغ^(١) أخبرنى عبد الله بن وهب^(٢) أخبرنى يحيى بن أيوب عن ابن جريج^(٣) عن مجاهد قال: قلت لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما^(٤) القدر؟ قال، قال: يا مجاهد، أين قوله: (ألا له الخلق والأمر)؟

(١) أبو عبد الله أصبغ بن الفرج المصرى أخذ عن ابن وهب وابن القاسم وتوفى سنة

٢٥٥ هـ.

(٢) أبو محمد عبد الله بن وهب الفهرى المصرى تفقه بمالك والابن توفى سنة ١٩٧ هـ.

(٣) أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج قال أحمد بن حنبل: كان ابن

جريج من أوعية العلم وهو فيما قبل أول من ألف من أهل الحجاز توفى سنة ١٥٠ هـ.

(٤) فى نسخة: — ما .

حدثنا عبد الله بن محمد، ثنا معاوية ثنا أبو إسحق عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة عن ابن جبير . عن ابن عباس رضى الله عنها قال : كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن يظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان ، فذكر ذلك المسلمون لآبي بكر ، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (أما لمنهم سيهزمون) . فذكر ذلك أبو بكر لهم فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلا ، فإن ظهروا كان لك كذا وكذا ، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا . فجعل بينهم أجلا خمس سنين ، فلم يظهروا ، فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : (ألا جعلت أدنى ؟ قال دون العشرة . فقال سعيد : البضع مادن العشرة . قال : فظهرت الروم بعد قوله : (ألم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد) [الروم / ٤] قال . فغلبت الروم ثم غلبت بعد ، قال الله والله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) قال ففرح المسلمون بنصر الله . حدثنا ابن المثنى قال : ثنا محمد أبو سعيد التلعكبي ثنا أبو إسحق الفزاري عن سفيان ، بهذا .

أفعال العباد

قال أبو عبد الله : فأما أفعال العباد فقد حدثنا علي بن عبد الله ، ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك عن ربعي بن حراش ^(١) عن حذيفة رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله يصنع كل صانع وصنعتة) وتلا بعضهم عند ذلك : (والله خلقكم وما تعملون) [الصافات ٩٦] ، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة .

حدثنا محمد ، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة رضى الله

عنه ، أن الله خلق كل صانع وصنعتة . أن الله خلق صانع الخزم^(١) وصنعتة ، رواه وكيع عن الأعمش .

حدثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنها : (العجز والكيس من القدر) .

حدثنا إسماعيل ، ثنا مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاووس اليافى قال : أدركت ناس من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم يقولون : كل شيء بقدر . وسمعت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز) . فقال الليث عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما (إنا كل شيء خلقناه بقدر) [القمر / ٤٩] حق العجز والكيس .

حدثنا عمر بن محمد عن ابن عيينة عن عمر^(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس) . قال ابن عباس رضي الله عنهما : كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك .

قال أبو عبدالله بن محمد إسماعيل : سمعت عبدالله بن سعيد يقول : سمعت يحيى ابن سعيد يقول : ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون : إن أفعال العباد مخلوقة . قال أبو عبدالله : حرركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة ، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بمخلوق ، قال الله (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) .

(١) كتب على هامش طبعة الهند : والخزم بالحركة شجر يتخذ من لحائه ، وبالمدينة سوق يسمى سوق الخزامين ، ويريد أنه يخلق الصناعة وسانعها نحو (والله خلقكم وما تعملون) ويريد بصانع الخزم صانع ما يتخذ منه (مجمع البحار) .

(٢) في نسخة عمرو .

وقال اسحق بن ابراهيم (١) : فأما الأوعية فمن يشك في خلقها ؟ قال الله تعالى :
(وكتاب مسطور في رق منشور) [الطور / ٣] وقال : (بل هو قرآن مجيد في
لوح محفوظ) [البروج / ٢٢] فذكر أنه يحفظ ويسطر ، قال : (ومايسطرون)
[القلم / ١] .

حدثنا روح بن عبد المؤمن ، ثنا يزيد بن زريع (٢) ، سعيد عن قتادة
(والطور وكتاب مسطور) فقال : المسطور المكتوب ، (في رق منشور) وهو
الكتاب .

حدثنا آدم ، ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، (وكتاب مسطور)
وصحف مكتوب في (رق منشور) في مصحف .

حدثنا عبد الله بن يوسف (٤) أنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة
عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : طفت ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلى إلى جنب البيت يقرأ (والطور وكتاب مسطور) .

قال أبو عبد الله وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم قول الحامدين من العباد

(١) أبو النضر اسحاق بن ابراهيم الدمشقي روى عن سعيد بن عبد العزيز وجماعة توفي
سنة ٢٢٧ هـ

(٢) أبو معاوية يزيد بن زريع العيشي قال أحمد بن حنبل : كان ريحانة لبصرة ما أنقذه
وما أحفظه ؟ وهو حافظ ثبت توفي سنة ١٨٢ هـ .

(٣) زرقاء بن عمر البشكري السكوني قال أحمد : كان ثقة صاحب سنة . توفي بالمدائن
سنة ١٦١ هـ .

(٤) أبو محمد عبد الله بن يوسف التميمي الحافظ الدمشقي توفي سنة ١١٨ هـ . سمع
مالك والبيهقي .

ودعاهم وصلاتهم وتضرعهم إلى الله بين ، ما (١) يجيبهم الحى القيوم حيث يقول الرسول : اقرأوا إن شئتم ، يقول العبد : (الحمد لله رب العالمين) [الفاتحة / ١] يقول « حمدنى عبدى » ،

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي السائب مولى هشام بن زهره عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : (كل صلاة لا تقرأ فيها بفاتحة الكتاب فبى خداج غير تام) . فقلت يا أبا هريرة فإنى أكون أحيانا وراء الإمام . فقال : اقرأ بها فى نفسك يا فارسى فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تبارك وتعالى (قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، فنصفها لى ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل) . يقول العبد : (الحمد لله رب العالمين) يقول الله « حمدنى عبدى » . يقول العبد : (الرحمن الرحيم) [الفاتحة / ٢] يقول الله : « أثنى على عبدى » . يقول العبد : (مالك يوم الدين) [الفاتحة / ٣] . يقول الله : « مجدنى عبدى » . يقول العبد : (لياك نعبد ولياك نستعين) فهذه الآية بينى وبين عبدى . يقول العبد : (اهدنا الصراط المستقيم) [الفاتحة / ٥] فهذه لعبدى ولعبدى ما سأل .

قا أبو عبد الله : فأما المداد والرق ونحوه فإنه خلق ، كما أنك تكتب الله ، فالله فى ذاته هو الخالق ، وخطك واكتسابك من فعلك خلق ، لأن كل شئ دون الله يصنعه وهو خلق . وقال : ه و خاق كل شئ فقدره نقديراً ، [الفرقان / ٢] وقال : (وأنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) [الزخرف / ٤] وقال : (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) [البروج / ٢٢] .

حدثنا أبو نعيم ، ثنا مسفيان عن زياد بن اسماعيل القرشى عن محمد بن عباد ابن جعفر الخزومى ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : جاء مشركو قريش إلى

النبي صلى الله عليه وسلم فخاصموه في القدر فتزات (لما كل شيء خلقناه بقدر) [القمر / ٤٩] .

حدثنا قبيصة (١) ، ثنا سفيان بهذا .

حدثنا محمد بن يوسف ، ثنا يونس بن الحارث ، حدثنا عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال : نزلت هذه الآية (إن المجرمين في ضلال وسعر) [القمر/٤٧] في أهل القدر . ويروى فيه عن ابن عباس ومعاذ بن أنس رضي الله عنهم .

حدثنا محمد بن بشار ، ثنا غندر (٢) . حدثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال : سمعت عمرو بن عاصم قال : سمعت أبو هريرة يقول : إن أبا بكر الصديق قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت . قال : (قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ، وإذا أخذت مضجعي) .

حدثنا سعيد بن الربيع . ثنا شعبه وساق الحديث حدثنا عمرو بن عون (٤) . ثنا هشيم (٥) عن يعلى بن عطاء عن عمرو بن عاصم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر قال : يا رسول الله هذا رب كل شيء ومليكه .

(١) قبيصة بن عقبة السوائي الحافظ السكوني توفي سنة ٢١٥ هـ .

(٢) محمد بن جعفر غندر البصري الحافظ توفي سنة ١٩٣ هـ .

(٣) عمرو بن عاصم السكلابي روى عن شعبة توفي سنة ٢٢٣ هـ .

(٤) أبو عثمان عمرو بن عون الواسطي قال أبو حاتم : ثقة حجة توفي سنة ٢٢٣ هـ .

(٥) أبو معاوية هشيم بن بشير السلمي ، قال أحمد : كان كثير التسبيح وهو محدث

بغداد توفي سنة ١٣٨ هـ

حدثنا مسدد (١) ، حدثنا هشيم بهذا .

حدثنا علي بن عياش (٢) ، ثنا شعيب بن أبي حمزة (٣) عن محمد بن المنكدر (٤) عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا ، الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة) ، ويذكر عن أنس بن مالك وغيره من أهل العلم فى قوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) [الحجر / ٩٢] أنه لا إله إلا الله . وقال الله : (أو تلك الجنة التى أورتهموها بما كنتم تعملون) [الأعراف / ٤٢] وقال : (لمثل هذا فىعمل العاملون) [الصافات / ٦١] وقال : (جزاء بما كانوا يعملون) [السجدة / ١٧] .

وحدثنا أبو اليان ، أنبأ شعيب عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سئل النبى صلى الله عليه وسلم ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله ، وجهاد فى سبيله) .

حدثنا أحمد بن يونس ، وموسى بن إسماعيل قالا : ثنا إبراهيم بن سعد ، ثنا ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى الأعمال أفضل قال : (إيمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد فى سبيل الله . قال : ثم ماذا ؟ قال حج مبرور) .

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، ثنا إبراهيم بن شهاب عن سعيد ، عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مثله .

(١) مسدد بن سرهد الحافظ البصرى توفى سنة ٢١٨ هـ .

(٢) علي بن عياش الألهانى الحصى توفى سنة ٢١٩ هـ حافظ حسن وعدها ،

(٣) توفى سنة ٢٦٣ هـ .

(٤) الحافظ توفى سنة ١٣٠ هـ .

حدثنا يحيى بن قزعة ، ثنا إبراهيم بن سعد ، مثله .

حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا هشام ، أنبا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (يا نبي الله ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله) مثله .

حدثنا محمد بن عبيد الله ، ثنا عمر بن طلحة عن محمد بن عمر عن أبي سلبية عن أبي هريرة رضى الله عنه (قيل : يا رسول الله ، أى الأعمال أفضل أواخر ؟ قال : (إيمان بالله وبرسوله) .

حدثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا أبان ، ثنا يحيى عن أبي جعفر عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : (أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه ، وغزو لا غلول فيه ، وحج مبرور) .

حدثنا موسى ، ثنا أبان مثله .

حدثنا إبراهيم بن المنذر ، ثنا معاذ بن هشام ، ثنا أبي عن يحيى ، ثنى أبو جعفر سمع أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه) ، مثله .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا خليفة بن غالب ، ثنا سعيد المقبرى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وجهاد فى سبيله) .

حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا أبو عامر ، ثنا خليفة بن غالب ، ثنا سعيد أبي سعيد المقبرى عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : أى الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وجهاد فى سبيله) .

حدثنا عبيد الله بن موسى ، ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن أبي مرواح عن

أبي ذر رضى الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وجهاد فى سبيله) .

حدثنا يحيى بن بكير ، ثنا الليث عن أبي جعفر ، ثنا عروة عن أبي مرواح عن أبي ذر رضى الله عنه ، أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال خير ؟ قال : (إيمان بالله وجهاد فى سبيله) .

حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد ، أراه ابن أبي ثور ، قال محمد بن يوسف الضريرى (١) الشك منى ، عن عبد الملك ، هو ابن عمير عن موسى بن طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أى الأعمال أفضل ؟ قال : (الإيمان بالله وجهاد فى سبيل الله وحج مبرور) .

حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا يزيد بن عطاء عن معاوية بن إسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله ، وقتل فى سبيله ، وحج مبرور) .

حدثنا محمد بن سعيد ، أنبأنا (٢) عبدة بن حميد ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عثمان بن أبي حشمة ، عن جده الشفاء رضى الله عنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وسأله رجل . أى العمل أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وجهاد وحج مبرور) .

حدثنا ضرار بن مرد ، عن عبد الله بن وهب ، عن موسى بن علي بن رباح ، عن أبيه جنادة بن أبي أمية عن عباد بن الصامت رضى الله عنه قال : سئل النبي صلى

(١) فى نسخة : العزيز . وأمله القرياني .

(٢) فى نسخة : ألبأ .

الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله ، وتصديق برسوله ، وجهاد فى سبيله) .

وقال عبيدة (١) بن عمير ، عن عبد الله بن حبشى رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أفضل الاعمال إيمان لاشك فيه .

وقال العلاء بن عبد الجبار : ثنا سويد أبو حاتم ، ثنى عياش بن عباس بن الحارث بن يزيد عن على بن رباح عن جنادة بن أبى أمية عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل أى الاعمال أفضل ؟ قال : (إيمان بالله وتصديق بكتابه) .

قال أبو عبد الله : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان والتصديق والجهاد والخير عملا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : يخرج قوم يحقرون أعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية : فبين أن قراءة القرآن هى العمل .

حدثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد لإبراهيم ، عن أبى مسلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يخرج فيكم قوم يحقرون صلاتكم مع صلاتهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنا مالك بهذا .

حدثنا روح بن عبد المؤمن ، حدثنا يزيد بن زريع ، ثنا شعبة عن قتادة ، (وجعلوا له من عباده جزءا) أى عدلا .

(١) فى نسخة عبيدة .

قال حماد بن زيد : من قال كلام العباد ليس بخلق فهو كافر .

قال أبو عبد الله : ومن الدليل على أن الله يتكلم كيف شاء ، وأن أصوات العباد مؤلفة حرفاً ، فيها التطريب والغمز والحن والترجييع ، حديث أم سلمة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن بكير قالا : حدثنا الليث عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة رضى الله عنها عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت : ما لكم وصلاته ، كان يصلى ثم ينام قدر ما صلى ، ثم يصلى قدر ما نام ، ثم ينام قدر ما صلى ، حتى الصبح . ونعتت قراءته فإذا قراءته حرفاً حرفاً .

حدثنا قتيبة ، ثنى الليث ، عن عبد الله بن أبي مليكة . بهذا .

حدثنا محمد بن مقاتل ، أنا عبد الله ، أنا حماد بن سلمة عن عمران بن عبد الله قال : صلى بنا رجل في مسجد المدينة في شهر رمضان فجاء بتلك الهنات ، يعنى تطرب ، فأنكر ذلك القاسم بن محمد وقال : يقول الله : (كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [٤٢ / فصلت] .

حدثنا إسماعيل ، ثنى مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعه ، عن أبيه أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضى الله عنه قال له : إني أراك تحب الغنم والبادية ، فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت للصلاة فأرفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس إلا شهد له يوم القيامة . قال أبو سعيد رضى الله عنه : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا عبد الله ابن يوسف ، أنا مالك بهذا .

حدثنا آدم ، ثنا شعبة ، ثنا موسى بن أبي عثمان قال : سمعت أبا يحيى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (يغفر

والذى بعثك بالحق لقد رأيته مثل الذى أرى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فلله الحمد .

حدثنا محمد بن عبيد ، ثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن زيد قال : فأرى عبد الله بن زيد ، فخرج عبد الله حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، قال : فأخرج مع بلال فألقها عليه ، وليناد بلال ، فإنه أندى منك صوتاً . قال : فخرجت مع بلال إلى المسجد ، فجعلت ألقها عليه وهو ينادى ، فسمع عمر الصوت فخرج ، فقال : يا رسول الله ، والله لقد رأيت مثل الذى رأى .

حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، أخبرنى إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أبي محذورة . أخبرنى جدى عبد الملك بن أبي محذورة أنه سمع أبا محذورة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أمدد أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا سمعتم الآذان فقولوا مثل ما يقول المؤذن . وقال عمر لابن محذورة حين سمع صوته : ما خشيت أن ينقطع مريطاؤك (١) قال : إني حسنت لك صوتي . وقال عمر بن عبد العزيز : أذن أذاناً سمحاً وإلا فاعتزلنا .

حدثنا يحيى بن بكير ، ثنى الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عرورة عن عائشة رضى الله عنها ، وذكرت الذى كان من شأن عثمان بن عفان ، ووددت أنى كنت نسياً منسياً ، فوالله ما أحببت أن ينتهك من عثمان أمر قط إلا قد انتهك منى مثله ، حتى والله لو أحببت قتله لقتلت ، يا عبيد الله بن عدى لا يغرنك أحد بعد الذى تعلم

(١) كتب على الهامش : المريطاء هي ما بين الضلعتين إلى العانة من البطن .

فوالله ما احتقرت أعمال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حتى تحم النفر الذين طعنوا في عثمان، فقالوا له قولاً لا يحسن مثله، وقرأوا قراءة لا يحسن مثلها، وصلوا صلاة لا يصلي مثلها، فلما تدبرت الصنيع، إذا هم والله ما يقاربون أعمال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أعجبك حسن قول امرئ فقل (اعملوا فسيروا الله عملكم ورسوله) [التوبة / ١٠٥] فلا يستخفنك أحد، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل حين سأله عن الإيمان قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله. قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: نعم. ثم قال: ما الإسلام؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فذكره. قال: إذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: نعم، قال أبو عبد الله: فسمى الإيمان والإسلام والشهادة والإحسان، والعلة بقراءتها، وما فيها من حركات الركوع، والسجود فعلاً للعباد وقال: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) [آل عمران / ١٨]

حدثنا محمد بن سلام، أنا جرير بن فروة، عن أبي زرعة، عن أبي ذر، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: أقبل رجل فقال: السلام عليك يا محمد، فرد عليه. ثم قال: يا محمد ما الإيمان؟ قال: الإيمان بالله والملائكة والكتب، والنبيين، وتؤمن بالقدر كله. قال: فإذا فعلت ذلك آمنت؟ قال: نعم.

حدثنا أبو النعمان، ثنا حماد بن زيد، ثنا مطر الوراق، عن عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر، سمع عبد الله بن عمر، عن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: أن تسلم وجهك لله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. قال: فأخبرني بعري الإسلام، فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: نعم. قال: صدقت، وساق الحديث.

حدثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا الضحاك بن نبراس ، ثنا ثابت ، عن أنس رضى الله عنه قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ، إذ جاءه رجل عليه ثياب السفر ، فتخطى الناس حتى جلس بين يديه ، ووضع يديه ، على ركبتيه ، قال : ما الإسلام ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وإني رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، إن استطعت إليه سبيلا . قال : فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ؟ قال : نعم . قال : صدقت فتمجبوا قال ما الإحسان ، قال : أن تخشى الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال متى الساعة ؟ قال : ما المستول عنها بأعلم من السائل ، ولكن لها أشراط فقام ، فقال : على بالرجل فلم يجدوه . قال : ذلك جبريل جاء يعلمكم دينكم ، لم يأتني على حال أنكرته قبل اليوم .

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، ثنا سليمان بن بلال عن شريك بن عبد الله قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ليلة أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم قال : الجبار يا محمد أنه : (لا يبدل القول لدى) [ق - ٢٩] أى كما فرضت عليك فى أم الكتاب ، وكل حسنة بعشر أمثالها خمسون صلاة فى أم الكتاب .

حدثنا عبد الله بن محمد الجعفى ، ثنا أبو حفص التنسى ، ثنا الازعاعى ، ثنا يحيى بن أبى كثير ، ثنا هلال بن أبى ميمونة ثنا عطاء بن يسار ، ثنا معاوية بن الحكم ، رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، إنا كنا حديث عهد بجاهلية فجاء الله بالإسلام ، وبيننا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله ، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم دعانى وقال : صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، وإنما هى التسييح والتكبير ، وقرأة القرآن .

حدثنا على عن محمد بن بشر العبدى ، عن بيان ، ثنا يزيد بن أبى الجعد ، ثنا جامع بن شداد عن طارق المحاربى رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى بأعلى صوته . يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله فلقهوا . وقال

النبي صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس : إن فيك خلقين يحبهما الله ، الحلم ،
والحياء . قال : جبلا جبلت عليه أو خلقا مني ؟ . قال : بل جبلا جبلت عليه .
قال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين أحبهما الله . حدثنا به أبو معمر ، ثنا
عبد الوارث ؛ حدثنا يونس عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أشج عبد القيس .
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك ، وزاد ، قلت : قديما كان أو حديثا ؟
قال : قديما .

حدثنا عمرو بن زرارة ، ثنا إسماعيل عن يونس . زعم عبد الرحمن بن أبي بكرة
قال : قال : أشج قال النبي صلى الله عليه وسلم بهذا قلت الحمد لله الذي جبلني على
خلقين يحبهما . ثنا هشيم عن يونس عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن الأشج قال :
النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا مسدد ، ثنا يحيى عن ابن عجلان ، ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن
جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا أفاد أحدكم المرأة ، أو الجارية ،
أو الدابة ، أو الغلام ، فليقل أسئلك من خيرها ، وخير ما جبلت عليه ، وأعوذ بك من
من شرها ، وشر ما جبلت عليه .) قال أبو عبد الله : ورواه عبيد الله عن سفيان عن
ابن عجلان عن عمر ونحوه .

حدثنا حسن بن محمد بن صباح ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا يونس بن بكير ،
ثنا خالد بن دينار ، ثنا عمارة بن جوين ، ثنا أبو سعيد رضى الله عنه قال : قال
النبي صلى الله عليه وسلم : (يا أشج إن فيك خلقين يحبهما الله ، الحلم ، والتؤدة ،
قال : يا رسول الله ، أم شيء جبلت عليه أم شيء حديث ؟ فقال النبي صلى الله عليه
وسلم : بل شيء جبلت عليه ،

حدثنا قيس بن حفص ، ثنا طالب بن بحير ، ثنا هود بن عبد الله ، سمع جده
مزينة العبدى رضى الله عنه قال : جاء الأشج ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم

لأن فيك خلقين يحبهما الله ، قال : جبلا جبلت عليه أم خلقا مني ؟ قال : بل جبلا
جبلت عليه ، قال : الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله .

حدثنا موسى ، ثنا مطر بن عبد الرحمن ، حدثني أم أبان بنت الوازع العبدي
عن جدّها أن جدّها وازع بن عامر رضى الله عنه ، خرج إلى النبي صلى الله عليه
وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أشج بل الله جبلك قال : الحمد لله ، قال
أبو عبد الله : ولا توجه القرآن إلا أنه صفة الله ، ولا يقال كيف ما توجه ؟ وهو
قول الجبار أنطق به عباده وكذلك تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم
أن القرآن كلام الله ، وأن أمره قبل خلقه ، وبه نطق الكتاب .

حدثنا محمد بن كثير ، ثنا إسرائيل عن عثمان بن المغيرة ، وقال غيره ابن أبي
المغيرة عن سالم هو ابن أبي الجعد عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : ألا رجل يحملني إلى قومه ؟ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي قال
أبو عبد الله : فبين (١) النبي صلى الله عليه وسلم أن الإبلاغ منه ، وإن كلام الله من
ربه ، ولم يذكر عن أحد من المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان خلاف
ما وصفنا ، وهم الذين أدرؤا الكتاب والسنة ، بعد النبي صلى الله عليه وسلم قرنا بعد
قرن . قال الله تعالى : (لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا)
[البقرة / ١٤٣] قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنتم شهداء الله في الأرض .

حدثنا إسحق ، ثنا أبو أسامة ، قال الأعمش : ثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجماء بنوح يوم القيامة فيقال له : هل
بلغت ؟ فيقول : نعم يارب : فتسأل أمته ، هل بلغكم ؟ فيقولون ما جاءنا من نذير ،
فيقال : من شهودك ؟ فيقول محمد وأمته . فيجاء بكم فتشهدون . ثم قرأ النبي صلى
الله عليه وسلم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون

الرسول عليكم شهيداً) . قال أبو عبد الله : هم الطائفة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم) .

حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون) . ويروى نحوه عن أبي هريرة ، ومعاوية ، وجابر ، وسليمة بن نفيل ، وقرّة بن إياس رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال أبو عبد الله : ولم يكن بين أحد من أهل العلم في ذلك اختلاف ، إلى زمن مالك ، والثوري ، وحامد بن زيد ، وعلماء الأمصار ، ثم بعدهم ابن عيينة في أهل الحجاز ، ويحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن بن مهدي ، في محدثي أهل البصرة ، وعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ، وأبو بكر بن عياش ، ووكيع ، وذوهم ابن المبارك في متبعيه ويزيد بن هارون في الواسطيين ، إلى عصر من أدركنا من أهل الحرمين مكة والمدينة ، والعراقيين ، وأهل الشام ، ومصر ، ومحدثي أهل خراسان منهم محمد بن يوسف في منتابية ، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك في مجبتيه ، وإسماعيل بن أبي أويس مع أهل المدينة ، وأبو مسهر في الشاميين ، ونعيم بن حماد مع المصريين ، وأحمد بن حنبل مع أهل البصرة ، والحميدي من قريش ، ومن اتبع الرسول من المسكين وإسحق بن إبراهيم وأبو عبيد (١) في أهل اللغة ، وهؤلاء المعروفون بالعلم في عصرهم بلا اختلاف منهم ، أن القرآن كلام الله . إلا من شذها (٢) أو أغفل الطريق الواضح فعصى عليه ، فإن مرده إلى الكتاب والسنة . قال الله تعالى : (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) [النساء / ٥٩] .

حدثنا إبراهيم بن المنذر ، ثنا إسحق بن جعفر بن محمد ، حدثني كثير بن

(١) كذا في الأصل : ولعله أبو عبيدة .

(٢) في نسخة : شذها .

عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب :
(ولأنكم ما اختلفتم في شيء فإن مردد إلى الله وإلى محمد) وقال النبي صلى الله عليه
وسلم : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) .

حدثنا بذلك العلاء بن عبد الجبار ، ثنا عبد الله بن جعفر المخزومي ، عن سعد
ابن إبراهيم ، عن القاسم ، عن عائشة رضی الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .
وأمر عمر رضي الله عنه أن ترد الجهالات إلى الكتاب والسنة . قال أبو عبد الله :
وكل من لم يعرف الله بكلامه أنه غير مخلوق ، فإنه يعلم ويرد جهله إلى الكتاب
والسنة ، فمن أبي بعد العلم به ، كان معاندا . قال الله تعالى : (وما كان الله ليضل
قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) [التوبة / ١٢٥] ولقوله (ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله
جهنم وساء مصيرا) [النساء / ١١٥] : فأما ما احتج به الفريقان لمذهب أحمد
ويدعيه كل لنفسه ، فليس بثابت كثير من أخبارهم ، وربما لم يفهموا دقة مذهبه ،
بل المعروف عن أحمد ، وأهل العلم ، أن كلام الله غير مخلوق ، وما سواه مخلوق .
وأنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة ، وتجنبوا أهل الكلام
والخوض والتنازع إلا فيما جاء فيه العلم ، وبينه رسول الله صلى الله عليه
وسلم .

حدثنا إسحق ، أنبأ عبد الرزاق أنبا معمر ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن
جده قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوما يتدارؤون فقال : (إنما هلك من
كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق
بعضه بعضا ، فلا تضربوا بعضه ببعض ، ما علمتم منه فقولوا ، وما لا ، فكلوه
إلى عالمه) قال أبو عبد الله : وكل من اشتبه عليه شيء فنوله أن يكله إلى
عالمه . كما قال : عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم :
وما أشكل عليكم فكلوه إلى عالمه ، ولا يدخل في المتشابهات إلا ما بين له .

وقد حدثنا عبد الله بن سلمة ، ثنا يزيد بن إبراهيم عن عبد الله بن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة رضى عنها قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (هو الذى أنزل عليكم الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه من ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا بما به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فهم الذين عفى الله فاحذروهم .

وقال بن مسعود رضى الله عنه : من علم علماً فليقل به ، ومن لا ، فليقل الله أعلم ، فإن من علم الرجل أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم ، فإن الله قال لنبيه (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) .

حدثنا محمد بن كثير ، ثنا سفيان عن منصور ، عن الأعشى ، عن أبي الضحى عن مسروق قال : أتيت ابن مسعود رضى الله عنه ، فذكر هذا ، واعتبر بقول النبي صلى الله عليه وسلم : (اغفر لقوى فإنهم لا يعلمون) وإذا رأيت هوى متبعاً ودنيا (١) مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بنفسك ، وذرعك أمر العامة .

حدثنا به عبدان عن عبد الله ، أنا عتبة بن أبي حكيم ، حدثني عمرو بن جارية اللخمي ، حدثني أبو أمية الشيباني قال : أتيت أبا ثعلبة فقال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا رأيت شحاً مطاعاً نحوه .

قال أبو عبد الله : سمعت موسى بن إسماعيل يقول : سمعت أبا عاصم يقول : ما اعتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة تضر بصاحبها .

حدثنا أحمد بن إلكباب ، ثنا محمد بن فضيل عن عمارة القعقاع عن أبي زرعة

عن أبي هريرة رضى الله عنه (كلبتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم) .

حدثنا الحميدى ، ثنا سفیان ، أنبا منصور عن مجاهد عن ابى معمر عن عبد الله رضى الله عنه قال : اجتمع فى البيت ثقفیان وقريشىّ أو قريشيان وثقفى كثيرة شحم بطونهم ، قليلة فقه قلوبهم ، فقال أحد منهم : أترون الله يسمع ما نقول ؟ قال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا : وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) [٢٢ / فصلت] الآية .

حدثنا إسحق بن منصور ، ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق عن ابن سيرين قال : كان يقال : عجباً للتاجر كيف يتجر ؟ قال يحيى : يصدق ويفعل ، ويفعل . قال محمد : حتى دخل معى يحيى فى التجارة فقال لى : يا أخى ما من شىء إلاّ وقد راينى ، قال : فذكرته لحميد بن عبد الرحمن فقال محمد : الآن حين فقه .

حدثنا قبيصة ، ثنا سفیان عن أبى حمزة ، قال : قال حذيفة رضى الله عنه : يأتى على الناس زمان لا يصلح فيه إلا بالذى كان ينهى عنه .

(الجزء الثاني)

التعرب بعد الهجرة

قال أبو عبد الله رحمه الله عليه : وَالشَّقَ بِهَذَا أَهْلَ الْعِلْمِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ فَيَتَفَرَّقُوا كَتَفَرَّقَ أَهْلُ الْبَدْعِ (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ، وَكَانُوا شِعْماً لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) [الانعام / ١٥٩] . ويذكر عن طاووس عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : (هم في هذه الأمة) .

حدثنا موسى بن وهب ، عن داود ، عن الشعبي في بيع المصاحف ، أنه لا يبيع كتاب الله إنما يبيع عمل يديه .

حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن ابن جريح ، عن عطاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اشتر المصحف ولا تبع . قال بكير ابن مسمار : أخبرني زياد مولى سعد أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما فقال : لا نرى أن نجعلها متجراً ، ولكن ما عملت يدك فلا بأس .

حدثنا إسحق ، عن جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنا لا نرى بأساً أن يبيع المصحف ويشتري بثمنه مصحفاً هو أفضل منه ، ولا بأس أن يبادل المصحف بالمصحف ، فرخص في شراء المصحف .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا الصباح العبدى ، أنبأ عبد الله بن سليمان ، سألت سعيد بن المسيب عن كتابة المصحف فقال : ولا بأس قد كان فقي ابن عباس يكتبها بالمائة .

حدثنا إسماعيل بن موسى ، أنبأ هشام أن ابن جريح أخبرهم قال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : ابتاعها أحب إلي من أن أبيعها .

وقال ابن نمير عن الأعمش عن سعيد عن بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في بيع المصاحف : إنما هم مصورون يبيعون عمل أيديهم . ويذكرو^(١) عن علي رضى الله عنه قال : يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : زينوا القرآن بأصواتكم .

حدثنا إبراهيم بن أبي حمزة الزبيرى ، حدثني ابن أبي حازم عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (ما أذن الله بشيء ، ما أذن لنبي ، حسن الصوت بالقرآن يجهر به) .

وحدثني يحيى بن يوسف ، ثنا عبيد الله بن عمرو عن إسحق بن راشد عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما أذن الله لشيء ، لإذنه لنبي يتغنى بالقرآن) .

قال أبو عبد الله : وسمع النبي صلى الله عليه وسلم قراءة أبي موسى فقال : أوتى أبو موسى من مزامير آل داود .

حدثنا محمد بن خلف أبو بكر ، ثنا أبو يحيى الحماني ، ثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة ، عن جده أبي بردة ، عن أبي موسى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود .

وحدثني أحمد بن حنبل ، ثنا قنن بن عبد الله النهمى بن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وسمع أبا موسى يقرأ فقال : كان هذا من أصوات آل داود .

(١) كذا في الأصل ولعل صوابه : يذكرون ،

وحدثنا أحمد بن يعقوب ، ثنا يزيد بن المقدم عن مقدم بن شريح عن شريح ،
حدثني أبي هاني بن يزيد قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبر بشيء يدخلني
الجنة . قال : عليك بحسن الكلام وبذل الطعام .

حدثنا أحمد بن إسحق ، ثنا عثمان بن عمر ، ثنا عيسى بن دينار عن عمرو بن
الحارث رضى الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من سرّه أن
يقرأ القرآن غصّاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد .

وقال ميسرة مولى فضالة عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه ، قال : النبي صلى
الله عليه وسلم : لله أشدّ لذناً إلى رجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة
إلى قينته .

حدثنا محمد بن العلاء : ثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي موسى
رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : انى لأعرف رفقة الأشعرين
بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم ، من أصواتهم بالقرآن بالليل ،
وان كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار : ومنهم حكيم إذا لقي الخيل أو قلل
العدو ، قال لهم : إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم .

حدثنا عمر بن حفص ، ثنا أبي عن الأعمش ، سمع طلحة عن عبد الرحمن بن
عوسجة عن البراء رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال زينوا القرآن
بأصواتكم .

حدثنا قتيبة : ثنا جرير عن الأعمش عن طلحة بهذا .

حدثنا عثمان ، ثنا جرير عن منصور ، عن طلحة مثله .

حدثنا محمد : ثنا غندر ، ثنا شعته ، سمعت طلحة اليامي ، سمعت ، ابن عوسجة ،
سمعت البراء بن عازب رضى الله عنه قال : (١) النبي صلى الله عليه وسلم : زينوا

(١) كذا في الأصل وصوابه زيادة : (قال) مرة أخرى .

القرآن بأصواتكم .

قال عبد الرحمن بن عوسجة وكنت أنسيت ، (زينوا القرآن بأصواتكم) حتى اذكرني الضحاك بن مزاحم .

حدثنا محمود أبو دوداد، ثنا شعبه، أخبرني طاحه، سمعت عبد الرحمن، عن البراء رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم : زينوا القرآن بأصواتكم .

قال عبد الرحمن مثله .

ويروى عن سهيل عن أبيه، عن أبي هويرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا قرة بن حبيب ، حدثنا شعبه، ومحمد بن طلحة ، عن طلحة، قال: سمعت عبد الرحمن، عن عوسجة، عن البراء رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : زينوا القرآن بأصواتكم .

قال أبو عبد الله : وعامة هذه الأخبار مستفيضة عند أهل العلم ، ولا ريب في تخليق مزامير آل داود، وندائهم لقوله عزّ وجلّ : (وخلق كل شيء) [الفرقان / ٢] وقال : (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) [البقرة / ٢٢] .

حدثنا خلاد بن يحيى ، ثنا مسعر ، ثنا عدى بن ثابت أنه سمع البراء يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء (بالتين والزيتون) ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة (١) منه .

حدثنا آدم ، ثنا ابن أبي ذئب ، ثنا مسلم بن جندب عن نوفل بن إياس الهذلي قال : كنا نقوم في عهد عمر بن الخطاب في المسجد فيتفرق ههنا فرقة وههنا

(١) في الأصل قراءة .

فرق . وكان الناس يميلون إلى أحسنهم صوتا ، فقال عمرو : أراهم قد اتخذوا القرآن أغاني ، أما والله لئن استطعت لأغيرن ، فلم يمكث ثلاث ليال حتى أمر أبا فصلى بهم .

حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب ، عن الأعمش عن إبراهيم ، عن علقمة قال : قال لى عبد الله : اقرأ ، وكان علقمة حسن الصوت ، فقرا ، فقال عبد الله : رتل فذاك أبى وأمى . وقال الله جل وعز : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) [الأعراف / ٢٠٤] . وقال : (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك) [فاطر / ٢٩] وقال : (الذين يتلون كتاب الله) [الكهف / ٢٧] (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) [العنكبوت / ٤٨] . وقال : (يتلونه حق تلاوته) . [البقرة / ١٢١] وقال : (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) [الأحزاب / ٢٤] وقال : (يتلون آيات الله أناء الليل) [آل عمران / ١١٣] وقال : (إن هذا القرآن يهدي للقى هى أقوم) [الإسراء / ٩] . قال : أبو عبد الله رضى الله عنه : فبين أن التلاوة من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأن الوحى من الرب ، ومنه قول عائشة رضى الله عنها : (ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيا يتلى) فبينت رضى الله عنها أن الإنزال من الله ، وأن الناس يتلونه .

حدثنا يحيى بن بكير ، ثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرنى عروة ابن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله ، بن عبد الله ، عن حديث عائشة رضى الله عنها حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، وكل حدثنى طائفة من الحديث ، قالت : فاضطجعت على فراش وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة ، (١) وإن الله يبرئى ، ولكن الله (٢) ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيا يتلى ، ولشأنى

(١) فى الأصل : برئة

فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىّ بأمر يتلى ، فأنزل الله : (إن الذين جاءوا بالآفك عصبه منكم) [النور / ١١] العشر الآيات كلها .

حدثنا عبد الله ، حدثنى الليث ، حدثنى يونس مثله ، ورواه صالح ، وابن إسحق وفليح ، عن ابن شهاب ، نحوه .

وقال أبو عبد الله : وقال الله عز وجل : (لنن اجتماعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [الإسراء / ٨٨] ولكنه كلام تلفظ به العباد والملائكة ، وقد بين ذلك ما حدثنى به عبد العزيز بن عبد الله ، ثنا ابن أبي حازم ، عن أبيه ، عن أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا أحب الله عبدا نادى جبريل (أحب فلانا) فينوه ^(١) بها جبريل فى حملة العرش فيحبه أهل العرش ، فيسمع أهل السماء السابعة لخط أهل العرش ، وذكر الحديث ، وقال : (فانما يسرناه بلسانك) [مريم / ٩١] (ولقد يسرنا القرآن للذكر) [القمر / ٧١] . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : كل ميسر لما خلق له .

حدثنا به آدم ، ثنا شعبه ، ثنا يزيد الرشك ، سمعت مطرقا ، عن عمران بن حصين رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : كل ميسر لما خلق له .

حدثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث قال : حدثنا يزيد ، حدثنى ابن مطرف بن عبد الله ، عن عمران رضى الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله فيم يعمل العاملون ؟ قال : كل ميسر لما خلق له .

حدثنا سليمان ، ثنا يزيد ، عن مطرف ، عن عمران رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : كل ميسر لما خلق له .

حدثنا اصبيغ ، أخبرني ابن وهب ، عن عمرو ، عن أبي الزبير ، عن جابر رضى الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم : كل ميسر لعمله .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : كل ميسر لما قدر له .

حدثنا آدم ، ثنا شعبة ، ثنا عاصم بن عبد الله ، سمعت سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، أن عمر رضى الله عنه ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : كل ميسر .

حدثنا حجاج : ثنا شعبة بمثله ، حدثنا علي بن حفص ، أنبا عبد الله ، أنبا شعبة ، أخبرني عاصم بن عبيد الله قال : سمعت سالما ، سمعت أبي ، سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كل ميسر لما خلق له) وتابعه غندر ، والحدادي عن شعبة .

وقال الله تعالى : (واختلاف ألسنتكم وألوانكم) [الروم / ٢٢] قال أبو عبد الله : وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، أن ذكر الله هو العمل .

حدثنا علي ، ثنا الوليد بن مسلم ، حدثني ابن ثوبان ، حدثني أبي ، عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن يمام قال : سمعت معاذ بن جبل رضى الله عنه يقول : إن آخر كلمة فارقت عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت يا رسول الله ، أى الأعمال أحب إلى الله أو أفضل ؟ قال : أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله .

حدثنا آدم : ثنا شعبة ، حدثنا أبو إياس ، سمعت عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو على ناقته أو جملة ، وهو تسيير به وهو يقرأ سورة الفتح ، أو من سورة الفتح قراءة لينة ، وهو يرجع .

حدثنا مسلم : ثنا شعبة ، ثنا معاوية بن قرة ، عن عبد الله بن مغفل رضى الله

عنه . قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ، يوم فتح مكة سورة الفتح ، فرجع فيها . وقال معاوية : لو شئت أن أحكي لكم قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفعلت .

حدثنا أبو الوليد ، ثنا شعبه بهذا . وقال أبو عبد الله : وسئل النبي صلى الله عليه وسلم : أى الناس أحسن قراءة ؟ قال : الذى إذا سمعته رئت عليه أنه يخشى الله عز وجل .

ويذكر عن سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : خير الذكر الخفى ، وقال : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) [الأعراف / ٥٥] وقال : (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول) [الأعراف / ٢٠٥] . وسمع معاذ القارى . يرفع صوته بالقرآن فقال : (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) [لقمان / ١٩] :

حدثنا مسدد ، ثنا معتمر ، سمعت أبى ، سمعت أبا عثمان يقول : ما سمعت صنجاظ ولا بربطا ولا زممارا أحسن صوتا من أبى موسى إلا فلانا إن كان ليصلى بنا فنود أنه قرأ البقرة من حسن صوته .

ويذكر عن عبد الرحمن بن غنيم ، عن معاذ رضى الله عنه ، أنه قال : يا رسول الله أنؤخذ بما نقول كله ^(١) ويكتب علينا ؟ قال : وهل يكب الناس على مناخرهم فى جهنم إلا حصيد الألسنة .

وقال أحمد بن صالح ، عن ابن وهب : حدثني بو هانئ عن عمرو بن ، مالك ، عن فضالة بن عبيد ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : وهل يكب الناس على مناخرهم فى جهنم إلا ما نطق به ألسنتهم . قال أبو عبد الله : فبين النبي صلى الله عليه وسلم : أن أصوات الخلق وقراءاتهم ودراساتهم

(١) فى نسخة : كلمة .

وتعليمهم وألسنتهم مختلفة، بعضها أحسن، وأزين، وأحلى، وأصوت، وأرقل، والحن، وأعلى، وأخف. وأغض، وأخشع. وقال: (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا) [طه / ١٠٨] وأجهر، وأخفى، وأمهر، وأمد، وألين، وأخفض من بعض.

حدثنا آدم، ثنا شعبة، عن قتادة، عن زرارة، عن سعد بن هشام، عن عائشة رضى الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يشدد عليه، له أجران):

حدثنا مسلم، ثنا جرير بن حازم، ثنا قتادة قال: سألت أنس بن مالك رضى الله عنه، عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: كان يمدّ مدّا.

حدثنا سليمان بن حرب، وأبو النعمان قالوا: ثنا جرير، مثله. وقال: يمدّ صوته مدّا.

حدثنا عمرو بن عاصم، ثنا همام، عن قتاده: سئل أنس رضى الله عنه، كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كانت مدّا، ثم قرأ بسم الله يمد بسم الله ويمد الرحمن، ويمد الرحيم.

حدثنا محمد بن يوسف، ثنا إسرائيل، عن زياد بن علفة، عن قطبة بن مالك رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قرأ في الفجر (والنخل باسقات لها طلع نضيد) [ق / ١٠] يمد بها صوته.

وقال أبو عبد الله: فأما المأثوق قول الله الذى (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) [الشورى / ١١] وقال: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) [الجنّة / ٢٩].

وقال عبد الله بن عمرو^(١) رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: (يمثل

القرآن يوم القيامة رجلا فيشفع لصاحبه) حدثني زهير بن حرب ، ثنا يعقوب ابن إبراهيم ، ثنا أبي ، عن ابن إسحق ، وحدثني عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله ابن عمرو ، عن أبيه ، عن جده ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بهذا .

قال أبو عبد الله : وهو اكتسابه وفعله .

قال الله : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) [الزلزلة / ٨] .

وقال جرير بن حازم ، عن الحسن ، عن صمصمة عم الفرزدق ، أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقرأ (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فقلت : حسبي قد علمت فيم الخير وفيم الشر . وقال ابن مسعود : إنما إذا حدثناكم أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله ، وقد دخل في ذلك قراءة القرآن وغيرها . وقد بين الله قولاً للمخلوقين حين قال (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) [الملك / ٢] فأخبر أن العمل من الحياة ثم بين خلقه فقال : (وأسروا قواكم أو اجبروا به لأنه علم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) [الملك / ١٤] مع أن الجهمية والمعتزلة إنما ينازعون أهل العلم على قول الله . إن الله لا يتكلم ، وإن تكلم فكلامه خلق : فقالوا : إن القرآن المقروء بعلم الله مخلوق ، فلم يميزوا بين تلاوة العباد وبين المقروء ، وقد رفع أبو بكر صوته بقوله : (أنقتلون رجلا) [غافر / ٢٨] .

حدثني ابن عياش بن الوليد الرقام ، ثنا عبد الأعلى ، ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : ما علمت قريشا هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم إلا يوما ، فجاء أبو بكر رضى الله عنه فاخطفه ، ثم رفع صوته فقال (أنقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم البينات من ربكم) الآية فقال : والذي نفسى بيده ، لقدم أرسلى ربي إليكم .

بالذبح ، فقال أبو جهل : يا محمد ما كنت جهر لا (١) . فقال : وأنت فيهم ، وقال الأعمش ، عن أبي سفيان عن أنس رضى الله عنه : فقام أبو بكر ، فجعل ينادى : ويلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) .

روى عبد الله بن عمرو وأسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال أبو عبد الله : فالقروء هو كلام الرب الذى قال لموسى (لئن أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى) [طه / ١٤] ، إلا المعتزلة فإنهم ادعوا أن فعل الله مخلوق ، وأن أفعال العباد غير مخلوقة ، وهذا خلاف علم المسلمين إلا من تعلق من البصريين بكلام سنسوية ، كان مجوسيا فادعى الإسلام ، فقال الحسن : أهلكتم العجمة .

حدثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن ابن (٢) زيد النهيرى ، عن الحسن ، وقال همام عن قتادة : كانت العرب يثبت (٣) القدر فى الجاهلية والإسلام قال الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فإبلاغ رسالته والله يعصمك من الناس) فذكر لإبلاغ ما أنزل إليه ، ثم ذكر فعل تبليغ الرسالة فقال : (وإن لم تفعل فإبلاغ رسالته) فسمى تبليغه الرسالة وتركه فعلا ، فلا يمكن لأحد أن يقول على الرسول : أنه لم يفعل ما أمر به من الرسالة .

حدثنا على ، ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا الفضيل بن غزوان ، ثنا عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر ، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : (اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟) قال ابن عباس : والذى نفسى بيده إنها لو صية إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب .

وحدثنا على ، ثنا سفيان ، ثنا أبو الزعراء ، سمعه من عمه أبي الأحوص ، عن

(١) كذا فى الأصل . وقد عاق على الهاشم بد : هكذا فى النسخ .

(٣) كذا فى الأصل .

(٢) فى نسخة : أبى ،

أبيه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فعمدت في النظر وصوبت قلت : إلى
م تدعو ؟ وعماتني ؟ قال : لا شيء إلا الله والرحم . قال : أتتني رسالة من ربي
فضقت بها ذراعاً ورويت (١) أن الناس سيكذبونني ، فقيل لي : لتفعلن أو ليفعلن بك .
وقال أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : بلغوا عني ولو آية
وقال الزهري : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلىنا التسليم . قال أبو عبد الله :
وانتحل نفر هذا الكلام ، فافترقوا على أنواع لا أحصيها من غير بصر ، ولا تقليد يصح ،
فأضل بعضهم بعضاً ، جهلاً بلا حجة ، أو ذكر إسناد وكله (٢) من عند غير
الله إلا من رحم ربه فوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، وإذا أراد الله أن يلبسهم
شيئاً ، ويذيق بعضهم بأس بعض ، فلا مرد له ، فهم في ريبهم يترددون .

كما حدثني الأوصى ، عن ابن أبي الزناد ، عن أبيه : لا تقيمون (٣) على أمر وإن
أعجبهم ، إلا نقلهم الجدل إلى أمر سواه ، فهم كل يوم في شبهة جديدة ، ودين
ضلال .

حدثنا أبو النعمان ، ثنا حماد بن زيد ، عن عمر بن دينار ، عن جابر رضي الله عنه
قال : لما نزلت (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) [الأنعام
/ ٦٥] قال النبي صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك ، قال : (أو من تحت أرجلكم)
[الأنعام / ٦٥] قال : أعوذ بوجهك . قال : (أو يلبسكم شيئاً ويذيق بعضكم
بأس بعض) [الأنعام / ٦٥] قال : هذا هو أهون ، أو هذا أيسر .

قال أبو عبد الله : وحرم الله جل وعز أهل الأهواء كلهم ، أن يجحدوا عن
أشياءهم ، أو بأسمائهم ، حكماً من أحكام الرسول ، أو فرضاً أو سنة من سنن المرسلين

(١) كذا في الأصل : وامله : رأيت .

(٢) في نسخة كلمة .

(٣) كذا في الأصل . وامله : لا يقيمون .

إلا ما يعتلون بأهل الحديث ، إذ بدا لهم ، كالذين جعلوا القرآن عضين ، فآمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، فمن رد بعض السنن ، بما نقله أهل العلم ، فيلزمه أن يرد باقي السنن ، حتى يتخلى عن السنن والكتاب ، وأمر الإسلام أجمع ، والبيان في هذا كثير .

قال الخليل بن أحمد : يقلل الكلام ليحفظ ، ويكثر ليفهم ، ونحن على قول عمر حيث يقول : إني قائل مقالة قدر لي أن أقولها ، فمن عقلها ورعاها فليحدث بها حيث تنهى به راحلته ، ومن خشي أن لا يعيها ، فإني لا أحل له أن يكذب على .

حدثني به يحيى بن سليمان ، عن ابن وهب ، عن مالك ، ويونس ، عن بن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن عمر رضى الله عنه أنه قال ذلك .

قال الله : (ولا تقف ما ليس لك به علم) [الإسراء / ٣٦] هداانا وإياكم الصراط المستقيم وجنبنا (الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) [آل عمران / ١٠٥] . وقال أبي بن كعب : (بغيا بينهم) [البقرة / ٢١٣] بغيا على الدنيا ، وطلب ملكها وزخرفها وزينتها ، أيهم يكون له الملك والمهابة في في الناس ، فبغى بعضهم على بعض ، وضرب بعضهم رقاب بعض ، (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) [البقرة / ٢١٣] قاموا على ما جاءت به الرسل ، وأقاموا الصلاة ، وأتوا الزكاة ، واعتزلوا الاختلاف ، وكانوا شهداء على الناس ، يوم القيامة ، إن رسلهم قد بلغتهم ، وأنهم قد كذبوا رسلهم .

حدثنا إسماعيل بن أبي أويس ، حدثني كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) [آل عمران / ١٠٣] ، (ولا تكونوا كالذين اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) [آل عمران / ١٠٣] .

حدثنا محمد ، أنا عبد الله ، أنا محمد بن بشار ، عن قتادة ، عن صفوان بن عرز

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : بيننا أنا أمشى معه إذ جاءه رجل فقال : يا ابن عمر ، كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر في النجوى ؟ قال : سمعته يقول : يدنو المؤمن من ربه حتى يضعه ^(١) عليه كنفه . قال : فذكر صحيفة فيقرره بذنوبه هل تعرف ؟ فيقول : رب أعرف ، حتى يبلغ به ما شاء أن يبلغ فيقول : إني سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته . وأما الكافر فينادى على رؤوس الأشهاد قال الله : (ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) [هود / ١٨] . قال ابن المبارك كنفه يعنى ستره .

حدثنا مسلم ، ثنا أبان ، ثنا قتادة ، عن صفوان بن محرز ، بينا أنا مع ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ،

حدثنا مسدد ، ثنا أبو عوانه ، عن قتادة ، بهذا .

حدثنا مسدد ، ثنا يزيد بن زريع ، ثنا سعيد ، وهشام ، ثنا قتادة بهذا .

وقال آدم : ثنا شيبان ، ثنا قتادة ، ثنا صفوان بن محرز ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بهذا .

حدثنا موسى ، ثنا همام ، أخبرني قتادة ، عن صفوان ، سمع ابن عمر رضى الله عنهما ، سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما الكافر والمنافق فيقول : (الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) [هود / ٨١] .

حدثنا محمد ، أخبرنا عبد الله عن حيصة بن شريح ، حدثني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدني ، أن عقبة بن مسلم حدثه ، أن شفياء الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة ، فإذا أبو هريرة رضى الله عنه فقال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) كذا في الأصل : وادله يضع .

قال : إذا كان يوم القيامة يقول : (للقارىء ألم أعلمك ما أنزلت على رسولى)
قال : بلى يارب : قال : فإذا علمت ؟ قال : كنت أقوم به أنا ما لليل ، وأنا ما للنهار .
فيقول الله : كذبت وتقول الملائكة : كذبت ، ويقول الله : بل أردت أن يقال :
فلان قارىء . وقد قيل ذلك : قال أبو عثمان : أخبرنى العلاء بن حكيم ، قال معاوية :
صدق الله ورسوله : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون - إلى - وباطل ما كانوا يعملون) [هود / ٥١] .

قال أبو عبد الله : وما يقوى قول الشعبي فى بيع المصاحف ، أنه إنما يبيع عمل
يديه ، قول زياد بن لييد رضى الله عنه ، للنسبى صلى الله عليه وسلم : كيف يرفع العلم
وقد أثبت ، ووعته القلوب ؟

حدثنا ابن عبد الله بن صالح ، ثنا الليث ، عن إبراهيم بن أبي عيلة عن الوليد
ابن عبد الرحمن الجرسى ، عن جبير بن نفير ، حدثنى عوف بن مالك الأشجعى رضى
الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم نظرا إلى السماء يوما فقال : هذا أو ان يرفع
العلم . فقال له رجل من الانصار ، يقال له زياد بن لييد : يا رسول الله كيف يرفع
العلم وقد أثبت ووعته القلوب ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إن كنت
لأحسبك من أفقه أهل المدينة ، ثم ذكر له ضلالة اليهود والنصارى على ما فى أيديهم
من كتاب الله ، فلقيت شداد بن أرس بمحدث عوف فقال : ألا أخبرك بأول ذلك
يرفع ؟ قلت : بلى ، قال : الخشوع حتى لا ترى خاشعا .

حدثنى يحيى بن بكير ، ثنا الليث بهذا .

حدثنا خطاب بن عثمان ، ثنا محمد بن حمير ، عن إبراهيم بن أبي عيلة ، عن الوليد
ابن عبد الرحمن ، عن جبير بن نفير ، عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : بينما نحن
جالوس عند النبى صلى الله عليه وسلم نحوه فقال زياد : كيف يرفع العلم وفينا
كتاب الله ، وقد علمنا أبناءنا ونساءنا ؟

حدثنا عبد الله بن موسى ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : كنت مع أبي موسى

وعبد الله رضى الله عنها فقالا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : بين يد الساعة أيام ، ينزل فيه الجهل ، ويرفع فيه العلم .

حدثنا مسدد ، ثنا عبد الوارث ، عن أبي التياح ، عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أشرط الساعة أن يرفع العلم .

حدثنا مسدد ، ثنا يحيى ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من أشرط الساعة أن يرفع العلم ، وأن يظهر الجهل .

حدثنا مسلم ، ثنا هشام ، ثنا قتادة مثله ، ورواه ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم . وروى حميد بن عبد الرحمن ، وأبو سلمة ، ويزيد بن الأصم ، وعبد الرحمن بن يعقوب ، وأبو يونس ، وعياض بن دينار ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . وقال عمر : أبى أقرأنا ، وأنا لنندع كثيرا عن لحن أبى . قال سفيان عن حبيب بن أبي ثابت ، عن شعيب بن جبيرة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما بمثله .

حدثنا عمر بن مرزوق ، أنبا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مسعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) [الاسراء / ١١٠] قال أنزلت بمكة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا رفع صوته بالقرآن ، مسبهوا من أنزله ، ومن جاء به ، ولا تخافت بها عن أصحابك حتى تأخذوا (١) عنك .

حدثنا عمرو بن علي ، ثنا أبو داود ، ثنا شعبة عن أبي بشر ، عن مسعيد ، عن ابن جبيرة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته بالقرآن سب المشركون

(١) كذا في الأصل : وامله : يأخذوا .

القرآن ، ومن جاء به ، فلا يحب (١) ذلك المسامون ، وإذا خفيش ، اشتد ذلك على أصحابه ، فأنزل الله تعالى : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) .

حدثنا عمرو بن زرارة ، حدثني هشيم ، أنبأ أبو بشر ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال : نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مخفف بمكة ، وكان إذا صلى بأصحابه ، رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون مسبوا القرآن ، ومن أنزله ، ومن جاء به ، فقال الله لنبيه : (لا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك ، فيسمع المشركون ، فيسبوا القرآن . (ولا تخافت بها) عن أصحابك ، أى بقراءتك ، فلا تسمعهم . (وابتغ بين ذلك مسيلا) [الاسراء / ١١٠] رواه الأعمش ، عن جعفر بن إياس .

حدثنا عمرو بن زرارة ، أنا زياد ، عن محمد بن إسحق ، حدثني داود بن الحصين أن عكرمة مولى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم قال : إنما نزلت هذه الآية (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وابتغ بين ذلك مسيلا من أجل أولئك ، يقول : لا تجهر بصلاتك ليتفرقوا عنك ، ولا تخافت بها ، فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ، بمن يسترق ذلك دونهم ، لعله أن ينعوى إلى بعض ما يسمع فينتفع به .

حدثنا عمرو بن خالد ، ثنا محمد بن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة إذا صلى جهر بالقراءة ، فكان المشركون يطردون عنه الناس ، وقالوا : (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) [فصلت / ٢٦] . وإذا أخفى قراءته ، لم يسمع ذلك من يشتهى أن يسمعه ، فأنزل الله : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) الآية :

حدثنا إسحق ، ثنا أبو هشام المخزومي ، ثنا سعيد بن زيد ، عن عمرو بن مالك

عن أنى الجوزاء ، عن عائشة رضى الله عنها : (ولا تجهر بصلاتك) قال : فسمعه المشركون فجاءوا اليه فقالوا منه ، فأنزل الله : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن - إلى قوله - سبيلا) [الاسراء] .

حدثنا محمد بن موسى القعطان ، ثنا يزيد بن هارون ، أنبا سعيد بن زيد ، حدثنا عمرو بن مالك النكري ، عن أنى الجوزاء أوس بن عبد الله الربعى ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيت ، فجهر بالدعاء فجعل يقول : (يا الله يا رحمن ، فسمعتهم أهل مكة ، فأقبلوا عليه ، فأنزل الله) (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) [الاسراء / ١١٠] إلى آخر الآية .

حدثنا عبيد الله ، حدثني الليث ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة ابن الزبير ، أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : لم أعقل أبوى إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر عليها يوم إلا يأتينا ، فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة وعشية ، فذكر الحديث : فلم يكذب قريش لجوار بن الدغنة وقالوا : مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به .

حدثنا يحيى بن بكير ، ثنا الليث ، عن خالد ، عن سعيد ، عن غرق بن سليمان ، أن كريبا مولى ابن عباس أخبره قال : سألت ابن عباس رضى الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ؟ قال : كان يقرأ فى بعض حجره فيسمع قراءته من كان خارجا .

حدثنا قتيبة ، ثنا الليث ، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الله بن أبى قيس ، قال : سألت عائشة رضى الله عنها عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : كيف كان قراءته ؟ أكان يسر بالقرآن أم يجهر ؟ قالت : ربما كان يسر وربما جهر .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عوانة ، ثنا موسى بن أبي عائشة ، ثنا سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، (ولا تحرك به لسانك لتعجل به) [١٦ / القيامة] قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفثيه ، فقال ابن عباس : فأنا أحركها لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركها . وقال سعيد : أنا أحركها كما رأيت ابن عباس يحركها فحرك شفثيه ، فأنزل الله (لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك وقرأه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) قال : فاستمع له ، وأنصت ثم (إن علينا بيانه) أن علينا أن نقرأه . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا أنطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم ، كما قرأه .

حدثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا أبو عوانة ، وجريز ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما بهذا .

حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن ، إسرائيل ، عن موسى بن أبي عائشة أنه سأل سعيد بن جبير ، عن قوله تعالى (لا تحرك به لسانك) فقال : قال ابن عباس رضى الله عنهما : كان يحرك لسانه إذا أنزل عليه ، فقليل له : (لا تحرك به لسانك) تخشى أن ينفلت ، ثم (إن علينا جمعه) ثم اجمعه في صدرك وقرأته ، (فإذا قرأناه) يقول : أنزل عليه (فاتبع قرآنه) ثم إن علينا بيانه (أن نثبته على لسانك .

حدثنا الحميدى ، ثنا مفيان ، ثنا موسى ، وكان ثقة ، عن سعيد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل به الوحي حرك به لسانه ، ووصف سفيان- يريد أن يحفظه ، فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك

لتعجل به) وقال أبو عاصم : أنبا شعيب ، لقيته بمكة ، ثنا عكرمة ، عن ابن عباس ،
(لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه)
فاتبع بحمله ، وتفهم ما فيه .

حدثنا إبراهيم بن حمزة ، ثنا ابن أبي حازم ، عن يزيد ، عن محمد ، عن أبي سلمة ،
عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : اقرأ فى
سبع ولا تنثره .

[آخر الجزء الأول]

الجزء الثاني

من كتاب أفعال العباد

والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل

للبخارى (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حدثنا عبيد بن يعيش قال : ثنا يونس بن بكير ، ثنا محمد بن إسحق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء سبايا ، فتمت في مسجد بعد العصر ، وأنا على شركي ، فوالله ما أنبئني إلا قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المغرب : (الطور وكتاب مسطور) [الطور / ١] . قال أبو عبد الله : ولقد بين نعيم بن حماد (١) أن كلام الرب ليس بخلق ، وأن العرب لا تعرف الحي من الميت إلا بالفعل ، فن كان له فعل فهو حي ، ومن لم يكن له فعل فهو ميت . وإن أفعال العباد مخلوقة ، فضيق عليه حتى مضى لسبيله ، وتوجع أهل العلم لما نزل به . وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نعيما ومن نحا نحوه ليس بمفارق ولا مبتدع ، بل البدع والرئيس (٢) بالجهل بغيرهم أولى ، إذ يفتنون بالآراء المختلفة ، مما لم يأذن به الله .

(١) هذا العنوان على الهامش .

(٢) كان نعيم بن حماد الخزازي المروزي الحافظ امتحن بخلق القرآن فلم يقل بخلافه فسجن إلى أن مات محبوساً سنة ٢٢٩ هـ . قال الذهبي : له غلطات ومناكير في كثرة ما روى (الذهبي العبر ج ١ ص ٤٠٥) . ولكن البخاري هنا شهد له بالبراءة من البدعة ، ومن مخالفة السنة .

حدثنا أحمد بن يونس قال : ثنا زهير قال : ثنا عبد العزيز بن ربيع قال : ثنا شداد بن معقل قال : قال عبد الله : إن هذا القرآن الذى ظهر بكم يوشك أن ينزع منكم ، قلت : يا عبد الله بن مسعود ، كيف ينزع منا وقد أثبتته الله فى قلوبنا وأثبتناه فى مصاحفنا ؟ قال : يسرى فى ليلة ، فينزع ما فى القلوب ، ويذهب بما فى المصاحف . ثم تلا (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) [الإسراء / ٨٦] .

حدثنا الحميدى قال سفيان ، قال : ثنا عبد العزيز بهذا قال سفيان : (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) [الإسراء / ٨٦] . لا تجد أحداً يتوكل لك أن لا يذهب به .

حدثنا إسماعيل قال : حدثنى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس ولكن ينزع العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً ، اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا .

حدثنا محمد بن سنان قال : ثنا همام عن قتاده عن يزيد بن عبد الله بن الشخيرى والعلاء بن زياد ، وعقبة ورجل آخر عن عياض بن حماد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله أوحى إلى (أنزلت عليك كتاباً لا يغله الماء يقرأه نائمًا ويقظاناً) وقد أمر عثمان زيد بن ثابت أن ينسخ المصاحف ، ثم حرق سائر المصاحف .

حدثنا أبو اليمان قال : أنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى أنس عن عمر ، نحوه .

حدثنا محمد بن المثنى قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال : ثنا شعبة عن ابن إسحاق عن مصعب بن سعد قال : أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين شقق عثمان المصاحف قال : فأعجب أو قال لم يعجب ذلك منهم أحد .

حدثنا محمد بن المثني قال : حدثنا عبد الرحمن قال : أخبرني أنس عن عثمان نحوه .

حدثنا المسكي بن إبراهيم قال : حدثنا معيد عن قتادة عن ، زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال : سألت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن .

حدثنا عبد الله ، حدثني معاوية عن سليم بن عامر عن أبي إمامة الباهلي رضى الله عنه قال : اقرؤا القرآن ولا تفرنكم هذه المصاحف المعلقة ، فإن الله لا يعذب قلبا وعى القرآن .

حدثنا إسماعيل ، حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو .

حدثنا أحمد بن خالد عن أبي إسحق عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو قال أبو عبد الله وتابعه محمد بن بشر عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لقي سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقروا كما علمتم وقال ابن عباس رضى الله عنهما : أى القراء تعدون أول ؟

حدثني يحيى ، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أى القراء تعدون أول ؟ قلنا : قراءة عبد الله . قال : لا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض عليه القرآن في كل رمضان مرة إلا العام الذى قبض فيه فإنه عرض عليه القرآن مرتين ، فحضره عبد الله فشهد ما نسخ منه وما بدل ورواه زائدة عن يعلى عن الأعمش .

حدثنا عثمان ، عن جرير عن حصين بن عبد الرحمن عن مرة قال : أتيت منزل

ابن مسعود أطلبه ، فقيل لى : هو عند أبى موسى ، فأثبت أباً موسى فإذا هو وحذيفة وهو يقول لحذيفة : إنك صاحب الحديث : قال أجل كرهت أن يقال قراءة فلان وقراءة فلان ، فبين أن قراءة القارىء سوى القرآن قال أبو عبد الله : وما بين ذلك ما حدثنى به يوسف بن محمد ، حدثنى يحيى بن سليم عن ابن خيثم عن عبيد الله بن عياض القارى قال : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة رضى الله عنها ، ونحن عندها قال : لما بلغ عليهما عيبوا عليه وفارقوه ، أمر فأذن مؤذن له أن لا يدخل على أم المؤمنين إلا رجلاً قد حمل القرآن ، فلما امتلأت الدار من قراء الناس ، وجاء بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فطفق يصكه بيده ويقول : أيها المصحف حدث الناس . فتداه الناس فقالوا : يا أمير المؤمنين ماذا تسأل عنه إنما هو مداد فى ورق ونحن نتكلم بما رأينا فيه فإذا تريد ؟ فقال : أصحابكم الذين حربوا بينى وبينكم كتاب الله عز وجل ، يقول الله جل وعز فى كتابه فى امرأة ورجل (وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدان إصلاحاً يوفق الله بينهما) [النساء / ٣٥] بل إمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم حقاً وحرمة من امرأة ورجل ، وساق الحديث ، قالت : صدق ، يكذبون عليه ويزيدون عليه .

حدثنا عمر بن حفص ، ثنا أبى ، ثنا الأعمش ، حدثنى شقيق ، قال : رأى عبد الله مصحفاً مزينا بالذهب فقال : إن أحسن ما زين به المصحف فى الحق لتلاوته .

حدثنا محمد بن سلام ، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق قال : قال عبد الله : إن أحسن ما زين به المصحف لتلاوته فى الحق .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى معاوية بن صالح عن ابن جبير قال : قدم علينا أبو جمة الأنصارى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا : يا رسول الله هل من أحد أعظم منا أجراً ، أمنا بك

واتبعناك؟ قال : وما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم ، يأتيتكم بالوحي من السماء؟ بل قوم يأتون من بعدكم يأتينهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به ويعملون بما فيه ، أولئك أعظم منكم أجرا .

ما جاء في قول الله عز وجل :

(بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) [المائدة/٦٧]
وقول النبي صلى الله عليه وسلم : بلغوا عني ولو آية ، وليبلغ الشاهد الغائب ، وإن الوحي قد انقطع . قال عليّ عن محمد بن بشر : حدثنا شعيب [بن أبي حمزة (١)] .
عن أبي معشر عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : من زعم أن محمدا كتم شيئا من الوحي فقد أعظم على الله الفرية ، والله تعالى يقول : (بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) . وقال صالح : (يا قوم لقد أبلغتم رسالة ربى) [الأعراف/٧٩] وقال شعيب (لقد أبلغكم رسالات ربى) [الأعراف/٦٢] وقال تعالى : (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) [الجن/٢٨]
فبين الرسالة من الله والإبلاغ من الرسل .

حدثنا علي بن عبد الله ، ثنا عمرو بن طلحة بن علقمة بن وقاص الليثي ، حدثني عبد الله بن علقمة بن وقاص ، أخبرني أبي عن عائشة رضى الله عنها أنها حدثته قالت : أتيت يهود يوما ليتأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلسوا على الباب حتى فزع رسول الله صلعم ثم إذن لهم فقالوا : يا أبا القاسم ، فعلت بنا اليوم شيئا لم تكن تفعله ، حبستنا بالباب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أمرني ربى بكذا وأنزل عليّ كذا وأنزل كذا) قالوا : والذي أنزل التوراة على موسى إنا لنجد أمتك أسرع أمة من الأمم لإجابة لنبيها صلى الله عليه وسلم ، وأوشك أمة من الأمم انصرافا عن دينها .

حدثنا علي بن عبد الله ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا الفضيل بن غزوان ، ثنا عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال : أيها الناس أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام : قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام . قال : فأى شهر هذا ؟ قالوا شهر حرام : قال : فإن دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا فأعادها ثلاث مرات . ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم هل بلغت : قال : ابن عباس رضى الله عنها . والذي نفسى بيده إنها الوصية إلى أمتي ، فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، حدثني شعيب عن ابن شريح أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : أيها الأمير أحدثك قولاً قام به النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح سمعته أذنأى ووعاه قلبى وأبصرته عينأى حين تكلم به : حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ولا يحل لأمرأى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعض بها شجرة فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلعم فيها فقولوا له إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لکم فإنما أذن لى ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب .

حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا أبو عامر ، ثنا قرة عن محمد بن سيرين ، أخبرني عبد الرحمن بن أبي بكرة ، ورجل أفضل في نفسى من عبد الرحمن حميد بن عبد الرحمن عن أبي بكرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال : أتدرون أى يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه يسميه بغير اسمه . قال : أليست بالبلدة الحرام ؟ قلنا : بلى . قال : فإن دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب ، قرب

مبلغ أوعى من سامع ، (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) .

حدثنا مسدد ، ثنا يحيى (١) ، حدثني ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة وعن رجل آخر هو في نفسه أفضل من عبد الرحمن ابن أبي بكرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وقال : ليلبلغ الشاهد الغائب قرب مبلغ يبلغه من هو أوعى له ، فكان كذلك .

حدثنا أبو عاصم عن ربيعة بن عبد الرحمن قال : حدثني سراء ابنة نبهان رضى الله عنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ليلبلغ أدناكم أقصاكم ثلاثا .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا سفیان بن نشيط ، حدثني عبد الكريم بن بنى عقيل قال : خرجت حين قدم يزيد بن المهلب فررنا بالزجيج فإذا شيخ كبير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأنا تحت جران ناقته قال : أيها الناس أتدرون أى شهر هذا ؟ هذا شهر حرام وبلد حرام ويوم حرام ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام بينكم كحرمة يومكم هذا الى يوم تلقونه . اللهم اشهد ، اللهم اشهد ثلاثا فليبلغ الشاهد الغائب فإذا هو العداء بن خالد العامري رضى الله عنها .

حدثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، ثنا عتبة بن عبد الملك السهمي ، حدثني زرارة بن كريم بن حارث بن عمرو السهمي ان الحارث بن عمرو السهمي حدثه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وقال : فليبلغ الشاهد الغائب .

حدثنا مكي بن إبراهيم ، ثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يبلغ شاهدكم غائبكم .

حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا معن . ح . وحدثنا معاوية عن ربيعة ابن يزيد عن الصنابحي قال : دخلنا على عبادة بن الصامت رضى الله عنه في مرضه فقال عبادة : من سرّه أن ينظر إلى رجل كأنما عرج به إلى السماء ثم هبط به إلى الأرض فهو يعمل مثل ما رآه فليُنظر إلى هذا . ولئن استطعت . ثم قال عبادة : وما تركت حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكم به إلا هذا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليلبلغ الحاضر منكم الغائب ومن مات يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فقد وجبت له الجنة .

حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ، ثنا الوليد بن مسلم . ثنا أبو محمد عيسى بن موسى عن إسماعيل بن عبيد الله عن قيس بن مسلم المدحجي أنه سمع عبادة بن الصامت رضى الله عنه يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إني محدثكم بحديث فليبلغ الحاضر منكم الغائب .

حدثنا سليمان بن حرب ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقر قال : لما قتل عليّ وقام الحسن صعد المنبر ، وقام رجل فقال : أنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه في حبوته وهو يقول : اللهم إني أحبه فأحبه فليبلغ الشاهد الغائب ، ولولا غربة النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثتكم . ثم سمعته بعد يحدث به فقال فيه : من أحبني فليحبه .

أخبرني عبد الله ، أخبرني أبي عن شعبة بهذا ، فقام رجل من الأسد فقال : من أحبني فليحبه .

حدثنا هشام بن عمار ، ثنا صدقة بن خالد ، ثنا أبو حفص عثمان بن أن العاتكة ، حدثني سليمان بن حبيب المحاربي قال : نزلنا حص فذكر لنا أن أبا أمامة بها فدخلنا فإذا شيخ كبيرهم فقال : إن هذا المجلس من بلاغ الله إياكم . ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أرسل به وأنتم فبلغوا ما سمعوا منا .

حدثنا فضل بن يعقوب ، ثنا عبد الله بن جعفر الرقى ، ثنا معتمر بن سليمان ،
ثنا سعيد بن عبيد الله الثقفي ، ثنا بكر بن عبد الله المزني ، وزياد بن جبير عن
جبير بن حية عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : أخبرنا نبينا صلى الله عليه
وسلم عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها ، ومن بقى
منا ملك رقابكم ، قال ذلك لعامل كسرى .

حدثنا عمرو بن زرارة ، ثنا زياد ثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا مولى آل زيد بن
نابت عن سعيد عن جبير عن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس رضى
الله عنها ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما جئتمكم به أطلب أموالكم
ولا الشرف فيكم ، ولكن بعثني الله إليكم رسولا وأنزل عليّ كتابا وأمرني
أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا
منى ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه أصبر لأمر الله حتى
يحكم الله بيني وبينكم .

حدثنا محمد بن الحكم ، ثنا النضر بن شميل ، ثنا إسرائيل ، ثنا سعد الطائي ،
ثنا محمد ^(١) بن خليفة عن عدى بن حاتم قال : بينا أنا عند النبي صلى الله عليه
وسلم قال : ليلقين الله أحدكم فيقول له ألم أبعث إليك رسولا فبلغك ؟

حدثنا أبو غسان ، ثنا زهير ، ثنا الأسود بن قيس ، حدثني ثعلبة بن عباد من
أهل البصرة وأنه شهد خطبة لسمرة بن جندب رضى الله عنه قال : وافقنا النبي
صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى الناس فصلى وذكر الكسوف وقال : إنما أنا
بشر رسول فاذا ذكركم بالله إن كنتم تعلقون أنى قصرت فى شيء من تبليغ رسالات
ربى : قالوا : نشهد أنك بلغت رسالات ربك وأديت الذى عليك .

حدثنا حبان ، أنبا عبد الله عن سفيان عن أسود بن قيس عن ثعلبة ابن عباد

العبدى ، سمعت ابن جندب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن كنتم تعلمون أنى قصرت عن تبليغ شيء من رسالات ربى ، فقالوا نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك .

حدثنا يحيى ، ثنا وكيع عن سفيان عن عبد الرحمن بن علقمة عن ابن عباس رضى الله عنهما (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) [البقرة/ ٧٩] قال: نزلت في أهل الكتاب .

حدثنا أبو اليان ، ثنا شعيب عن الزهرى ، أخبرنى عبد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يامعشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله محضا لم يشب ؟ قد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتاب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب قالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسئلتهم ؟ فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذى أنزل عليكم . قال أبو عبد الله : ورواه يونس ومعر وإبراهيم بن سعد عن الزهرى .

حدثنا عمرو بن زرارة ثنا زياد عن محمد بن إسحاق حدثنى مولى يزيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وساق الحديث . وقد حرم الله عليهم فى التوراة سفك دماهم وكانوا فريقين حين تسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم .

حدثنا أبو اليان ، ثنا شعيب عن الزهرى ، أخبرنى حميد بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : إن ناسا كانوا يأخذون بالوحى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الوحى قد انقطع ولما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريره شيء يحاسبه فى سريره ، ومن أظهر لنا شرا لم

نأمنه ، ولم نصدقه ، وإن قال إن سريره حسنة ، قال أبو عبد الله : تابعه عثمان ابن صالح ح ، وحدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، ورواه سلامة ، عن عقيل .

حدثنا عمرو بن زرارة ، حدثنا عبد الوارث ، عن سعيد ، عن قتادة (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) [البقرة / ١٤٦] ، يعرفون أن الإسلام دين الله ، وأن محمداً رسول الله ، مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل . قال أبو عبد الله : وقال ابن عيينة في قوله تعالى : (وتعيها أذن واعية) [الحاقة / ١٢] . أذن وعت عن الله عز وجل .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت الحرث بن هشام رضي الله عنه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف يأتيك الوحي ؟ قال : أحياناً مثل صلصلة الجرس ، وهو أشد عليّ فيعصم عني ، وقد وعيت ما قال . وأحياناً يتمثل لي الملك فيكلمني فأعني ما يقول . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيعصم عنه ، وأن جبينه ليتفصد عرقاً .

حدثنا إسماعيل ، ثنا مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أحياناً يتمثل لي الملك فأعني ما يقول ، مثله .

حدثنا فروة بن أبي المغراء ، ثنا علي بن مسهر ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يتمثل لي الملك أحياناً رجلاً فيكلمني فأعني ما يقول ، ويأتيني أحياناً مثل صلصلة الجرس فيعصم عني وقد وعيت . بهذا : حدثنا مالك بن إسماعيل ، ثنا ابن عيينة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت الحرث بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف ينزل عليك الوحي ؟ قال مثل صلصلة الجرس فيعصم عني أحياناً وقد وعيته عنه .

باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر ويرويه

عن ربه عز وجل

حدثنا يحيى بن بشر ، ثنا روح ، ثنا زهير بن محمد ، ثنا بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي زهرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه قال : (من تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا) .

حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، ثنا سعد بن الربيع ، ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه قال : (إذا تقرب إلى العبد شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإذا تقرب ذراعا تقربت منه باعا ، وإن أتاني مشيا أتيتته هرولة) .

حدثنا آدم ، ثنا شعبة ، ثنا محمد بن زياد ، سمعت أبا هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربكم عز وجل قال : (لكل عمل كفارة والصوم لى وأنا أجزى به ، ولخسوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) .

حدثنا حفص بن عمر ، ثنا شعبة ، عن محمد بن زياد ، قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربكم مثله .

حدثنا حجاج ، ثنا شعبة ، أخبرني محمد بن زياد ، قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربكم مثله .

حدثنا مسلم وسليمان قالا : ثنا شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذا .

حدثني موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم يحكى عن ربه .

حدثنا حفص بن عمر ، ثنا همام ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال : إن الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها كالرزق في الدنيا ، وأما الكافر فيعطى حسناته في الدنيا حتى إذا قضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها .

حدثنا عمرو بن علي ، ثنا عمرو بن علي بن المقدم ، ثنا موسى بن المسيب قال : سمعت سالم بن أبي الجعد يذكر عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضى الله عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه ، عن ربه عز وجل قال : يا ابن آدم إنك إن تأتيني^(١) بقراب الأرض خطيئة بعد أن لا تشرك بي شيئا جعلت قرابها مغفرة ولا أبالي .

حدثنا محمد بن أبي بكر ، ثنا عمر بن علي بهذا . قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل .

حدثنا موسى ، ثنا حماد ، عن محمد بن إسحق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل قال : استقرضت من ابن آدم فلم يقرضني وشتمني ، يقول وادهره ، والله هو الدهر ، وكل شيء من ابن آدم يأكله التراب إلا عجب ذنبه فإنه يخلق عليه حتى يبعث منه .

حدثنا الحميدى ، ثنا الوليد ، ثنا ابن جابر الأزاعى قال : ثنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر قال : سمعت أبا كريمة يقول : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله : أنا مع عبدى ما ذكرني ، وتحركت بي شفتاه . ويذكر عن إبراهيم ، أو مجاهد في قوله : (والذى جاء بالصدق وصدق به) [الزمر/٢٣] قال : هم أهل القرآن إذ عملوا به .

باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعين بكلمات الله لا بكلام غيره

وقال نعيم : لا يستعاذ بالمخلوق ، ولا بكلام العباد والجن والإنس ، والملائكة ،
وفي هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق ، وأن سواه خالق . قال أحمد بن خالد :
ثنا محمد بن إسماعيل (١) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان الوليد
بن الوليد رجل (٢) يفرع في منامه ، وذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال له : النبي صلى الله عليه وسلم : إذا اضطجعت للنوم فقل : بسم الله ، عوذ
بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ومن همزات الشياطين ،
وأن يحضرون فقالها فذهب . ذلك عنه

وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، من بلغ من بنيه علمه إياهن ، ومن كان منهم
صغيرا لا يعيها كتبها وعلقها في عنقه .

حدثنا أبو يعفور عبد الله بن أصالح ، حدثني الليث ، حدثني يزيد بن أبي حبيب
عن الحارث بن يعقوب عن يعقوب بن عبد الله أنه سمع بشير بن سعد يقول :
سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : سمعت حولة بنت حكيم تقول : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : من نزل منزلا فقال : عوذ بكلمات الله التامات من
شر ما خلق : لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث مثله .

حدثنا دم ، ثنا آليث عن يزيد نحوه .

(١) في نسخة : إسحق .

(٢) كذا بالأصل .

حدثنا قتيبة ، ثنا الليث عن يزيد وقص الحديث .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا مالك وعبد الله بن مسلمة عن مالك عن سهيل ابن أبي صالح السمان عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلا من أسلم قال : ما نمت هذه الليلة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : من أى شيء ؟ قال : لدغتنى عقرب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنك لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضرك إن شاء الله تعالى .

حدثنا عياش ، ثنا عبد الأعلى ، ثنا عبد الله بن عمر رضى الله عنها بمثل هذا .

حدثنا أصبغ ، أخبرني ابن وهب عن جرير بن حازم عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا . حدثنا سعيد بن تليد الرعيني حدثني ابن وهب ثنى سعيد بن عبد الرحمن الجمحي عن سهيل بهذا . حدثنا أصبغ أخبرني ابن وهب عن سعيد نحوه ورواه هشام بن حسان ومحمد بن رفاعة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بهذا .

وقال الزهري : أخبرني طارق عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بهذا . ورواه شبل بن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بهذا . ويروى عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا عثمان بن محمد ، ثنا جرير ، عن منصور المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنها قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بالحسن والحسين ويقول : إن أباكما كان يعوذ لإسماعيل وإسحق أعيذكما بكلمات الله التامة (١) كلها من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة .

(١) في نسخة : التامات .

حدثنا أصبغ ، ثنا ابن وهب عن سفيان الثوري بهذا .

حدثنا عثمان ، ثنا عمر بن عبد الرحمن الأبار ، ثنا الأعمش عن منصور عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنها : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ " حسنا وحسبنا أعينكم بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة .

حدثنا عبد الله بن أبي شيبه ، ثنا ابن فضيل عن الأعمش عن المنهال عن محمد ابن علي قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم ، بهذا ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اقرؤ القرآن ، ونهاهم أن يرفعوا أصواتهم إذا علوا مكانا .

حدثني به أحمد بن إسحق ، ثنا الانصاري ، ثنا التيمي عن أبي عثمان عن أبي موسى رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرقينا في عقبة أو في ثنية قال : كان الرجل منا إذا علاها قال : لا إله الا الله والله أكبر : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنكم لاتنادون أصم ولا غائبا . قال : وهو على بغلته يعرضها فقال : يا أبا موسى أو يا عبد الله ألا أعلمك من كلمة كنوز الجنة ؟ . قال : بلى ، يا رسول الله . قال : لاحول ولا قوة الا بالله . ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب أن يسكون الرجل خفيض الصوت ، ويسكره أن يكون رفيع الصوت . وإن الله عز وجل ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، فليس هذا لغير الله جل ذكره ، قال أبو عبد الله : وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب . وأن الملائكة يصعقون من صوته . فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا . وقال عز وجل : (فلا تجعلوا لله أندادا) [البقرة / ٢٢] . فليس لصفة الله ند ، ولا مثل ، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين .

حدثنا به داود بن شيبه ، ثنا همام ، ثنا القاسم بن عبد الواحد ، حدثني عبد الله ابن محمد بن عقيل أن جابر بن عبد الله حدثهم أنه سمع عبد الله بن أنيس رضى

الله عنه يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة واحد (١) من النار يطلبه بمظلمة .

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ، فيقول لبيك ربنا وسعديك ، فينادي بصوت أن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار ، قال : يارب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه . قال تسعمائة وتسعة وتسعين . فحينئذ تضع الحامل حملها (وترى الناس مسكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) [الحج / ٢] .

حدثنا عبد الله عن أبي هوزة عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق ، قال : من كان يحدثنا هذه الآية لولا ابن مسعود سألناه (حتى إذا فزع عن قلوبهم) [سبأ / ٢٣] سمع أهل السموات صلصلة مثل صلصلة السلسلة على الصفوان فيخرون (حتى إذا فزع عن قلوبهم) [سبأ / ٢٣] سكن الصوت عرفوا أنه الوحي ، ونادوا (ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق) [سبأ / ٢٣] .

حدثنا عمر بن حفص ، ثنا أبي ، ثنا الأعمش ، حدثني مسلم عن مسروق عن عبد الله ، بهذا .

حدثنا الحميدى ، ثنا سفيان ، ثنا عمرو قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا أفضى الله عز وجل الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا (فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم . قالوا الحق وهو العلى الكبير) [سبأ / ٢٣] .

(١) كذا في الأصل : وصوابه : واحدا .

وقال الحكم بن أبان : حدثني عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ، إذا قضى الله جل ذكره أمرا تكلم ، رجفت الارض والسماء والجبال وخرت الملائكة كلهم سجدا .

حدثنا عمرو بن زرارة ، ثنا زياد عن محمد بن الحسن ، حدثني محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن شهاب الزهري عن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم عن عبد الله بن عباس عن نضر بن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لهم ما تقولون في هذا النجم الذى يرى به ؟ قالوا : كنا يارسول الله أنا نقول حين رأيناها يرى بها : مات ملك ، ولد مولود ، مات مولود ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك كذلك ، ولكن الله إذا قضى في خلقه أمرأ يسمعه أهل العرش فيسبحوا فيسبح من تحتهم بتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك ، فلم يزل التسبيح ينهبط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا ، ثم يقول بعضهم لبعض لم سبّحتم ؟ فيقولون : سبّح من فوقنا فسبّحنا بتسبيحهم فيقولون : أفلا تسألون من فوقكم مم سبّحوا فيسألونهم فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا ، الأمر الذى كان ، فينهبط به الخير من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيتحدثون به فيسترقه الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف ، ثم يأتون به إلى الكهان من أهل الأرض فيحدثونهم فيخطئون وبصيون ، فيحدث به الكهان ، ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين عن السماء بهذه النجوم ، وانقطعت الكهنة اليوم فلا كهانة .

حدثنا محمد بن كثير ، ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله ، أى الذنوب أعظم ؟ قال : إن تجعل لله ندا وهو خلقك . قال : ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يأكل منك . قال : قلت ثم أى ؟ قال : أن تزانى بحليلة جارك ، وأنزل الله عز وجل تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم : (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) [الفرقان/٦٨] .

حدثنا مسدد ، ثنا يحيى عن مفيان ، حدثني منصور وسليمان ، عن أبي وائل ، نحوه .

حدثنا عثمان ، ثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله رضى الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أى الذنوب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا ، وهو خلقك .

حدثنا قتيبة ، ثنا جرير ، مثله .

حدثنا هناد ، ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة ، (ما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) [يوسف / ١٠٦] قال يسألهم من خلق ؟ ومن خلق السموات والأرض ؟ فيقولون : الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره .

باب ما نقش النبي صلى الله عليه وسلم فى خاتمه من كتاب الله تعالى ، وما يدخل به الحاجة

قال أبو عبد الله : وفى الخواتيم والدراهم البيض ذكر الله جل ذكره .

وقال عطاء ، فى الخاتم : فيه ذكر الله عز وجل ، يدخل الإنسان الكنيف أو يلم بأهله وهو بيده لا بأس به .

وقال الحسن : ولا بأس أن يمس الدراهم البيض على غير وضوء . وأن يرفع المصحف من هاهنا فيضعه هاهنا . ويذكر عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه كان يمس الدراهم على غير وضوء .

وقال : أنبأنا عبدان ، أن عبد الله عن جرير عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنها قال : يضع المصحف على فراشه الذى يحتله فيه ويجمع ويعرق عليه ، وبأل سعيد بن جبير ثم توضع إلا رجله ثم أخذ المصحف .

وقال طاووس في الرجل يكون عليه المنطقة وفيها الدراهم : يقضى حاجته وهي عليه .

وقال إبراهيم : لا بد للناس من نفقاتهم ، وأحب بعض التابعين أن لا يدخل الخلاء بالخاتم فيه ذكر الله .

قال أبو عبد الله : وهذا من غير تحریم يصح .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تحلفوا بأبائكم ولا بالمسيح ، وليس لأحد أن يحلف بالخلق ، ولا بأعمالهم ولا بكلامهم ولا بكلام الكفار والمنافقين ولا بقول إبليس ، فمن حلف بقول المجوسى (١) أو نحوهم لم يلزمه حنث ، وإنما يذكر عن ابن مسعود وإبراهيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا من حلف بسورة من القرآن فعليه بكل آية منها كفارة ، فأما أصوات المخلوقين فليس فيها كفارة .

حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، ثنا أنس عن ثمامة عن أنس رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه لما استخلف بعثه إلى البحرين وكتب له هذا الكتاب وكان نقش الخاتم ثلاثه أسطر . محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر .

حدثنا علي بن الجعد ، ثنا شعبة عن قتادة قال : سمعت أنسًا رضى الله عنه يقول : اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما كأنى أنظر إلى بياضه في يده ونقشه : (محمد رسول الله) .

حدثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضى الله عنه قال : اصطنع النبي صلى الله عليه وسلم خاتما فقال : إنا اتخذنا خاتما ونقشنا عليه نقشا ، فلا ينقش عليه أحد .

(١) كذا في الأصل : وامله : المجوس

حدثنا مسدد ، ثنا حماد عن عبد العزيز عن صهيب عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما ونقشه (محمد رسول الله) .

حدثنا محمد بن سلام ، ثنا سفيان عن أيوب بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما فيه . محمد رسول الله . وقال : لا ينقش أحد نقش خاتمي .

حدثنا محمد بن بشر ، ثنا عبد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، كان في خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (محمد رسول الله) قال الإمام أبو عبد الله رحمه الله ، وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه . بسم الله الرحمن الرحيم . وقرأه ترجمان قيصر على قيصر وأصحابه ، ولا نشك في قراءة الكفار وأهل الكتاب أنها أعمالهم ، وأما المقروء فهو كلام الله العزيز المنان ليس بمخلوق ، فمن حلف بأصوات قصيرة^(١) وبنداء المشركين الذين يقرون بالله لم يكن عليه يمين دون الحلف بالله لقول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تحلفوا بغير الله ، وليس لأحد أن يحلف بالخواتيم والدرهم البيض والواح الصبيان التي يكتبونها ثم يحونها مرة بعد مرة ، وإن حلف فلا يمين عليه لقول الله عز وجل (فلا تجعلوا لله أندادا) [٢٢ / البقرة] .

حدثنا أبو البيان ، ثنا شعيب عن الزهري ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية الكلبي إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم - إلى قوله - فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) [٦٤ / آل عمران] فلما فرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا .

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث مثله .

حدثنا عبد الله ، ثنا الليث مثله ، حدثنا عبد الله ، ثنا الليث ، حدثنا يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله عن عبد الله بن عباس رضى الله عنها ، أخبره أن أبا سفيان بن حرب بن أمية أخبره بهذا ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله .

حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس رضى الله عنها أخبره . قال : أخبرني أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه بهذا ، ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) [٦٤/آل عمران] فلما انقضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم وكثر لعظهم .

- حدثنا عبد الله ، ثنا الليث ، حدثني يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضى الله عنها ، أخبره بهذا فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله نحوه .

حدثنا عمرو بن زوارة ، ثنا زياد عن ابن إسحق قال : حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضى الله عنها ، حدثني أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه بهذا . وقدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفة . بسم الله الرحمن الرحيم نحوه . قال الإمام أبو عبد الله ورواه معمر وهلال بن رواد عن الزهري .

حدثنا عبد الله ، ثنا الليث ، حدثني عقيل ويونس عن الزهري . أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن عباس رضى الله عنها ، أخبره أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا بكتاب إلى كسرى ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين يدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى خرقة فحسبت أن معبد بن المسيب قال : فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب بهذا .

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال : أخبرني عبيد الله أن ابن عباس رضى الله عنها أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه إلى كسرى ، نحوه .

حدثنا يعقوب بن حميد ، ثنا إبراهيم عن صبيح عن ابن شهاب عن عبيد الله أن ابن عباس رضى الله عنها أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث كتابا إلى كسرى ، نحوه . قال أبو عبد الله : ورواه ابن أخى ابن شهاب نحوه .

قال الإمام أبو عبد الله رحمه الله عليه : فإن احتج محتج ، فقال : قد روى أن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه . قيل له : لو صح هذا الخبر لم ، يمكن لك فيه حجة لأنه قال : كلام الله ولم يقل : قول العباد من المؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب الذين يقرؤون بسم الله الرحمن الرحيم ، وهذا واضح بين عند من كان عنده أدنى معرفة أن القراءة غير المقروء وليس لكلام الفجرة وغيرهم فضل ، على كلام غيرهم ، كفضل الخالق على المخلوق ، وتبارك ربنا وتعالى وعز وجل عن صفة المخلوقين ، وإن قال قائل : فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : إنكم لن ترجعوا إلى الله بشئ أفضل مما خرج منه . قيل له : أليس القرآن خرج منه فخروجه منه ليس كخروجه منك إن كنت تفهم مع أن هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه . فإن قال : فإن لم يكن الذى يتكلم به العبد قرآنا لم تجزه صلاته . قيل له : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا صلاة إلا بقراءة .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : مثل النبي صلى الله عليه وسلم . أفى كل صلاة قراءة ؟ قال : نعم .

قال الإمام أبو عبد الله : القراءة هي التلاوة ، والتلاوة غير المتلو ، وقد بينه أبو هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اقرأوا إن شئتم ، يقول العبد : (الحمد لله رب العالمين) ، فيقول الله : (حمدنى عبدى) ، يقول العبد : (الرحمن الرحيم) ، يقول الله عز وجل : (أثنى على عبدى) ، يقول العبد : (مالك يوم الدين) ، يقول الله : (مجدنى عبدى) ، يقول العبد : (إياك نعبد وإياك نستعين) ، يقول الله : (هذه الآية بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل) .

قال الإمام أبو عبد الله : فبين أن سؤال العبد غير ما يعطيه الله للعبد ، وأن قول العبد غير كلام الله ، هذا من العبد الدعاء والتضرع ، ومن الله الأمر والإجابة .

وحدثني عبد الله بن محمد ، ثنا بشر بن السرى ، ثنا معاوية ، عن أبي الزاهرية ، عن كثير بن مرة الحضرمى قال : سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه يقول : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى كل صلاة قراءة ؟ قال : نعم . فقال رجل من الأنصار : وجبت هذه .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأوا إن شئتم ، فالقراءة لا تكون إلا من الناس ، وقد تكلم الله بالقرآن من قبل ، وكلامه قبل خلقه .

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم . أى الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت ، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن بعض الصلاة أطول من بعض وأخف ، وأن بعضهم يزيد على بعض فى القراءة ، وبعضهم ينقص ، وليس فى القراءة زيادة ولا نقصان . فأما التلاوة فإنهم يتفاضلون فى الكثرة والقلة ، والزيادة والنقصان . وقد يقال : فلان حسن القراءة وردىء القراءة ، ولا يقال حسن القرآن وردىء القرآن . وإنما نسب إلى العباد القراءة لا القرآن ، لأن القرآن كلام الرب جل

ذكره ، والقراءة فعل العبد ، ولا يخفى معرفة هذا القدر لإلا على من أعمى الله قلبه ، ولم يوفقه ولم يهده سبيل الرشاد ، وليس لأحد أن يشرع في أمر الله عز وجل بغير علم ، كما زعم بعضهم أن القرآن بالفاظنا وألفاظنا به شيء واحد ، والتلاوة هي المتلو ، والقراءة هي المقروء ، فقيل له : إن التلاوة فعل التالى ، وعمل القارىء ، فرجع وقال : ظننتهما مصدرين . فقيل له : هلا أمسكت كما أمسك كثير من أصحابك ، ولو بعثت إلى من كتب عنك ، فاسترددت ما أثبت وضربت عليه ، فزعم أن كيف يمكن هذا ، وقد قلت ومضى ؟ فقيل له : كيف جاز لك أن تقول في الله عز وجل شيئاً لا يقوم به شرحاً وبياناً إذا لم تميز بين التلاوة والمتلو ؟ فسكت إذا (١) لم يكن عنده جواب .

قال الإمام أبو عبد الله رحمه الله : فإن اعترض جاهل لا يترفع بقوله ، فقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال : لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب دل أن القراءة في الصلاة . قيل له : إنك قد أغفلت الأخبار المفسرة المستفيضة عند أهل الحجاز ، وأهل العراق ، وأهل الشام ، وأهل الأمصار ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ، وأفصح (٢) أن قراءة القارىء وتلاوته غير المقروء والمتلو ، وإنما المتلو فاتحة الكتاب ، لا اختلاف فيه بين أهل العلم . وإن لم يعلم هذا المعترض اللغة فليسال أهل العلم من أصناف الناس . كما قال الله عز وجل : (يهتدى إلى الرشدا) [الجن / ٢] ، إن فقه وفهم فاحتملنا على كثرة الإيضاح والشرح ، إلا معرفتنا بعجمة كثير من الناس ، ولا قوة إلا بالله . وقال الحسن البصرى : إنما أهلكتهم العجمة . وقد فسرنا لنا على بن عبد الله ، ثنا سفيان ، ثنا الزهرى ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١) كذا في الأصل ولعل موابه : إذ .

(٢) في نسخة : فأوضح .

لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

حدثنا حجاج بن منهال ، ثنا ابن عيينة ، عن الزهري ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

وحدثني عبد الله بن صالح ، ثنا الليث ، مثله .

حدثنا إسحاق ، ثنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن شهاب أن محمود بن الربيع الذى مع (١) النبي صلى الله عليه وسلم فى وجهه من برهم أخبره أن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا وهب ، عن معمر ، عن الزهري ، عن محمود (٢) ابن الربيع ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فصاعدا .

وقال عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق قالا : ثنا معمر بهذا .

حدثني هشام بن عمار ، ثنا صدقة بن خالد ، ثنا زيد بن واقد ، عن حرام ابن حكيم ، ومكحول عن ابن (٣) ربيعة الانصارى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، وكان على إيلياء فأبطأ عبادة عن صلاة الصبح فأقام أبو نعيم الصلاة ،

(١) مع المراءى من فة رماه .

(٢) كتب على هامش الأصل : هو ختن عبادة بن الصامت من ثقات التابعين ، قاله :

محمد شمس الحق عفى عنه .

(٣) كتب على هامش : ابن ربيعة الأنصارى هو نافع بن محمود بن ربيعة من أهل

إيلياء ذكره ابن حبان فى كتاب الثقات . محمد شمس الحق عفى عنه .

وكان أول من أذن ببيت المقدس ، فجئت مع عبادة حتى صف للناس ، وأبو نعيم
يجهر بالقراءة ، فقرأ عبادة بأم القرآن حتى فهمنا منه ، فلما انصرف قلت له :
سمعتك تقرأ بأم القرآن . فقال : نعم صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم بعض
الصلوات التي لا تجهر^(١) فيها بالقرآن فقال : لا يقرأ أحدكم إذا جهرت بالقراءة
إلا بأم القرآن^(٢) .

وروى بعضهم : لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ، وهو على معنى قوله : لا صلاة
لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب لأنه لا صلاة إلا بقراءة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما الصلاة لقراءة القرآن ، ولذكر الله ،
ولحاجة المراء إلى ربه عز وجل . فبين أن الدعاء والحاجة والتضرع والذكر والقراءة
من العبد ، وأن المقروء هو كلام الله عز وجل .

حدثني يحيى بن صالح ، حدثنا فليح ، عن هلال ، عن عطاء بن يسار ، عن
معاوية بن الحكم السلمي رضى الله عنه قال : دعاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
إنما الصلاة لقراءة القرآن ، ولذكر الله ، ولحاجة المراء إلى ربه ، فإذا كنت فيها ،
فليكن ذلك شأنك .

وقال عمار رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : من أحب أن يقرأ
القرآن غصصًا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن مسعود . وكانت قراءته حرفًا حرفًا ،
فأخبر أن قراءة هذا القارى . الذى لا يقرأ حرفًا حرفًا وبهذه ، هذا سوى قراءة ابن
مسعود حرفًا حرفًا .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرأ على أبى بن كعب سورة أنزلت عليه .

(١) كذا بالأصل : واهل : يجهر .

(٢) كتب على الهامش : قراءة الفاتحة خلف الامام في الصلاة المهرية .

حدثنا بذلك قبيصة ، ثنا سفیان ، عن أسلم المنقرى ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى ، عن أبيه قال أبى : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : أنزلت على سورة أمرت أن أقرئها . قلت : سميت لك ؟ قال : نعم يا أبا المنذر فرحت بذلك ؟ قال وما يمنعنى وهو يقول : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) [٥٨/يونس] .

حدثنا محمد بن يوسف ، ثنا سفیان ، عن أسلم المنقرى عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى ، عن أبيه عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : نحوه .

حدثنا عمرو بن عوف ، ثنا ابن المبارك ، عن الأجلح ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه . عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقرأ عليك القرآن فقلت : أسمى لك ربى أو ربك ؟ قال : نعم فتلا : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) .

حدثنا بشر بن محمد ، ثنا عبد الله ، ثنا الأجلح ، بهذا .

حدثنا إسحق بن نصر ، ثنا أبو أسامة ، ثنا الأجلح ، ثنا عبد الله نحوه . قال أبو عبد الله : وأما قوله فهل يرجع لى الله لى (١) باللفظ الذى تلفظ به ، فإن كان الذى تلفظ به ، قرآنا فهو كلام الله . قيل له : ما قولك تلفظ به ؟ فإن اللفظ غير الذى تلفظ به ، لأنك تلفظت بالله ، وليس الله هو لفظك ، وكذلك تلفظ بصفة الله بقول الله ، وليس قولك : الله هو الصفة ، إنما تصف الموصوف فأنت الواصف والله الموصوف بكلامه كالواصف الذى يصف بكلام غير الله ، وأما الموصوف بصفته وكلامه فهو الله . ففى قولك تلفظ به ، وتقرأ القرآن دليل بين أنه غير بقراءة ، كما تقول قرأت بقراءة عاصم وقراءتك على قراءة عاصم ، لا أن لفظك وكلامك كلام عاصم بعينه ، ألا ترى أن

عاصما لو حلف أن لا يقرأ اليوم، ثم قرأت أنت على قراءته لم يحنك عاصم . وقال أحد رحمه الله : لا يعجبني قراءة حمزة . ولا يقال : لا يعجبني القرآن ، حتى قال بعضهم : من قرأ بقراءة حمزة أعاد الصلاة ، واعتل بعضهم فقال : (حتى يسمع كلام الله) [٦ / التوبة] قيل له : إنما يقال : (حتى يسمع كلام الله) لا كلامك ونعمتك ولحنك لأن الله عز وجل فضل موسى بكلامه ، ولو كنت تسمع التخلق كلام الله ، كما أسمع الله موسى عليه الصلاة والسلام ، لم يكن لموسى عليه السلام عليك فضل ، إذا سمعت كلام الله وسمع موسى كلام الله . قال عز وجل لموسى : (إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي) [١٤٤ / الأعراف] .

حدثنا عبد الله بن عمر ، ثنا سليمان بن بلال ، عن شريك بن عبد الله ، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به قال : رأيت موسى في السماء السابعة بتفضيل كلام الله .

قال أبو عبد الله : وإن ادعيت أنك تسمع الناس كلام الله كما أسمع الله كلامه لموسى قال له : (إني أنا ربك) [١٢ / طه] فهذا دعوى الربوبية إذا لم تميز بين قراءتك وبين كلام الله ، فإن الله تعالى قال : (فاذكروني أذكركم) [١٥٢ / البقرة] (فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم) [٢٠٠ / البقرة] . يشرح أن ذكر العبد ربه غير ذكر الله عبده لأن ذكر العبد ، الدعاء والضرع ، وذكر الله ، الإجابة كما قال الله عز وجل ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني لا أقول إلا ما في القرآن .

حدثنا ضرار ، ثنا صفوان بن أبي الصهباء ، عن بكير بن عتيق ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله عز وجل : (من شغله ذكرى عن مسألي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بينا أنا في الجنة سمعت صوت رجل بالقرآن . فبين أن الصوت غير القرآن .

حدثنا إسماعيل ، حدثني أخى عن سليمان ، عن موسى بن عقبة وابن أبي عتيق

عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن في هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا أمشي في الجنة سمعت صوت رجل بالقرآن ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : هذا حارثة بن النعمان ، كذلك البر ، كذلك البر . وعن محمد بن أبي عتيق عن ابن شهاب ، أخبرني عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، وكانت في حجرة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا نائم رأيتني في الجنة وسمعت فيها صوت قارىء يقرأ ، فقلت من هذا ؟ فقالوا : هذا حارثة بن النعمان ، كذلك البر ، وكان حارثة من أبر الناس .

قال أبو عبد الله : ويقال : له أصفة الله جل ذكره وعليه وكلامه وأسماءه وعزته وقدرته بائن من الله تعالى أم لا ؟ أو قولك وكلامك بائن من الله أم لا ؟ وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن في الركوع فبين أن القراءة غير المقروء .

حدثنا إسماعيل ، ثنا مالك ، عن نافع ، عن إبراهيم بن عبد الله بن حنين ، عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قراءة القرآن في الركوع .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، حدثني يزيد بن أبي حبيب أن إبراهيم بن عبد الله بن حنين حدثه أن أباه حدثه أنه سمع علياً رضى الله عنه قال : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن وأنا راكع .

حدثنا محمد بن عبيد ، ثنا أنس بن عياض عن الحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ذباب ، عن إبراهيم بن عبد الله بن حنين ، عن أبيه ، عن علي رضى الله عنه ، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن وأنا راكع .

حدثنا عبد الرحمن بن يونس ، ثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر ، عن أبيه ، عن

علي، وعن جعفر، عن محمد بن المنكدر، عن عبد الله بن حنين، عن علي رضي الله عنه،
نهاني النبي صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن في الركوع .

قال أبو عبد الله : وقال تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه
سوف يرى) [٤٠ / النجم] وقال عز وجل : (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن
أنذر قومك) [١ / نوح] فالإبلاغ والإنذار من نوح وهو نذير مبين يأمرهم
بطاعة الله ، وأما الغفران فإنه من الله لقوله عز وجل : (يغفر لكم من ذنوبكم)
[٤ / نوح] ثم قال : (رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا) [٥ / نوح] فذكر
الدعاء سرا وعلانية من نوح . وذكر فعل نوح بقومه ثم قال : (ما لكم لا ترجون
الله وقارا وقد خلقكم أطوارا) [١٤ / نوح] . فذكر خلق القوم طوراً بعد طور .
وقال الله تعالى : (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) [٢ / التغابن] وقال
الله عز وجل : (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي . ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) [٢ / الحجرات] .

حدثنا موسى ، ثنا سليمان ، عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : لما نزل :
(لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي . ولا تجهروا له بالقول) وكان ثابت بن
قيس بن شماس رفيع الصوت ، فجلس في بيته وقال : أنا الذي كنت أرفع صوتي
فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وأجهر له بالقول ، وقد حبط عملي وأنا من
أهل النار ، ففقدته النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاه رجل فقال : إنه كذا وكذا .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو من أهل الجنة . وكنا نراه يمشي بين أظهرنا
ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، فلما كان يوم القيامة كان في بعضنا ، بعض الانكشاف
فأقبل وقد تكفن وتحنط وقال : بئس ما تعودون أفرانكم . فقاتل حتى قتل . قال أبو عبد
الله : وقد سمي ابن عمر الصوت بالقرآن عبادة .

حدثني أبو يعلى محمد بن الصلت ، ثنا أبو صفوان عن يونس عن الزهري عن
سالم ، عن أبيه قال : أول ما ينقص من العبادة التهجيد بالليل ورفع الصوت فيها بالقراءة

وكان ابن عمر رضى الله عنهما إذا سئل قال : أسمع منك على حرفه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة .

حدثنا به عبد الله بن يوسف ، ثنا مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم ابن الحرث التيمي ، عن أبي حازم التمار ، عن البياضى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال : إن المصلى ينساجى ربه فليُنظر ما يناجيه به ، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة .

حدثنا إسحاق سمع عبدة ، عن أبي إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحرث ، عن أبي حازم مولى هذيل قال : جاورت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بنى بياضة ، من الأنصار ، فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بهذا .

حدثنا قتيبة ، حدثنا أبو بكر ، عن ابن الهادي ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من الأنصار ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم بهذا .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم كانوا يقرؤون القرآن فيجهرون به : خلطتم على القرآن . يقول علت أصواتكم فشغلته ونى برفعها فوق صوتي فخلطتم على . فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفع بعضهم على بعض صوته ، ولا يخلطون على الناس في جهرهم وأصواتهم ، ولم ينه عن القرآن ، ولا عن كلام الله الذى كلم به موسى قبل أن يخلق هذه الأمة .

حدثنا عبد الله ، حدثني معاوية ، عن يحيى بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن كثير بن مرة . عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال : المسرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة ، والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة .

حدثنا يوسف بن يعقوب ، ثنا معن عن معاوية مثله .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية عن ربيعة بن يزيد ، عن إسماعيل بن عبيد الله . عن أم الدرداء أنها قالت : (ولذكر الله أكبر) [٤٥ / العنكبوت] وإن صليت فهو من ذكر الله ، وكل خير عمله فهو من ذكر الله ، وكل شر تجتنبه فهو من ذكر الله ، وأفضل ذلك تسييح الله .

وقال موسى عليه الصلاة والسلام : (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) [٢٨ / طه] وقال : (فرب السماء والأرض لأنه لحق مثل ما إنكم تنطقون) [٢٢ / الذاريات] وقال : (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) [٢١ / فصلت] وقال : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) [٤ / النجم] .

وقال بعضهم في قوله عزّ وجل : (يزيد في الخلق ما يشاء) [١ / فاطر] قال : الصوت الحسن . وقال الله عز وجل عن جبرائيل : (وما ننزل إلا بأمر ربك) [٦٤ / مريم] فين أن النزول عن الأمر .

حدثنا أبو نعيم وخلاّد بن يحيى قالوا : ثنا عمر بن ذر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل عليه السلام : ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا . فنزلت : (وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا) .

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لقتلى أحد ، أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحد قدمه في اللحد .

قال أبو عبد الله : وقال بعضهم : إن أكثر مغاليط الناس من هذه الأوجه

الذى (١) لم يعرفوا المجاز من التحقيق ، ولا الفعل من المفعول ، ولا الوصف من الصفة . ولم يعرفوا الكذب لم صار كذبا ، ولا الصدق لم صار صدقا . فأما بيان المجاز من التحقيق فمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم للأعرس ، وجدته بحرا . وهو الذى يجوز فيما بين الناس ، وتحقيقه أن مشيه حسن . ومثل قول القائل : علم الله معنا وفينا ، وأما فى علم الله ، إنما المراد من ذلك أن الله يعلمنا وهو التحقيق . ومثل قول القائل : النهر يجرى ومعناه أن الماء يجرى ، وهو التحقيق وأشباهه فى اللغات كثيرة .

حدثنا آدم ، ثنا شعبه ، عن قتادة ، سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان فرع بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من أبى طلحة يقال له المندوب ، فركب ، فلما رجع قال : مارأينا من شيء وإن وجدناه لبحرا .

حدثنا مسدد ، ثنا يحيى عن شعبه ، حدثني قتادة ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا . ورواه غندر وابن المبارك وعمران مرزوق (٢) ، عن شعبه .

حدثنا مسدد ، ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى سفیان ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : الصلوات الخمس كنهر يجرى على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، فما يبقى من الدرن شيء ، وعن أبى سفیان ، عن عبيد بن عمير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

وأما الفعل من المفعول ، فالفعل إنما هو لإحداث الشيء ، والمفعول هو الحدث (٣) ، لقوله : (خلق السموات والأرض) [الأنعام / ٧٣] فالسموات والأرض مفعول ، وكل شيء سوى الله بقضائه فهو مفعول ، فتخليق السموات فعله

(١) كذا فى الأصل وأمله : القين .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) فى نسخة : الحدث

لأنه لا يمكن أن تقوم سماء بنفسها من غير فعل الفاعل ، وإنما تنسب السماء إليه لحال فعله ، ففعله من ربوبيته حيث يقول : (كن فيكون) [٨٢ / يس] ولكن منه صنعته وهو الموصوف به كذلك قال : رب السموات ورب الأشياء .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : رب كل شيء ومليكه .

حدثنا محمد بن بشار ، ثنا غندر ، حدثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، قال : سمعت عمرو بن عاصم ، سمع أبا هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه قال : يا رسول الله ، أخبرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت . قال : قل : اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه ، وأن اقترف على نفسي سوءاً أو أجده إلى مسلم . قل إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعتك .

حدثنا سعيد بن الربيع ، ثنا شعبة فذكر الحديث ، ورواه معاذ وبهر ، عن شعبة .

حدثنا عمرو بن عون ، ثنا هشيم ، عن يعلى ، عن عمرو بن عاصم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا . رب كل شيء ومليكه .

حدثنا قتيبة ، ثنا هشيم بهذا . وكذلك نودى جميع لغات الخلق من غير اختلاف بينهم ، وإنما هو الفاعل والفعل والمفعول . فالفعل صفة والمفعول غيره ، ويبلغ ذلك في قوله تعالى : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) [٥١ / الكهف] ولم يرد بخلق السموات نفسها وقد ميز فعل السموات من للسموات وكذلك فعل جملة الخلق . وقوله : (ولا خلق أنفسهم) وقد ميز الفعل والنفس ، ولم يصر فعله خلقاً . وأما الوصف من الصفة فالوصف إنما هو قول القائل حيث يقول : هذا رجل طويل ، وثقيل ، وجميل ، وحديد ، فالطول والجمال والحدة والثقل

إنما هو صفة الرجل . وقول القائل وصف كذلك إذا قال : الله رحيم ، والله عليم ، والله قدير . فقول القائل وصف ، وهو عبادة والرحمة والعلم والقدرة (١) والكبرياء والقوة كل هذا صفاته . وأما الكذب من الصدق فقول القائل : فلان هاهنا وهو غائب ، فهو كذب فلو كان حاضرا لكان صدقا ، والكلمة واحدة ، وإنما صار صدقا وكذبا لحال المعنى ، وكذلك لو أن رجلا قال : إن الله رحيم ويرحم ، والله عليم ويعلم ، والله قدير ويقدر ، والله سميع ويسمع ، ولم يكن لقوله معنى كما وصفنا في شأن الكذب والصدق ، امكن قوله كذبا ، وإنما صار هذا القول صدقا وعبادة وطاعة لحال المعنى .

قال أبو عبد الله : واختلف الناس في الفاعل والمنفعل والفعل . فقالت القدرية الأفاعيل كلها من البشر ليست من الله .

وقالت الجبرية الأفاعيل كلها من الله .

وقالت الجهمية : الفعل والمنفعل واحد ، لذلك قالوا : لسن مخلوق .

وقال أهل العلم : التخليق فعل الله ، وأفاعيلنا مخلوقة أقوله تعالى : (وأسرروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق) [١٤ / الملك] يعنى السر والجر من القول . ففعل الله صفة الله ، والمنفعل غيره ، من الخلق . ويقال لمن زعم أنى لا أقول : القرآن مكتوب فى المصحف ولكن القرآن بعينه فى المصحف ، يلزمك أن تقول : أن من ذكر الله فى القرآن من الجن والإنس والملائكة والمدائن ومكة والمدينة وغيرهما ، وإبليس وفرعون وهامان وجنودهما ، والجنة والنار عانيتهم (٢) بإعانتهم (٣) فى المصحف ، لأن فرعون مكتوب فيه كما أن القرآن مكتوب .

(١) فى نسخة : اللقد .

(٢) كذا فى الأصل : ويبدوان الصواب : عاينتهم .

(٣) كذا فى الأصل ولله : بأعانتهم .

ويلزمك أكثر من هذا حين يقول في المصحف . وهذا أمر بين لأنك تضع يدك على هذه الآية وتراها بعينك : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) [٢٥٥ / البقرة] فلا يشك عاقل بأن الله هو المعبود . وقوله : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) هو قرآن . وكذلك جميع القرآن هو قوله ، والقول صفة القائل موصوف به . فالقرآن قول الله عز وجل . والقراءة والكتابة والحفظ للقرآن هو فعل الخلق ، لقوله : (فاقراءوا ما تيسر منه) [٢٠ / المزمل] فقوله (فاقراءوا ما تيسر من القرآن) [٢٠ / المزمل] والقراءة فعل الخلق ، وهو طاعة الله ، والقرآن ليس هو بطاعة ، إنما هو الأمر بالطاعة ، ودليله قوله : (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) [١٠٦ / الإسراء] وقال : (إن الذين يتلون كتاب) [١٧ / القمر] (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) [٢٩ / فاطر] .

حدثنا أبو نعيم ، ثنا زهير ، عن أبي إسحق أنه سمع رجلا سأل الأسود : (فهل من مذكر أو مدكر) ؟ فقال : سمعت عبد الله يقرأها (مدكر) . وقال سمعت رسول الله عليه وسلم يقرأها . (فهل من مدكر) (دالا) حدثنا حفص بن عمر ، ثنا شعبه عن أبي إسحاق ، عن عبد الله رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (فهل من مدكر) ، حدثنا عبدان ، أخبرني أبي ، عن شعبه بهذا .

حدثنا خالد بن يزيد ، ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق بهذا .

حدثنا نصر بن علي ، ثنا أبو أحمد ، عن سفيان ، عن أبي إسحق بهذا .

قال أبو عبد الله : وقال الله عز وجل : (بلغ ما أنزل إليك من ربك) [١٧ / المائدة] . فذلك كله بما أمر به . ولذلك قال : (أقيموا الصلاة) [٤٣ / البقرة] فالصلاة بجملة طاعة الله وقراءة القرآن من جملة الصلاة ، فالصلاة طاعة الله ، والأمر بالصلاة قرآن وهو مكتوب في المصاحف ، محفوظ في الصدور ، مقروء على اللسان ، والقراءة والحفظ والكتابة مخلوق ، وما قرئ وحفظ وكتب ليس بمخلوق ، ومن الدليل عليه أن الناس يكتبون الله ويحفظونه ويدعونه ، فالدعاء

والحفظ والكتابة من الناس مخلوق ، ولا شك فيه ، والخالق الله بصفته ، ويقال له : أترى القرآن في المصحف ؟ فإن قال : نعم ، فقد زعم أن من صفات الله ما يرى في الدنيا ، وهذا ردّ لقول الله جل ذكره (لا تدركه الأبصار) في الدنيا (وهو يدرك الأبصار) [١٠٣ / الأنعام] ولأن قال يرى كتابة القرآن فقد رجع إلى الخلق ويقال له : هل تدرك الأبصار إلا اللون ؟ فإن قال : لا . قيل له وهل يكون اللون إلا في الجسم ؟ فإن قال : نعم ، فقد زعم أن القرآن جسم يرى .

حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرح فيقرأ القرآن قبل أن تسرح دوابه .

حدثنا إسحاق بن نصر ، ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته فتسرح فيقرأ قبل أن يفرغ يعني القراءات .

حدثنا أحمد بن حفص النيسابوري ، حدثني أبي ، حدثني إبراهيم ، وإبراهيم هو ابن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرح فيقرأ القرآن قبل أن تسرح .

باب قول الله جل ذكره عن أهل النار من الكفار والمشركين وعبداء الأوثان :

(ونادوا يا مالئك ليقض علينا ربك) [٧٧ / الزخرف]

وقوله : (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) [٧٧ / المؤمنون] .

(وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم)
[٢٢ / إبراهيم] الآية .

وقال المنافقون : (انظرونا نفتبس من نوركم) [١٤ / الحديد] .

حدثنا قتيبة، عن سفيان، عن عمرو سمع عطاء يخبر، عن صفوان بن يعلى، عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر : (ونادوا يا مالک) .

حدثنا حجاج بن منهال ، ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن عطاء ، عن صفوان بن يعلى ، عن أبيه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر (ونادوا يا مالک ليقض علينا ربك) .

حدثنا عبد الله بن يزيد ، ثنا عبد الرحمن بن زياد ، ثنا دخين الحجري ، عن عتبة بن عامر رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الكافر : هذا قد وجد المؤمنون من يشفع ، فن يشفع لنا ؟ ما هو إلا إبليس ، هو الذى أضلنا ، فيأتون إبليس فيقولون : هذا قد وجد المؤمنون من يشفع لهم ، ثم يقول الكافرون : فقم أنت واشفع لنا فإنك أضللتنا فيفرح (١) مجلسه من أن تن ربح شما أحدكم ، يعظم لهم ، فيقول الشيطان لما قضي الأمر : (إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) الآية .

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم قراءة المنافقين والفجار فين ما يتا كنون بقراءتهم فلا يرتابن أحد فى خلق المنافقين أصحاب الجحيم وأعمالهم .

حدثنا عبد الله هو ابن (٢) قدامة بن سعيد ، ثنا جاد بن زيد قال : من قال

(١) كذا فى الأصل : وصوابه : فيفوح .

(٢) فى نسخة : أبو .

كلام العباد ليس بمخلوق فهو كافر ، وتابعه على ذلك يحيى بن سعيد القطان ومعتز ابن سليمان .

حدثنا عبد الله بن يزيد ، ثنا حيوة (١) حدثني بشير بن أبي عمر والحولاني أن الوليد بن قيس النجبي حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخلف قوم من بعد ستين سنة (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فـوف يلقون غيا) [مرسيم/ ٥٩] ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يحدو تراقيمهم ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ، ومنافق ، وفاجر . قال بشير فقلت ، للوليد ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال : المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به .

باب

وبما يدل على أصوات العباد قول النبي صلى الله عليه وسلم :
أكثر منافقى أمتي قرأوها . فقد قرأ المعطلة والجهمية
وأهل الأهواء وغيرهم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : رجال يمرقون من الدين لا يجاوز حلوقهم هم شر الخلق والخليقة ، وقال : يتعجلونه ولا يتأجلونه .

حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن ، ثنا عبد الله ، ثنا عبد الرحمن بن شريح المعافري : حدثني شراحيل بن يزيد ، عن محمد بن هذبة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكثر منافقى أمتي قرأوها .

حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، ثنا منصور بن سلة ، ثنا الوليد بن المغيرة ، وكان ثبنا ، ثنا مشرح بن هاعان (٢) عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، عن النبي

(١) في نسخة : حيرة .

(٢) في نسخة : هاعان .

صلى الله عليه وسلم قال : أكثر منافق أمتي قرّاؤها .

حدثنا علي بن عبد الله ، ثنا يزيد بن الحارث ، ثنا أبو السمع المعافري ، ثنا أبو قبيل أنه سمع عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنخوف على أمتي من ثنتين يتبعون الشهوات ويؤخرون الصلوات ، والقرآن يتعلم المتأفقون يجادلون به الذين آمنوا .

باب

قول الله تعالى: (فأتوا بالنوراة فأنلوها إن كنتم صادقين) [٩٣/ آل عمران]

قال: (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) [٢٢/ الروم] فمنها العربي ، ومنها العجمي . فذكر اختلاف (١) الألسنة والألوان وهو كلام العباد .

وقال : (وإن كذبوك فقل لي عملي ولحكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) [٤١/ يونس] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل يقول لو أتيت عشر مأتى هذا لفعلت كما يفعل ، فيبين أن قيامه بالكتاب (٢) وهو فعله .

حدثني به عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير عن الأعشى ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحاسدوا إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فهو يقول : لو أتيت ما أتيت هذا لفعلت كما يفعل ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في حقه يقول : لو أتيت ما أتيت هذا لفعلت كما يفعل . ورواه شعبه ، عن الأعشى سمعت أبا صالح نحوه .

(١) في نسخة : اختلاف .

(٢) كذا بالأصل : وسواه أسقاط الواو .

حدثنا علي بن عبد الله ، ثنا سفيان ، ثنا الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار . ورجل آتاه مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار . سمعت سفيان مرارا لم أسمعه يذكر الخير وهو من صحيح حديثه .

وقال الله تعالى : (وافعلوا الخير) [٧٧ / الحج] فأثبت الخير منهم فعلا .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها ، وأعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به . وأعطيت القرآن فعملتم به .

حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ، ثنا إبراهيم بن سعد ، عن الزهري ، عن سالم ابن عبد الله ، عن ابن عمر ورضي الله عنها قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم ، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس . أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ، وأوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ، وأوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين : أي ربنا أعطيتهم قيراطين قيراطين ، وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن (١) أكثر عملا منهم . فقال : هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا . قال : فهو فضلي أوتيته من أشياء .

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، ثنا إبراهيم بن سعد ابن شهاب بهذا .

حدثنا عبدان ، ثنا عبد الله ، عن يونس ، عن الزهري بهذا .

حدثني أحمد بن صالح ، ثنا عتبة ، ثنا يونس ، عن الزهري بهذا .

حدثنا عبد الله بن محمد ، ثنا سفيان ، سمعت سليمان بن أبي مسلم ، عن طاووس .

عن ابن عباس رضى الله عنها قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم ، إذا قام الليل يتمجد يقول : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيها ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، والنبىون حق ومحمد حق . اللهم لك أسلمت وعليك توكلت ، وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت .

تم كتاب خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب
التعطيل . تأليف إمام الأئمة أبى عبد الله محمد بن إسماعيل
البخارى رحمة الله تعالى عليه .

الاختلاف في اللفظ والرد على
البحرانية والمشبهة
للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٧٦هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مرتضى الحمد لنفسه ، وجاعله فاتحة وحيه ، ومنتهى شكره . وكفاءة نعمته ، ودعوى أهل جنته عند إفضائهم إلى كرامته ، البر بخلقه ، العواد على المذنبين بعفوه ، الذى لا يخيب راجيه ، ولا يرد داعيه ، ولا ينسى ذاكره ، ولا يقطع حبل عصمته من تمسك بعروته . أحمد به بجميع حامده على جميع نعمه ، وندعوه أن يشعرنا خشيته ، ويشرب قلوبنا مراقبته عند كل لفظ وعقد ، وكل قبض وبسط ، وأن يجعل كلامنا له ودلائنا عليه وإرشادنا إليه ، ويؤم بنا سمت الحق وقصد السبيل . وأن يبلغ نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم أفضل صلاة وأنماها ، وأزكاهما وأفضاها لما فرض من حقه ، وأوجب من ذكره ، صلى الله وملائكته والمقربون عليه ، وعلى آله الطيبين ، وعلى جميع النبيين والمرسلين ، ونعوذ بالله من نزغ الشيطان ومصائده ، ولطيف خدعه ومكائده . فقد صدق على هذه الأمة ظنه . وأجلب عليهم بخيله ورجله ، وقعد لهم رسداً بكل مرصد ، ونصب لهم شركا بكل ريع ، وطفق لغوايتهم بكل شبهة ، فأصبح الناس إلا قليلا من عصم الله مفتونين وفيما يؤبقهم خائضين ، وعن سبيل نجاتهم فاكبين ، ولما وضعه الله عنهم متكفين ، وعسا كلفهم معرضين . وإن دعوا أنفوا ، وإن وعظوا هزأوا ، وإن سئلوا تعسفوا ، وإن سألوا أعتنوا . قد فرقوا الدين ، وصاروا شيعاً فهم يتنابدون بالألقاب ، ويتسابون بالكفر ، ويتعاضدون بالنحل ، ويتناصرون على الهوى .

وعاد الإسلام غريباً كما بدا . فماذا يعجب من سلة السيف وشمول الخوف ونقص الأموال والافس ، وهل يتوقع بعد تزيدنا فى الغواية ، إلا التزيد فى البلاء حتى يحكم الله بما شاء بيننا وهو خير الحاكمين . وكان طالب العلم فيما مضى يسمع ليعلم ، ويعلم ليعمل ، ويتفقه فى دين الله لينتفع وينفع ، فقد صار طالب العلم الآن يسمع ليجمع ، ويجمع ليذكر ، ويحفظ ليغال ، ويفخر ، وكان المتناظرون

في الفقه يتناظرون في الجليل من الواقع ، والمستعمل من الواضح ، وفيما ينوب الناس ، فينتفع الله به القائل والسامع . فقد صار أكثر التناظر فيما دق وخفى ، وفيما لا يقع ، وفيما قد انقرض من حكم الكتابة وحكم اللعان ورجم المحصن ، وصار الغرض فيه لإخراج لطيفة ، وغوصاً على غريبة ورداً على متقدم ، فهذا يرد على أبي حنيفة ، وهذا يرد على مالك ، وآخر يرد على الشافعي بزخرف من القول ، ولطيف من الخيل ، كأنه لا يعلم أنه إذا رد على الأول صواباً عند الله يتمويه فقد تقلد المآثم عن العاملين به دهر الداهرين . وهذا يطعن بالرأى على ماض من السلف وهو برى (١) ، وبالابتداع في دين الله على آخر وهو مبتدع ، وكان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر بالشكر ، وفي تفضيل أحدهما على الآخر ، وفي الوساوس والخطرات ، وبمجاهدة النفس ، ووقع الهوى ، فقد صار المتناظرون يتناظرون في الاستطاعة والتولد والطفرة والجزء والمرض والجوهر ، فهم دائبون يخطون في العشوات قد تشبعت بهم الطرق وقادهم الهوى بزمام الردى .

وكان آخر ما وقع من الاختلاف أمراً خاصاً بأصحاب الحديث الذين لم يزالوا بالسنة ظاهرين ، وبالاتباع قاهرين ، يداجون بكل بلد ولا يداجون ، ويستتر منهم بالنحل ولا يستترون ، ويصدعون بحقهم الناس ولا يستغشون ، لا يرتفع بالعلم إلا من رفعوا ، ولا يتضع فيه إلا من رضوا ، ولا تسير الركبان إلا بذكر من ذكروا ، إلى أن كادهم الشيطان بمسألة لم يجعلها الله تعالى أصلاً في الدين ولا فرعاً ، في جعلها سعة ، وفي العلم بها فضيلة ، فنها شرها وعظم شأنها حتى فرقت جماعتهم ، وشتت كتبتهم ، ووهنت أمرهم ، وأشمت حامديهم ، وكفت عدوهم . ووثنتهم بالاستتهم ، وعلى أيديهم ، فهو دائب يضحك منهم ويستهزئ بهم حين رأى بعضهم يكفر بعضاً ، وبعضهم يلعن بعضاً ، ورآهم مختلفين ، وهم كالمختلفين ،

ومتباينين وهم كالمجتمعين ، ورأى نفسه قد صار لهم سكتاً بعد أن كان حرباً .

كما رأيت لإعراض أهل النظر عن الكلام في هذا الشأن منذ وقع ، وتركهم تلقيه بالدواء حين بدا ، وبكشف القناع عنه حين نجم ، إلى أن استحکم أساسه ، وبسق رأسه وجرى على اعتياد الخطأ فيه الكهل ، ونشأ عليه الطفل ، وعسر على المداوين أن يخرجوا من القلوب ما قد استحکم بالإلف ، ونبت على شراه اللحم ، لم أر لنفسى عذراً في ترك ما أوجبه الله عني بما وهب من فضل المعرفة في أمر استفحل بأن قصّر مقصّر ، فتكلفت بمبلغ علمي ومقدار طاقتي ما رجوت أن يقضى بعض الحق عني ، لعل الله ينفع به ، فإنه بما شاء نفع ، وليس على من أراد الله بقوله أن يسأله الناس بل عليه التبصير ، وعلى الله التيسير . وسيوافق قولي هذا من الناس ثلاثة : رجلاً منقاداً سمع قوماً يقولون فقال كما قالوا ، فهو لا يرعوى ، ولا يرجع ، لأنه لم يعتقد الأمر بنظر فيرجع عنه بنظر .

ورجلاً تطمع به عزة الرياسة ، وطاعة الإخوان ، وحب الشهرة ، فليس يرد عزته ولا يثنى عنانه إلا الذي خلقه ، إن شاء لأن في رجوعه لإقراره بالغلط ، واعترافه بالجهل ، وتأني عليه الأنفة ، وفي ذلك أيضاً تشتت جمع ، وانقطاع نظام ، واختلاف إخوان ، عقدتهم له النحلة ، والنفوس لا تطيب بذلك إلا من عصمه الله ونجّاه .

ورجلاً مسترشداً يريد الله بعمله ، لا تأخذه فيه لومة لائم ، ولا تدخله من مفارق وحشة ، ولا تلفته عن الحق أنفة ، فإلى هذا بالقول قصدنا وإياه أردنا .

ولم أر صواباً أن يكون الكتاب محرراً بذكر هذا الباب خاصة دون غيره ، فقدمت القول فيه بذكر بعض ما تناولته الجهمية في الكتاب والحديث ، ولئن قل لنحمد الله تعالى على النعمة ونعلم أن الحق مستغن عن الحيلة ، ولم أعد في أكثر الرد عليهم طريق اللغة ، فأما الكلام فلايس من شأننا ، ولا أرى أكثر من هلك إلا به ، وبحمل الدين على ما يوجب القياس . ألا ترى أن أهل القدر حين نظروا في

قدر الله الذى هو سرّه ، بأرائهم ، وحلوه على مقاييسهم ، أرثهم أنفسهم قياساً على ما جعل فى تركيب المخلوق ، من معرفة العدل من الخلق على الخلق أن يجعلوا ذلك حكماً بين الله وبين العبد ، فقالوا : بالتخليّة والإهمال ، وجعلوا العباد فاعلين ، لما لا يشاء ، وقادرين على ما لا يريد ، كأنهم لم يسمعوا بإجماع الناس ، على ما يشاء الله كان وما لا يشاء لا يكون .

وقالوا : كيف يضل ، ويعذب ، ويريد ، ويكره ، ويحول ، ويكلف؟ وهل قصر فاعل هذا عن أفحش الظلم؟ ونسوا ما يلزمهم فى اختلاف الحكمين ، وأن من ملك البعض ليس كمن ملك الكل ، وأن الخلق كله لله يميت ويحيى ، ويفقر ويغنى ، ويصح ويسقم ، ويبتدىء بالنعيم من شاء ، ويصطفى للرسالة من شاء ، ويؤيده بالتوفيق ويملاً قلبه بالنور ، ويعصمه من الذنوب ، ويجعل من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة ، وأنه لو لم يرد المعصية لما هيأهم هيئة المعصية ، ولما ركب فيهم آلة الشهوة ، كما طبع الملائكة ، ولا سلب عليهم عدوهم ، ثم أمرهم بالاحتراس ، وأنى للضعيف الاحتراس ممن حرس منه السموات بالنجوم ، ومنع من الاستماع بالرجوم ، وجعل له السبيل إلى القلوب من حيث لا يرى ، فهو يجرى بجرى الدم ويوسوس ويخنس ، ولا يعصمه الله؟ ولا خاق الله آدم للأرض وأسكنه الجنة وحرم عليه الشجرة ، وقد علم أنه سيغتر فيغتر ، ويستزل فيزل ، حتى يخرج منه إلى حيث جعل له فيه مستقراً ومتاعاً إلى حين ، ولما أطردهم القول على ما أصلوا ورأوه حسن الظاهر ، قريباً من النفوس ، يروق السامعين ، ويستميل قلوب الغافلين ، نظروا فى كتاب الله فوجدوه ينقض ما قاسوا ، ويبطل ما أمسوا ، فطلبوا له التأويلات المستكرهه ، والخارج البعيدة ، وجعلوه عويصاً وألغازاً ، وإن كانوا لم يقدرُوا من تلك الخيل على ما يصح فى النظر ، ولا فى اللغة كقولهم فى : (يضل من يشاء) [٩٣ / النحل] ، ينسبهم إلى الضلال ، (ويهدى من يشاء) [٩٣ / النحل] ، ينسبهم إلى الهداية ، وما فى نسبتهم إلى ذلك ؟ ، حتى يعيد ويبدى ، ولو أراد النسبة لقال يضلهم ، كما يقال يخونهم ويفسدهم ويضلهم أى ينسبهم إلى ذلك . وقالوا فى قوله ، عز وجل :

(وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) (١٤٥ / آل عمران) ، أى ما كان لها أن تؤمن إلا بعلم الله ، وعدلوا ما يلزمهم إن جعلوا الإذن هنا المشيئة والإطلاق ، وذهبوا إلى قول القائل : (أذنتك بالأمر) ، أى أعلبتك ، وهذا من تأويلهم لا يصح في نظر ولا لغة .

أما النظر فإنه لم يقل أحد من الناس أن شيئاً يحدث في الأرض لا يعلمه الله فيقول : (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بعلم الله) ، وإنما اختلفوا في الإذن الذى هو المشيئة والإطلاق ، فقال المبتدئون : لم يشأ الله أن يؤمن جميع الناس ، ولو شاء لآمنوا . فليس لنفس أن تؤمن حتى يشاء الله ذلك ويطلقه .

وقال أهل القدر : قد شاء الله هذا لكل نفس ، وأطلقه فلها أن تؤمن إن شئت ، وفي صدر هذا الكلام دليل على ما قال أهل الإثبات لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب إيمان قريش فأنزل الله عليه : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (٩٩ / يونس) . ثم قال على أثر ذلك : (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) (١٠٠ / يونس) ، يريد بمشيئته وإطلاقه ، فأول الكلام دليل على آخره ، والناس مجتمعون لا يختلفون على أن القائل إذا قال : لو شئت لآتيتك . أنه لم يشأ إتيانه ، ولو شئت لحججت ، إنه لم يشأ الحج . ولو شئت لتزوجت أنه لم يشأ الزوج ، فكذلك يلزم في : (لو شاء ربك لآمن من في الأرض) (٩٩ / يونس) ، أنه لم يشأ ذلك ، ومثله ، (أن لو شاء الله لهدى الناس جميعاً) (٣١ / الرعد) ، (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) (١٣ / السجدة) ، فإن قال : أراد لو شاء لآمنوا إجباراً ، ولكنه لم يشأ أن يجبرهم على ذلك ، قيل له : لم يشأه على حال . فاجعله بأى وجه شئت ، وقيل : والله يفعل بعباده ما هو أصلح لهم في كل حال عندهم ، فأى الأمرين كان أصلح لهم أن يجبرهم على الإيمان فيؤمنوا أو يخليهم وشئونهم فيكفروا ، فهذا النظر . وأما اللغة فإنه لا يجوز فيها أن يجعل الإذن العلم لأنه الأذن ، ألا ترى أن قائلاً لو قال لك : قد آذنتك بخروج الأمير ليدنا أى أعلبتك خروجه إعلاماً أن جوابك كان يكون له قد آذنت لقومك أذناً أى سمعته فعملته . والإيدان المأخوذ من الأذن إنما هو إيقاع الخبر في الأذن ، والأذن استماعه وعلمه . قيل عدى بن زيد :

أيها القلب تعمل بددن إن همى فى سماع وأذن

ومنه أذان الصلاة إنما هو إسماع الناس ذكرها حق يعلموا . وقول الله عز وجل : (وأذان من الله ورسوله) [٣ / التوبة] ، أى إسماع وإعلام ، والإذن فى الشئ أن تشاءه وتطلقه ، تقول : (أذنت له فى الخروج إذنا) ، هذا ما ليس به خفاء على من نظر فى اللغة وفهمها .

وقالوا فى قوله عز وجل (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) [١٤٥ الانعام] فجعلوا الإرادة فى الهداية والإضلال للعبد لا لله ، وركبوا فى ذلك أفحش غلط وأحول كلام ، والإرادة لا يجوز أن تكون للعبد وقد وليها اسم الله وهو مرفوع بإجماع القراء ، ولو كان أحد منهم نصب الله لكان أقرب من المعنى الذى أرادوه وإن كان لا يجوز أيضا ، لأنه يضم فى الكلام « من » فيكون معناه من يريد من الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ثم يحذف « من » وينصب الله لما نزع حرف الصلة كما يقال « من يسرق القوم ما لهم يقطع » أى يسرق من القوم ما لهم ، وهذا ليس يجوز إلا مع حروف معدودة محكية عن العرب . لا نحمل عليها غيرها ونقيسه عليها .

وقالوا فى قوله تعالى : (وقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والإنس) [١٧٩ / الأعراف] دفعنا وألقينا ، واحتج من احتج منهم بقول المثقب العبدى حكاية عن ناقلته :

تقول إذا ذرأت لها وضيئى أهذا دينه أبدا ودينى

وهذا جهل باللغة وتصحيف ، وإنما هو ذرأت بالذال غير المعجمة ، والله يقول : (ولقد ذرأنا) بالذال ، وأحسبهم سمعوا بقول العرب (أذرتة الدابة عن ظهرها) أى ألقته ، فتوهموا أن ذرأنا من ذلك . ذرأنا فى تقدير فعلنا غير مهموز ، ولو أريد ذلك المعنى لكان « ولقد أذرنا لجنهم » ، وسمعوا بقولهم :

ذرتة الريح ، وبقول الله : (فأصبح هشيما تذروه الرياح) [٤٥ / الكهف] أى تنسفه وتلقيه ، فتوهمه منه ، ولو أريد ذلك لكان ، ولقد ذرونا لهم ، وليس يجوز أن يكون ذرأنا فى هذا الموضع إلا خلقنا كما قال : (ذرأكم فى الأرض) [٧٩ / المؤمنون] وقال : (يذروكم فيه) [١١ / الشورى] أى يخلقكم فى الرحم ، ومنه قيل ذرية الرجل لولده ، وإنما هو خلق الله . وقالوا فى قوله : (إن هى إلا فتنتك تفضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) [١٥٥ / الأعراف] أراد إن هو إلا اختيارك تفضل به من تشاء ، يعنى الفاسقين ، وتهدى من تشاء ، يعنى المؤمنين ، واحتجوا بقوله : (وما يضل به إلا الفاسقين) [٢٦ / البقرة] والفاسقون ههنا الكافرون ، لأنه قال فى صدر الآية ، (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا) [٢٦ / البقرة] . وكيف يضل الضال ويهدى المهتدى ؟ فإن قالوا : يريد الكافر ضلالة ، والمؤمن هداية ، أكندهم فى هذا الموضع معنى الآية ، لأن فتنة القوم بالعجل أنه كان فضة وحليا ، فتحول جسدا له خوار ، فارتدوا عن الإسلام ، وعبدوه ، ولم يكن مع موسى بنى اسرائيل كافر . ولو كانوا كفارا ما غضب ولا ألقى الألواح . وإنما وقع الضلال ههنا بمسليين .

وأما قوله عز وجل : (وما يضل به إلا الفاسقين) ، فإنه نزل فى قوم من اليهود سمعوا قوله عز وجل : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت) [٤١ / العنكبوت] وقوله : (إن الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) [٧٣ / الحج] فقالوا ما هذه الامثال التى لا تليق بالله ؟ فأنزل الله عز وجل : (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) [٢٦ / البقرة] من الذباب والعنكبوت . فقالوا : ما أراد بمثل ينكره الناس ، فيضل به كثيرا منهم . فقال الله تعالى : (فأما الذين آمنوا فיעلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا

الفاسيقين) [٢٦ / البقرة] ، يعنى: اليهود خاصة ، لأنهم ضلوا بالمثل ، وأنكروا ، ولم ينكره غيرهم .

وقد يأتى الحرف وظاهره العموم ، ومعناه الخصوص ، كقول موسى عليه السلام : (وأنا أول المؤمنين) [١٤٣ / الأعراف] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (وأنا أول المسلمين) [١٦٣ / الأنعام] ، لم يريدوا كل المؤمنين وكل المسلمين فى جميع الأزمنة ، بل مؤمنى زمن موسى ، ومسلمى زمن نبينا ، عليهما السلام وكذلك قوله تعالى فى بنى إسرائيل : (فضلكم على العالمين) [١٤٠ / الأعراف] . لم يفضلهم على محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا أمهم على أمته ، وإنما أراد عالمى أزمته .

وشىء لم نزل نسمعه منهم على قديم الأيام قد ارتضوه لأنفسهم ودونوه فى كتبهم ، وأجمع عليه عالمهم وجاهلهم وكلمهم ، وحدثهم فى تأويل قول الله عز وجل : (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) [٢٣ / الجاثية] . وقوله : (إنا جعلنا سداً فى أعناقهم أغلالاً فىى إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) [٩ / يس] . وقوله : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) [٧ / البقرة] . وأشبه هذا أنه حكم عليهم ، فإذا نحن تدبرنا هذا التأويل قابلناه بالتنزيل ، لم نجد هذا المتأول حمل كتاب الله على مثل هذه التأويلات إلا لإقامة مذهبه ، وحاول بعضهم إبدال بعض حروفه بغيرها فقراً : (عذابى أصيب به من أشاء) [١٥٦ / الأعراف] بالسين غير المعجمة والنصب ، وقرأ جميع ما فى القرآن من المخلصين بكسر اللام ، وإن كان قرأ بذلك بعض القراء ، يريد أن يجعل الإخلاص لهم ولا يكون لله فى ذلك صنع ، فكيف يصنع بقوله : (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) [٤٦ / ص] . وقرأ : (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً)

[١٧٨ / آل عمران] بكسر ، إنما الأولى وفتح الثانية . يريد لا يحسن الذين كفروا إنما تلى لهم ليزدادوا إثمًا ، إنما تلى لهم خير لأنفسهم ، فحرف المعنى عن جهته ونقله عن سننه ، وجعل الاملاء للكفار من الله إنما هو لخير يريده بهم . وقد حمل بعضهم نفسه ، على أن قرأ (ليزدادوا إيمانًا) وألحقها في بعض المصاحف طمعًا في أن تبقى على الدهر ويجعلها الناس وجها ، وكيف له ما قدر ، والله يقول إلى جنبها (ولهم عذاب مهين) [١٧٨ / آل عمران] ؟

ولما رأى قوم من أهل الإثبات إفراط هؤلاء في القدر ، وكثر بينهم التنازع ، حملهم البغض لهم ، واللجاج على أن قابلوا غلوهم بغلو ، وعارضوا إفراطهم بإفراط ، فقالوا بمذهب جهم في الجبر المحض ، وجعلوا العبد المأمور المنهي المكلف لا يستطيع من الخير والشر شيئاً على الحقيقة ، ولا يفعل شيئاً على الصحة . وذهبوا إلى أن كل فعل ينسب إليه فإنما ينسب إليه على المجاز ، كما يقال في الموات : مال الحائط ، وإنما يراد أميل ، وذهب البرد ، وإنما ذهب به ، وكلا الفريقين غلط ، وعن سوء الحق حائد . ولو كان الأمر على ما قالوا ، لم يكن القدر سرّاً ، ولم يكن الناظر فيه كالناظر في شعاع الشمس . فقيم اختصمت الملائكة ؟ وفيم ألح عزيزي السوال حتى يحى من ديوان النبوة ؟ وفيما احتج آدم وموسى ؟ وإنما صار سرّاً ، لأنك ترى قادراً ، وهو عاجز ، ومؤيداً وهو ممنوع وترى حازماً ومحروماً ، وعاجزاً مرزوقاً وشجاعاً مخذولاً ، وجباناً منصوراً ، وعاقلاً لا يستشار في الأمور ، ولا يستعمل ، وساقطاً متهاقناً لا يعطل ، وعالمين متقاربين في العلم والنظر في الدين خصمين ، وهما مختلفان ، فهذا يقول بالإهمال المحض ، وذاك يقول بالإجبار المحض ، وهذا حرورى ، وذاك رافضى .

وترى أعداء الله يدالون أوليائه حتى يقتلوه كل قتلة ، ويمزقوهم كل ممزق .

وترى الناس أصنافاً في التفضيل . فمنهم قوم ابتدأهم الله بالنعمة ، وأسكنهم ريف الأرض ، وأكرمهم وأخدهم ، وحسن وجوههم ، وبيض ألوانهم ، وسقاهم العذب النقا ، ورزقهم من الطيبات ، وأطعمهم من كل الثمرات ، ووفر عليهم العقول

والافهام ، وفق أسنتهم بالحكمة ، وألباهم بالعلم ، وبعث فيهم بالقرب منهم الرسل ، كأهل هذا الإقليم الذى أسكنناه الله بفضله .

ومنهم قوم أنزلهم الله أطراف الارض ، وجدوبة البلاد ، وأذلهم وأعراهم ، وشوه خلقهم ، وسود ألوانهم ، وسقاهم الملح الأجاج ، وجعل أفواتهم الحشرات والنبات ، وسلبهم العقول ، وباعدهم من مبعث الرسل ، ومنتهى الدعوة ، فهم كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ، ثم جعلهم لجهنم حصيبا ، ولسعيرها وقودا ، كالزنج ، وصنوف كثيرة من السودان ، وأصناف من الأعاجم ، ويأجوج ومأجوج . فهل هؤلاء أن يحتجوا على الله بما منح غيرهم ، ومنعهم ؟ .
لأعمر الله ، ما لأحد عليه حجة ، ولا قبله حق ، ولا فيما خلق شرك ، بل له الحجة البالغة وهو الفعال لما يريد .

وعدل القول فى القدر أن تعلم أن الله عدل لا يمحور ، كيف خلق ، وكيف قدر ، وكيف أعطى ، وكيف منع . وأنه لا يخرج من قدرته شيء ، ولا يكون فى ملكوته من السموات والأرض إلّا ما أراد ، وأنه لا دين لأحد عليه ، ولا حق لأحد قبله . فإن أعطى بفضله ، وإن منع فبعده . وإن العباد يستطيعون ويعملون ، ويمحزون بما يكسبون ، وإن لله لطيفة يبتدى بها من أراد ، ويتفضل بها على من أحب ، يوقعها فى القلوب فيعود بها إلى طاعته ، ويمنعها من حققت عليه كلمته .

فهذه جملة ما ينتهى إليه علم ابن آدم من قدر الله عز وجل ، وما سوى ذلك مخزون عنه .

وتعمق آخرون فى النظر ، وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد بنفى التشبيه عن الخالق ، فأبطلوا الصفات مثل : العلم ، والقدرة ، والجلال ، والعفو ، وأشباه ذلك فقالوا : نقول هو الحليم ، ولا نقول بحلم ، وهو القادر ، ولا نقول بقدرة . وهو العالم ولا نقول بعلم . كأنهم لم يسمعوا لإجماع الناس على أن يقولوا (أسألك هفوك) وأن يقولوا : (يعضو بحلم ويعاقب بقدرة) . والقدير هو ذو القدرة ، والعفو هو ذو العفو ، والجليل هو ذو الجلال ، والعليم هو ذو العلم .

فإن زعموا أن هذا مجاز قيل لهم : ماتقولون في قول القائل : (غفر الله لك وعفأ عنك ، وحلم الله عنك) ؟ ، أمجاز هو أم حقيقة ، ؟ : فإن قالوا : هو مجاز ، فالله لا يغفر لأحد ، ولا يعفو عن أحد ، ولا يحلم عن أحد على الحقيقة ، ولن يركبوا هذه . وإن قالوا : حقيقة ، فقد وجب في المصدر ما وجب في الصدر ، لانا نقول : غفر الله مغفرة ، وعفا عفوا ، وحلم حلما . فمن المحال أن يكون واحد حقيقة والآخر مجازا . وقال الله : (إن كيدى متين) [١٨٣ / الأعراف] راجع الناس على أن الحول والقوة لله ، والحول الخيلة . وقالوا في (سميع بصير) هما سواء ، ليس في سميع من المعنى إلا ما في بصير ، ولا فيها إلا معنى عليم . وقد سمع الله قول اليهود : (إن الله فقير ونحن أغنياء) [١٨١ / آل عمران] حين قالوه ، وعلمه قبل أن يقولوه . فهل يجوز لأحد أن يقول : إن الله سمعه قبل أن يقولوه ؟

وكذلك قول المجادلة في زوجها ، قد سمع الله جدها وسمع محاورتها للنبي صلى الله عليه وسلم حين جادلته وحاورته ، وعلمه قبل أن تجادل وتحاور به . فهل لأحد أن يقول : إن الله قد سمعه قبل أن يكون . ؟ . وإذا لم يحز ذلك فقد علم أن في (سميع) معنى غير معنى (عليم) . والله يقول : (لأننى معكما أسمع وأرى) [٤٦ / طه] .

وقالوا في كلام الله : إنه مخلوق لأن الله تعالى قال : (إنا جعلناه قرآنا عربيا [٣ / الزخرف] . والجعل بمعنى الخلق ، ولأنه قال : (ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث) [٢ / الأنبياء] ، وكل محدث مخلوق . وإن معنى كلم الله أوجد كلاما ، و : (كلم الله موسى تكليما) [١٦٤ / النساء] أوجد كلاما سمعه . فخرجوا بهذا التأويل من اللغة ومن المعقول لأن معنى تكلم الله أتى بالكلام من عنده ، وترحم الله أتى بالرحمة من عنده . كما يقال : نخشع فلان أتى بالخشوع من نفسه ، وتشجع أتى بالشجاعة من نفسه ، وتبتل أتى بالتبتل من نفسه ، وتحلم أتى بالحلم من نفسه ولو كان المراد (أوجد كلاما) لم يحز أن يقال (تكلم) وكان الواجب أن يقال (أكلم) كما يقال (أقبح الرجل) أتى بالقباحة و (أطاب) أتى بالطيب و (أخس)

أتى بالخساسة . وأن يقال : (أكلّم الله موسى لكلاماً) ، كما يقال : (أقبر الله الميت) ، أى جعل له قبراً ، أو (أرعى الله الماشية) ، جعلها ترعى فى أشباه لهذا كثيرة لا تخفى على أهل اللغة .

والعرب تسمى الكلام لساناً لأنه عن اللسان يكون . قال الشاعر وهو أمية بن أبى الصلت :

وأسمع كلام الله كيف شكوله فأعجب ويلسنتك الذى تستشده

أراد أسمع كلام الله ، ثم قال : ويلسنتك أى يكلمك الذى تستشده أى كأنه يكلمك ، وقال الله عز وجل حكاية عن إبراهيم : (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) [٨٤ / الشعراء] .

وقال الشاعر

لأى أتت لسان لا أمر بها أى أخبرت .

وأما استشهادهم بالجعل على خلق القرآن فى قول الله : (إنا جعلناه قرآناً عربياً) [٣ / الزخرف] ، فإن الجعل يكون بمعنيين ، أحدهما خلق ، والآخر غير خلق .

فأما الموضع الذى يكون فيه خلقاً ، فإذا رأيت متعدياً إلى مفعول واحد لا يجاوزه كقول الله : (خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) [١ / الأنعام] ، فهذا بمعنى خلق . وكذلك : (وجعل منها زوجها) [١ / النساء] ، أى خلق منها — وأما الموضع الذى يكون فيه غير الخلق ، فإذا رأيت متعدياً إلى مفعولين كقوله : (وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) [٩١ / النحل] ، أى صيّرتم ، وكقوله : (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها) [٦٦ / البقرة] . وكقول القائل : (جعل فلان أمراًته فى يدها) ، فإن هم وجدوا فى القرآن كله ، جعل ، متعدياً إلى القرآن وحده ليقضوا عليه بالخلق ، فنحن نتابعهم ، وكذلك المحدث ليس هو فى موضع بمعنى مخلوق ، فإن أنكروا ذلك فليقولوا فى قول الله : (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) [١ / الطلاق] ، إنه يخق . وكذلك

قوله : (لعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا) [١١٣ / طه] ، أى يحدث لهم القرآن ذكرا . والمعنى يحدث عندهم ما لم يكن .

وكذلك قوله : (ما يأتيتهم من ذكر من ربهم محدث) ، أى ذكر حدث عندهم لم يكن قبل ذلك . وفعلوا فى كتاب الله أكثر مما فعل الأولون فى تحريف التأويل عن جهته ، فقالوا فى قول الله (وقالت اليهود يد الله مغلولة) [٦٤ / المائدة] ، إن اليد ههنا ، النعمة ، وما ننكر أن اليد قد تتصرف على ثلاثة وجوه من التأويل ، أحدهما النعمة . والآخر القوة من الله : (أولى الأيدي والأبصار) [٤٥ / ص] يريد أول القوة فى دين الله ، والبصائر ، ومنه يقول الناس : (ما لى بهذا الأمر يد) ، يعنون ما لى به طائفة . والوجه الثالث : اليد بعينها ، ولكنه لا يجوز أن يكون أراد فى هذا الموضع النعمة ، لأنه قال : (وقالت اليهود يد الله مغلولة) [٦٤ / المائدة] ، والنعم لا تغل ، وقال : (غلت أيديهم) [٦٤ / المائدة] . معارضة بمثل ما قالوا ، ولا يجوز أن يكون أراد غلت نعمهم ثم قال : (بل يدها مبسوطتان) [٦٤ / المائدة] ، ولا يجوز أن يريد (نعمته مبسوطتان) ، وكان بما احتجوا به للنعمة قوله : (غلت أيديهم) ، لو أراد اليد بعينها لم يكن فى الأرض يهودى غير مغلول اليد .

فما أعجب هذا الجهل والتعسف فى القول بغير علم . ألم يسمعوا بقول الله تعالى : (قتل الإنسان ما أكفره) [١٧ / عبس] ، وبقوله : (قاتلهم الله أنى يؤفكون) [٣٠ / التوبة] ، وقوله : (لعنوا بما قالوا) [٦٤ / المائدة] . واللعن الطرد ، فهل قتل الله الناس جميعا ؟ وهل قتل قوما وطرد آخرين ؟ ولم يسمعوا بقول العرب : (قاتله الله ما أبطشه) و (أخزاه الله ما أشعره) ، وبقول النبي صلى الله عليه وسلم لرجل : (تربت يده) أى افتقر ولم يفتقر ، ولمرأة : (عقرى حلقى) ولم يعقرها الله ، ولا أصاب حلقها بوجع ، فإن قال لنا : ما اليدان ههنا ؟ قلنا له : هما اليدان اللتان تعرف الناس .

كذلك قال ابن عباس فى هذه الآية : (اليدان اليدان) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(كلتا يديه يمين) . فهل يجوز لأحد أن يجعل اليدين ههنا نعمة أو نعمتين ؟ وقال : (لما خلقت بيدي) [٧٥ / ص] ، فنحن نقول كما قال الله تعالى ، وكما قال رسوله ، ولا نتجاهل ، ولا يحملنا ما نحن فيه من نفى التشبيه على أن ننكر ما وصف به نفسه ، ولكننا لا نقول كيف اليدين ؟ وإن سئلتنا تقتصر على جملة ما قال ، ونمسك عما لم يقل . وتأويل الآية : إن اليهود قالت : يد الله مغولة أى ممسكة عن العطاء ، فضرب الغل في اليد مثلاً لأنه يقبض اليد عن أن تمتد وتنبسط كما تقبض يد البخيل ، فقال الله تعالى : (غلت أيديهم) ، أى قبضت عن العطاء والإنفاق في الخير ، والبر ، (ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان) [٦٤ / المائدة] ، بالعطاء : (ينفق كيف يشاء) [٦٤ / المائدة] ، ومثله قوله : (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون) [٨ / يس] ، أى قبضنا أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله بموانع كالأغلال . وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم : (كلتا يديه يمين) ، فإنه أراد معنى التمام والكمال ، لأن كل شيء فيأسره تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام . وكانت العرب تحب التيامن ، وتكره التيسار لما في اليمين من التمام ، وفي اليسار من النقص ، ولذلك قيل : اليمين والشؤم ، فاليمين في اليد اليمنى ، والشؤم في اليد الشؤمى ، وهى اليسرى . وقالوا : فلان ميمون من اليمين ، ومشؤم من الشؤمى وهى الشمال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأبل : (إن أدبرت أدبرت وإن أقبلت أدبرت ولا يأتى نفعها من جانبها إلا شأم) يعنى اليسر . ويمكن أيضاً أن يريد العطاء باليدين جميعاً لأن اليمنى هى المعطية ، فإذا كانت اليدين يمين كان العطاء بهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يمين الله سبحانه لا يغيضها شيء الليل والنهار) أى تسب العطاء ولا ينقصها ذلك ، وإلى هذا المعنى ذهب المراد حيث يقول :

وإن على الأمانة من عقيل ففى كلتا اليدين له يمين

وقالوا في قوله تعالى : (ونفخت فيه من روحي) [٤٩ / الحجر] إن الروح هو الأمر أى أمرت أن يكون .

واحتجوا بقول سليمان وأبى الدرداء (إنما نقوم فنكبر بروح الله) أى بكلامه ، والروح كما ذكروا قد يكون كلام الله في بعض المواضع نحو قوله : (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) [١٥ / غافر] وكقوله عز وجل (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) . والروح أيضا روح الاجسام الذى يقبضه الله عند الممات ، والروح أيضا ملك عظيم من ملائكة الله . قال الله تعالى : (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) [٣٨ / النبأ] والروح الرحمة ، قال الله تعالى : (وأيدهم بروح منه) [٢٢ / المجادلة] أى برحمة ، كذلك قال المفسرون . وقال الله تعالى : (فروح وريحان) [٨٩ / الواقعة] فمن قرأ بالضم أراد فرحة ورزق . ويقال : فبقاء ورزق ، والروح النفخ ، سمي روحا لانه ريح يخرج عن الروح ، وأى شيء جعلت الروح من هذه التأويلات . فإن « نفخت » لا يحتمل إلا معنى واحدا ، قال ذو الرمة وذكر نارا قدحها :

وقلت له ارفعها إليك وأحبها بروحك واقتته لها قيتة قدرا

يقول : أحي النار بنفخك ، فنحن نؤمن بالنفخ وبالروح ، ولا نقول كيف ذلك ، لأن الواجب علينا أن تنتهى في صفات الله إلى حيث انتهى في صفته أو حيث انتهى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب وتضمه عليه ونمسك عما سوى ذلك .

وقالوا في قوله : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [٢٣ / القيامة] . أى منتظرة . والعرب تقول : نظرتك وانتظرتك بمعنى واحد . ومنه قوله تعالى : (أنظرونا نقتبس من نوركم) [١٣ / الحديد] أى انتظرونا . وقال الحطينة :

وقد نظرتكم إيناء صادرة للخمس طال بها حوزى وتنساي

أى انتظرتكم ، وما ننكر أن نظرت قد يكون بمعنى انتظرت ، وأن الناظر قد يكون بمعنى المنتظر . غير أنه يقال : أنا لك ناظر أى أنا لك منتظر . ولا يقال أنا إليك ناظر أى إليك منتظر ، إلا أن يريد نظر العين ، والله يقول : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ولم يقل لربها ناظرة ، فيحتمل ما تأولوا . فأما دفعهم نظر العين بقول الله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) [الأنعام / ١٠٣] وبقول موسى عليه السلام (رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى) [الاعراف / ١٤٣] فإنه أراد (لا تدركه الأبصار) فى الدنيا . وأراد (لن ترانى) فى الدنيا لأنه تعالى احتجب عن جميع خلقه فى الدنيا ، وتجلى لهم يوم الحساب ويوم الجزاء والقصاص ، فيروونه كما يرى القمر فى ليلة البدر لا يختلفون فيه كما لا يختلفون فى القمر . ولم يقع التشبيه بها ^(١) على حالات القمر من التدوير والمسير والحدود وغير ذلك ، وإنما وقع التشبيه بها فى أن إدراكه يوم القيامة كإدراكنا القمر ليلة البدر ، لا يختلف فى ذلك ، كما لا يختلف فى هذا . والعرب تضرب بالقمر امثلاً فى الشهرة والظهور . قال ذو الرمة :

فقد بهرت فما تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمر

ويقولون : هذا أبين من الشمس ومن فلق الصبح ، وأشهر من القمر . وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قاض على الكتاب ومفسر له ، والخبر فى الرؤية ليس من الأخبار التى يدفعها إلا جاهل أو معاند ظالم لتتابع الروايات به من الجهات الكثيرة عن الثقات ، فلما قال الله عز وجل : (لا تدركه الأبصار) وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ترون الله يوم القيامة) لم يخف على ذى نظر أنه فى وقت دون وقت . وفى قول موسى عليه السلام أيضا : (رب أرنى أنظر إليك) أبين الدلالة بأنه يرى فى القيامة ، ولو كان الله لا يرى فى حال من الأحوال ، ولا يجوز عليه النظر ، لكان موسى قد خفى عليه من صفة الله ما علبوه .

ومن قال : إن الله يدرك بالبصر يوم القيامة ، فقد حده عندهم . ومن كان الله عنده محدودا فقد شبهه بالمخلوقين . ومن شبهه عندهم بالخالق فقد كفر . فما نقول في موسى فيما بين أن نبأه الله عز وجل وكلبه من الشجرة إلى الوقت الذي قال له فيه : (أرني أنظر إليك) أنقضى عليه بأنه كان مشبها لله محددآ ؟ لا لعمر الله ، ما يجوز أن يحمل موسى من الله مثل هذا لو كان على تقديرهم ، ولكن موسى علم أن الله يرى يوم القيامة فسأل الله أن يجعل له في الدنيا ما أحله لأنبيائه وأوليائه يوم القيامة فقال : (لن تراني) يعني في الدنيا . (ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) [١٣٤ / الأعراف] أعلمه أن الجبل لا يقوم لتجليه ، حتى يصير دكا . وأن الجبال إذا ضعفت عن احتمال ذلك فابن آدم أخرى أن يكون أضعف إلى أن يعطيه الله يوم القيامة ما يقوى به على النظر ، ويكشف عن نظره الغطاء الذي كان في الدنيا فيصير بعد السلال حديدا ، والتجلي هو الظهور ، ومنه يقال : جلوت المرأة والسيف إذا أظهرتهما من الصدأ ، وجلوت العروس إذا أبرزتها .

وقالوا في قوله : (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) [١١٦ / المائدة] . أي تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك ، كما قال : (وعنده مفاتيح الغيب) [٥٩ / الأنعام] وكما يقول القائل : عندي علم ذاك . وهذا كما ذهبوا إليه في احتمال التأويل على بعد ، والله أعلم بما أراده . ولكن (عند) تدل على قرب ، وهم يزعمون أن الله تعالى لا يكون إلى شيء أقرب منه إلى شيء آخر ، وأنه على العرش استوى في الحقيقة مثله في الأرض . والعجب لقوم لا يؤمنون إلا بما يصح في المعقول ، ثم خرجوا من كل معقول بقولهم : إن الله في كل مكان بغير عمامة ، ولا مباينة ، وبغير موافقة ، ولا مفارقة . وقد قال أمية يذكر قرب موسى عليه السلام من الله حين كلبه .

وهو أقرب الأنام إلى الله كقرب المداد للمنوال .

يقول وهو كقرب مداد الثوب من الخشبة التي ينسج الثوب عليها ، والله يقول : (وقربناه نجيا) [٥٢ / مريم] النجى فى معنى المناجى وهو من كلك من قرب ، كما يقال جلس بجالس ، وأكيل مؤا كل ، وكذلك كلم الله بمعنى مكالم الله و خليل الله بمعنى مخال الله . قال الله عز وجل : (خلصوا نجيا) [٨٠ / يوسف] . وقال أبو زيد يذكر رجلا ساور الأسد :

وثار عليه إعصار وهيجا نجيس ليس يئنها جلس

يريد أن كل واحد قرب من الآخر .

وطلبوا للعرش معنى غير السرير ، والعلماء بالله لا يعرفون للعرش معنى إلا السرير ، وما عرش من السقوف وأشباهاها . وقال أمية بن أبى الصلت :

مجدوا الله وهو للمجد أهل ربنا فى السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذى سبق الناس وسوى فوق السماء سريرا

شرجما لا يناله بصر العيين ترى دونه الملائك صورا

وطلبوا للكرسى غير مانع ، وجاءوا بشطر بيت لا يعرف ماهو ، ولا يدري من قائله (ولا يكرسىء علم الله مخلوق) والكرسى غير مهموز بإجماع الناس جميعا ويكرسى مهموز .

وقالوا فى قول الله عز وجل : (خلق الإنسان من عجل) [٣٧ / الأنبياء] أى من طين ، وجاءوا بيت لا يعرف ولا يدري من قاله :

(والحب ينبت بين الماء والعجل) .

لما اشتبه عليهم قوله : (خاق الإنسان من عجل) فتحلوا له هذه الحيلة وهذه من المقدم والمؤخر ، أراد خلق العجل من الإنسان ، ومثله كثير ، ونزهوا الله فيما زعموا عن أن يكون خليلا لمخلوق ، لأن الخلقة صداقة ، فقالوا فى قوله تعالى :

(واتخذ الله إبراهيم خليلاً) [١٢٥/النساء] اتخذته فقيراً إليه ، وجعلوه من الخلة بنصب الخاء واحتجوا بقول زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالى ولا حرم

أى فقير ، فقبجها لهذه العقول وهذا النظر ! أما سمعوا ويحكم بإجماع الناس جميعاً على أن الخلة بضم الخاء لإبراهيم ، وعلى أن موسى كليم الله ، وإبراهيم خليل الله ؟ وعيسى روح الله ؟ فإن كان معنى خليل الله : الفقير إلى الله ، فأى فضيلة لإبراهيم فى هذا القول ؟ إذ كان الناس جميعاً فقراء إلى الله . والعجب لهم كيف لم يقولوا فى قول الناس : موسى كليم الله ، أنه جريح الله من الحكم أو من معنى آخر ، مامنعهم من ذلك إلا أن الله يقول : (إني اصطفتك على الناس برسالتي وبكلامي) [١٤٤/الأعراف] فضائق عليهم الاحتيال . وما أشبه هذا بقولهم فى (وعصى آدم ربه فغوى) [١٢١/طه] أى بشم من أكل الشجرة ، وذهبوا إلى قول العرب : غوى الفصيل إذا أنخم ، وهذا غوى يغوى ، وذلك غوى يغوى بكسر الواو غيا ، ولو وجدوا فى (وعصى آدم) مثل هذا التأويل أيضاً لقالوه .

وقالوا فى قوله : (الرحمن على العرش استوى) [٥/طه] أنه استولى . وليس يعرف فى اللغة ، استويت على الدار أى استوليت عليها . وإنما استوى فى هذا المكان : استقر . كما قال تعالى : (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك) [٢٨/المؤمنون] أى استقررت ، وقد يقول الرجل لصاحبه إذا رآه مستوفزاً : (استو) يريد (استقر) وأما قوله : (ثم استوى إلى السماء) [٢٩/البقرة] فإنه أراد عمداً لها وقصد . فكل من كان فى شئ ثم تركه لفراغ أو غير فراغ وعمداً لغيره فقد استوى إليه . فهذا مذهب القوم فى تأويل الكتاب بأرائهم وعلى ما أصلوا من قولهم .

وأما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنهم اعترضوه بالنظر ، فما كان له وجه في النظر من هذه الجهة صدقوا به ، وما لم يكن له مخرج رده واستشنعوه وكذبوا ناقليه ، ولم يلتفتوا إلى صحيح من الحديث ولا سقيم ، فأمنوا بمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن) لأنه عندهم يحتمل المخرج في اللغة . وقالوا : الإصبع النعمة . يذهبون إلى قول الراعي :

ضعيف العضأ بادى العروق ترى له . . عليها إذا ما أحل الناس أصبعا

أى ترى له عليها أثراً حسناً . وكقول الطفيل يصف فحل لإبل :

كيت كبكر الناب أحيا بنابه . . مقاليتها واستحملتن أصبع

يقول لما ضرب في الإبل هذا الفحل عاشت أولادها ، وكانت قبل ذلك مقاليت لا يعيش لها ولد . وقوله : (واستحملتن أصبع) ، أى ظهر عليهن أثر حسن من المرعى والعرب تقول : ما أحسن أصبع فلان على ماله .

ومن تدبر هذا التأويل وجده لا يشاكل ما تقدم من قول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ، لأنه قال في دعائه : (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) ، فقالت إحدى أزواجه : أو تخاف يا رسول الله على نفسك ؟ فقال : (إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله) ، فلو كان قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الله لكان القلب محفوظاً بتينك النعمتين ، فلا شيء دعا بالتشيت ؟ ولم احتج على المرأة التى قالت له : (أتخاف على نفسك) ، يؤكد قولها ، وكان ينبغي أن لا يخاف إذا كان القلب محرساً بنعمتين وأتكرروا الحديث الآخر (يحمل الأرض على أصبع وكذا على أصبع وكذا على أصبع) ، لأن الأصابع هنا لا يجوز أن تكون النعمة .

وقالوا في الضحك : هو مثل قول العرب : (ضحكت الأرض بالنبات) ،

إذا طلع فيها ضروب الزهر ، (وضحكت الطاعة) إذا انفتق كافورها عن بياضها ،
(وضحك المزن) ، إذا لمع فيه البرق ، وليس من هذه شئ . إلا وللضحك فيه
معنى حدث . فإكان الضحك الذى فروا منه فيه تشبيه بالإنسان ، فإن فى هذا تشبيها
بهذه المعانى .

ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء فى النقي ، عارضوهم بالإفراط فى التمثيل
فقالوا بالتشبيه المحض ، وبالأقطار والحدود ، وحلوا الألفاظ الجائية فى الحديث
على ظاهرها ، وقالوا بالكيفية فيها ، وحلوا من مستشنع الحديث عرق الخيل
وحديث عرفات ، وأشبه هذا من الموضوع ، ما رأوا أن الإقرار به من السنة وفى
إنكاره الريية . وكلا الفريقين غلط . وقد جعل الله التوسط منزلة العدل ، ونهى عن
الغلو فيما دون صفاته ، من أمر ديننا فضلا عن صفاته ، ووضع عنا أن نفكر فيه
كيف كان ؟ وكيف قدر ؟ وكيف خلق ؟ ولم يكلفنا ما لم يجعله فى تركيبنا
ووسعنا .

وعدل القول فى هذه الأخبار أن تؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فتؤمن
بالرؤية والتجلى ، وأنه يعجب وينزل إلى السماء ، وأنه على العرش استوى ،
وبالنفس واليدين من غير أن نقول فى ذلك بكيفية أو بجدد أو أن نقيس على
ما جاء ما لم يأت ، فزجو أن نكون فى ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غدا
إن شاء الله تعالى .

وقد رأيت هؤلاء أيضا حين رأوا غلو الرافضة فى حب عليّ ، وتقديمه على
من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته عليه وادعاءهم له شركة النبي
صلى الله عليه وسلم ، فى نبوته ، وعلم الغيب ، للأئمة من ولده ، وتلك الأقاويل ،
والأمور السرية التى جمعت إلى الكذب والكفر لإفراط الجهل والغباوة ، ورأوا
شتمهم خيار السلف وبغضهم وتبرأهم منهم ، قابلوا ذلك أيضا بالغلو فى تأخير على كرم
الله وجهه وبخسه حقه ، ولحنوا فى القول وإن لم يصرحوا إلى ظلمه ، واعتدوا عليه

بسفك الدماء بغير حق ، ونسبوه إلى الملالة على قتل عثمان رضى الله عنه ، وأخرجوه بمجملهم عن أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن ، ولم يوجبوا اسم الخلافة لاختلاف الناس عليه ، وأوجبوها ليزيد بن معاوية لاجتماع الناس عليه ، واتهموا من ذكره بغير خير .

وتحاشى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله كرم الله وجهه أو يظهرها ما يجب له . وكل تلك الأحاديث لها مخارج صحاح . وجعلوا ابنه الحسين عليه السلام خارجياً شافئاً لعصا المسلمين ، حلال الدم ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من خرج على أمي وهم جميع فاقتلوه كائنا من كان) ؛ وسووا بينه في الفضل وبين أهل الشورى ، لأن عمر لو تبين له فضله لقدمه عليهم ، ولم يجعل الأمر شورى بينهم ، وأهلوا من ذكره أو روى حديثاً من فضائله حتى تحاشى كثير من المحدثين أن يتحدثوا بها ، وعنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص ومعاوية كأنهم لا يريدونهما بذلك ، وإنما يريدونه . فإن قال قائل : (أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم على وأبو سبطيه الحسن والحسين ، وأصحاب الكساء على وفاطمة والحسن والحسين) تمعرت الوجوه ، وتنكرت العيون ، وطرت حسائك الصدور ، وإن ذكر ذكر ذاك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من كنت مولاه فعلى مولاه) ، و (أنت منى بمنزلة هارون من موسى) وأشبه هذا التمسوا لتلك الأحاديث المخارج لينتقصوه ويبخسوه حقه ، بغضا منهم للرافضة وإلزاما لعلى عليه السلام بسببهم ما لا يلزمه ، وهذا هو الجهل بعينه ، والسلامة لك أن لا تهلك بمحبته ، ولا تهلك ببنقضته ، وأن لا تحتمل ضغنا عليه بمحايه غيره ، فإن فعلت فأنت جاهل مفطر في بغضه ، وأن تعرف له مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالترية والأخوة والصبر والصبر في مجاهدة أعدائه وبذل مهجته في الحروب بين يديه ، مع مكانه في العلم والدين ، والبأس والفضل ، من غير أن تتجاوز به الموضع الذى وضعه به خيار السلف ، لما تسعه من كثير من فضائله ، فهم كانوا أعلم به وبغيره ، ولأن ما أجمعوا عليه هو الأيمان الذى لا يشك فيه ، والأحاديث المنقولة قد يدخلها تحريف وشوب ، ولو كان إكرامك لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى دعاك إلى محبة من نازع

عليها وحاربه ولعننه ، إذ صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمه ، وكنت قد سلكت في ذلك سبيل المستسلم ، لأنك بذلك في علي عليه السلام أولى لسابقته وفضله وخاصيته وقرابته والدناوة التي جعلها الله بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المباحلة حين قال تعالى : (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) [١٦ / آل عمران] ، فدع احسنا وحسينا : (ونساءنا ونساءكم) [١٦ / آل عمران] فدع فاطمة عليها السلام (وأنفسنا وأنفسكم) [٦١ / آل عمران] فدع عليا عليه السلام . ومن أراد الله تبصيره بضره ، ومن أراد به غير ذلك حيّره .

ثم انتهى بنا القول إلى ذكر غرضنا من هذا الكتاب ، وغايتنا من اختلاف أهل الحديث في اللفظ بالقرآن وتشابههم ، وإكفار بعضهم بعضا . وليس ما اختلفوا فيه بما يقطع الالفة ، ولا بما يوجب الوحشة ، لأنهم يجمعون على أصل واحد وهو القرآن كلام الله غير مخلوق ، في كل موضع وبكل جهة ، وعلى كل حال . وإنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموضه ولطف معناه ، فنتعلق كل فريق منهم بشعبة منه ، ولم يكن معهم آلة التمييز ولا فحص النظارين ، ولا علم أهل اللغة ، فإذا فكر أحدهم في القراءة وجدها قد تكون قرآنا لأن السامع يسمع القراءة . وسمع القراء سماع القرآن . وقال الله عز وجل : (فاستمعوا له) [٢٠٤ / الاعراف] وقال : (حتى يسمع كلام الله) ، ووجدوا العرب تسمى القراءة قرآنا . قال الشاعر في عثمان بن عفان رضى الله عنه :

ضحوا بأشط عنوان السجود به . . يقطع الليل تسييحا وقرآنا
أى تسييحا وقراءة.

وقال أبو عبيد : يقال . قرأت قراءة وقرآنا ، بمعنى واحد فجعلها مصدرين لقرأت . وقال الله تعالى : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) [٧٨ / الإسراء] ، أى قراءة الفجر ، فيعتقدون من هذه الجهات أن القراءة هى القرآن غير مخلوق ، ويفكر آخر في القراءة فيجدها عملا ، لأن

الشراب يقع على عمل ، لا على أن قرأنا في الأرض (١) ، ويحمد الناس يقولون : قرأت اليوم كذا وكذا سورة ، وأقرأت في تقدير فعلت كما تقول ضربت ، وأكلت وشربت ، وتحمدهم يقولون : قراءة فلان أحسن من قراءة فلان . لأنما يريدون أداء ، فلان للقرآن أحسن من أداء فلان ، وقراءة فلان أصوب من قراءة فلان ، ولأنما يراد في جميع هذا العمل لأنه لا يكون قرآن أحسن من قرآن ، فيعتقد من هذه الجهة أن القراءة عمل ، وأنها غير القرآن ، وأن من قال : (القراءة غير مخلوقة) فقد قال : إن أعمال العباد غير مخلوقة . فلما وقت هذه الحيرة ونزلت هذه البلية فرح الناس إلى علمائهم ، وذوى رأيهم ، فاختلفوا عليهم فقال فريق منهم : القراءة فعل محض وهى مخلوقة كسائر أفعال العباد والقرآن غيرها ، وشبهوها ، والقرآن ، بالضرع والمضروب ، والآكل والمأكول ، فاتبعهم على ذلك فريق . وقالت فرقة : هى القرآن بعينه : ومن قال : إن القراءة مخلوقة فقد قال بخلق القرآن ، واتبعهم قوم . وقالت فرقة : هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها ولم يتكلفوها ولا تعالوها . واختلفت عن أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الروايات ورأينا كل فريق منهم يدعيه ، ويحكي عنه قولاً ، فإذا كثر الاختلاف فى شئ . ووقع التهاثر فى الشهادات به أرجأناه مثل أن ألغيناه ، ومن عجب ما حكى عنه مما لا يشك أنه كذب عليه إذ كان موافقاً بحمد الله رشيداً أنه قال : (من زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهى ، والجهى كافر ، ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو مبتدع وكل بدعة ضلال) . فكيف يتوهم على أبى عبد الله مثل هذا القول وأنت تعلم أن الحق لا يخلو من أن يكون فى أحد الأمرين ، وإذا لم يخل من ذلك صار الحق فى كفر أو ضلال . ولم أر فى هذا الفرق أقل عذراً ممن أمر بالسكوت والتجاهل بعد هذه الفتنة ، ولأنما يجوز أن يؤمر بهذا قبل تفاقم الأمر ووقوع الشحنة . وليس فى غرائز الناس احتمال الإمساك عن أمر فى الدين قد انتشر هذا الانتشار ، وظهر هذا الظهور ، ولو أمسك عقلاؤهم ما أمسك جهلاؤهم ، ولو أمسكت الألسنة

ما أمسكت القلوب ، وقد كان لهؤلاء أسوة فيمن تقدمهم من العلماء حين تكلم بهم وأبو حنيفة في القرآن (١) ولم يكن دار بين الناس قبل ذلك ولا عرف ، ولا كان بما تكلم الناس فيه ، فلما فرغ الناس إلى علمائهم لم يقولوا : هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها ولم يتكفوها ، ولكنهم أزالوا الشك باليقين ، وجلوا الحيرة وكشفوا الغمة وأجمع رأيهم على أنه غير مخلوق فأفتوهم بذلك ، وأدلوا بالحجج والبراهين ، وناظروا ، وقاسوا واستنبطوا الشواهد من كتاب الله عز وجل كقوله : (ألا له الخلق والأمر) [٥٤ / الاعراف] ، وقوله : (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) [١٤ / طه] . وأما قولهم : هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها فلا تتكفوها فإنما يفزع الناس إلى العالم في البدعة لا فيما جرت به السنة ، وتكلم فيه الأوائل ولو كان هذا بما تكلم الناس فيه لاستغنى عنهم . الكلام لا يعارض بالسكوت ، والشك لا يداوى بالوقوف ، والبدعة لا تدفع إلا (٢) بالسنة ، وإنما يقوى الباطل أن تبصره وتمسك عنه . وإن كان الوقوف في اللفظ بالقرآن حتى لا يقال فيه مخلوق ، أو غير مخلوق هو الصواب ، فما حجتنا على الواقعة في القرآن ، ولم جعلناهم شكاكاً . وجعلناهم ضلالاً ، وأكفرهم بعض أهل السنة ، وأكفر من شك في كفرهم ، هل الأمر في ذلك وفي هذا إلا واحد ، فإن قيل إن الثوري وابن عيينة وابن المبارك وأشباههم لم يقفوا . قلنا : لكل زمان رجال ، فأنت ثوري زماننا وابن عيينتنا ، فقل كما قالوا لنسمع ولننفع ، على أن أولئك قالوا وبينوا من أين قالوا ، ونحن راضون منك بأن تقول ، ومعقول أن نقول من أين قلت ؟ وكل من ادعى شيئاً أو انتحل نحلة فهو يزعم أن الحق فيما ادعى وفيما انتحل ، خلا الواقع الشاك ، فإنه يقر على نفسه بالخطأ لأنه يعلم أن الحق في أحد الأمرين اللذين وقف بينهما وأنه ليس على واحد منهما ، وقد بلى بالفريقين المستبصر المسترشد وبإعفائهم ومحنتهم وإغلاظهم لمن خالفهم وإكفاره وإكفار من شك في كفره فإنه ربما ورد الشيخ المصنف قعد الحديث وهو من الأدب غفل . ومن التمييز ليس له من معاني

(١) يتفق مع ما أورده أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية من القول بأن بعض أصحاب أبي حنيفة جهمية .

(٢) سقط من الأصل « إلا » .

العلم إلا تقادم سنه ، وأنه قد سمع ابن عيينه ، وأبا معاوية ، ويزيد بن هارون ، وأشباههم ، فيدأونه قبل الكتاب بالحنة ، فالويل له إن تعلم أو تمكث أو سعل أو تنحنح قبل أن يعطيهم ما يريدون فيحمله الخوف من قدحهم فيه وإسقاطهم له على أن يعطيهم الرضا فيتكلم بغير علم ، ويقول بغير فهم فيتباعد من الله في المجلس الذي أمل أن يتقرب فيه منه . وإن كان ممن يعقد على مخالفتهم سام نفسه لإظهار ما يحبون ليكتبوا عنه ، وإن رأوا حدثا مسترشدا أو كهلا متعلما سألوه ، فإن قال لهم : أنا أطلب حقيقة هذا الأمر وأسأل عنه ، ولم يصح لي شيء بعد - وإنما صدقهم عن نفسه واعتذر بعذرهم الله يعلم صدقه ، وهم يعلمون أنه لم يكلفه إذا لم يعلم إلا أن يسأل ، ويبحث ليعلم - كذبوه وآذوه وقالوا : خبيث فاهجروه ولا تقاعدوه ، أفترى لو كان ما هم عليه من اعتقادهم هذا الأمر أصل التوحيد الذي لا يجوز للناس أن يجهلوه ، وقد سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة ، كان يجب أن يبلغ فيه هذه الغاية ، فكيف وهم لو سئلوا من أين قلتم ؟ مارجعوا في ذلك إلى وثيقة من حديث يأثرونه ، أو قول إمام من العلماء يحسن تقليد مثله أو قياس يطردونه ، وإنما هو رأى رواه وقد بخطبه الراوى ، وظن ظنوه ، وأجهل الناس من جعل ظنه لله ديناً .

رعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن ، أن القراءة دلفظ واحد يشتمل على معنيين أحدهما عمل ، والآخر قرآن ، إلا أن العمل لا يتميز من القرآن كما يتميز إلا كل من المأ كول فيكون المأ كول الممضوغ ، والمبأوع ويكون المضغ والبلغ ، والقرآن لا يقوم بنفسه وحده ، وإنما يقوم بواحدة من أربع كتابة أو قراءة أو حفظ أو استماع ، فهو بالعمل في الكتابة قائم ، والعمل خط ، وهو مخلوق والمكتوب قرآن ، وهو غير مخلوق ، وهو بالعمل في القراءة قائم ، والعمل تحريك اللسان واللاهوات بالقرآن ، وهو مخلوق ، والمقروء قرآن ، وهو غير مخلوق ، وهو بحفظ القلب قائم في القلب ، والحفظ عمل وهو مخلوق ، والمحفوظ قرآن ، وهو غير مخلوق ، وهو بالاستماع قائم في السمع ، والاستماع عمل وهو مخلوق ،

والمسموع قرآن وهو غير مخلوق ، ومثل هذا ، وإن كان لا مثل للقرآن . إلا أنه تقريب منا لما ذكرناه إلى فهمك ، مثل لون الإنسان لا يقوم إلا بجسمه ولا نقدر أن نفر اللون في وهمك حتى يكون متميزا من الجسم ، وكذلك القدرة لا نقدر أن نفردها عن الجسم ، وكذلك الاستطاعة والحركة كل واحدة منها لا تفرد وإنما تقوم بالجسم والجارحة ولا تفرد عنها ، كذلك القرآن يقوم بتلك الخلال الأربع التي ذكرناها ولا يستطيع أحد أن يتوهمه منفردا عنها . فإذا قلت : قرأت أو قلت أو لفظت دل قولك على فعل ، وقرآن ، كل واحد منها قائم بالآخر غير متميز منه ، لأن الصوت وتحريك اللسان لا يكون قراءة حتى يحمله الصوت واللسان وليس سائر الافعال والمفعولات هكذا . ألا ترى أنك تقول : شتمت وسببت وقذفت : فيدل قولك على فعل ومشقوم ومسبوب ومقذوف . إلا أن كل واحد قائم بنفسه متميز من الآخر ، فلماذا قلنا : إن القراءة شيان ، وكذلك التلاوة واللفظ . وقلنا الشتم شيء واحد . فإن قال قائل : ما تقول في القراءة ؟ قلت : قرآن متصل بعمل ، فإن قال : أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ قلت له : سألت عن كلمة واحدة تحتها معنيان ، أحدهما مخلوق وهو العمل ، والآخر غير مخلوق وهو القرآن . فإن قال : فاشبه هذا ؟ قلنا : رجلان نظرا إلى جمرة حمراء فقال أحدهما : هي جسم وقال الآخر : هي نار ، وتجادلا في ذلك وشرق الأمر بينهما حتى حلف كل واحد بالطلاق على ما قال ، ثم صارا إلى الفقيه فقالا : إنا اختلفنا في جمرة ، فقال أحدهما : هي جسم . وقال الآخر : هي نار . وتمارينا في ذلك ، حتى حلف كل واحد منا بالطلاق على ما ادعى . فقال الفقيه لكل واحد منها : صدقت ، ولكن ذكرت شيئا ذا معنيين بأحد معنييه ، فالجمرة مثل للقراءة لأنها اسم واحد يجمع معنيين : الجسم ، والنار ، كما أن القراءة تجمع معنيين . العمل ، والقرآن ، ولو كان أحد المختلفين قال : هي جسم ونار . قد جمع لها الصنفين ، كما أن من قال : القراءة عمل وقرآن ، قد جمع الصنفين وكذلك لو اختلف اثنان في نعيم فقال أحدهما : هو نار ، وقال الآخر : هو نور ،

كانا جميعا صادقين لأن النجم اسم ذو معنيين : نار ، ونور ، وكذلك لو اختلف اثنان في أكل إنسان فقال أحدهما : هو مضغ ، وقال الآخر : هو بلع ، كانا جميعا صادقين ، لأن أكل الإنسان ذو معنيين : مضغ ، وبلع . وكذلك لو اختلفا في القتل فقال أحدهما : هو جرح ، وقال الآخر : هو موت ، لأن القتل اسم ذو معنيين : عمل ، وموت .

وقد بقيت بعد ما بينت لطيفة قد يغلط في مثلها ، وهى أن السامع إذا سمع قائلا يقول : قراءتى للقرآن ، ولفظى بالقرآن - قراءة القرآن مفردة عن القرآن ، واللفظ منفرد عن القرآن - توهم أن كل واحد منها غير نماذج للقرآن وليس كذلك ، وإنما قوله للقرآن بالقرآن تمييز للقرآن من غيره ، لأن القارىء قد يقرأ غير القرآن ، وهذا من أغمض مامرّ وأدقه ، فتأمله وتدبره حتى تفهمه ، وسأزيدة أيضا : كأن رجلا يسمى محمدا قرأ فسمعه رجل يقال له زيد ، فقال لاخ له يقال له عبد الله ما أحسن قراءة محمد فقال : عبد الله : ماذا قرأ ؟ فيقول زيد : القرآن . وكذلك لو قال : ما أحسن لفظ محمد ا فقال عبد الله : وبماذا لفظ ؟ فيقول له زيد : بالقرآن ، فالقرآن ههنا إنما هو تمييز وتبيين ، وكل واحد من القرآن واللفظ يجمع معنيين : عملا . وقرآنا .

وذهب قوم من منتحلى السنة إلى أن الإيمان غير مخلوق ، خوفا من أن يلزمهم أن يقولوا : لا إله إلا الله ، مخلوق . إذ كانت رأس الإيمان فركبوها شغواء ، وجعلوا أفاعيل العباد غير مخلوقة ، صفات لله عز وجل : فياسبحان الله ، ما أعجب هذا ، وأعجب قائله ؟ ولقد ألف الناس (غير مخلوق) وأنسوا به حتى إنه ليخيّل إلى أن رجلا لو ادعى أن العرش غير مخلوق ، وأن الكرسي غير مخلوق ، لوجد على ذلك أشياء ينتحلون السنة . فإذا جر جهنم - لارحمه الله - على متبعيه بنحلته ، وعلى مخالفيه ببغضته .

وقد بلغنى أن قوما يذهبون إلى أن روح الإنسان غير مخلوق . وأنهم يستدلون

على ذلك بقول الله في آدم : (ونفخت فيه من روحي) وهذا هو النصرانية ،
والقول باللاهوت ، والناسوت ، قال النابتة الجعدى :

من نطفة قدرها مقدرها يخلق منها الإنسان والنسما

والنعم الأرواح ، وأجمع الناس على أن الله فالق الحبة وبارىء النسمة أى
خالق الروح ، والإيمان مخلوق لأنه لفظ باللسان وعقد بالقلب واستعمال للجوارح ،
وكل هذه أفعال للعباد ، ثم كل هذه غرائز ركبها الله في العباد ، وسماها الرسول صلى
الله عليه وسلم إيماناً .

قال أبو محمد : وقد كان بعض الجهمية سألني مرة عن تكلم الناس في الحرف
والحرفين - ولذلك أصل في الكتاب - أخلق هو أم غير مخلوق ؟ فقلت :
هو مخلوق ، مالم يقصد به إلى تلاوة القرآن . فقال لي : فإذا القرآن يصير كلاماً
بذيتك ، والكلام يصير قرآناً بنيتك ، قلت له : إن القول القليل قد يتغير بالنية
والقصد وأنا أقر لك بذلك . ثم قلت له : أما تعلم أن لا إله إلا الله رأس الإيمان
وكلمة التوحيد ؟ قال : بلى . قلت : فما تقول في ملحد قال : (لا إله) يريد
النفى . ماذا تكون كلمته ؟ فقال : كفراً ، قلت : فإذا شطر كلمة التوحيد
قد صار كفراً بالنية . ثم قلت له : ما تقول في مؤمن أراد أن يقول : (لا إله
إلا الله) فقال : (لا إله) ثم انقطع نفسه وسها ما كان قوله ؟ قال : إيماناً
بحاله . قلت له : فإذا ما كان هناك كثيراً بالنية قد صار ههنا إيماناً بالنية وقلت له :
ما تقول أنت في القرآن ؟ قال : مخلوق . قلت : وفي أفعال العباد ؟ قال : غير
مخلوق . قلت : ما تقول في قول الله (ويخزم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم
مؤمنين) [١٤ / التوبة] ما هو ؟ قال : آية . قلت : ففى عندك مخلوقه أم غير
مخلوقه ؟ قلت : فإن دعبل بن علي الشاعر جعلها بيتاً في شعر له طويل فقال :

ويخزم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنينا

فأما هي في شعر دعبل ؟ قال : قول لدعبل قالت : مخلوق أم غير مخلوق ؟
قال بل غير مخلوق قلت : فأراء صار فعلا بالنية ، وخلقاً بالنية ، فما الذى أنكرته
من قولنا هذا ؟

هذا منتهى الاختلاف فى اللفظ بالقرآن وهو بلاغ لمن خضع للحق ، وتناه
بقلب سايم ، ومن استكبر وجمعت به الحمية ، فيستغنى الله الحق عنه ، والله
غنى حميد .

تم بحمد الله وعونه وصلى الله على محمد وعلى آل محمد ورضى الله عن أصحاب
رسول الله أجمعين . وقد وافق الفراغ منه نهىار الجمعة رابع شعبان سنة اثنتين
وثلاثين وسبعمائة .

الرد على الجهمية

للإمام أبي سعيد الدارمي (٤٨٠ هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن برحمتك

أخبرنا أبو المكارم عبد العظيم بن عبد اللطيف بن أبي نصر الشراي الأصبهاني في كتابه إلينا قال : أخبرتنا الشيخة أم الصبح ضوء النساء بذت أبي الفتح عبد الرزاق بن محمد بن سهل الشراي بقراءتي عليها في ربيع الثاني من سنة سبع وستين وخمسمائة قالت : أنبأ أبي الإمام أبو الفتح عبد الرزاق قراءة عليه في دارنا بأصبهان في صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة قال : ثنا الشيخ الإمام نجم الخطباء أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المذكر الهروي المقيم بصع قرية من قرى هراة فيما قرأت عليه بها من أصل سماعه بخط الحافظ أبي الفتح بن سمكويه قلت له : أخبركم الشيخ النقيب أبو روح ثابت بن الأزدي السعدي في شهور سنة ست وخمسين وأربعمائه قال : أنبأ أبي أبو محمد محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل قال : ثنا أبو عبد الله محمد بن إسحق بن إبراهيم القرشي أن الإمام أبا سعيد عثمان بن سعيد قال :

الحمد لله الذي (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى)
[٦ / طه] (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض)
[٣ / مباء] ، يعلم سر خلقه وجرهم ويعلم ما يكسبون ، نحمده بجميع محامده
ونصفه بما وصف به نفسه ووصفه به الرسول ، فهو الله الرحمن الرحيم
قريب مجيب متكلم قائل وشاء مرید (فعال لما يريد) [١٦ البروج] ، الأول
قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء له (الأمر من قبل ومن بعد) [٤ / الروم] ،
و (له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) [٥٤ / الاعراف] ، و (له الأسماء
الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) [٢٤ / الحشر]
(يقبض ويبسط) [٢٤٥ / البقرة] ، ويتكلم ويرضى ويسخط ويعضب ويحب ويبغض
ويكره ويضحك ويأمر وينهى ذو الوجه الكريم ، والسمع السميع ، والبصر البصير

والكلام المبين واليدين والقبضتين والقدرة والسلطان والمظنة والدم الأزل لم يزل كذلك ولا يزال ، استوى على عرشه فبان من خلقه لا تخفى عليه منهم خافية ، علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [١١ / الشورى] .

فبهذا الرب تؤمن ، وإياه تعبد ، وله نصلي ونسجد ، فمن قصد بعبادته إلى إله بخلاف هذه الصفات فإنما يعبد غير الله ، وليس محبوده بإله كفرانه لا غفرانه ، فشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله اصطفاؤه لوحيه وأتجبه لرسالته واختاره من خلقه لخلقفه فأنزل عليه كلامه المبين وكتابه العزيز الذى (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [٤٢ / فصلت] ، (قرآنا عربياً غير ذى عوج) [٢٨ / الزمر] ، (يهدى للتي هي أقدم ويبشر المؤمنين) [١٩ / الإسراء] فيه نبأ الأولين وخبر الآخرين لا تنقضى عبره ولا تنفى عجائبه غير مخلوق ولا منسوب إل مخلوق (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) [١١٤ / الشعراء] ، (من لدن حكيم عليم) [٦ / النمل] ، وقال : (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) [١٦ / النمل] ، وقال : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) [١٩٤ / الشعراء] ، من قال به صدق ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ثم قال لنبيه صلعم : (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) [١٠٦ / الإسراء] ، فقرأه كما أمر ، دعا إليه سرا وجهرأ فلما سمع المشركون آيات مبينات قالوا : ساحر وكاهن وشاعر ومعلم مجنون ، (وانطلق الملائة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتم إن هذا شيء يراد ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) [٧ / ص] ، و (إن هذا إلا قول البشر) [٢٥ / المدثر] ، (لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين) [٣١ / الأنفال] وقالوا : (إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون) [٤ / الفرقان] ، (وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها فى تلى عليه بكرة وأصيلا) [٥ / الفرقان] .

الفرقان] ، (إنما يعلمه بشر) [١٠٢ / النحل] مخلوق بكلام مخلوق مخلق .

فكذب الله عز وجل قولهم وأبطل دعواهم فقال تعالى (فقد جاءوا ظلماً وزوراً)
[٤ / الفرقان] ، وقال تعالى : (قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض
لأنه كان غفورا رحيما) [٦ / الفرقان] (قل نزله روح القدس من ربك بالحق
ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) [١٠٢ / النحل] وقال : (لسان
الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) [١٠٣ / النحل] . ثم قال :
(لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيراً) [٨٨ / الإسراء] .

ثم نذهب جميعاً إلى أن يأتوا بمثلته تخرساً وتعلماً من الخطباء والشعراء وغيرهم
إن كانوا صادقين فقال تبارك وتعالى (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من
استظعتم من دون الله إن كنتم صادقين) [١٣ / هود] ، وأتوا بسورة مثله :
(وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من
دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس
والحجارة أعدت للكافرين) [٢٤ / البقرة] فلم يقدر الجن والإنس عربها وعجمها
من عبدة الأوثان وعلماء أهل الكتابين أن يأتوا بسورة ولا ببعض سورة ولو
علموا أنهم قادرون عليها لدعوا شهداءهم على ذلك وبذلوا فيها الرغائب الأموال
وغيرها لخطبائهم وشعرائهم وأحبارهم وأساقفتهم وكهنتهم ومحرثهم أن يأتوا
بسورة مثلها تصديقا لما ادعوا من الزور تكذيباً بمحمد صلعم ، وأنى يأتى المخلوق
بمثل كلام الخالق وكيف يقدر عليه وقد قال الله تعالى : (وإن تفعلوا فإن تفعلوا
إلى يوم القيامة ؟ فكمأ أنه (ليس كمثل شيء) [١١ / الشورى] فليس
ككلامه كلام .

فلم يزل رسول الله صلعم يدعو الناس إلى الله وإلى كتابه وكلامه سرّاً وجهراً
محتملاً لما ناله من أذاهم صابراً عليه حتى أظهره الله وأعزه وأنزل عليه نصره

فغضب وجوه العرب والعجم بالسيوف حتى ذلوا ودانوا ودخلوا الإسلام طوعا
وكرها ، واستقاموا حياتهم وبعد وفاته ، لا يجترى كافر ولا منافق متعوذا بالإسلام
أن يظهر ما في نفسه من الكفر وإنكار النبوة فرقا من السيف وتخوفا من الافتضاح
بل كانوا يتقلبون مع المسلمين بغم ، ويعيشون فيهم على رغم دهر من الدهر
وزمانا من الزمان ، وكان أول من أظهر شيئا منه بعد كفار قريش الجعد بن درهم (١)
بالبصرة وجهم بخراسان اقتداء بكفار قريش فقتل الله جهما شر قتلة ، وأما الجعد
فأخذه خالد بن عبد الله القسري (٢) فذبحه ذبحا بواسطة في يوم الأضحى على
رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين لا يعيه عائب ولا يظعن عليه طاعن بل
استحسنوا ذلك من فعله وصوبوه من رأيه . حدثناه القاسم بن محمد البغدادي (٣) :
ثنا عبد الرحمن بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده حبيب بن أبي
حبيب (٤) قال : خطبنا خالد بن عبد الله القسري بواسطة يوم الأضحى فقال :
أيها الناس ارجعوا فضعوا قلوبكم لله منا ومنكم فأني مضع بالجعد بن درهم لأنه
زعم أن الله لم يتخذ لإبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ، وتعالى الله عما يقول الجعد
ابن درهم علوا كبيرا ثم نزل فذبحه .

(١) الجعد بن درهم هو مؤدب آخر ملوك بني مروان ، مروان بن محمد ، وينسب إليه
أنه أول من خاض في القول بخلق القرآن . ذبحه خالد بن عبد الله القسري في عيد الأضحى قبل
سنة ١٢٦ هـ .

(٢) خالد بن عبد الله القسري والى المراق لهشام بن عبد الملك كان من النواصب
وعرف بالجوهر والخطابة توفي تحت العذاب سنة ١٢٦ هـ . (العبير للذهبي ج ١
ص ١٦٢) .

(٣) القاسم بن محمد بن حميد الميمري البغدادي توفي سنة ٢٨٢ هـ . تهذيب التهذيب
ج ٨ ص ٣٣٥ (البر ج ١ ص ٣٨٣) .

(٤) معاصر للإمام مالك وسمع عنه فهو من أهل القرى الثاني الهجري (تاريخ واسط
ص ٧٣) .

قال أبو سعيد: ثم لم يزالوا بعد ذلك مقموعين أذلة مدحورين حتى كان الآن بأخره حيث قلت الفقهاء ، وقبض العلماء . ودعا إلى البدع دعاة الضلال ، فشد ذلك طمع كل متعوز في الإسلام من أبناء اليهود والنصارى وأنباط العراق ووجدوا فرصة للكلام ، فجدوا في هدم الإسلام وتعطيل ذى الجلال والإكرام . وإنكار صفاته ، وتكذيب رسوله ، وأبطال وحيه ، إذ وجدوا فرصتهم ، وأحسوا من الرعاع جهلا ، ومن العلماء قلة ، فنصبوا عندها الكفر للناس إماما ، بدعوتهم إليه ، وأظهروا لهم أغلوطات من المسائل ، وعماليات من الكلام ، يغالطون بها أهل الإسلام ليوقعوا في قلوبهم الشك ، ويلبسوا عليهم أمرهم ، ويشككهم في خالقهم ، مقتدين بأئمتهم الأقدمين ، الذين قالوا : (إن هذا لإلا قول البشر) [٢٥/المدثر] و (إن هذا إلا اختلاق) [٧/ص].

فحين رأينا ذلك منهم ، وفطنا لمذهبهم ، وما يقصدون إليه من الكفر ، وإبطال الكتب والرسول ، ونفى الكلام ، والعلم ، والأمر عن الله تعالى ، رأينا أن نبين من مذاهبهم رسوما من الكتاب والسنة وكلام العلماء ، ما يستدل به أهل الغفلة من الناس على سوء مذهبهم ، فيحذروهم على أنفسهم ، وعلى أولادهم ، وأهلهم ، ويجتهدوا في الرد عليهم ، محتسبين منافحين عن دين الله تعالى ، طالين به ما عند الله .

وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا ، وما أشبهه وقد كانوا رزقوا العافية منهم ، وابتلينا بهم عند دروس الإسلام ، وذهاب العلماء ، فلم نجد بدا من أن نرد ما أتوا به من الباطل بالحق ، وقد كان رسول الله صلعم يتخوف ما أشبه هذا على أمته ، ويحذرها لياهم ، ثم الصحابة بعده والتابعون مخافة أن يتكلموا في الله وفي القرآن بأهوائهم ، فيضلوا ويتمادوا به على جهل ، فيكفروا ، فإن رسول الله صلعم قد قال : (المراء في القرآن كفر) ، وحتى إن بعضهم كانوا يتقون تفسيره لأن القائل فيه إنما يقول على الله . قال : أبو بكر الصديق رضي الله

عنه : أى أرض تظلمنى ، وأى سماء تظلمنى إذا قلت فى كلام الله ما لا أعلم ؟ وسئل عبدة السلبانى عن شئ من تفسير القرآن فقال : اتق الله وعليك بالسداد فقد ذهب الذين كانوا يعلمون فيما أنزل القرآن . فهذا الصديق خير هذه الأمة بعد نبينا والخليفة بعده قد شهد التنزيل ، وعاین الرسول ، وعلم فيما أنزل القرآن إلا ما شاء الله ، وتوقى أن يقول فى القرآن مخافة أن لا يصيب ما عنى الله فيه لك ، ثم عبدة السلبانى بعده وكان من كبار التابعين فكيف بهؤلاء المنسلخين من الدين والعلم الذين ينقضونه نقضا ويفسرونه بأهوائهم خلاف ما عنى الله وخلاف ما تحتمله لغات العرب .

ولقد قال بعض أهل العلم : لاتهلك هذه الأمة حتى تظهر فيهم الزندقة ويتكلموا فى الرب تبارك وتعالى . حدثناه سويد بن سعيد الأتبارى (١) : ثنا خلف ابن خليفة (٢) عن الحجاج بن دينار (٣) عن منصور بن المعتمر قال : ما هلك دين قط حتى تخلف المتانية ، قلت وما المتانية ؟ قال : الزنادقة . وحدثنا محمد بن كثير العبدى (٤) أنبا سفيان (٥) - يعنى الثورى - عن سالم - يعنى ابن أبى حفصة -

(١) سويد بن سعيد أبو محمد الهروى سمع مالكا قال أبو حاتم صدوق كثير التدايس توفى سنة ٢٤٠ هـ الذهبى ، العبر ج ١ ص ٤٣٢ ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٧٢ .

(٢) أبو أحمد خليف بن خليفة الكوفى توفى ببغداد سنة ١٨١ هـ يعتبر من المعمرين قال فيه أبو حاتم صدوق (العبر ج ١ ص ٢٨٠) :

(٣) لهله : محارب بن دثار وهو الذى ثبت أن خلفا يروى عنه .

(٤) أبو عبد الله محمد بن كثير العبدى البصرى محدث روى عن سعيد وسفيان توفى سنة ٢٢٣ هـ (الذهبى ، العبر ج ١ ص ٣٨٨ ، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٤٣) .

(٥) سفيان بن سعيد الثورى الكوفى محدث عظيم توفى سنة ١٦١ هـ (الذهبى

عن أبي يعلى عن محمد بن الحنفية (١) رضى الله عنه قال : لا تنقض الدنيا حتى تكون خصوصتهم فى ربهم وحدثناه يحيى الحماني (٢) ، ثنا عمرو بن ثابت عن سالم بن أبي حفصة - قال أبو سعيد : وأحسبه - عن أبي يعلى منذر الثوري عن محمد بن الحنفية قال : إنما تهلك هذه الأمة إذا تكلمت فى ربها .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار (٣) : ثنا علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك (٤) قال : لأن أحكى كلام اليهود والنصارى أحب إلى من أن أحكى كلام الجهمية .

حدثنا سهل بن بكار (٥) : ثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلة عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : (لا يزالون يسألون حتى يقال لأحدكم : هذا الله خلقنا فمن خلق الله تبارك وتعالى ؟) قال أبو هريرة : ولإى الجالس ذات يوم إذ قال رجل من أهل العراق : يا أبا هريرة هذا الله خلقنا فمن خلق الله تبارك وتعالى ؟ قال أبو هريرة : فوضعت أصبعى فى أذنى وصرخت . صدق الله ورسوله الواحد الأحد الصمد (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) [٤ / الإخلاص] . وحدثناه يحيى بن بكير المصبرى ، ثنا الليث - يعنى ابن سعد

(١) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب لقبته الشيعة بالمهدي وكان فاضلا عالما توفى سنة ٨٨١ هـ (تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٥٤ . العبر ج ١ ص ٩٣) .

(٢) أبو زكريا يحيى بن عبد الحميد الحماني الكوفي ضعيف عند المحدثين توفى سنة ٢٨٨ هـ (القمي ، العبر ج ١ ص ٤٠٤) .

(٣) أبو علي البزار سمع بن ابن عيينة يجله أحمد بن حنبل وكان صدوقا توفى سنة ٢٤٩ هـ (العبر ج ١ ص ٤٥٣) .

(٤) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المنظلي توفى سنة ١٨١ هـ (العبر ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨١) .

(٥) البصري توفى سنة ٢٢٧ هـ روى عن شعبة (العبر ج ١ ص ٣٩٩) .

عن عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلعم : (يأتي الشيطان العبد فيقول : من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول له : من خلق ربك ؟ فليستعذ بالله ولينته) .

حدثنا علي بن المديني : ثنا سفیان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : (يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق السماء ؟ فيقول : الله عز وجل ، فيقول : من خلق الأرض ؟ فيقول : الله ، فيقول : من خلق الله ؟ فن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنا بالله) .

حدثني أحمد بن منيع ، ثنا محمد بن ميسر أبو سعد ، ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالقة عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا : يا رسول الله أنسب لنا ربك ! قال : فأنزل الله عز وجل (قل هو الله أحد الله الصمد) [١ / الإخلاص] ، قال : فالصمد الذي (لم يلد ولم يولد) [٣ / الإخلاص] لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ، وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله لا يموت ولا يورث (ولم يكن له كفوا أحد) قال : لم يكن له شبيه ولا عدل ، وليس كمثل شيء ، حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو هلال ، وهو الراسبي ، قال : ثنا رجل أن عبد الله بن رواحة قال للحسن : هل تصف ربك ؟ قال : نعم بغير مثال . حدثنا أبو سالية ثنا عبد الواحد - يعني ابن زياد - ثنا سالم - يعني ابن أبي حفصة - ثنا منذر أبو يعلى الثوري قال : قال محمد بن الحنفية : إن قوماً ممن كانوا قبلكم أوتوا علماً كانوا يكيفون فيه ، فسألوا عما فوق السماء ، وما تحت الأرض ، فثأهاوا ، كان أحدهم إذا دعى من بين يديه أجاب من خلفه وإذا ادعى من خلفه أجاب من بين يديه .

قال أبو سعيد : ولولا مخافة هذه الأحاديث وما يشبهها لحكيت من قبح كلام هؤلاء المعطلة ، وما يرجعون إليه من السكر ، حكايات كثيرة ، يتبين بها عورة كلامهم ، وتكشف عن كثير من سوءاتهم ولكننا نتخوف من هذه الأحاديث ،

ونخاف أن لا تحتمله قلوب ضعفاء الناس ، فتوقع فيها بهزئ الشك والريبة ، لأن ابن المبارك قال : لأن أحكى كلام اليهود والنصارى أحب إلى من أن أحكى كلام الجهمية . وصدق ابن المبارك أن من كلامهم في تعطيل صفات الله تعالى ما هو أوحش من كلام اليهود والنصارى غير أنا نختصر من ذلك ما نستدل به على الكثير إن شاء الله تعالى .

باب الإيمان بالعرش

وهو أحد ما أنكرت المعتزلة .

وقال أبو سعيد ، وما ظننا أن ننظر إلى الاحتجاج على أحد من يدعى الإسلام في إثبات العرش والإيمان به ، حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة ، في آيات الله ، فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا ، وإلى الله نشكو ما أوهت هذه العصابة من عرى الإسلام ، وإليه تلجأ وبه نستعين .

وقد حقق الله العرش في آى كثيرة من القرآن فقال تعالى . (خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) [٧/هود] وقال تعالى (الرحمن على العرش استوى) [٥/طه] وقال تعالى (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً) [٩٩/الفرقان] (وترى الملائكة حافين من حول العرش) [٧/الزمر] فى آى كثيرة سواها . فادعت هذه العصابة أنهم يؤمنون بالعرش ويقولون به لانه مذكور فى القرآن ، فقلت لبعضهم : ما إيمانكم به إلا كإيمان (الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) [١٤/المائدة] . وكالذين (إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) [١٤/البقرة] ، أتقرون أن لله عرشاً معلوماً موصوفاً ، فوق السماء السابعة ، تحمله الملائكة والله فوق كما وصف نفسه بأئن من خلقه ؟ فأبى أن يقربه كذلك وتردد فى الجواب ، وخطط ولم يصرح .

قال أبو سعيد : فقال لي زعيم منهم كبير : لا ولكن لما خلق الله الخلق يعني السموات والأرض وما فيهن وسمى ذلك كله عرشا له ، واستوى على جميع ذلك كله . قلت : لم تدعوا من إنكار العرش والتكذيب به غاية ، وقد أحاطت بكم الحجج من حيث لا تدرون ، وهو تصديق ما قلنا : إن إيمانكم به كإيمان (الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) . فقد كذبهم الله تعالى به في كتابه ، وكذبكم به الرسول صلعم ، رأيتم قولكم : إن عرشه سماواته وأرضه وجميع خلقه فما تفسير قوله عندكم (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم) [٧/ غافر] أحلة عرش الله أم حلة خلقه ؟ وقوله : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) [١٧/ الحاقة] يحملون السموات والأرض ومن فيهن أم عرش الرحمن ؟ فإنكم إن قد تم قولكم هذا : يلزمكم أن تقولوا : عرش ربك خلق ربك أجمع ، وتبطلون العرش الذي هو العرش وهذا تفسير لا يشك أحد في بطوله ، واستحالته ، وتكذيب بعرش الرحمن تبارك وتعالى . فقال الله تبارك وتعالى (خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) [٧/ هود] وقال رسول الله صلعم : (كان الله ولم يكن شيء . وكان عرشه على الماء) ، ففي قول الله تعالى وحديث رسول الله صلعم دلالة ظاهرة أن العرش كان مخلوقا على الماء إذ لا أرض ولا سماء . فلم تعالطون الناس بما أنتم له منكرون ؟ ولكنكم تقرون بالعرش بألستكم تحرزا من إكفار الناس إياكم بنص التنزيل فتضرب عليه رقابكم ، وعند أنفسكم أنتم به جاحدون ، ولعمري لئن كان أهل الجمل في شك من أمركم إن أهل العلم من أمركم لعلى يقين أو كما قلت لهم زاد أو نقص .

حدثنا محمد بن كثير ، أنبا سفيان - وهو الثوري - عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز ، عن عدران بن حصين ، رضى الله عنهما قال : جاء نفر من بني تميم إلى رسول الله صلعم فقال : يا بني تميم أبشروا ! قالوا : بشرتنا فأعطنا ! ، قال : فتغير وجه رسول الله صلعم . قال : فجاءه أهل اليمن ، فقال لأهل اليمن أقبلا . البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم ، قالوا : قد قبلنا ، فأخذ رسول الله صلعم يحدث بيده الخلق

والعرش ، قال : فجاء رجل فقال : يا عمران راحلتك تفلتت ، قال : فقمتم وليتني لم أقم . وحدثنا محبوب بن موسى الانطاكي : أنبا أبو إسحق النزارى عن الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال : أتيت رسول الله صلعم فعقلت نافتى بالباب ، ثم دخلنا فأناه نفر من بنى تميم فقال : أقبِلوا البشرى يا بنى تميم ، قالوا : قد بشرتنا فأعطينا - مرتين - ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : أقبِلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها لإخوانكم بنو تميم ، قالوا : قبلنا بارسل الله أتيانك لتنفقه فى الدين ، ونسألك عن أول هذا الأمر ، حيث كان ، قال : كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم كتب فى الذكر كل شيء . ثم خلق السموات والأرض قال : ثم أتانى رجل فقال : أدرك نافتك فقد ذهبت ، فخرجت فوجدتها قد قطعت دونها السراب ، وأيم الله لو ددت أنى تركتها . قال أبو سعيد : فبنى هذا بيان بين أن الله تعالى خلق العرش قبل السموات والأرض وما فيهن وتكذيب لما ادعوا من الباطل .

وحدثنا عبد الله بن أبى شيبه قال ثنا عبد الله بن بكر السهمى : ثنا بشر بن نمير عن القاسم عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول صلعم قال : (خلق الله الخلق وقضى القضية ، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ، وأخذ أهل اليمن يمينه ، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى ، وكلتا يدي الرحمن يمين ثم قال : يا أصحاب اليمن قالوا : لبيك ربنا وسعديك ، قال : أأست بربكم قالوا : بلى ، ثم قال : يا أصحاب الشمال ، فقالوا لبيك ربنا وسعدبك ، قال : أأست بربكم ؟ قالوا : بلى ، وقال : فخلط بعضهم ببعض فقال قائل : رب لم خلطت بيننا ؟ قال : (لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) [٣/المؤمنون] إلى قوله (كنا عن هذا غافلين) [١٧٢/الأعراف] ثم ردهم فى صلب آدم ، قال : وقال رسول الله صلعم : (خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ، وأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها . قال : فقال قائل : يا نبى الله ففهم العمل ؟ قال : أن يعمل كل قوم لمنزلتهم ، فقال عمر : إذا نجتهد . قال : ومثل رسول الله صلعم عن الأعمال فقيل :

يارسول الله أرأيت الأعمال أنقى يؤتف أو فرغ منها ؟ قال : بل فرغ منها .
حدثنا يحيى الخثافي ، ويحيى بن صالح الوحاظي قالا : ثنا عبد العزيز بن محمد
الدراوردي ، ثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل رضى الله
عنه أن رسول الله صلعم قال : (إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين
السماء والأرض والفردوس أعلى الجنة وأوسطها وفوقها عرش الرحمان ومنها
تفجر أنهار الجنة فإذا سألتهم الله فسلوه الفردوس) .

حدثنا محمد بن كثير ، أنبا سفيان - وهو الثوري - ثنا أبو هاشم عن مجاهد
عن ابن عباس قال : إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا فكان أول ما خلق الله
القلم فأمره وكتب ما هو كائن وإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه .

حدثنا عبد الله بن صالح المصرى قال : حدثني ابن لهيعة ورشدين بن سعد عن
أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال : لما أراد الله تبارك وتعالى أن
يخلق شيئا إذ كان عرشه على الماء ، وإذ لا أرض ولا سماء ، خلق الريح فسلطها
على الماء حتى اضطربت أمواجه ، وأثار ركابه فأخرج من الماء دخانا وطينا
وزبدا فأمر الدخان فعلا وسما ونما فخلق منه السموات ، وخلق من الطين الأرض
وخلق من الزبد الجبال .

قال أبو سعيد رحمه الله : ففى ما ذكرنا من كتاب الله عز وجل وفى هذه
الاحاديث بيان بأن العرش كان مخلوقا قبل ما سواه من الخلق وأن ما ادعى
فيه هؤلاء المعطلة تكذيب بالعرش ، وتخرص بالباطل ، ولو شئنا أن نجتمع
فى تحقيق العرش كثيرا من أحاديث رسول الله صلعم ، وأصحابه ، والتابعين ،
لجمعنا ولكن علينا أنه خلص علم ذلك والإيمان به إلى النساء والصبيان إلا إلى
هذه العصابة الملحدة فى آيات الله طهر الله منهم بلادهم وأراح منهم عباده .

باب استواء الرب تبارك وتعالى على العرش

وارتفاعه الى السماء وبينوته من الخلق

وهو أيضا بما أنكره .

وقد قال الله تبارك وتعالى : (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) [٥٤ / الأعراف] وقال : (تنزيلا عن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله الا هو له الاسماء الحسنى) [٨ / طه] ، وقد قال : (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) [٥ / السجدة] وقوله (لاقى متوفيك ورافعك لى) [٥٥ / آل عمران] وقوله : (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) [١٨ / الأنعام] وقوله : (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) [٥٠ / النحل] وقوله : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [١٠ / فاطر] وقوله : (ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) [٤ / المعارج] ، وقوله : (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) [١٧ / الملك] . (قل أأنسكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداد ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) [١٢ / فصلت] .

قال أبو سعيد : أقرت هذه العصابة بهذه الآيات بألسنتها وادعوا الإيمان بها ثم نقضوا دعواهم بدعوى غيرها فقالوا : الله في كل مكان لا يخلو منه مكان . قلنا : قد نقضتم دعواكم بالإيمان باستواء الرب على عرشه إذ ادعيتم أنه في كل مكان ، فقالوا : تفسيره عندنا أنه استولى عليه وعلاه ، قلنا : فهل من مكان لم يستول عليه ولم يعلمه ، حتى خص العرش من بين الامكنة بالاستواء عليه وكرر ذكره في مواضع كثيرة من كتابه ، فأى معنى إذا لخصوص العرش إذ كان عندكم مستوياً على جميع الأشياء كاستوائه على العرش تبارك وتعالى ؟ هذا حال من الحجج وباطل من الكلام لا تشكون أنتم إن شاء الله في بطوله واستحالته ، غير أنكم تماطلون به الناس . أرايتم إذ قلتم هو في كل مكان وفي كل خلق ؟ أكان الله لها واحداً قبل أن يخلق الخلق والامكنة ؟ قالوا : نعم ، قلنا : فحين خلق الخلق والامكنة أقدر أن يبقى كما كان في أزليته في غير مكان فلا يصير في شيء من الخلق والامكنة التي خلقها بزعمكم أو لم يجد بداً من أن يصير فيها ، أو لم يستغن عن ذلك ؟ قالوا : بلى ، قلنا : فما الذي دعا الملك القدوس إذ هو على عرشه في عزه وبهائه بأن من خلقه إن يصير في الامكنة القذرة وأجواف الناس والطير والبهائم ، ويصير بزعمكم في كل زاوية وحجرة ومكان منه شيء ، لقد شوهتم معبودهم ، إذ كانت هذه صفته واقعه أعلى وأجل من أن تكون هذه صفته فلا بد لكم من أن تأتوا ببرهان بين على دعواكم من كتاب ناطق أو سنة ماضية أو إجماع من المسلمين ولن تأتوا بشيء منه أبداً .

فاحتج بعضهم فيه بكلمة زندقة استوحش من ذكرها ، وتوالت آخر من زندقة صاحبه فقال : قال الله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) [٧ / المجادلة] ، قلنا : هذه الآية لنا عليكم لا لكم ، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى ، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه ، لأن عليه بهم محيط ، وبصره فيهم نافذ ، لا يحجبهم شيء عن

عليه ، وبصره ، ولا يتوارون منه بشيء وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه (يعلم السر وأخفى) ، أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من جبل الوريد قادر على أن يكون له ذلك ، لأنه لا يبعد عنه شيء ، ولا تخفى عليه خافية ، في السموات ولا في الأرض ، فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم ، لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتهم ، وكذلك فسرته العلماء .

فقال بعضهم : دعونا من تفسير العلماء ، إنما احتجاجنا بكتاب الله فأتوا بكتاب الله قلنا : نعم ، هذا الذي احتججتكم به هو حق كما قال الله عز وجل ، وبها نقول على المعنى الذي ذكرنا ، غير أنكم جهلتم معناها فضللتم عن سواء السبيل وتعلقتم بوسط الآية ، وأغفلتم ما تحتها وخاتمها ، لأن الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم وختمها به ، فقال : (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) إلى قوله ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) ، ففي هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم ، لا أنه نفسه في كل مكان معهم ، كما زعمتم ، فهذه حجة بالغة لو عقلتم ، وأخرى أنا لما سمعنا قول الله عز وجل في كتابه ، (استوى على العرش) و (استوى إلى السماء) وقوله (ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه) وقوله : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) و (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (وهو القاهر فوق عباده) و (إلى متوفيك ورافعك إلى) وما أشبهها من القرآن آمناً به وعلينا يقينا بلا شك أن الله فوق عرشه فوق سمواته كما وصف ، بائن من خلقه ، فحين قال (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) قلنا : هو معهم بالعلم الذي افتتح به الآية وختمها لأنه قال في آي كثيرة ما حققه أنه فوق عرشه ، فوق سماواته ، فهو كذلك لا شك فيه ، فلما أخبر أنه مع كل ذي نجوى ، قلنا : عليه وبعده معهم ، وهو بنفسه على العرش بكماله ، كما وصف ، لأنه لا يتوارى منه شيء ، ولا يفوت عليه وبصره شيء في السماء السابعة العليا ، ولا تحت الأرض السابعة السفلى ، وهذا كقوله تعالى لموسى

وهرون (إني معكما أسمع وأرى) [٤٦/طه] من فوق العرش . فهل من حجة أشقى وأبلغ مما احتجنا به عليك من كتاب الله تعالى ؟ ثم الروايات لتحقيق ما قلنا متظاهرة عن رسول الله صلعم وأصحابه والتابعين ، سنأتى منها ببعض ما حضر إن شاء الله تعالى . ثم إجماع من الأولين والآخرين والعالمين منهم والجاهلين ، أن كل واحد ممن مضى ومن غير إذا استغاث بالله تعالى ، أو دعاه أو سألَه يمد يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها ، ولم يكونوا يدعونه (١) من أسفل منهم ، من تحت الأرض ، ولا من أمامهم ، ولا من خلفهم ، ولا عن إيمانهم ، ولا عن شيائيلهم ، إلا من فوق السماء لمعرفةهم بالله ، أنه فوقهم حتى اجتمعت الكلمة من المصلين في سجودهم : سبحان ربى الأعلى ، لا ترى أحداً يقول : ربى الأسفل ، حتى لقد علم فرعون في كفره وعتوه على الله أن الله عز وجل فوق السماء فقال (يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً) . [٢٧ / غافر] . فى هذه الآية بيان بين ، ودلالة ظاهرة ، أن موسى كان يدعوا فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء ، فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ، ورام الاطلاع إليه .

وكذلك نمرود فرعون ، إبراهيم ، اتخذ التابوت والنسور ، ورام الاطلاع إلى الله ، لما كان يدعوه إبراهيم إلى أن معرفته فى السماء . وكذلك كان محمد صلعم يدعوا إليه الناس ويمتنح به إيمانهم بمعرفة الله عز وجل : حدثنا مسلم ابن إبراهيم الأزدي : ثنا أبان - وهو ابن يزيد العطار - عن يحيى بن أبى كثير ، عن هلال بن أبى ميمونة ، عن عطاء بن أبى يسار ، عن معاوية بن الحكم رضى الله عنه قال : كانت لى جارية ترعى غنمى فى قبل أحد والجوانية وإنى اطلعت يوماً اطلاعة فوجدت ذئباً ذهب منها بشاة ، وإنى رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة ، فعظم ذلك على النبى صاعم فقلت : أفلا أعتقها ؟ فقال : ادعها : فقال لها النبى صلعم : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : فمن أنا ؟ قالت :

أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة . وحدثنا يحيى بن يحيى ، ثنا إسماعيل ابن علي عن الحجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم عن النبي صلعم مثله .

وحدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال : قرأت على مالك بن أنس عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم أنه قال : أتيت النبي صلعم فقلت يا رسول الله إن جارية لي ترعى غنما فجئتها فنفقت شاة من الغنم فسألتها عنها فقالت : أكلها الذئب ، فأمنعت عليها وكنت من بني آدم ، فلطمت وجهها ، وعلى رقبة ، أفاعتها ؟ فقال لها رسول الله صلعم ، أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها ! .

قال أبو سعيد : ففي حديث رسول الله صلعم هذا ، دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عز وجل في السماء دون الأرض فليس بمؤمن ، ولو كان عبداً فأعتقه لم يجز في رقبة مؤمنة إذ لا يعلم أن الله في السماء ، ألا ترى أن رسول الله صلعم جعل أمانة إيمانها معرفتها أن الله في السماء ؟ وفي قول رسول الله صلعم : أين الله ؟ تكذيب لقول من يقول : هو في كل مكان ، لا يوصف بأين ، لأن شيئاً لا يخلو منه مكان يستحيل أن يقال : أين هو ؟ ولا يقال أين ؟ إلا من هو في مكان ، يخلو منه مكان ، ولو كان الأمر على ما يدعى هؤلاء الزائغة لأنكر عليها رسول الله صلعم قولها وعليها ، وليكنها علمت به فصدقها رسول الله صلعم وشهد لها بالإيمان بذلك ، ولو كان في الأرض كما هو في السماء لم يتم حتى تعرفه في الأرض ، كما عرفته في السماء ، فأنه تبارك وتعالى فوق عرشه ، فوق سمواته ، بائن من خلقه ، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه ، الذي يعبد وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد لا يبعد عنه شيء (ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) [٣ / سبأ] سبحانه وتعالى عما يفهمه المعطلون علواً كبيراً .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، ثنا علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك قال : قيل له : كيف نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه . قال أبو سعيد رحمه الله : وما يحقق قول ابن المبارك قول رسول الله صلعم للجارية : أين الله ؟ يمتحن بذلك إيمانها فلما قالت : في السماء ، قال رسول الله صلعم : أعتقها فإنها مؤمنة .

والآثار في ذلك عن رسول الله صلعم كثيرة ، والحجج متظاهرة ، والحمد لله على ذلك .

حدثنا مسدد ، ثنا صفيان عن عمرو - يعني ابن دينار - عن أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلعم : (الراحون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء) حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم المصري ، أنبا الليث بن سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : إذا اشتكى أحدكم شيئا أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك أمرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض واغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل سماءك من شنائك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع) فيبرأ . حدثني محمد بن بشار العبدى ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبو قال : سمعت محمد بن إسحق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال : جاء رجل إلى النبي صلعم أعرابي فقال : يا محمد هلكت المواشى ، ونهكت الأموال ، ولما نستشفع بك على الله ، وبالله عليك فادع الله أن يسقينا ! فقال النبي صلعم : يا أعرابي ويحك وهل تدرى ما تقول إن الله أعظم من أن يستشفع عليه بأحد من خلقه إن الله فوق عرشه فوق سمواته ، وسمواته فوق أرضه ، مثل القبة - وأشار النبي صلعم بيده مثل القبة - ولأنه ليضط به أطيئ الرجل بالراكب) .

حدثنا محمد بن الصباح البغدادي : ثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن عبد الله ابن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : كنت بالبطاء في عصابة ، وفيهم رسول الله صلعم فمرت سحابة فنظر إليها فقال : ماتسمون هذه ؟ قالوا : السحاب ، قال والمزن ، قالوا : والمزن ، قال : والعنان ، قالوا : والعنان ، قال فقال : ما بعد ما بين السماء والأرض ؟ قالوا لا ندرى ، قال فإن بعد ما بينهما إما واحدة وإما اثنتين وإما ثلاثا وسبعين سنة والسماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ، وفوق السماء السابعة ، بحر ، بين أسفله وأعله ، مثل ما بين السماء إلى السماء ، وفوق ذلك ثمانية أوعال ما بين أظلافهن وركبهن ، مثل ما بين السماء إلى السماء وعلى ظهورهن العرش بين أسفله وأعله مثل ما بين السماء إلى السماء ثم الله عز وجل فوق ذلك تبارك وتعالى .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، وهو ابن سلمة ، ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلعم لما أسرى به مرت رائحة طيبة ، فقلت . يا جبريل ماهذه الرائحة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها كانت تمشطها فوق المشط من يدها فقالت : بسم الله ! فقالت ابنته : أنى ؟ قالت : لا واسكن ربى ورب أبيك الله ، فقالت : أخبر بذلك أنى ؟ فقالت : نعم ؟ فأخبرته فدعا بها فقال : من ربك هل لك رب غيرى ؟ قالت : ربى وربك الذى فى السماء ، فأمر ببقرة من نحاس فأحيت ثم دعاها وبولدها فألقاهما (١) فيها وساق أبو سلمة الحديث بطوله .

حدثنا مسدد ، ثنا أبو الأحوص ، ثنا أبو إسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلعم : من لم يرحم من فى الأرض لم يرحمه من فى السماء . حدثنا أبو هشام الرفاعي ، ثنا إسحق بن سليمان ، ثنا أبو جعفر الرازى ، عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال

(١) كذا فى الأصل وأمله : فألقاهما .

رسول الله صلعم ، لما ألقى إبراهيم في النار قال : اللهم إنك في السماء واحد ، وأنا في الأرض واحد أعبدك .

حدثنا مسدد ، ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : أصابنا ونحن مع رسول الله صلعم مطر فخرج رسول الله صلعم فحسر عنه ثوبه حتى أصابه فقلنا يا رسول الله لم صنعت هذا ؟ قال لأنه حديث عهد بربه . قال أبو سعيد : ولو كان على مايقول هاؤلاء الزائفة لانه في كل مكان ، ما كان المطر أحدث عهدا باقه من غيره من المياه والخلائق .

حدثنا عبد الله بن أبي شيبه ، ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنها قال : لما قبض رسول الله صلعم قال أبو بكر رضى الله عنه : أيها الناس إن كان محمد إلهكم الذى تعبدون فإن إلهكم قد مات وإن كان إلهكم الله الذى في السماء ، فإن إلهكم لم يميت ثم تلا (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) [١٤٤ / آل عمران] حتى ختم الآية . حدثنا موسى بن إسماعيل قال : ثنا ابن حازم قال : سمعت أبا يزيد - يعنى المدنى - قال : لقيت امرأة عمر يقال لها خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفتها ، فوقف لها ، ودنا منها ، وأصغى إليها رأسه حتى قضت حاجتها ، وانصرفت فقال له رجل : يا أمير المؤمنين حبست رجالات (١) قريش على هذه العجوز ، فقال : ويلك وهل تدري من هذه ؟ قال : لا ، قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها ، حتى تقضى حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها ، حتى تقضى حاجتها .

حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب الحنات عن الأعشى عن خيشمة أن عبد الله قال : إن العبد ليهم بالامر من التجارة أو الإمارة حتى إذا تيسر له نظر الله

(١) في الأصل : رجالات

إليه من فوق سبع سموات فيقول للملك : اصرفه عنه ؟ قال : فيصرفه فيتظنى بحيرته ، سبقنى فلان وما هو إلا الله . حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد يعني ابن سلمة ، عن عاصم عن زر عن بن مسعود رضى الله عنه قال : ما بين السماء الدنيا والى تليها مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام والعرش على الماء والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه .

حدثنا سعيد بن أبي مریم المصري : أنبا يحيى بن أيوب : حدثني عمارة بن غزية عن قدامة بن إبراهيم بن محمد بن حاطب أنه حدثه أن عبد الله ابن رواحة رضى الله عنه وقع بجارية له فقالت له امراته . فعلتها ! قال : أما أنا فأقرأ القرآن أما أنت فلا تقرأ (١) القرآن وأنت جنب ، فقال : أنا أقرأ لك فقال :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مشوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمنا

وتحمله ملائكة كرام ملائكة الإله مسومينا

فقال : آمنت بالله وكذبت البصر .

وحدثنا موسى بن إسماعيل : ثنا جويرية - يعنى ابن أسماء - قال : سمعت نافعا يقول : قالت عائشة رضى الله عنها : وأيم الله إنى لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلت - تعنى عثمان - ولكن علم الله من فوق عرشه أنى لم أحب قتله . حدثنا النفيلي ثنا زهير بن معاوية ، ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم : حدثني عبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة أنه حدثه ذكوان حاجب عائشة رضى الله عنها أن ابن عباس رضى الله عنها دخل على عائشة وهى تموت فقال لها : كنت أحب نساء رسول الله صلعم إلى سول الله صلعم ولم يكن رسول الله يحب إلا طيبا وأنزل الله براءتك

من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين فأصبح ليس مسجد من مساجد الله تعالى يذكر فيه الله إلا وهي تتلى فيه آناء الليل والنهار .

حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى : ثنا موسى أبو محمد من موالى عثمان بن عفان قال : وكان من خيار الناس - عن خالد بن يزيد بن عبد الله عن أبيه عن جده قال : خطب على الناس الخطبة التي لم يخطب بعدها فقال : الحمد لله الذي دنا في علوه ، وناء في دنوه لا يبلغ شيء مكانه ، ولا يمتنع عليه شيء أراده .

حدثنا نعيم بن حماد : ثنا ابن المبارك : أنبأ سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني ثنا رجل من أهل الشام وكان يتبع عبد الله بن عمرو بن العاص ويسمع منه قال : كنت معه فلقي نوفاً فقال نوف ذكر لنا أن الله تعالى قال للملائكة : ادعوا لى عبادى فقالوا : يارب كيف ؟ والسموات السبع دونهم والعرش فوق ذلك ؟ قال : لمنهم إذا قالوا (لا إله إلا الله) فقد استجابوا لى ، قال : يقول عبد الله ابن عمرو : صلينا مع رسول الله صلعم صلاة المغرب - أو قال غير هاشك سليمان - فقعدهم رهط أنا فيهم ينتظرون الصلاة الأخرى فأقبل رسول الله صلعم يسرع المشى كأنى أنظر إلى رفعه لزاره كي يكون أخف له فى المشى فأنتهى إلينا فقال : ألا أبشروا هذا ربكم أمر بباب فى السماء الوسطى - أول قال : باب السماء - ففتحها ففاخر بكم الملائكة فقال : انظروا إلى عبادى أدوا حقاً من حقى ، ثم انتظروا أداء حق آخر يؤدونه .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو هلال ، ثنا قتادة قال : قالت بنو إسرائيل : يا رب أنت فى السماء ونحن فى الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك ؟ قال : إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم وإذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم . حدثنا عبد الله بن صالح المصرى قال : حدثنى الليث - وهو ابن سعد - قال : حدثنى خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال أن زيد ابن أسلم حدثه عن عطاء بن يسار : قال : أتى رجل كعباً وهو فى نفر فقال : يا أبا

لمسحق حدثني عن الجبار ! فأدظم القوم قوله . فقال كعب : دعوا الرجل فإن كان جاهلا تعلم ، وإن كان عالما ازداد علما ، ثم قال كعب : أخبرك أن الله خالق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ثم جعل ما بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض وكشفهن مثل ذلك رفع العرش فاستوى عليه فما في السموات سماء إلا لها أطياف كأطياف الرحل العلاف أول ما يرتحل من ثقل الجبار فوقهن .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث قال : حدثني عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرني سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال لعمر رضي الله عنه : ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء ، قال عمر : إلا من حاسب نفسه : فقال كعب : إلا من حاسب نفسه ، وكبر عمر وخر ساجدا . حدثنا يحيى بن عبد الحميد الخثمي . ثنا أبي عن نصر أبي عمر الخزاز عن عكرمة عن ابن عباس قال : سيد السموات السماء التي فيها العرش ، وسيد الأرضين التي نحن عليها ، وسيد الشجر والعومج ، ومنه عصا موسى . حدثنا القعنبی : ثنا ثابت بن قيس أبو النضر عن أبي سعيد المقبري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قلت : يا رسول الله أيتك تصوم من الشهر شيئا ما لا تصومه من الشهور أكثر إلا رمضان ، قال : أي شهر ؟ قلت : شعبان ، قال : هو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم فإذا كانت صلاة الفجر نزلت ملائكة النهار فشهدوا معكم الصلاة ، وصعدت ملائكة الليل ومكثت فيكم ملائكة النهار فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم . ما تركتم عبادي يصنعون ؟ فيقولون : جئناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ، فإذا كانت صلاة العصر نزلت ملائكة الليل فشهدوا معكم الصلاة ثم صعدت ملائكة النهار ومكثت معكم ملائكة الليل ، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم فيقول : ما تركتم عبادي يصنعون ؟ قال : فيقولون : جئناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ، قال : فحسبته أنه قال :

فأغفر لهم يوم الدين .

حدثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد عن عاصم عن زر قال : أتيت حذيفة بن اليمان رضى الله عنها فقلت : أخبرني عن صلاة رسول الله صلعم ، في بيت المقدس ليلة أسرى به ! قال : ما يخبرك ذلك ؟ قلت : القرآن ، فقرأت (سبحان الذى أسرى بعبده من الليل ^(١) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) [١ / الإسراء] قال : هكذا هو في قراءة عبد الله - قال : هل تراه صلى فيه يا أصلع ؟ قلت : لا ، قال : فإنه أتاه بدابة - فوصفها عاصم بحمار - فحمله عليها أحدهما رديف صاحبه ثم انطلقا فأرى ما في السموات وأرى ثم عادا عودهما على بدئهما ، فلم يصل فيه ولو صلى فيه لكانت سنة .

حدثنا عمرو بن خالد الحراني ، ثنا ابن لهيعة عن بكر بن سواء عن أبي تميم الجيشاني عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلعم قال : إذا مكث المني في الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فخرج به إلى الرب في راحته فيقول : أى رب عبدك هذا ذكر أم أنثى ؟ فيقضى الله إليه ما هو قاض ثم يقول : أى رب أشقى أم سعيد ؟ فيكتب بين عينيه ما هو لاق ، قال : وتلا أبو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات .

قال أبو سعيد رحمه الله : وإلى من يعرج الملك بالمني والله بزعمكم الكاذب ، في رحم المرأة وجوفها مع المني ؟ حدثنا عثمان ابن أبي شيبة ، ثنا جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلعم بأربع كلمات فقال : إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره . قال أبو سعيد رحمه

(١) في الأصل : هكذا في قراءة ابن مسعود .

الله ، فإلى من ترفع الأعمال ، والله بزعمكم الكاذب ، مع العامل بنفسه في بيته ومسجده ومنقلبه ومثواه ؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

والاحاديث عن رسول الله صلعم وعن أصحابه والتابعين ومن بعدهم في هذا أكثر من أن يحصيها كتابنا هذا ، غير أنا قد اختصرنا من ذلك ما يستدل به أولو الالباب أن الأمة كلها ، والامم السالفة قبلها لم يكونوا يشكون في معرفة الله تعالى أنه فوق السماء ، بائن من خلقه غير هذه العصابة الزائغة عن الحق ، المخالفة للكتاب ، وأمارات العلم كلها ، حتى لقد عرف كثير من كفار الامم وفراعنتهم (قال فرعون ياها مان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى) واتخذ فرعون إبراهيم ، النصور والتابوت يرومون الاطلاع إلى الله تعالى في السماء وذلك لما أن الانبياء عليهم السلام كانوا يدعونهم إلى الله بذلك وقالت بنو إسرائيل : يارب أنت في السماء ونحن في الأرض ، وأشباه هذا كثير يطول إن ذكرناها .

وظاهر القرآن وباطنه كله يدل على ذلك لا لبس فيه ، ولا تأول إلا لما تاول جاحد ، يكابر الحجة ، وهو يعلم أنها عليه . قال الله تبارك وتعالى : (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) [١ / الكهف] وقوله : (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) [٤ / آل عمران] وقوله : (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) [٢ / فصلت] (تنزيل من حكيم حميد) [٢ / فصلت] (إنا أنزلناه في ليلة القدر) [١ / القدر] (أنا أنزلناه في ليلة مباركة) [٣ / الدخان] (سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات) [١ / النور] وما أشبه هذا في كتاب الله كثير كل ذلك دليل على أن الله عز وجل أنزله من السماء ، من عنده ، ولو كان على ما يدعى هؤلاء الزائغة أنه تحت الأرض وفوقها ، كما هو على العرش فوق السماء السابعة ، لقال جل ذكره في بعض الآيات : إنا اطلعناه إليك ورفقناه إليك وما أشبهه ، وقال (وما

تنزل إلا بأمر ربك ([٦٤ / مريم] و (نزل به الروح الأمين) [١٩٣ / الشعراء]
و (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) [١٠٢ / النحل] ولم يقل : ما نخرج
من تحت الأرض ، ولا يصعد منها .

قال أبو سعيد رحمه الله : فظاهر القرآن وباطنه يدل على ما وصفنا من ذلك
نستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير ويعرفه العامة والخاصة فليس منه لمتأول تأول
إلا المكذب به في نفسه ، مستتر بالتأويل . ويلكم إجماع من الصحابة والتابعين وجميع الأمة
من تفسير القرآن والفرائض والحدود والأحكام نزلت آية كذا في كذا ونزلت آية
كذا في كذا ونزلت سورة كذا في مكان كذا ، لا نسمع أحدا يقول : طلعت من
تحت الأرض ، ولا : جاءت من أمام ، ولا من خلف ، ولكن كله : نزلت
من فوق . وما يصنع بالتنزيل من هو بنفسه في كل مكان ؟ إنما يكون شبه متأولة
لأنزلا من فوق السماء مع جبريل إذ يقول سبحانه وتعالى (قل نزله روح القدس
من ربك بالحق) والرب بزعمكم الكاذب ، في البيت معه وجبريل يأتيه من
خارج .

هذا واضح ولستكنكم تفايطون ، فمن لم يقصد بإيمانه وعبادته إلى الله الذي
استوى على العرش فوق سمواته وبان من خلقه فإنما يعبد غير الله ولا يدري
أين الله .

حدثنا مهدي بن جعفر الرملي : ثنا جعفر بن عبد الله - وكان من أهل الحديث
ثقة - عن رجل قد سماه لي قال : جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال : يا أبا عبد
الله (الرحمن على العرش استوى) [ه / طه] كيف استوى ؟ قال : فما رأينا مالكا
وجد من شيء كوجوده من مقالته وعلاه الرخصاء وأطرق وجعلنا ننظر ما يأمر به
فيه ، قال : ثم سرى عن مالك فقال : الكيف غير معقول والاستواء منه غير
مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإني لأخاف أن تكون ضالا ،
ثم أمر به فأخرج . قال أبو سعيد رحمه الله وصدق مالك ، لا يعقل منه كيف
ولا يجهل منه الاستواء والقرآن ينطق ببعض ذاك في غير آية .

فهذه الأشياء التي اقتصرنا في هذا الباب قد خالص علم كثير منها إلى النساء والصبيان ونطق بكثير منها كتاب الله تعالى وصدقته الآثار عن رسول الله صلعم وعن أصحابه والتابعين وليس هذا من العلم الذي يشكل على أحد من العامة والخاصة إلا على هذه العصابة الملحدة في آيات الله ، لم يزل العلماء يروون هذه الآثار ويتناسخونها ويصدقون بها على ما جاءت ، حتى ظهرت هذه العصابة ، فكذبوا بها أجمع ، وجعلوهم ، وخالفوا أمرهم ، خالف الله بهم .

ثم ما قد روى في قبض الأرواح ، وصعود الملائكة بها إلى الله تعالى من السماء ما ذكر رسول الله صلعم من قصته حين أمرى به فخرج به إلى سماء بعد سماء حتى انتهى به إلى السدرة المنتهى ، التي ينتهى إليها علم الخلائق ، فوق سبع سموات ، ولو كان في كل مكان كما يزعم هؤلاء ما كان الإسراء والبراق والمعراج لإذاً من معنى ! وإلى من يرجع به إلى السماء وهو بزعمكم ، الكاذب ، معه في بيته في الأرض ليس بينه وبينه ستر ، تبارك اسمه وتعالى عما تصفون .

حدثنا عبد الله بن صالح المصري قال : حدثني الليث - يعني ابن سعد - قال : حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان أبو ذر رضى الله عنه يحدث أن رسول الله صلعم قال : فرج مقف يبق وأنا بمكة فنزل جبريل فخرجني إلى السماء الدنيا فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لحازن سماء الدنيا : افتح ! قال : من هذا ؟ قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم معي محمد ، قال أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قال فافتح فلما علونا السماء الدنيا ، وساق الحديث إلى قوله - قال أنس - فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ، قال ابن شهاب : وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري رضى الله عنها يقولان : قال رسول الله صلعم ، ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأفلام ، قال : ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لأدري ما هي . حدثنا أحمد بن صالح عن ابن وهب عن يونس بإسناده نحوه معناه .

حدثنا عبد الله بن أبي شيبه أبو بكر : ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء رضى الله عنه عن النبي صلعم قال : إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة أنزل الله إليه من السماء ملائكة ، وساق الحديث قال : فيخرج روحه فيصعدون به حتى ينتهوا به إلى السماء فيستفتح فيفتح له حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى في عليين في السماء السابعة وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، وأما الكافر (١) قال : ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح له ثم قرأ : (لا تفتح لهم أبواب السماء) [٤٠ / الأعراف] الآية . قال : فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى في سجين في الأرض السفلى ، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، فيطرح طرحا ، وساق الحديث بطوله كما ساق .

قال أبو سعيد : ففى قوله تبارك وتعالى : (لا تفتح لهم أبواب السماء) دلالة ظاهرة أن الله عز وجل فوق السماء ، لأن أبواب السماء إنما تفتح لأرواح المؤمنين ولرفع أعمالهم إلى الله عز وجل منها ولما سوى ذلك مما يشاء الله تعالى فإذا كان مع الميت والعامل بنفسه في الأرض فإلى من يرج بأرواحهم وأعمالهم ولم تفتح أبواب السماء لقوم وتعلق عن آخرين ، إذا كان الله بزعمهم في الأرض وما منزلة قول الله عز وجل عندهم إذ (لا تفتح لهم أبواب السماء) ؟

فن آمن بهذا القرآن الذى احتججنا منه بهذه الآيات وصدق هذا الرسول الذى رويانا عنه هذه الروايات لزمه الإقرار بأن الله بكأله فوق عرشه فوق سمواته وإلا فليحتمل قرآنا غير هذا فإنه غير مؤمن بهذا .

وما يحقق قولنا ويعطل دعواهم احتجاب الله عز وجل من الخلق فوق السموات العلى :

باب الاحتجاب

قال الله تبارك وتعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) [٥١ / الشورى] . حدثنا علي بن المديني ، ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصاري ثم السلمي قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الأنصاري ثم السلمي يقول : سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جابر مالي أراك مهتما ؟ قال : قلت استشهد أبي وترك ديننا عليه وعيالا ، فقال : ألا أخبرك : ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وكلم أباك كذاحا فقال : يا عبدى تمن على أعطك ، وساق على الحديث .

حدثنا عمرو بن عون الواسطي ، أنبا هشيم عن داود عن الشعبي قال : ثنا مسروق قال : بينا أنا عند عائشة أم المؤمنين فقالت يا أبا عائشة : من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، وقلت : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) [١٠٣ / الأنعام] ، (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) [٥١ / الشورى] .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع فقال : إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ، كل شيء أدركه بصره . حدثنا محبوب بن موسى الأنطاكي ، أنبا أبو إسحق الفزاري ، عن سفيان ، عن عبيد المكتئب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : احتجب الله من خلقه بأربع : بنار وظلمة ونور وظلمة . حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة ، ثنا حماد — وهو ابن سلمة — قال : أنبا أبو عمران الجوني ، عن زرارة بن أوفى أن النبي صلى الله

عليه وسلم سأل جبريل : هل رأيت ربك ؟ فانتفض جبريل وقال : يا محمد إن يبق وبينه سبعين حجبا من نور ، لو دنوت من أدناها لاحترقت .

قال أبو سعيد : من يقدر قدر هذه الحُجُب التي احتجب الجبار بها ، ومن يعلم كيف هي غير الذي أحاط بكل شيء علما (وأحصى كل شيء عدداً) [٢٨ / الجن] ؟ ففى هذا أيضاً دليل أنه بائن من خلقه محتجب عنهم لا يستطيع جبريل مع قربهِ إليه الدنو من تلك الحجب ، وليس كما يقول هؤلاء الزائفة أنه معهم فى كل مكان ، ولو كان كذلك ما كان للحجب هناك معنى ، لأن الذى هو فى كل مكان ، لا يحتجب بشيء من شيء ، فكيف يحتجب من هو خارج الحجاب : كما هو من ورائه ؟ فليس لقول الله عز وجل : (من وراء حجاب) عند القوم مصداق .

والآثار التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نزول الرب تبارك وتعالى تدل على أن الله عز وجل فوق السموات على عرشه بائن من خلقه .

باب النزول

قال أبو سعيد رحمه الله : فما يعتبر به من كتاب الله عز وجل فى النزول ويحتج به على من أنكره ، قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) [٢١٠ / البقرة] ، وقوله : (وجاء ربك والملك صفاصفا) [٢٢ / الفجر] . وهذا يوم القيامة إذا نزل ليحكم بين العباد ، وهو قوله : (يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ، الملك يومئذ الحق الرحمن وكان يومئذ على الكافرين عسيرا) [٢ / الفرقان] ، فالذى يقدر على النزول يوم القيامة من السموات كلها ، ليفصل بين عباده قادر أن ينزل كل ليلة من سماء إلى سماء ، فإن ردوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النزول فماذا يصنعون بقول الله عز وجل وتبارك وتعالى ؟

حدثنا عمرو بن عون الواسطي . أنبأ أبو عوانة ، عن أبي إسحق ، عن الأغر
أبي مسلم قال : أشهد على أبي سعيد ، وأبي هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على
رسول الله صلعم أنه قال : إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل هبط ، فقال :
من قائب فيتاب عليه ، من داع فيستجاب له ، من مستغفر من ذنب ، من
سائل فيعطى .

حدثنا يحيى بن بكير المصري ، ثنا مالك — وهو ابن أنس — عن ابن
شهاب ، عن أبي عبد الله الأغر ، وأبي مسleme بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة
رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى
السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني أستجيب له ، ومن
يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له .

قال أبو سعيد : وزادني فيه أحمد بن صالح ، عن ابن وأهب ، عن يونس ،
عن ابن شهاب باسناده . قال : وقال هشام الدستوائي ، عن يحيى - وهو ابن كثير -
عن هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار أن رفاة الجهمي حدثه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا مضى ثلث الليل أو شطر الليل أو ثلثا الليل ينزل
الله إلى سماء الدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادي أحداً غيري ، من يستغفرني أغفر
له ، من يدعوني أستجيب له ، ومن يسألني أعطيه حتى ينفجر الصبح .

حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم المصري ، أنبأ الليث — يعني ابن سعد —
قال : حدثني زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن
أبي الدرداء رضى الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تبارك
وتعالى في ثلاث ساعات من الليل : يفتح الذكر في الساعة الأولى لم يره غيره ،
فيمحو ما يشاء ، ويثبت ما يشاء ، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي
داره التي لم ترها عين ، ولم تخطر على قلب بشر ، وهي مسكنه ، ولا يسكنها معه
من بني آدم غير ثلاثة : النبيين والصديقين والشهداء ، ثم يقول : طوبى لمن دخلك !

ثم ينزل من الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته فتنفض فيقول : قومي بعزتي ! ثم يطلع إلى عبادہ فيقول : هل من مستغفر أغفر له ، وهل من داع أجيب حتى تكون صلاة الفجر . ولذلك يقول : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) [٧٨ / الإسراء] ، يشهده الله وملائكته الليل والنهار .

حدثنا حفص بن عمر النري أبو عمر الحوضي : ثنا هشام - وهو الدستوائي - عن يحيى - وهو ابن أبي كثير - عن أبي جعفر ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا بقي ، أو قال - مضى - ثلث الليل ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسترزقني فأرزقه ، من يسألني فأعطيه من يستكشف الضر أكشفه عنه حتى ينفجر الصبح . حدثنا عمرو ابن عون الواسطي ، أنبأ خالد - يعني ابن عبد الله - عن الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يفتح أبواب السماء في ثلث الليل فيهبط إلى السماء الدنيا فيبسط يديه فيقول : ألا عبد يسألني فأعطيه ، إلى طلوع الفجر .

حدثنا عبد العزيز بن يوسف الحراني أبو الأصبع قال : حدثني محمد - يعني ابن مسleme الحراني - عن محمد بن إسحق ، عن سعيد المقبري ، عن عطاء مولى أم صبية ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ولأخرت العشاء الآخرة حتى يذهب ثلث الليل ، فإنه إذا ذهب ثلث الليل الأول ، هبط الله إلى السماء الدنيا فلا يزال بها حتى يطلع الفجر يقول قائل : ألا من سائل فيعطى ، ألا من داع فيستجاب له ، ألا من مريض يستشفى فيشفى ، ألا من مذنب يستغفر فيغفر له .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن أبي إسحق بإسناده نحوه . قال عمرو : وثنا يعقوب بن إبراهيم قال : حدثني

أبي ، عن محمد بن إسحق قال : وحدثني عمي عبد الرحمن بن يسار ، عن عبيد الله ابن أبي رافع ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عوانة عن طارق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن الله يمهل حتى إذا مضى ثلث الليل هبط إلى سماء الدنيا ثم قال : هل من تائب فيتأب عليه هل من مستغفر ، فأغفر له هل من سائل يعطى . حدثنا الزهراني أبو الربيع ، ثنا حماد - يعني ابن زيد - عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال : إذا مضى ثلث الليل - أو بقى نصف - ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول : من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه .

باب النزول ليلة النصف من شعبان

حدثنا الأصمعي بن الفرج المصري قال : أخبرني ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن عبد الملك عن مصعب بن أبي الحارث عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن أبيه - أو عن عمه - عن جده أبي بكر رضي الله عنه أن النبي صلعم قال : ينزل ربنا تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل نفس إلا مشرك بالله ومشاحن .

باب النزول يوم عرفة

حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلة وعلي بن عثمان اللاحقي قالوا ، ثنا أبو عوانة عن مغيرة عن عاصم بن أبي النجود قال : قالت أم سلة رضي الله عنها . نعم اليوم يوم عرفة ينزل فيه رب العزة إلى السماء الدنيا .

باب نزول الرب تبارك وتعالى يوم القيامة للحساب

حدثنا نعيم بن حماد عن إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، وساق الحديث إلى قوله : وتبقى هذه الأمة فيقولون ، هذا مكاننا يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله عز وجل فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه ، وساق نعيم الحديث إلى آخره .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، وهو ابن سلة - عن ثابت وحديد وعلى ابن زيد عن الحسن أن رسول الله صلعم قال : يأتينا ربنا يوم القيامة ونحن على مكان رفيع فيتجلى لنا ضاحكا .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبا سليمان التيمي عن أبي نضرة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ؛ ينادى مناد بين يدي الساعة : أتكم الساعة أتكم الساعة ، حتى يسمعها كل حي وميت . قال فينادى المنادى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) [٢٤ / غافر] . حدثنا عبد الله بن صالح المصرى قال ، حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : وتلا هذه الآية (يوم تبدل الأرض غير الأرض) [٤٨ / إبراهيم] قال : يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة لم يعدل عليها الخطايا ينزل عليها الجار تبارك وتعالى .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد — وهو ابن سلة — عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية (يوم تشقق

السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً ([٢٥ / الفرقان] قال : ينزل أهل السماء الدنيا وهم أكثر من أهل الأرض ومن الجن والإنس ، فيقول أهل الأرض : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : لا وسيأتى ، ثم تشقق السماء الثانية ، وساق أبوسلة الحديث إلى السماء السابعة ، قال : فيقولون : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : لا وسيأتى . ثم يأتى الرب تبارك وتعالى فى الكرويين وهم أكثر من أهل السموات والأرض .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عوانة ، ثنا الأجلح ، ثنا الضحاك بن مزاحم قال : إن الله يأمر السماء يوم القيامة وتشقق بمن فيها فيحيطون بالأرض ومن فيها ، ويأمر السماء الثانية ، حتى ذكر سبع سموات ، فيكونون سبعة صفوف قد أحاطوا بالناس ، قال : ثم ينزل الله فى بهائه وجماله ، ومعه ما شاء من الملائكة بمنجنبيه اليسرى جهنم فإذا رآها الناس تلظى ، وسمعوا زفيرها وشبهقها ، ندد الناس فى الأرض فلا يأتون قطراً من أنطارها إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة ، وذلك قوله عز وجل : (يوم التناد) [٣٢ / غافر] ، يقول : يند الناس ، فيقول الله عز وجل : (إن استطعتم أن تنفذوا من أنطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) [٣٣ / الرحمن] ، وذلك قوله عز وجل : (إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجىء يومئذ بهم) [٢٣ / الفجر] ، (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً) [٢٥ / الفرقان] ، (وانشقت السماء فبى يومئذ واهية والملك على أرجائها) [١٧ / الحاقة] . قال : قلت له : ما أرجاؤها ؟ قال : حافتها .

باب نزول الله لأهل الجنة

حدثنا هشام بن خالد الدمشقي وكان ثقة ، ثنا محمد بن شعيب — وهو ابن شابور — أنبا عمر بن عبد الله مولى غفرة قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني جبريل وفي يده كهيئة المرأة البيضاء وفيها نكتة سوداء قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه الجمعة بعث بها إليك ربك تكون عيداً لك ولأمتك من بعدك ، قلت : وما لنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير كثير أنتم الآخرون السابقون يوم القيامة ، وفيها ساعة لا يوافقها عبد يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، قلت ما هذه النكتة السوداء ؟ قال : هذه الساعة تكون يوم الجمعة وهو سيد الأيام ونحن نسميه عندنا يوم المزيد ، قلت : وما المزيد يا جبريل ؟ قال ذلك بأن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب تبارك وتعالى عن عرشه إلى كرسيه وحف الكرسي بمنابر من نور فيجلس عليها النبيون ، وحف المنابر بكراسي من ذهب ، فيجلس عليها الصديقون والشهداء ، ويهبط أهل الغرف من غرفهم فيجلسون على كئبان المسك لا يرون لأهل المنابر والكراسي عليهم فضلا في المجلس ، ثم يتبدى لهم ذو الجلال والإكرام فيقول : سلوني فيقولون بأجمعهم : نسألك الرضا ، فيشهدهم على الرضا ، ثم يسألونه حتى تنتهى نهيته كل عبد منهم ، ثم يسمي عليهم بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم يرتفع الرب على كرسيه إلى عرشه ، ويرتفع أهل الغرف إلى غرفهم ، وهي غرفة من لؤلؤة بيضاء ، أو زبرجدة خضراء ، أو ياقوتة حمراء ، ليس فيها فهم ولا وصم مطردة أنهارها ، متدلية ، فيها ثمارها ، فيها أزواجها ، وخدمها ، ومساكنها ، فليس أهل الجنة إلى شيء ، أشوق منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا قربا من الله ورضوانا .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن ليث ، عن عثمان بن أبي حُسيم ،

عن أنس رضى الله الله عنه قال : سمعت رسول الله صلعم قال : أتاني جبريل في كفه كالمرآة البيضاء فيها كالنكتة السوداء فقلت : ما هذا الذى فى يدك ؟ قال الجمعة ، قلت : وما الجمعة ؟ قال : لكم فيها خير وهو عندنا سيد الأيام ونحن نسميه يوم القيامة المزيد ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : لأن الرب تبارك وتعالى اتخذ فى الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة ينزل على كرسيه من عليين - أو نزل من عليين على كرسيه - ثم حف السكرى بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر ثم يحمى النبيون حتى يجلسوا على تلك المنابر ثم ينزل أهل الغرف حتى يجلسوا على ذلك السكيب ثم يتجلى لهم ربهم فيقول : أنا الذى صدقتم وعدى ، وأتممت عليكم نعمتى ، وهذا محل كرامتى ، فسلونى وساق عثمان بن أبى شيبة الحديث إلى قوله : وذلك مقدار منصرفهم من الجمعة ثم يرتفع إلى عرشه عن كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء - أو النبيون والشهداء والصديقون - ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم .

حدثنا عبد الله بن صالح المصرى قال : حدثنى حرمة بن عمران عن سليمان بن حميد قال : سمعت محمد بن كعب القرظى يحدث عمر بن عبد العزيز قال : فإذا فرغ الله عز وجل من أهل الجنة والنار أقبل الله عز وجل (فى ظلال من الغمام والملائكة) فسلم على أهل الجنة فى أول درجة فيردون عليه السلام . قل القرظى : وهذا فى القرآن (سلام قولاً من رب رب حيم) [٥٨/يس] فيقول : سلونى ؟ قال ففعل ذلك بهم فى درجهم حتى يستوى فى مجلسه ثم يأتهم التحف من الله تحملها والملائكة إليهم .

قال أبو سعيد : فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثرها فى نزول الرب تبارك وتعالى فى هذه المواطن وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر فى مشايخنا لا ينكرها منهم أحد ، ولا يمتنع من روايتها حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله صلعم برد ، وتشمروا لدفعها بحمد فقالوا : كيف نزوله هذا ؟ قلنا : لم تكف كيفية نزوله فى ديننا ولا تمقله قلوبنا ولا يس كمثلته شئ من

خلقه ، فنشبه منه فعلا أو صفة ، بفعلهم وصفتهم ، ولكن ينزل بقدرته ، ولطف ربوبيته كيف يشاء ، فالكيف منه غير معقول والإيمان بقول رسول الله صلعم في نزوله واجب ، ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل ، وهم يسألون ، لأنه القادر على ما يشاء أن يفعل كيف يشاء ، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا ما أقدره الله تعالى عليه كيف يصنع وكيف قدر . ولو قد آمنتم باستواء الرب على عرشه وارتفاعه فوق السماء السابعة بدءا إذ خلقها كإيمان المصلين به لقلنا لكم : ليس نزوله من سماء إلى سماء بأشد عليه ولا بأعجب من استوائه عليها إذ خلقها بدءا فكما قدر على الأولى منها كيف يشاء فكذلك يقدر على الأخرى كيف يشاء . وليس قول رسول الله صلعم في نزوله بأعجب من قول الله تبارك وتعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام والملائكة) ومن قوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) فكما يقدر على هذا يقدر على ذاك فهذا الناطق من قول الله عز وجل ، وذلك المحفوظ من قول رسول الله صلعم بأخبار ليس عليها غبار ، فإن كنتم من عباد الله المؤمنين لزمكم الإيمان بها ، كما آمن بها المؤمنون ، وإلا فصرحوا بما تضرعون ودعوا هذه الأغلوطات التي تلون بها ألسنتكم فلتن كان أهل الجهل في شك من أمركم ، إن أهل العلم من أمركم لعلى يقين .

قال : فقال قائل منهم : معنى إتيانه في ظل من الغمام وبجيئه والملك صفا صفا بمعنى كذا وكذا ، قلت : هذا التكذيب بالآية صراحا ، تلك معناها بين للأمة لا اختلاف بيننا ، وبين المسلمين في معناها المفهوم المعقول عند جميع المسلمين ، فإذا بجيئه يوم القيامة وإتيانه في ظل من الغمام والملائكة فلا اختلاف بين الأمة أنه إنما يأتيهم يومئذ كذلك ، لمحاسبتهم وليصدع بين خلقه ويقررهم بأعمالهم ، ويميزهم بها ، ولينصف المظلوم منهم من الظالم ، لا يتولى ذلك أحد غيره تبارك اسمه وتعالى جده ، فمن لم يؤمن بذلك لم يؤمن بيوم الحساب . ولكن إن كنتم محقين في تأويلكم هذا وما ادعيت من باطلكم - ولستم كذلك - فأتوا بحديث يقوى مذهبكم فيه عن رسول الله صلعم أو بتفسير تأثروا به صحيحا عن أحد من

الصحابة أو التابعين ، كما أتيناكم به عنهم نحن لمذهبنا ، وإلا فمتى نزلت الجهمية من العلم بكتاب الله ، وبتفسيره ، المنزل التي يجب على الناس قبول قولهم فيه ، وترك ما يؤثر من خلافهم عن رسول الله صلعم ، ومن أصحابه وعن التابعين بعدهم ؟ هذا حدث كبير في الإسلام ، وظلم عظيم أن يتبع تفسيركم كتاب الله بلا أثر ، ويترك المأثور فيه الصحيح من قول رسول الله صلعم وأصحابه والتابعين لهم بأحسن رضى الله عنهم ، ومتى ما قدرتم أن تجماعوا أهل العلم في مجالسهم أو تتحلوا شيئاً من العلم في آباد الدهر إلا منافقة واستتاراً ، حتى تنقلدوا اليوم من تفسير كتاب الله ما كان يتوقى أوضح منه أصحاب رسول الله صلعم ، لقد عدوتم طوركم وأنزلتم أنفسكم المنزل التي تعبدكم الله منها ، ثم المسلمون . ولولم يوجد فيها عن رسول الله صلعم ولا عن أصحابه خبر ، ولا أثر ، لم تكونوا مؤتمنين على كتاب الله وتفسيره أن يلتفت إلى شيء من أقاويلكم ، أو يعتمد على شيء من تفسيركم كتاب الله لما ظهر الأئمة من إلحادكم ، فكيف إذا هم خالفوكم .

قال أبو سعيد رحمه الله : وما يرد هذا ويبطله قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك) [١٥٨ / الأنعام] الآية فهذا مما يحقق دعوانا ويبطل دعواكم التي فرضتموها ، عدوا بغير علم في إتيان الله تعالى وبحجبه يوم القيامة ، والملك صفا صفا . فإن أبيتم إلا لزوماً لتفسيركم هذا ومخالفة لما احتججنا به من كتاب الله وآثار رسول الله صلعم وأصحاب رسول الله صلعم ، فإنه ليس لكم من الرسوخ في العلم ، والمعرفة بالكتاب والسنة ، ما يعتمد فيه على تفسيركم ، لو قد أصبتم الحق فكيف إذا أنتم أخطأتموه ؟ ولكن بيننا وبينكم حجة واضحة يعقلها من شاء الله من النساء والولدان ، ألستم تعلمون أننا قد أتيناكم بهذه الروايات عن رسول الله صلعم وعن أصحابه والتابعين ، منصوصة صحيحة عنهم أن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وقد علمتم يقيناً أننا لم نخترع هذه الروايات ، ولم نفتعلها ، بل رويناهما عن الأئمة الهادية الذين نقلوا أصول الدين وفروعه إلى الأيام ، وكانت مستفيضة في أيديهم يتنافسون فيها ، ويتزینون

بروايتها ، ويحتجون بها على من خالفها ، قد علمتم ذلك ورويتوها كما رويناهما
إن شاء الله ، فأتوا ببعضها أنه لا ينزل منصوصا كما رويناهم الزول
منصوصا ، حتى يكون بعض ما تأتون به ضد البعض ما أتيناكم به ، وإلا
لم يدفع لإجماع الأمة وما ثبت عنهم في النزول منصوصا بلا ضد منصوص
من قولهم أو من قول نظرائهم ، ولم يدفع شيء بلا شيء لأن أقاويلهم ورواياتهم
شيء لازم ، وأصل منيع ، وأقاويلكم ربح ليست بشيء ، ولا يلزم أحدا منها شيء ،
إلا أن تأتوا فيها بأثر ثابت مستفيض في الأمة ، كاستفاضة ما رويناهم عنهم ، ولن
تأتوا به أبدا .

هذا واضح بين يعقله كثير من ضعفاء الرجال والنساء ، وتعقلونه أنتم إن شاء
الله ، فإنه ليس لكم من الغفلة كل ما لا تعلمون أن هذه الحجج أخذت بحلوهم ، غير
أنكم تصدون قصد شيء لا ينقاد إلا بدفع هذه الحجج والآثار كلها ، تزعمون أن
إلهكم الذي كنتم تعبدون في كل مكان ، واقع على كل شيء ، لاحد له ، ولا
مستهى عندهم ، ولا يتخلو منه مكان بزعمكم ، ثم قلتم : إنما يوصف بالنزول من
هو في مكان دون مكان ، فأما من هو في كل مكان فكيف ينزل إلى مكان ؟ قلنا :
هذه صفة خلاف صفة رب العالمين ، ولا نعرف بهذه الصفة شيئا ، إلا هذا الهواء
الداخل في كل مكان ، النازل على كل شيء ، فإن لم يكن ذلك إلهكم ، الذي تعبدون فقد
غلبكم عن عبادة الله رأسا ، وصرتم في عبادة ما تعبدون أسوأ منزلة من عبادة الأوثان ،
وعبادة الشمس والقمر ، لأن كل صنف منهم عبد شيئا هو عند الخلق شيء وعبدتم أنتم
شيئا هو عند الخلق لا شيء ، لأن الكلمة قد اتفقت من الخلق كلهم أن الشيء لا يكون
إلا بحد وصفة ، وأن لا شيء ليس له حد ولا صفة ، فلذلك قلتم : لاحد له وقد
أكذبكم الله تعالى فسمى نفسه أكبر الأشياء وأعظم الأشياء ، وخلاق الأشياء ،
قال تعالى : (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم) [١٩ / الأنعام]

وقال : (كل شيء هالك الا وجهه) [٨٨ / القصص] فهو سمي نفسه أكبر الأشياء وأعظم الأشياء ، وخلاق الأشياء ، وله حد ، وهو يعلمه لا غيره .

حدثنا الحسن بن الصباح البزاز البغدادي ، ثنا علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك أنه سئل : بم نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق العرش فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه ، قال : قلت : بمحد ؟ قال : فبأي شيء ! قال أبو سعيد رحمه الله : والحجة لقول ابن المبارك رحمه الله قول الله تبارك وتعالى : (وترى الملائكة حافين من حول العرش) [٧٥ / الزمر] فلماذا يحفون حول العرش إلا لأن الله عز وجل فوقه ولو كان في كل مكان ، لحفوا بالامكنة كلها لا بالعرش دونها ، فمضى هذا بيان بين للحد ، وأن الله فوق العرش والملائكة حوله حافون يسبحونه ويقددونه ويحمل عرشه بعضهم قال الله تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم) [٧ / غافر] .

قال أبو سعيد رحمه الله : فسمعت محتجا محتج عنهم في إنكارهم الحد والنزول وفي قولهم : (هو في كل مكان) بحديث : أربعة أملاك التقوا ، أحدهم جاء من المشرق ، والآخر من المغرب ، والثالث من السماء ، والرابع من الأرض ، فقالوا أربعتهم : جئنا من عند الله ، فقلت : إن أفلس الناس من الحديث ، وأفقرهم فيه ، الذي لا يحد من الحديث ما يدفع به تلك الأحاديث ، الصحيحة المشهورة ، في تلك الأبواب إلا هذا الحديث ، وهو أيضا من الحديث أفلس ، لأن هذا الحديث لو صح لكان عليه لا له .

فالحمد لله إذ ألجأتهم الضرورة إلى هذا ، وما أشبهه ، لأنهم لو وجدوا حديثا منصوفا في دعواهم لاحتجوا به لا بهذا ، ولكن حين أيسوا من ذلك وأعيام طلبه تعلقوا بهذا الحديث المشتبه على جهال الناس ، ليرجوا بسببه عليهم أغلوطه ، وسنن لهم ما اشتبه عليهم من هذا الحديث إن شاء الله ، حتى يعلموا أنه عليهم لا لهم ، قلنا : هذا الحديث لو صح لكان معناه مفهوماً معقولاً لا لبس له أنهم جاءوا كلهم من عند الله كما قالوا ، لأن الله تعالى على عرشه فوق سمواته وسمواته فوق

أرضه كالقبة ، وكما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو ينزل ملائكة من عنده بالشرق ، وملائكة بالمغرب ، وملائكة إلى تخوم الأرض للأمر من أموره ، ولرحمته ولعذابه ولما يشاء ، من أموره ، فلو أنزل أحد هؤلاء الأربعة بالشرق والثاني بالمغرب والثالث أنزله من السماء إلى تخوم الأرض ، للأمر من أموره ثم عرجوا منها والتقوا جميعا في ملتقى من الأرض مع رابع ، نزل من ملتقاهم من السماء فسألوا جميعا من أين جاءوا ؟ فقالوا جميعا : جئنا من عند الله ، لكان المعنى فيه صحيحا ، على مذهبنا لا على مذهبكم ، لأن كلا بعثهم الله تعالى من السماء ، وكلا نزلوا من عنده في مواطن مختلفة ، ولو نزل في مائة ألف مكان من الأرض لجاءوا من عند الله ، وإنما قيل : « من عند الله » لأن الله تبارك وتعالى فوق السماء والملائكة في السموات ، وبعضهم حافون بعرضه ، فهم أقرب إلى عرش الرحمن من أهل الأرض ، وما يبين ذلك قوله تعالى : (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) [٢٠٢ / الاعراف] . ففي هذه الآية بيان لتحقيق ما ادعينا للحد ، فإنه فوق العرش بائن من خلقه ، ولا بهال دعوى الذين ادعوا أن الله في كل مكان ، لأنه لو كان في كل مكان ما كان لخصوص الملائكة أنهم (عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) معنى ، بل كانت الملائكة والجن والإنس وسائر الخلق كلهم عند ربك في دعواهم بمنزلة واحدة ، أن لو كان في كل مكان ، وإذا لذهب معنى قوله : (لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) ، لأن أكثر أهل الأرض من الجن والإنس ، من يستكبر عن عبادته ولا يسجد له .

ولكن خص الله بهذه الصفة الملائكة الذين هم عنده في السموات ، فأوطنوا بهذه الآية ، وأقرعوا بها رؤوسهم عند دعواهم ، « أن الله في كل مكان » . فإنها أخذة بخلقهم ، لا مفر لهم منها إلا بصحود ، فإن أقرؤا أنهم من الملائكة الذين عنده ، دون من سواهم ، فقد أصابوا ما أراد الله ونقضوا قولهم : « إن الله في كل مكان ، وأقرؤا له بالحد ، وأنه فوق السموات ، والملائكة عنده (لا يستكبرون

عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) ، وإن لم يقرؤا به كانوا بذلك جاحدين
لتنزيل الله تعالى .

ويلزمهم في دعواهم ، أن يشهدوا لجميع عبدة الاوثان وعبدة الشمس والقمر ،
والجن والإنس ، وكفرة أهل الكتابين ، والمجوس ، أنهم كلهم (عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) ، لأن الله تعالى قد أخبر أن
الذين عنده كذلك صفاتهم ، فإن يكن الخلق كلهم في دعواهم عنده ، وهو عندهم ،
وكل يسبح له ويسجد له ، ولا يستكبر عن عبادته ، ومن قال هذا فقد كفر
بكتاب الله ، وجحد بآيات الله ، لأن الله تعالى ، وصف الملائكة الذين عنده بهذه
الصفة ، ووصف كفار الجن والإنس ، وعبدة الاوثان بالعتو والاستكبار
عن عبادته ، والنفور عن طاعته ، قال تعالى : (لقد استكبروا في أنفسهم
وعتوا عتوا كبيراً) [٢١ / الفرقان] ، (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا) [٦٠ / الفرقان] ، فافهموا هذه الآية لأنها
قاطعة لحججهم .

باب الرؤية

قال أبو سعيد رحمه الله : قال الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها
ناظرة) [٢٣ / القيامة] ، وقال : (كلا لأنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم لأنهم
لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم تكذبون) [١٧ / المطففين] ، ففي هذا
دليل أن الكفار كلهم محجوبون عن النظر إلى الرحمن عز وعلا وأن أهل الجنة غير
محجوبين عنه .

قال رسول الله صلعم : (أيما والد جحد ولده احتجب الله عنه ، وفضحه
على رؤوس الاولين والآخرين) ، حدثنا يحيى الحماني ، ثنا عبد العزيز — يعني

الدرأوردى — عن يزيد بن الهاد ، عن عبد الله بن يونس سمع المقبري يحدث قال : حدثني أبو هريرة : سمع النبي صلعم يقول . قال أبو سعيد : ففي هذا الحديث دليل أنه إذا احتجب عن بعضهم لم يحتجب من بعض .

وقال رسول الله صلعم : (سترون ربكم عز وجل كما ترون الشمس والقمر) ، فلم يدع لمأول فيه مقالا . حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب - وهو الحناط - قال : أخبرني إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير قال : كنا جلوسا عند رسول الله صلعم فرفع رأسه إلى السماء ليلة البدر فنظر إلى القمر فقال : أما إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) .

حدثنا بنحوه ابن المديني عن سفیان بن عيينة ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير ، عن النبي صلعم . قال علي ابن المديني : هي عندنا صلاة العصر وصلاة الصبح إن شاء الله تعالى ، قال : حدثنا به ستة ، عن إسماعيل : سفیان وهشيم ووكيع والمعتز وغيرهم ، قال علي : لا يكون الإسناد أجود من ذا .

حدثنا محمد بن عبد الله الخزازي أبو عبد الله البصري ، وأبو سلمة ، واللفظ لفظ محمد قالوا : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلعم تلا هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [٢٦ / يونس] قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، ودخل أهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه . قال : فيقال ما هو ألم يبيض وجوهنا ، ويثقل موازيننا ، وأدخلنا الجنة ، وأجارنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فيتجلى لهم تبارك وتعالى ، قال رسول الله صلعم : والذي نفسى بيده ما أعطاهم شيئا هو أحب إليهم ولا أقر لأعينهم من النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

حدثنا موسى بن إسماعيل : ثنا حماد — يعنى بن سلمة — : ثنا يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدى ، عن أبى رزىن العقيلي قال : قلت : يا رسول الله : أكلنا يرى ربه يوم القيامة ؟ وما آية ذلك فى خلقه ؟ قال : قال رسول الله صلعم : يا أبأ رزىن أليس كلكم يرى القمر خليا به ؟ قلت : بلى ، قال : فالله أعظم .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا إبراهيم — وهو ابن سعد — عن ابن شهاب ، عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال الناس : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلعم : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : فهل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : فكذلك ترون ربكم يوم القيامة ، إن الله يجمع الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ومن كان يعبد القمر القمر ، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الامة فيها منافقوها ، وساق الحديث إلى قوله : (هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء عرفناه ، فيأتهم الله فى الصورة التى يعرفون فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه) .

قال عطاء بن يزيد فى آخر الحديث : قال أبو سعيد — يعنى الخدرى — وهو مع أبى هريرة رضى الله عنها ، حين حدث بهذا الحديث لا يرد عليه شيئاً ، من -ديته حتى إذا قال : ذلك له ومثله معه ، قال أبو سعيد : أشهد لحفظته من رسول الله صلعم : ذلك له وعشرة أمثاله . حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، ثنا معمر ، عن الزهرى ، عن عطاء بن يزيد الليثى ، عن أبى هريرة ، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنها ، عن النبي صلعم بنحوه .

وحدثنا عبد الله بن صالح المصرى قال : حدثنى الليث قال : حدثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلعم :

هل تضارون في الشمس في الظهيرة صحوا ليس فيها سحب ؟ قال : قلنا : لا ، قال رسول الله صلعم : فهل تضارون في رؤية القمر في ليلة البدر صحوا ليس فيها سحب ؟ وقال : قلنا : لا ، فقال رسول الله صلعم : فما تضارون في رؤيته يوم القيامة إلا كهيئة ما تضارون في رؤية أحدهما .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد — يعني ابن سلمة — عن علي ابن زيد ، عن عمارة القرشي أنه كان عند عمر بن عبد العزيز فأتاه ابن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه ففضى له حوائجه ، فلما خرج رجع فقال عمر ، أذكر الشيخ ، فقال له عمر : ما ردك ألم تقض حوائجك ؟ قال بلى ، ولكن ذكرت حديثاً حدثناه أبو موسى الأشعري أن رسول الله صلعم قال : يجمع الله الامم يوم القيامة في صعيد واحد فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه ، مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون ، فيدرجونهم حتى يقحموهم النار ، ثم يأتينا ربنا ونحن في مكان رفيع فيقول : من أنتم ؟ فيقول : نحن المؤمنون ، فيقول : ما تنتظرون ؟ فنقول : ننتظر ربنا ، فيقول من أين تعلمون أنه ربكم ؟ فيقولون : حدثتنا الرسل ، أو : جاءتنا ، أو ما أشبه معناه ، فيقول : هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : كيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون : نعم إنه لا عدل له ، فيستجلى لنا ضاحكا : ثم يقول تبارك وتعالى : أبشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا قد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا ، فقال عمر لأبي بردة : والله قد سمعت أبا موسى يحدث بهذا الحديث عن رسول الله صلعم ؟ قال : نعم .

حدثنا إسحق بن إبراهيم الحنظلي : ثنا النضر بن شميل : ثنا أبو نعام العدوى قال : ثنا أبو هنيذة البراء بن نوفل عن والان العدوى ، عن حذيفة ، عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه في حديث الشفاعة قال : قال رسول الله صلعم : وساق إسحق الحديث إلى قوله : فيخرساجدا قدر جمعة فيقول الله تبارك وتعالى يا محمد ارفع

ارفع رأسك وقل يسمع ، واشفع تشفع ، فرفع رأسه فإذا نظر إلى ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى .

حدثنا حسيوة بن شريح الحمصي ، ثنا بقیة ، ثنا بحیر - وهو ابن سعد - عن خالد - وهو ابن معدان - عن عمرو بن الأسود ، عن جنادة بن أبي أمية أنه حدثهم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلعم قال : إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا . حدثنا نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن علي بن الحسين أن رجلا من أهل العلم أخبره أن رسول الله صلعم قال : تمتد الأرض يوم القيامة من الأديم فأكون أول من أدعى ، فأخر ساجداً ساجداً حتى يأذن الله لي برفع رأسي فأرفع ثم أقوم ، وجبريل عن يمين الرحمن لم ير الرحمن تبارك اسمه قبل ذلك .

حدثنا موسى بن إسماعيل : ثنا حماد - يعنى ابن سلمة - عن علي بن زيد ، عن أبي نضرة قال : خطبنا ابن عباس على هذا المنبر في البصرة فقال : قال رسول الله صلعم : ما نبى إلا له دعوة تعجلها في الدنيا ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لآمتى يوم القيامة ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، ويبدى لواء الحمد ولا فخر ، ومن دونه تحت لوائى ولا فخر ، قال رسول الله صلعم : فيطول ذلك اليوم على الناس فيقول بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فليشفع لنا إلى ربنا ، وساق الحديث إلى قوله : فأتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فأفرع الباب فيقال : من أنت ؟ فأقول أنا محمد ، فيفتح الباب فأتى ربي وهو على كرسيه . أو : على سريره . فيتجلى لى ربي ، فأخر له ساجداً . وساق أبو سلمة الحديث بطوله إلى آخره . حدثنا عبد الغفار ابن داود الحراني أبو صالح : ثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير قال : سألت جابر رضى الله عنه عن ورود فأخبرني أنه سمع رسول الله صلعم يقول : نحن يوم القيامة على كرم فوق الناس فتدعى الأمم بأوثانها ، وما كانت تعبد الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول : ما تنتظرون ؟ فيقولون : ننظر ربنا ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم يضحك فيتبعونه .

حدثنا هشام بن خالد الدمشقي ، ثنا محمد بن شعيب - وهو ابن شاپور - ثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة قال : سمعنا أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلعم ، أتاني جبريل وفي يده كهيئة المرأة البيضاء ، وفيها نكتة سوداء فقلت : ماهذه يا جبريل ؟ قال : هذه الجمعة بعث بها إليك ، ربك ، تكون عيداً لك ولأمتك من بعدك . قلت : وما لنا فيها ؟ قال : لكم فيها خير كثير أنتم الآخرون السابقون يوم القيامة ، وفيها ساعة لا يوافقها عبد يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، قلت : ماهذه النكتة السوداء ؟ قال : هذه الساعة تكون يوم الجمعة وهو سيد الأيام ونحن نسميه عندنا يوم المزيّد ، قلت : وما المزيّد يا جبريل ؟ قال : ذلك بأن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيج من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب تبارك وتعالى عن عرشه إلى كرسيه وحف الكراسى بمنابر من نور ، فيجلس عليها النبيون ، وحف المنابر بكراسى من ذهب فيجلس عليها الصديقون والشهداء ويهبط أهل الغرف من غرفهم فيجلسون على كئبان لمسك ، لا يرون لأهل المنابر والكراسى عليهم فضلاً في المجلس . ثم يتبدى لهم ذو الجلال والإكرام ، فيقول : سلوني فيقولون بأجمعهم : نسألك الرضا ، فيشهدهم على الرضا ، ثم يسألونه حتى تنتهى نهيّة كل عبد منهم ، ثم يسعى إليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم يرتفع الرب عن كرسيه إلى عرشه ، ويرتفع أهل الغرف إلى غرفهم ، وهى غرفة من لؤلؤة بيضاء أو زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء ليس فيها قصم ولا وصم ولا مطردة أنهارها متدلّية فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها ومساكنها فليس أهل الجنة إلى شيء أشوق منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا قرباً من الله ورضواناً .

حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني الليث قال : حدثني يونس ، عن ابن شهاب ، عن سالم ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنها أن رسول الله صلعم قام للناس فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال : لا أدري أتدركونه مامن نبى إلا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه . ولكنى أقول لكم قولاً لم يقله نبى لقومه . تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور ، قال الزهري ،

وأخبرني عمر بن ثابت الانصاري أنه أخبره بعض أصحاب النبي صلعم أن رسول الله صلعم قال يوم حذر الناس : إنه مكتوب بين عينيهِ ، كافر يقرأه من كره عمله . أو : يقرأه كل مؤمن ، وقال : تعلن أنه لن يرى أحدكم ربه حتى يموت .

حدثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه أن عمار بن ياسر رضى الله عنه صلى بأصحابه صلاة أوجز فيها فقليل له : خففت ! فقال : أما إنى قد دعوت فيها بدعاء سمعته من رسول الله صلعم ، ومضى فتبعه رجل فسأله عن الدعاء ثم رجع إلى القوم فأخبرهم فقال : اللهم إنى أسألك بملك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة خيرا لى ، وتوفى إذا كانت الوفاة خيرا لى ، وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا ، وأسألك القصد فى الفقر والغنى ، وأسألك نعيما لا ينفرد ، وأسألك قرعة عين ، لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، وأسألك الشوق إلى القائل فى غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين .

حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب - وهو الحنطاط - قال أخبرني خالد بن دينار الثبلى ، عن حماد بن جعفر عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : ألا أخبرك بأسفل أهل الجنة ، وساق أحد الحديث بطوله - قال : حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ ، وظنوا أن لا نعيم أفضل منه ، تجلى لهم الرب ، فنظروا إلى وجه الرحمن .

قال أحمد : قلت لأبى شهاب حديث خالد بن دينار هذا فى ذكر الجنة رفعه ؟ قال : نعم . حدثنا يحيى الحماني وأبو بكر بن أبى شيبة قالوا : ثنا شريك عن أبى إسحق عن سعيد بن نمران عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه الله عز وجل . حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، ثنا وكيع ، عن مفيان ، عن أبى إسحق ، عن عامر بن سعد ، عن

مسلم بن يزيد عن حذيفة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه الله عز وجل .

حدثنا يحيى الحماني وسليمن بن حرب قالوا . ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : (الحسنى) الجنة و (الزيادة) النظر إلى وجه الله عز وجل لايهيبهم بعد النظر إليه قتر ولا ذلة . حدثنا عبد الله ابن أبي شيبه ، ثنا أبو معاوية عن جوير عن الضحاك (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه الله عز وجل ، حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا فضيل - يعنى ابن عياض - عن سفيان عن أبي إسحق عن عامر بن سعد في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى) قال : (الزيادة) النظر إلى وجه ربهم عز وجل .

حدثني يحيى الحماني ، ثنا وكيع ، عن أبي بكر الهذلي ، عن أبي تيممة الهجيمي عن أبي موسى رضى الله عنه قال : (الزيادة) النظر إلى وجه الرب . حدثنا محمد بن المنهال البصرى ، ثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي ، عن أسلم عن أبي هريرة عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : رآهم أبو موسى الأشعري رضى الله عنه قال : رآهم أبو موسى وهم ينظرون إلى الهلال فقال : كيف ربكم إذا رأيتوه جهرة ! حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد - يعنى ابن سلبة - عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عمار بن ياسر رضى الله عنه كان يقول في دعائه : اللهم أنى أسألك لذة النظر إلى وجهك وشوقا إلى لقائك .

حدثنا شيخ من أهل بغداد . ثنا شريك عن عثمان بن أبي اليقطان ، عن أنس بن مالك (ولدنا يزيد) [٣٥ / ق٣] قال : يتجلى لهم كل جمعة . حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، عن جوير عن الضحاك قال : أن الملائكة إذا أخذوا بأصوات من تهميد وتقديس وثناء على الله عز وجل فليس ثى . أطرب منه ليس النظر إلى الله .

حدثنا محمد بن منصور الذى يقال له الطوس من أهل بغداد ، ثنا علي بن

شقيق ، أنبا حسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال : ينظرون إلى الله نظراً .

حدثنا الزهراني أبو الربيع ، ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث ، عن كعب قال : ما نظر الله عز وجل إلى الجنة إلا قال : طيب لاهلك فزادت طيباً على ما كانت ، وما مر يوم كان لهم عيداً في الدنيا إلا يخرجون في مقداره في رياض الجنة ، ويبرز لهم الرب ينظرون إليه وتسعى عليهم الرياح بالطيب والمسك فلا يسألون ربهم شيئاً إلا أعطاهم فيردون إلى أهلهم ، وقد ازدادوا على ما كانوا عليه من الحسن والجمال سبعين ضعفاً .

حدثنا سعيد ابن أبي مريم المصري ، أنبا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأنصاري قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أمراء الأجناد ، أما بعد فإن أوصيك بتقوى الله وطاعته ، والتمسك بأمره ، والمعاهدة على ما حمله الله من دينه ، واستحفظك من كتابه ، فإن بتقوى الله نجاة أوليائه من سخطه ، وبها تحقق لهم ولايته وبها وافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ، ونظروا إلى خالقهم .

قال أبو سعيد رحمه الله ، فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها رويت في الرؤية على تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل النقه والبصر من مشايخنا ولم يزل المسلمون قديماً وحديثاً يروونها ، ويؤمنون بها ، لا يستكرونها ولا ينكرونها ، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال ، بل كان من أكبر رجائهم وأجل ثواب الله في أنفسهم ، النظر إلى وجه خالقهم حتى ما يعدلون به شيئاً من نعم الجنة .

وقد كتبت بعض أوائلكم المعلقة وحديثه ببعض هذه الأحاديث ، وكان ممن يزين بالحديث في الظاهر ويدعى معرفتها ، فأنكر بعضها وردداً علينا ، قلت :

قد صحت الآثار عن رسول الله صلعم فمن بعده من أهل العلم ، وكتاب الله الناطق به فإذا اجتمع الكتاب وقول الرسول وإجماع الأمة لم يبق لم تأول عندها تأول إلا لما كبر أو جاحد أما الكتاب فقولته تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقوله (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولم يقل للكفار (محجوبون) إلا وأن المؤمنين لا يحجبون عنه ، فإن كان المؤمنون عندكم محجوبون بين عن الله كالكفار ، فأى توبيخ للكفار في هذه الآية ؟ إذا كانوا هم والمؤمنون جميعا عن الله يومئذ محجوبين . وأما قول الرسول صلعم فقولته : (لاتضامون في رؤيته كما لاتضامون في رؤية الشمس والقمر في الصحو) .

ثم ماروينا عن هذه الجماعة من أصحاب محمد صلعم ، والتابعين ، فهل عندكم مارد ذلك من كتاب أو سنة أو إجماع من الأمة ؟ فاحتج بحديث أبي ذر عن النبي صلعم ، نور أنى أراه ؟ فقلت : هذا في الدنيا ، وكلاهما قد قاله رسول الله صلعم وتفسيرها بين في الحديثين جميعا . فقالت عائشة رضى الله عنها . من زعم أن محمدا رأى ربه عز وجل فقد أعظم على الله الفرية ، وتلا (لاتدرکه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) ، حدثناه عمرو بن عون ، عن هشيم عن داود عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة .

قال أبو سعيد : وأنتم وجميع الأمة تقول به أنه لم ير ولا يرى في الدنيا ، فأما في الآخرة فما أكبر نعيم أهل الجنة إلا النظر إلى وجهه ، والخشية لمن حرمه ، وما تعجبون من أن كان الله ولا شيء من خلقه ، ثم خلق الخلق ، ثم استوى على عرشه فوق سمواته ، واحتجب من خلقه ، بحجب النار والظلمة ، كما جاءت به الآثار ثم أرسل إليهم رسله يعرفهم بنفسيه بصفاته المقدسة ، ليلو بذلك إيمانهم ، أيهم يؤمن به ويعرفه بالغييب ، ولم يره . وإنما يحزى العباد على إيمانهم بالله بالغييب ، لأن الله عز وجل لو تبدى لخلقهم وتجلي لهم في الدنيا ، لم يكن لإيمان الغيب هناك معنى ، لما أنه لم يكفر به عندها كافر ، ولا عصاه عاص ، واسكنه

احتجب عنهم في الدنيا ودعاهم إلى الإيمان به بالغيب ، وإلى معرفته والإقرار
بربوبيته ليؤمن به من قد سبقت له منه السعادة ويحق القول على الكافرين ،
ولو قد تجلى لهم ، لآمن به من في الأرض كلهم جميعاً بغير رسل ، ولا كتب ، ولا دعاة ،
ولم يعصوه طرفة عين .

فإذا كان يوم القيامة تجلى لمن آمن به ، وصدق رسله ، وكتبه ، وآمن برؤيته ،
وأقر بصفاته التي وصف بها نفسه حتى يروه عياناً ، مشوبة منه لهم ، وإكراماً
ليزدادوا بالنظر إلى من عبده بالغيب نعيماً ، وبرؤيته فرحاً واعتباطاً ، ولم
يحرّموا رؤيته في الدنيا والآخرة جميعاً ، وحجب عنه الكفار يومئذ إذا حرّموا
رؤيته كما حرّموا في الدنيا ليزدادوا حسرة وثبوراً .

فاحتج محتج منهم بقول الله تعالى لموسى : (لن تراني ولكن انظر إلى الجبل
فإن استقر مكانه فسوف تراني) [١٤٢ / الأعراف] ، قلنا هذا لنا عليكم ، لا لكم ، إنما
قال : (لن تراني) في الدنيا لأن بصر موسى من الأبصار التي كتب عليها الفناء في
الدنيا ، فلا تحمل النظر إلى نور البقاء . فإذا كان يوم القيامة ركبت الأبصار
والإسماع للبقاء فاحتملت النظر إلى الله عز وجل بما طوقها الله . ألا ترى أنه يقول :
(فإن استقر مكانه فسوف تراني) ولو قد شاء لاستقر الجبل ورآه موسى ولكن
سبقت منه الكلمة أن لا يراه أحد في الدنيا فلذلك قال (لن تراني) . فأما في الآخرة
فإن الله تعالى ينشئ خلقه فيركب أسماعهم وأبصارهم للبقاء فيراه أولياؤه جهراً ،
كما قال رسول الله صلعم .

قال بعضهم : إنما لا نقبل هذه الآثار ولا نحتج بها قلت : أجل ولا كتاب الله
يقبلون ، أرأيتم إن لم تقبلوها أتشكون أنها مروية عن السلف مأثورة عنهم ،
مستفيضة فيهم يتوارثونها عن أعلام الناس وفقهائهم قرناً بعد قرن ؟ قالوا : نعم ،
قلنا : فحسبنا إقراركم بها عليكم حجة لدعوانا أنها مشهورة ، مروية تداولتها
العلماء ، والفقهاء ، فها تروا عنهم مثلاً حجة ، لدعواكم التي كذبتم الآثار كلها ، فلا

تقدرون أن تأتوا فيها بخبر . ولا أثر ، وقد علمتم إن شاء الله ، أنه لا يستدرك سنن رسول الله صلعم وأصحابه ، وأحكامهم ، وقضاياهم إلا بهذه الآثار ، والاسانيد على ما فيها من الاختلاف ، وهى السبب إلى ذلك ، والتهج الذى درج عليه المسلمون ، وكانت إمامهم فى دينهم بعد كتاب الله عز وجل ، منها يقتبسون العلم ، وبها يقضون ، وبها يقيمون ، وعليها يعتمدون ، وبها يزينون ، يرثها الاول منهم الآخر ، ويلغها الشاهد منهم الغائب ، احتجاجا بها واحتسابا فى أداها إلى من لم يسمعها ، يسمونها السنن والآثار ، والفقه والعلم ، ويضربون فى طلبها شرق الأرض وغربها ، يحلون بها حلال الله ويحرمون بها حرامه ، ويميزون بها بين الحق والباطل ، والسنن والبدع ، ويستدلون بها على تفسير القرآن ومعانيه وأحكامه ويعرفون بها ضلالة من ضل عن الهدى ، فن رغب عنها فإنما يرغب عن آثار السلف وهديمهم ، ويريد مخالفتهم ليتخذ دينه هواه ، وليتأول كتاب الله برأيه ، خلاف ما عنى الله به . فإن كنتم من المؤمنين ، وعلى منهاج أسلافهم فاقبسوا العلم من آثارهم ، واقبسوا الهدى فى سبيله ، وأرضوا بهذه الآثار لإماما كما رضى بها القوم لأنفسهم إماما . فلعمري ما أنتم أعلم بكتاب الله منهم ، ولا مثلهم ، ولا يمكن الافتداء بهم إلا باتباع هذه الآثار على ما ترون . فن لم يقبلها فإنه يريد أن يتبّع غير سبيل المؤمنين ، وقال الله تعالى : (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما نوله ونصله جهنم وساءت مصيرا) [١١٥ / النساء] .

فقال قائل منهم : لا بل نقول بالمعقول ، قلنا هاهنا ضللتكم عن سواء السبيل ووقعتم فى تيه لا يخرج لكم منه لأن المعقول ليس لشي واحد ، موصوف بحدود ، عند جميع الناس فيقتصر عليه . ولو كان كذلك كان راحة للناس ولقلنا به ، ولم نعد ، ولم يكن الله تبارك وتعالى قال : (كل حزب بما لديهم فرحون) [٥٣ / المؤمنون] فوجدنا المعقول عند كل حزب ، مأم عليه ، والمجهول عندهم ما خالفهم ، فوجدنا فرقةكم معشر الجهمية فى المعقول مختلفين ، كل فرقة منكم تدعى أن المعقول

عندها ما تدعو إليه ، والمجهول ما خالفها .

فحين رأينا أن المعقول اختلف منا ومنكم ، ومن جميع أهل الاهواء ، ولم نقف له على حد بين في كل شيء . رأينا أرشد الوجوه وأهداها أن نرد المعقولات كلها إلى أمر رسول الله صلعم ، وإلى المعقول عند أصحابه المستفيض بين أظهرهم ، لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم ، فكانوا أعلم بشأويله منا ومنكم ، وكانوا مؤلفين في أصول الدين ، لم يفتروا فيه ، ولم يظهر فيهم البدع والاهواء الخائفة عن الطريق . فالمعقول عندنا ما وافق هديهم ، والمجهول ما خالفهم ولا سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم إلا هذه الآثار ، وقد انسلختم منها وانتقيتم منها بزعيمكم ، فأني تهتدون ؟

واحتج محتج منهم بقول مجاهد : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال : تنتظر ثواب ربها ، قلنا : نعم ، تنتظر ثواب ربها ، ولا ثواب أعظم من النظر إلى وجهه تبارك وتعالى . فإن أبيتم إلا تعلقا بحديث مجاهد هذا واحتجاجا به دون ما سواه من الآثار فهذا آية شذوذكم عن الحق ، واتباعكم الباطل ، لأن دعواكم هذه لو صحت عن مجاهد على المعنى الذي تذهبون إليه كان مدحوضا القول إليه ، مع هذه الآثار التي قد صحت فيه عن رسول الله صلعم وأصحابه وجماعة التابعين ، أو لستم قد زعتم أنكم لا تقبلون هذه الآثار ولا تحتجون بها ، فكيف تحتجون بالآثار عن مجاهد ؟ إذ وجدتم سبيلا إلى التعلق به لباطلكم على غير بيان وتركتم آثار رسول الله صلعم وأصحابه والتابعين ، إذ خالفتم مذهبكم ، فأما إذا أقرتم بقبول الآثار عن مجاهد ، فقد حكتم على أنفسكم بقبول آثار رسول الله صلعم وأصحابه والتابعين بعدهم ، لأنكم لم تسمعوا هذا عن مجاهد تأثرونه عنه بإسناد ، وتأثرون بأسانيد مثلاً ، أو أجود منها عن رسول الله صلعم وعن أصحابه والتابعين ما هو خلافه عنكم . فكيف ألزمت أنفسكم اتباع المشتبه من آثار مجاهد وحده . وتركتم الصحيح المنسوع من آثار رسول الله صلعم وأصحابه

ونظراء مجاهد من التابعين ، إلا من ريسة وشذوذ عن الحق ، إن الذى يريد الشذوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء ، ويتعلق بزلاتهم ، والذى يؤم الحق فى نفسه . يتبع المشهور من قول جماعتهم ، وينقلب مع جمهورهم ، فهما آيتان يفتان يستدل بهما على اتباع الرجل وعلى ابتداعه .

باب ذكر علم الله تبارك وتعالى

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن أبي حازم - يعنى عبد العزيز - عن العلاء بن عبد الرحمن الحرقي عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلعم قال : سبق علم الله فى خلقه فهم الصائرون إلى ذلك . حدثنا نعيم ، ثنا ابن المبارك ، ثنا الأوزاعي قال : أخبرنى ربيعة بن يزيد ، عن عبد الله بن الديلمي ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلعم يقول : جف القلم على علم الله عز وجل .

قال أبو سعيد : ومالنا نرى أن يبلغ غدا قوم فى تعطيل صفات الله ما بلغ بهذه العصابة ، عدلهم فى تعطيلها حتى أنكروا سابق علم الله فى خلقه ، وما الخلق عاملون قبل أن يعملوا : ثم قالوا : ما نقول : إن الله من فوق عرشه يعلم ما فى الأرض . ولكن علم الله هو الله بزعمهم ، والله بزعمهم فى كل مكان ، ليس له علم به يعلم ، ولا هو يسمع بسمع ، ولا يبصر ببصر ، إنما سمعه وبصره وعلمه بزعمهم شيء واحد ، فلا السمع عندهم غير البصر . ولا البصر غير السمع ، ولا العلم غير البصر ، هو كله بزعمهم سمع وبصر وعلم ، وهو بكلية فى كل مكان إن علم ، علم بكله وإن سمع سمع بكله ، وإن رأى رأى بكله . يزعمون أن علم الله ينزله النظر والمشاهدة ، لا يعلم بالشئ حتى يكون ، فإذا كان الشئ علم به ، علم كينونته ، لا يعلم لم يزل فى نفسه قبل كينونته .

ولكن إذا حدث الشئ كان هو عند الشئ ، ومعه الشئ بنفسه ، فإن أراد ذلك الشئ كان هو يدل الشئ بزعمهم فى مكانه فذلك إحاطة علم الله بالأشياء عندهم ،

لا أن يكون علم بشيء منها في نفسه قبل كينونته ، فتبارك الله رب العالمين وتعالى عما يصفون . هذا هو الرد لكتاب الله ، والجحود لآيات الله ، وصاحب هذا المذهب ، يخرج مذهب إلى مذهب الزندقة ، حتى لا يؤمن بيوم الحساب لأن الذي لا يقر بالعلم السابق بالاشياء قبل أن تكون يلزمه في مذهب أن لا يؤمن بيوم الحساب وقيام الساعة والبعث والثواب والعقاب لأن العباد إنما لزهم الإيمان بها ، لاخبار الله بأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأنه يحاسبهم يوم الحساب ، مثيبهم ومعاقبهم .

فإذا كان الله يزعمهم لا يعلم بالشئ حتى يكون كيف علم في مذهبهم بقيام الساعة والبعث ، ولم تقم الساعة بعد ولا تقوم الا بعد فناء الخلق وارتفاع الدنيا ؟ فإن أقروا الله بعلم قيام الساعة والبعث والحساب ، لزهم أن يقولوا له بعلم كل شيء بدونها . فإن أنكروا علم الله عز وجل بما دونها لزهم الانكار بها وقيامها ، وبالبعث والحساب ، لأن علمه بالساعة كعلمه بالخلق ، وأعمالهم ، سواء لا يزيد ، ولا ينقص ، فمن لم يؤمن بأحدهما ، لزمه أن لا يؤمن بالآخر ، وهي من أوضح الحجج ، وأشدّها على من رد العلم وأنكره .

واعلموا أن الله عز وجل لم يزل عالما بالخلق وأعمالهم ، قبل أن يخلقهم ، ولا يزال بهم عالما ، لم يزد في علمه بكيونة الخلق خردلة واحدة ، ولا أقل منها ولا أكثر ، ولكن خلق الخلق على ما كان في نفسه قبل أن يخلقهم ، ومن عنده بدأ العلم . وهو علم الخلق ما لم يعلموا ، فقال تبارك وتعالى : (علم الإنسان ما لم يعلم) [ه / العلق] وقال للملائكة (إني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) [٣٠ / البقرة] فبلغنا في تفسيره عن مجاهد قال : علم من إبليس المعصية وخلقها لها ، حدثناه نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد .

قال أبو سعيد : ولعمري ما علمت الملائكة بسفك الدماء ، والفساد غيبا من

قبل أنفسهم ، ولكن علمهم ذلك علام العيوب ، قبل أن يقولوا ، ولذلك ادعوا معرفته ، وقال أيضا : (علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) [٣٢ / البقرة] . فأخبر الله تبارك وتعالى أنه هو الذى علم آدم ، والملائكة العلم ، من غير أن يعلموا شيئا منه ، وأمرت الملائكة بذلك ، وردت العلم كله إلى من بدأ منه ، فقالوا : (لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) ، فهل علمهم إلا ما قد علمه قبل ذلك ؟ وقال فيما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم : (كان الله عليما حكيمًا) [١٧ / النساء] ، (عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) [٢٢ / الحشر] ، (أحاط بكل شيء علما) [١٢ / الطلاق] ، (يعلم ما يسرون وما يعلنون) [٧٨ / البقرة] ، (يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) [٣ / الأنعام] ، (يعلم السر وأخفى) [٧ / طه] ، قال ما لم تحدث به نفسك : (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) [١٩ / غافر] ، فأخبر الله سبحانه أنه كان العالم قبل كل أحد ، ومنه بدأ العلم ، قال : (ومن عنده علم الكتاب) [٤٣ / الرعد] ، وقال : (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم) [٦١ / آل عمران] ، جاءه العلم من الله وهو القرآن .

ثم أخبر بعلمه السابق فى عباده قبل أن يعلموا فقال : (أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) [٢٣ / الجاثية] الآية ، وقال : (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) [٣ / سبأ] ، وقال : (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب) [١١٦ / المائدة] ، (علم الله أنكم ستذكرونه) [٢٣٥ / البقرة] . (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله) [٢٠ / المزمل]

الآية وما أشبه هذا من كتاب الله كثير . ولو لم يكن في كتاب الله إلا حرف واحد لاكتفى به حجة بالغة ، فكيف والكتاب كله ينطق بنصه ، يستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير وتعرفه العامة والخاصة .

فلم يزل عليه الامة إلى أن نبغت هذه النابغة بين أظهر المسلمين فأعظموا في الله القول ، وسبوه بأقبح السباب ، وجعلوه ونفوا عنه صفاته التي بها يعرف ، صفة صفة ، حتى نفوا عنه العلم الاول ، السابق ، والكلام ، والسمع والبصر ، والامر كله ، ثم جعلوه كلا شيء فقالوا في الجملة : ما نعرف لها غير هذا الذي في كل مكان ، فإذا باد شيء صار مكانه .

فنظرنا في صفة معبودهم هذا ، فلم نجد بهذه الصفة شيئاً غير هذا الهواء القائم ، على كل شيء ، الداخِل في كل مكان ، فن قصد بعبادته إلى إله بهذه الصفة ، فإنما يعبد غير الله وليس معبوده ذاك بإله ، كفرانه لا غيراته .

فاحذروا هؤلاء القوم على أنفسهم وأهليكم ، وأولادكم ، أن يفتنوك ، أو يكثرُوا صدوركم بالمغاليط والأضاليل ، التي تشبه على جهالكُم ، فإن الله تعالى قال في كتابه : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) [٦ / التحريم] .

فإن جحد منهم جاحد ، وانتفى من بعض ما حكي لنا عنهم ، فلا تصدقوهم فإنه دينهم الذي يعتقدونه في أنفسهم ، لا يحدد ذلك منهم إلا متعوز مستتر ، أو جاهل بمذاهبهم لا يتوجه بشيء منها . فقد اعترف لنا بذلك بعض كبارهم أو بما يشبه معناها وأسندوا بعض ذلك إلى بعض المضلين من أشياخهم فإلى الله أشكو رأيا هذا تأويله وقوما هذا لإبطالهم لعلم ربنا .

والله لقد علمت الملائكة بما عليهم الله ما هو كائن من بني آدم من الفساد ،

وصفك الدماء قبل أن يخلقوا . فكيف خالقهم الذى علمهم ذلك فقالوا : (أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فقال : (لانى أعلم ما لا تعلمون) .

ووصف الله هذه الامة فى التوراة والإنجيل قبل أن يخلقوا بصفاتهم فكيف وصفهم من غير علم له بهم ؟ فقال : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل) [٢٩ / الفصح] ، قال : (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يحدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) [١٥٧ / الأعراف] ، فهل كان هذا الوصف من الله والإخبار عنه إلا بعلمه السابق فيهم ، فما قدروا أن يتعدوا هذه الصفات ، ولا يقصروا عن شئ مما وصفهم الله به قبل أن يكونوا .

وقال : (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) [١٠٥ / الأنبياء] فكتب ذلك بعلم قبل أن يرثوها ، وقال : (وقضينا لى بنى إسرائيل فى الكتاب : لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلمن علوا كبراً) [٤ / الإسراء] قضى عليهم فى الكتاب الإفساد فى الأرض قبل أن يفسدوا وقوله (وقضينا) قال مجاهد : كتبنا ، كذلك حديث نعيم بن حماد . عن ابن المبارك ، عن ابن جريح ، عن مجاهد . وقال : (لى الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) [١٠١ / الأنبياء] سبقت لهم الحسنى من الله قبل أن يخلقوا لعلم الله فيهم فما استطاعوا أن يتعدوا شيئاً علم الله فيهم . وقال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين لى أنهم لهم المنصورون ولى جندنا لهم الغالبون) [١٧٣ / الصافات] وأخبر عن أعمال قوم قبل أن يعملوها .

وقال : (وأمم سئمتهم ثم يمسم منا عذاب أليم) [٤٨ / هود] فأخبر الله تعالى بتمتعهم ومس العذاب لإياهم قبل أن يخلقوا . قال (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) [٢ / الجمعة] روى في بعض التفسير أنهم الأعاجم أخبر الله بدخولهم في الإسلام قبل أن يدخلوا . وقال لأهل بدر حين أخذوا الفداء من المشركين (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) [٦٨ / الأنفال] يقول لولا ما سبق لأهل بدر من السعادة لمسهم العذاب في أخذهم الفداء ، فلم يقدر أهل بدر أن لا يأخذوه ولو حرصوا على تركه . وقال : (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) [٩٧ / يونس] وقال : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) [٢٨ / الأنعام] .

وقال : (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) [١٦ / الدخان] وقال : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) [١٠ / الحشر] فسبقت لهم منه الرحمة قبل أن يخلقوا والدعاء لمن سبقهم قبل أن يدعوا . وقال : (فأسر بعبادى ليلا إنكم متبعون واترك البحر رهوا لأنهم جند مغرقون) [٢٤ / الدخان] فأخبر الله باتباعهم ولما غرقهم قبل أن يكون .

وقال : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) [١١٨ / هود] فأخبر باختلافهم قبل أن يختلفوا . وقال : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خاتمه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً) [٢٨ / الجن] وقال : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لآسمعهم ولو أسمعهم لتتولوا وهم معرضون) [٢٣ / الأنفال] ولكن علم منهم غير ذلك

فصاروا إلى ما علم منهم . وأخبر بعلمه في قوم فقال : (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) [٦ / البقرة] ، وأخبر عن قوم آخرين فقال : (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) [٧٥ / المؤمنون] .

فن آمن بكتاب الله ، وصدق رسل الله ، اكتفى ببعض ما ذكرنا في علم الله السابق في الخلق ، وأعمالهم قبل أن يعملوها ، ومن يحصى ما في كتاب الله وفي آثار رسول الله صلعم ، وأصحابه والتابعين في إثبات علم الله له والإقرار به ، ويكفي في معرفة ذلك أقل مما جمعنا ولكن جمعناها ليتدبرها أهل العقول والافهام فيعرفوا ضلالة هؤلاء الذين أخرجوا الله من العلم ونفوه عنه ، وجعلوه في العلم والمعرفة كالخلق سواء ، فقالوا : كما لا يعلم الخلق بالشئ قبل أن يكون فكذلك ، الله بزعمهم لا يعلم قبل أن يكون . فافضل (علام الغيوب) الذي (يعلم السر وأخفى) على المخلوق الذي لا يعلم شيئاً إلا ما علمه الله .

وهذا المذهب الذي أعوه (١) في علم الله قد وافقهم على بعضه بعض المعتزلة ، لأنه لا يبقى مذهب الفريقين جميعاً إلا يرد علم الله فكفى به ضلالاً ، ولأنهم حتى ما أقرؤا بعلم سابق خصموا . كذلك قال عمر بن عبد العزيز ، حدثنا نعيم بن حماد عن ابن المبارك عن معمر ، عن زيد بن ربيع الجزري ، عن عمر بن عبد العزيز قال : من أقر (٢) بالعلم فقد خصم .

قال أبو سعيد رحمه الله : فتأويل قولهم ومذهبهم أنه كلما حدث الله خلق حدث له بكيئوته علم ما لم يكن علمه . ففي تاريخهم هذا كان الله ولا علم له بزعمهم ، حتى جاء الخلق فأفادوه علماً ، فكلما حدث خلق حدث الله علم بزعمهم ،

(١) كذا في الأصل : وأله : أذاعوه ، أو ادعوه .

(٢) كذا في الأصل وأله : من لم يعرف .

فهو بما كان برزعمهم عالم ، وبما لم يكن غير عالم ، حتى يكون . فتعالى الله عما يصفون . قال الله عز وجل : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) [٣٤ / لقمان] الآية .

وقال : (قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين) [٢٦ / الملك] وقال : (قل إنما علمها عند ربى) [١٨٧ / الأعراف] وقال : (قال علمها عند ربى فى كتاب) . [٥٢ / طه] فكيف يحدث الله علم بكيونة الخلق ، وعلى علمه السابق فيهم خلقوا ، وبما كتب عليهم فى أم الكتاب يعملون ، لا يزيدون مثقال حبة ولا ينقصون . قال : (وكل شئ فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر) . [٥٢ / القمر] قال : (ولأنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) [٤ / الزخرف] وقال : (ومن عنده علم الكتاب) [٤٣ / الرعد] قال : (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) [٣٦ / التوبة] .

وقال : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) [٢٢ / الحديد] ، وقال : (ما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) [١١ / فاطر] ، (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير) [٧٠ / الحج] ، وقال : (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) [١٥٤ / آل عمران] ، فهل كتب هذه الأشياء قبل كينونتها إلا للعلم بها قبل أن تكون ؟

حدثنا سعيد بن أبى مريم المصرى : أنبأ الليث - وهو ابن سعد : حدثنى عبد الله بن حيان قال : حدثنى عبد الوهاب بن بخت - أو : ثعلبة الخثعمى - عن أبى أمانة الباهلى رضى الله عنه قال : أيها الناس لا يشبهه عليكم بأن الله علم علما وخلق

خلقا . فإن كان العلم قبل الخلق فالخلق يتبع العلم وإن كان الخلق قبل العلم ، فالعلم يتبع الخلق . قال ابن أبي مريم : وأخبرنا ابن لهيعة عن عبد الله بن حيان عن عبد الوهاب بن بخت عن أبي أمامة مثله .

قال أبو سعيد : فادعت هذه العصابة أن الخلق قبل العلم ، والعلم يتبع الخلق ، فأى ضلال أبين من هذا ؟ وقال رسول الله صلعم : (إن أول شيء خلق الله القلم فقال له : اكتب فكتب كل شيء يكون) قال أبو سعيد رحمه الله : فلم يدر والله القلم بما يجرى حتى أجراه الله بعلمه ، وعلمه ما يكتب بما يكون قبل أن يكون وقال رسول الله صلعم : (كتب الله مقادير أهل السموات والأرض قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة) فهل كتب ذلك إلا بما علم ؟ فإنا موضع كتاب هذا إن لم يكن علمه في دعواهم ؟ ثم الأحاديث عن رسول الله صلعم فيما يشبه هذا وعن أصحابه بجل كثيرة أكثر من أن يحصيها كتابنا هذا ، وسنأتي منها ببعض ما حذر إن شاء الله مع أننا نعلم أنهم يكذبون بإحاديث رسول الله صلعم ، ولا يؤمنون بها ، ولكن خير منهم ، وأطيب وأفضل وأعلم من الناس ، من يؤمن بها فينقيهم .

حدثنا نعيم بن حماد ، وأحمد بن جميل أن ابن المبارك أخبرهم : أنبا رباح بن زيد ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحدث أن رسول الله صلعم قال : (إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون) .

حدثنا عبد الله بن صالح المصري قال : حدثني الليث - يعني ابن سعد - عن أبي هاشم ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلعم يقول : (كتب الله مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا عبد الله بن بكر السهمي ، ثنا بشر بن نعيم ، عن القاسم ، عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلعم قال :

(خلق الله الخلق وقضى القضية ، وأخذ ميثاق النبيين وعرضه على الماء فأخذ أهل اليمين يمينه ، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى وكلتا يدي الرحمن يمين وقال : يا أصحاب اليمين ، قالوا : لبيك ربنا وسعديك ، قال : ألسنت بربكم ؟ قالوا : بلى ! ثم قال : يا أصحاب الشمال ، قالوا : لبيك ربنا وسعديك ، قال : ألسنت بربكم ؟ قالوا : بلى ، فخلط بعضهم ببعض فقال قائل : يارب لم خلطت بيننا ؟ قال (لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) إلى قوله : (إنا كنا عن هذا غافلين) ثم ردهم في صلب آدم ، قال : وقال رسول الله صلعم : خلق الله الخلق وقضى القضية ، وأخذ ميثاق النبيين وعرضه على الماء وأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها فقال قائل : يا نبي الله ما الأعمال ؟ قال : أن يعمل كل قوم لمنزلتهم ، فقال : إذا نجتهد ، قال : وسئل رسول الله صلعم عن الأعمال فقليل : يا رسول الله : أرايت الأعمال أهو شيء يؤتف أو فرغ منها ؟ قال : بل فرغ منها .

حدثنا نعيم بن حماد : ثنا ابن المبارك ، أنبأ المسعودي ، عن علي بن بذيمة عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل : (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال : خلق الله آدم فأخذ ميثاقه أنه ربه وكتب أجله ورزقه ومصائبه وأخرج ولده من ظهره كهيئة الذر فأخذ مواثيقهم أنه ربهم وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم .

حدثنا محمد بن كثير العبدى ، ثنا سفیان ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الله الأعلى ، عن عبد الله بن الحارث قال : خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (إن الله خلق أهل الجنة وما هم عاملون ، وخلق أهل النار وما هم عاملون فقال : هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه) .

حدثنا عمرو بن عون الواسطي : أنبأ أبو عوانة ، عن أنس بن بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلعم سئل عن أطفال المشركين فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم . حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك عن أيوب

عن الزهري عن عطاء ، عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا عمرو بن عون : أنبأ هشيم عن خالد — وهو الخذاء — عن عبد الله بن شقيق ، عن ابن أبي الجعداء قال : قال : يا رسول الله متى كتبت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد . قرأت على أبي اليمان أن أبا بكر بن أبي مريم الغساني حدثه عن سعيد بن سويد ، عن عرابض بن سارية السلمى رضى الله عنه قال : سمعت النبي صلعم يقول : (إني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته) .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبأ حيوة بن شريح قال : أخبرني أبو هانيء الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الجبلي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول : سمعت رسول الله صلعم يقول : (قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض) .

حدثنا سعيد بن أبي مريم المصرى قال : أخبرني الليث بن سعد قال : حدثني أبو قبيل عن شفى ابن مائع الأصبحى عن عبد الله عمرو قال : خرج علينا رسول الله صلعم ، وفي يده كتابان فقال : أتدرون ما هذان الكتابان ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، فقال للأيمن منها : هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم أجل على آخرهم ، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ، وقال للذى في يده اليسرى : وهذا كتاب بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ، فقال أصحاب رسول الله صلعم : ففلاى شئ يعمل إن كان هذا الأمر قد فرغ منه ؟ فقال رسول الله صلعم . سددوا وقاربوا ؟ فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيما عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيما عمل ، ثم قبض يديه وقال : فرغ ربكم من العباد ، ثم قال بيده اليمنى فتبذ بها فقال : فريق في الجنة ، وتبذ بالآخرى : فريق في السعير) .

قال أبو سعيد ، فمؤلا قد كتبهم الله بأسمائهم ، التي كان في علمه أن يسميهم بها آباؤهم وأمهاتهم قبل أن يخلقهم . فاقدر الآباء لتلك الأسماء تبديلا ولا استطاع إبليس عن هدى الله منهم تضليلا . ومثل رسول الله صلعم عن أطفال المشركين فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، فرد أمرهم إلى سابق علم الله فيهم قبل أن يخلقوا وقبل أن يعملوا .

وقال الله عز وجل : (إن ربكم هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) [١١٧ / الأنعام] وقال : (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) [٢٢ / النجم] . وقال رسول الله صلعم : (يكتب بين هينى المولود ما هولاق قبل أن يولد حتى النكبة ينكبها) .

حدثنا أحمد بن صالح المصرى ، ثنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب أن عبد الرحمن بن هنيذة حدثه أن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلعم : (إذا أراد الله عز وجل أن يخلق النسمة قال ملك الأرحام معرضا ، يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضى الله أمره ثم يكتب بين عينيه ما هولاق حتى النكبة ينكبها) .

حدثنا معاذ بن محمد بن كثير ، أنبا سفيان ، عن الثوري ، عن الأعشى ، ثنا زيد ابن وهب قال : ثنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : ثنا رسول الله صلعم وهو الصادق المصدوق : أن أحداكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات فيقول : اكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أو سعيد فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيغلب عليه الكتاب الذى سبق فيختم بعمل أهل النار فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيغلب عليه الكتاب الذى سبق فيختم بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة .

حدثنا أبو عمر الحوضي ، ثنا شعبة ، عن سليمان الاعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلعم وهو الصادق المصدوق ذكر نحوه قال : فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح .

حدثنا عثمان ابن أبي شيبة : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الفرقد ، قال : فأنا رسول الله صلعم فقمنا معه ومعه خضرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : ما منكم من أحد من نفس منقوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة أو النار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة قال : فقال رجل : يا رسول الله أفلا نتكل على كتاب ربنا ، وندع العمل فمن منا من أهل السعادة فيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، قال : اعملوا ؟ أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة ، ثم قرأ : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) إلى قوله : (فسيسره للعسرى) [١٠ / الليل] .

حدثنا نعيم ابن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبا شعبة بن الحجاج قال : أخبرني عاصم بن عبيد الله قال ، سمعت سالم بن عبد الله قال ، سمعت أبي يقول : سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول : سألت رسول الله صلعم فقلت : أرايت ما نعمل أفى أمر قد فرغ منه أم أمر مبتدع أو مبتدأ ؟ فقال : فيما قد فرغ منه ، فقال عمر ، أفلا نتكل ؟ فقال : اعمل يا ابن الخطاب فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فهو يعمل للسعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فهو يعمل للشقاء .

قال أبو سعيد رحمه الله : ومن فرغ منه إلا من قد علمه قبل أن يكون ومن يسره لما خلقهم له إلا من قد علم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم فسبحان من لا يستحق أحد أن يكون كذلك غيره وتعالى علوا كبيرا .

فيقال لمن رد ما ذكرنا من كتاب الله ، وهذه الأخبار ، ولم يقر الله بعلم سابق : أرأيت الله يعلم أن الساعة آتية ؟ فإن قال : لا ، فقد فارق قوله ، وكفر بما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكذب بالبعث ، وأخبرك أنه نفسه لا يؤمن بقيام الساعة ، وإن قال : يعلم الله أن الساعة آتية ، فقد أقر بكل العلم شاء أو أبى .

ويقال له أيضاً : أعلم الله قبل أن يخلق الخلق أنه خالقهم ؟ فإن قال : لا ، فقد كفر بالله العظيم ، وإن قال : بلى ، فقد أقر بالعلم السابق وانتقض عليه مذهبه في رد علم الله وهو منتقض عليه على زعمه .

باب الإيمان بكلام الله تبارك وتعالى

قال أبو سعيد : فانه المتكلم أولا وآخرآ لم يزل له الكلام ، إذ لامتكلم غيره ، ولا يزال له الكلام إذ لا يبقى متكلم غيره ، فيقول : (لمن الملك اليوم) أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ فلا ينكر كلام الله عز وجل إلا من يريد لإبطال ما أنزل الله عز وجل . وكيف يعجز عن الكلام من علم العباد الكلام وأنطق الأنام ؟ قال الله في كتابه : (وكلم الله موسى تكليما) فهذا لا يحتمل تأويلا غير نفس الكلام ، وقال لموسى : (إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي) وقال : (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) [٧٥ / البقرة] .

وقال : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) [١٥ / الفتح] ، وقال : (لا تبدلوا كلمات الله) [٦٤ / يونس] ، وقال : (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) [١١٥ / الأنعام] ، وقال : (وإن أحدهم المشركين امتعجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) [٦ / التوبة] ، وقال : (ولقد سبقت كل نبأ لعبادنا المرسلين) [١٧١ / الصافات] ، وقال : (فتلقى آدم من ربه كلمات) [٣٧ / البقرة] ، قال عبيد بن عمير الليثي في تفسيرها قال : قال آدم لربه وذكر خطيئته : رب شيء كتبته على قبل أن تخلقني أم شيء ابتدعته ؟ فقال : بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك ، قال : فكما كتبته على فاغفره لي ، قال : فهو لك الكلمات التي قال الله عز وجل : (فتلقى آدم من ربه كلمات) . حدثناه محمد بن كثير ، أنبأ سفيان — يعني الثوري — عن عبد العزيز بن رفيع قال : حدثني من سمع عبيد بن عمير يقول .

قال أبو سعيد : فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن آدم فقال : كان نبيا مكلما . وقال : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [٤٠ / النحل] ،

وقال : (سلام قولاً من رب رحيم) [٥٨ / يس -] ، وقال لقوم موسى حين اتخذوا العجل فقال : (أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا) [٨٩ / طه] ، وقال : (عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين) [١٤٨ / الاعراف] .

قال أبو سعيد : ففى كل ما ذكرناه تحقيق كلام الله وثبوت نصه بلا تأويل ، ففيسأ عاب الله به العجل فى عجزه عن القول والكلام ، بيان بين أن الله عز وجل غير عاجز عنه ، وإنه متكلم ، وقائل ، لأنه لم يكن يعيب العجل بشيء وهو موجود فيه . وقال إبراهيم : (بل فعله كبيرهم هذا فسلوهم إن كانوا ينطقون) [٦٣ / الأنبياء] الآية إلى قوله : (أفلا تعقلون) ، فلم يعب إبراهيم أصنامهم وآلهتهم التى يعبدون بالعجز عن الكلام إلا وإن له متكلم وقائل .

ففى ما ذكرنا من ذلك بيان بين لمن آمن بكتاب الله ، وصدق بما أنزل الله . وقال الله عز وجل : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفدت البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) [١٠٩ / الكهف] ، وقال : (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) [٢٧ / لقمان] ، وصدق وبلغ رسول الله صلعم : لو جمع مياه بحر السموات والأرض وعيونها ، وقطعت أشجارها أقلاماً لنفدت المياه ، وانكسرت الأقلام ، قبل أن تنفد كلمات الله ، لأن المياه والأشجار مخلوقة ، وقد كهب الله عليها الفناء عند مدتها والله حى لا يموت ، ولا يفنى كلامه ، ولا يزال متكلماً بعد الخلق ، كما لم يزل متكلماً قبلهم ، فلا ينفد المخلوق الفانى كلام الخالق الباقي الذى لا انقطاع له فى الدنيا والآخرة .

ولو كان على ما يذهب إليه هؤلاء الجهمية أنه كلام مخلوق ، أضيف إلى الله ، وأن الله عز وجل لم يتكلم بشيء قط ، ولا يتكلم بشيء قط ، لنفد كل مخلوق من الكلام ، قبل أن ينفد ماء بحر واحد من البحور ، لأنه لو جمع كلام خلق الله

كلهم من الجن والإنس والملائكة والطيور والبهائم كلها وجميع أعمالهم ، وكتب بماء بحر واحد من البحور لكتب كل ذلك ، ونفذ قبل أن ينفذ ماء بحر واحد ، ولا عشر ، عشر بحر واحد . ولكنه كلام لا انقطاع له ، فلا ينفذ ، مالا يفي ، وينقطع ما يبقى .

ثم الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فمن بعدهم جملة كثيرة متظاهرة بتحقيق كلام الله وتثبيتته ، وسنأتي منها ببعض ما حضر إن شاء الله .

حدثنا محمد بن كثير العبدى ، أنبأ إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلعم يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : ألا رجل يحملنى إلى قومه فإن قریشا قد منعونى أن أبلغ كلمات ربى ؟ حدثنا شهاب بن عباد الكوفى ، ثنا محمد بن الحسن بن أبى يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم ، من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ، ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه .

حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سالة ، ثنا حماد بن سلمة ، عن أشعث الحداني ، عن شهر بن حوشب أن رسول الله صلعم قال : إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه . حدثناه عقبة بن مكرم البصرى ، ثنا معلى بن أسد ، ثنا محمد بن سواء ، ثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن أشعث الحداني ، عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه .

حدثنا على بن المدينى ، ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الانصارى ثم السلى قال : سمعت طلحة بن خراش ابن الصمة الانصارى ثم

السلمى يقول : سمعت جابر بن عبد الله يقول : نظر إلى رسول الله صلعم فقال : يا جابر مالي أراك مهتما ؟ قال : قلت يا رسول الله استشهد أبي وترك ديننا عليه وعيالا ، فقال : ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا ، فقال يا عبدى تمن على أعطك قال : يارب تحبني فأقتل فيك الثانية . فقال الرب تبارك وتعالى : إنه سبق مني أنهم لما لا يرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورائي قال : فأنزل الله عز وجل : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) [١٦٩ / آل عمران] حتى أنفذ الآية .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد - يعني ابن سلمة - ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلعم قال : لقي آدم موسى فقال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده . ونفخ فيك من روحه ، وأسكنك الجنة ، وأسجد لك ملائكته ثم فعلت ما فعلت ، فأخرجت ذريتك من الجنة ؟ فقال آدم : يا موسى أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته وكلمك وقربك نجيا ، وآتاك التوراة فبكم تبحده كتب على العمل الذى عملت قبل أن يخلقني قال . بأربعين سنة ، قال . فيم تلومني يا موسى ؟ قال رسول الله صلعم : فحج آدم موسى فحج آدم موسى فحج آدم موسى .

حدثناه أبو سلمة ، ثنا حماد ، عن عمار بن أبي عمار قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يحدث عن النبي صلعم وحيد ، عن الحسن ، عن جندب ، عن النبي صلعم قال : لقي آدم موسى فذكر مثله إلا أنه قال : وكلبك وآتاك التوراة وقربك نجيا ؟ قال نعم ، قال : فأنا أقدم أم الذكر ؟ قال : الذكر ، قال رسول الله صلعم : فحج آدم موسى ثلاثا .

حدثناه أبو سلمة ، ثنا حماد بن سلمة ، ثنا أبو هرون عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن النبي صلعم وزاد فيه أن يا موسى أرايت ما علم الله أنه سيكون بد من أن يكون ؟ حدثناه عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي

صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم . احتج آدم وموسى عليها السلام فقال موسى : يا آدم أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، فقال له قولا كبيرا لا أحفظه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وكلبك تكليما تلومنى أن أعمل عملا قد كتبه الله على ، قال : فقال رسول الله صلعم فحج آدم موسى .

حدثنا الأصبغ بن الفرج المصرى قال : أخبرنى ابن وهب ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : أن موسى قال : يارب أرنا آدم الذى أخرجنا ونفسه من الجنة ، فأراه الله آدم فقال : أنت أبونا آدم ؟ فقال : نعم ، قال : الذى نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك ؟ قال : نعم ، قال : فما حملك على أن أخرجتنا من الجنة ونفسك ؟ فقال له آدم : ومن أنت ؟ قال : أنا موسى ، قال : أنت نبي بنى اسرائيل ؟ قال : نعم . قال : وأنت الذى كلمك الله من وراء الحجاب ، لم يعمل بينك وبينه رسولا من خلقه ؟ قال : نعم : قال : فهل وجدت فى كتاب الله أن ذلك كان فى كتاب قبل أن أخلق ؟ قال : بلى قال : فبم تلومنى على شيء سبق من الله عز وجل القضاء فيه قبل . فقال رسول الله صلعم عند ذلك : فحج آدم موسى صلوات الله عليها .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى ، أنبأ النضر بن شميل ، أنبأ أبو نعام العدوى ، ثنا أبو هنيذة البراء بن نوفل عن والان العدوى ، عن حذيفة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى حديث الشفاعة قال : قال رسول الله صلعم : فيأتون إبراهيم فيقول : ليس ذلكم عندى ، فانطلقوا إلى موسى فإن الله كلمه تكليما ، فيقول موسى : ليس ذلكم عندى .

حدثنا عبد الغفار بن داود الحرانى أبو صالح ، ثنا ابن لهيعة ، ثنا الحرث ابن يزيد ، عن على بن رباح ، عن رجل ، سمع عبادة بن الصامت يقول : أن النبى

صلى الله عليه وسلم خرج فقال : إن جبريل أتاني فقال : أخرج فحدث بنعمة الله التي نعم بها عليك فبشرني بعشر لم يؤتها نبي قبلي ، بعثني إلى الناس جميعا ، وأمرني أن أنذر الجن ، ولقائي كلامه ، وأنا أمي قد أوتى داود الزبور ، وموسى الألواح وعيسى الإنجيل .

حدثنا عبد الله بن صالح المصري أن معاوية بن صالح المصري حدثه ، عن أبي بكر — يعني ابن أبي مريم — عن عطية - وهو ابن قيس - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من كلام أعظم عند الله من كلامه ، ما رد العباد إلى الله كلاما أحب إليه من كلامه ، حدثنا سلام بن سليمان المدائني ، ثنا المسعودي عن أبي عمر بن عبيد بن الحسحاس ، عن أبي ذر رضى الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فجلست إليه فقلت : أى الأنبياء كان أولا ؟ قال : آدم ، قلت : ونبيا كان ؟ قال نعم نبيا مكلما .

حدثنا الربيع بن نافع ، ثنا معاوية - يعني ابن سلام - عن زيد - وهو ابن سلام - أنه سمع أبا سلام يقول حدثني أبو أمامة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يانبي الله أنبيا كان آدم ؟ قال : نعم مكلما ، قال : كم بينه وبين نوح ؟ قال : عشرة قرون .

حدثنا علي ابن المديني ، أنبا سفيان ، ثنا محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عن كريب ، عن ابن عباس ، عن جويرية بنت الحرث بن أبي ضرار ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم من عندها فخرج وهى في المسجد ثم رجع بعدما تعالى النهار فقال : ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد ؟ قلت نعم . فقال : لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزن بكلماتك وزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبا يونس عن الزهري قال : أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض .

حدثنا أبو عمر الحوضي : ثنا شعبة ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن خرشة بن الحر ، عن أبي ذر رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم ، قال : قلت : ومن هم خابوا وخسروا ؟ قال : فأعادها ثلاثا فقلت : من هم خابوا وخسروا ؟ قال : المسبل ، والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب أو الفاجر .

حدثنا محبوب بن موسى الأنطاكي : أنبأ أبو إسحق ، عن أبي حماد — يعنى الحنفى — ، قال أبو إسحق وكان من أوثق أهل زمانه ، عن ابن عقيل — وهو عبد الله بن محمد بن عقيل — قال : سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الشهداء كلهم يوم أحد فرجعت وأنا مثقل قد ترك أبي على ديننا وعيالا ، فلما كان عند الليل أرسل إلى رسول الله صلعم فقال : يا جابر إن الله قد أحيا أباك وكلبه ، قال : قلت : وكلامه كلاما ؟ فقال : قال : وكلبه كلاما ، فقال له : تمن ، قال : أتمنى أن ترد روحى وتنشر خلقى كما كان وترجعنى إلى نبيك ، فأقاتل فى سبيلك فأقتل مرة أخرى .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير عن ليث ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الزعراء قال : قال عمر رضى الله عنه : إن هذا القرآن كلام الله فلا أعرفنكم ما عطفتهموه على أهوائكم إلا أن يكفر به عبد عمداً .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : هدى وكلام فخير الكلام كلام الله وأحسن الهدى هدى محمد صلعم .

حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي أبو سعيد : ثنا أحمد بن بشر : ثنا مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق أن عبد الله قال : القرآن كلام الله فمن قال فيه فليعلم ما يقول ، فإنما يقول على الله .

حدثنا أحمد بن صالح المصري : ثنا ابن وهب قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : أخبرني علي بن حسين أن ابن عباس قال : أخبرني رجال من أصحاب النبي صلعم من الانصار أنهم بينما هم جلوس مع النبي صلعم رُمي بنجم فاستنار فقال رسول الله صلعم ما ذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمى بمثل هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم كنا نقول : ولد الليلة عظيم ومات عظيم ، فقال رسول صلعم : فإنها لا يرمى به الموت أحد ولا حياة أحد ، ولكن ربنا إذا قضى أمرًا سبغ حلة العرش ثم يسبغ أهل السماء الذين يلونهم ، ثم يسبغ الذي يلونهم حتى بلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ثم قال الذين يلون حلة العرش : ما قال ربكم ؟ فيخبرونهم بتسبيح أهل السموات حتى يبلغ الخبر أهل هذه السماء الدنيا فيتخطف الجن السمع فيذهبون به إلى أوليائهم فإذا جاءوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يرقون فيه يعني يقرفون .

حدثنا محمد بن بشار العبدى ، ثنا ابن أبي عدي عن شعبة ، عن سليمان الأعمش عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله رضى الله عنه قال : إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات صلصلة كجمر السلسلة على الصفوان . قال : فيفزعون يرون أنه من أمر الساعة (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير) [٢٣ / سبأ]

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحرث ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن الله عز وجل إذا تكلم بالوحى سمعوا مثل سلسلة الحديد على الصفوان فخروا سجدا ف (إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير) ثم ينزل الشيطان إلى الأرض فيزيد فيها سبعين كذبة .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال بن يساف عن فروة بن نوفل قال : كنت جارا لحباب رضى الله عنه فخرجنا معه يوما إلى الجمعة فأخذ يبدى فقال : يا هناه تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه .

حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني يونس ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله عن حديث عائشة حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله منه ، وبعض حديثهم يصدق بعضاً وإن كان بعضهم أوعى من بعض ، زعموا أن عائشة رضى الله عنها قالت : لشأنى كان أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله فىّ بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئني الله بها .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك : أنبا يونس من الزهرى ، عن طارق ابن مخاش عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بلديغ فقال : لو قال : (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) لم تضره . حدثنا الجرجسى يزيد ابن عبد ربه : ثنا بقية الزبيدي عن الزهرى عن طارق بن مخاش ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلديغ لدغته عقرب فقال : لو قال : (أعوذ بكلمات الله التامات) لم يلدغ ، أو لم تضره .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد عن محمد بن إسحق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع : (أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون) .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير عن محمد بن إسحاق بإسناده إلا أنه قال : من غضبه وعقابه وشر عباده . حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير عن منصور بن المعتمر ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ حسنا وحسينا : أعيدكما بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . وكان يقول : كان أبوكما يعوذ بها إسماعيل وإسحاق .

حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ، ثنا محمد بن شعيب عن عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن أبي ذر رضى الله عنهما قال : قلت : أى النبيين أولا يا رسول الله ؟ قال : آدم ، قلت : أو نبيا كان ؟ قال : نعم ، مكلم خلقه الله بيده ، وكتبه قسبلا ، فقال : (اسكن أمت وزوجك الجنة) [٣٥ / البقرة] .

حدثنا عمر بن عون : أنبا أبو معاوية عن الاعمش ، عن خيشمة ، عن عدى ابن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان .

حدثنا أبو عمر الحوضي ، ثنا شعبة عن علي بن هدرك ، عن أبي زرعة بن عمرو ابن جرير ، عن خرشة بن الحر ، عن أبي ذر رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكهم ، ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، أو الفاجر .

حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، ثنا معن ، ثنا عبد الله بن عبد الله أبو أريس ، عن قرئع الغطفاني ، عن عقبة بن بشير بن المغيرة بن بشير الأسدي قال : سألت محمد بن علي بن الحسين الهاشمي ، قال : قلت : يا أبا جعفر من أول من تكلم بالعربية ؟ قال : إسماعيل بن إبراهيم النبي وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة ، قلت : فما كان كلام الناس قبل ذلك ؟ قال : العبرانية ، قلت : فما كان كلام الله الذي أنزله على رسله وعباده ذلك الزمان ؟ قال : العبرانية . قرأت على أبي اليمان قلت : أخبركم شعيب عن الزهري قال : أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام أنه أخبره جزء ابن جابر الحنصلي ، أنه سمع كعب الأحبار

يقول : لما كلم الله موسى بالالسنه كلها قبل لسانه طفق موسى يقول : أى رب ما أفقه هذا ، حتى كلمه آخر الالسنه بلسانه بمثل صوته يعنى بمثل لسان موسى وبمثل صوت موسى .

حدثنا محمد بن عثمان التتوخى أبو الجماهر ، ثنا سعيد بن بشير عن قتادة في قوله تعالى (إن الذين كفروا بالذكر) [٤١ / فصلت] بالقرآن (لما جاءهم وأنه لكتاب عزيز) أعزه الله لأنه كلامه (لا يأتيه الباطل) [٤٢ / فصلت] وهو إبليس لا يستطيع أن ينتقص منه حقاً أو يزيد فيه باطلاً .

قال أبو سعيد رحمه الله : فهذه الأحاديث قد رويت وأكثر منها ما يشبهها كلها موافقة لكتاب الله في الإيمان بكلام الله ، ولولا ما اخترع هؤلاء الزائفة من هذه الأغلوطات ، والمعاني يردون بها صفات الله ويبدلون بها كلامه لكان ماذكر الله في كتابه كافياً لجميع الأمة مع أنه كيـل شاف إلا لمتأول ضلال أو متبع ريبة .

فحين رأينا ذلك ألفنا هذه الآثار عن رسول الله صلعم وأصحابه والتابعين من بعدهم ليعلم من بقى من الناس أن من مضى مع الأمة لم يزالوا يقولون في ذلك كما قال الله عز وجل ، لا يعرفون له تأويلاً غير ما يتلى من ظاهره ، أنه كلام الرحمن تبارك وتعالى ، حتى نبغ هؤلاء الذين اقتربوا لرد كتاب الله عز وجل ، وتمطيل كلامه ، وصفاته المقدسة ، بهذه الأغلوطات التي لو ظهرت على عهد رسول الله صلعم وأصحابه ما كان سبيل من يظهرها بينهم إلا كسبيل أهل الردة ، أو لها هذه الكلمة الملعونة التي فارقوا بها جميع أهل الصلاة فقالوا : (كلام الله مخلوق) . والحجج عليهم من رد ما أتوا به ما ذكرنا من كتاب الله ، وروينا من آثار رسول الله صلعم ومن بعده .

ثم عليهم حجج كثيرة من الكلام والنظر لا نحب ذكر كثير منها تخوفاً أن لا تحتملها قلوب ضعفاء الناس ، ولكن يكفي من نظر فيما ذكرنا من كتاب الله

عز وجل وروينا من هذه الآثار أن يعلم أن مخالفة هؤلاء الأمة قديما وحديثا فيقول لهم : وجدنا الله تعالى ورسوله صلعم ، والأمة بعده ، سموه كلام الله ، وزعمتم أنتم أنه خلق الله ، فكفى بهذا مخالفة لله ورسوله ، وللأمة من بعده ، أو إلتوا فيه بكتاب ناطق ، أو أثر عن رسول الله صلعم ، أو أحد من أهل العلم أنه مخلوق ، ولن تأتوا به أبداً ، وكيف تأثرون الكفر عن رسول الله صلعم ، وأصحاب رسول الله صلعم ، وأهل الاسلام بعدهم .

فذهب بعضهم يحتج بتفسير مقلوبة ، وبمعان لا أصل لها من كتاب ، ولا سنة ، ولا إجماع ، إلا الكفر يقينا . قلت لبعضهم : دعوا هذه الأغلوطات التي نحن بها أعلم منكم ، ولن ينزلكم الله من كتابه بالمنزلة التي يعتمد فيها على تفسيركم أو يقبل فيها شيء من آرائكم . وقد أتيناكم به منصوصا عن الله وعن رسوله وعن الأمة بأجمعها أنه كلام الله حقا ، فهاثوا عن أحد منهم منصوصا أنه خلق الله كما ادعيتم وإلا فإنتم المفارقون لجماعة المسلمين قديما وحديثا ، الملمحدون في آيات الله ، المفترون على الله ، وعلى كتابه ، ورسوله ، ولن تأتوا عن أحد منهم .

أرأيتم قولكم إنه مخلوق ، فما بدء خلقه ؟ قال الله له : كن ، فكان كلاما قائما بنفسه بلا متكلم به ؟ فقد علم الناس إلا من شاء الله منهم أن الله عز وجل ، لم يخلق كلاما يرى ويسمع بلا متكلم فلا بد أن تقولوا في دعواكم (الله المتكلم بالقرآن) فأضفتموه إلى الله فهذا أجور الجور ، وأكذب الكذب ، أن تضيفوا كلام المخلوق إلى الخالق ، ولو لم يكن كفرا كان كذبا لاشك فيه فكيف وهو كفر ، لاشك فيه ، لا يحق للمخلوق يؤمن بالله واليوم الآخر أن يدعى الربوبية ويدعو الخلق إلى عبادته فيقول : (إني أنا الله لا إله إلا أنا فأعبدني) [١٤ / طه] (وإني أنا ربك) [١٢ / طه] (وأنا اخترتك) [١٢ / طه] ، (واصطنعتك لنفسى اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنفيا في ذكرى) [٤٢ / طه] ، (إني معكم أسمع وأرى) [٤٦ / طه] ، (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [٥٦ / الذاريات] ، (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين

وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) [٦١/يس-] قد علم الخلق إلا من أضله الله أنه لاحق لاحد أن يقول هذا ، وما أشبهه غير الخالق بل القائل به ، والداعى إلى عبادته غير الله كافر كفرعون الذى قال (أنا ربكم الأعلى) [٣٤/النازعات] والمجيب له والمؤمن بدعواه أ كافر وأ كذب . وإن قلتم إنه تكلم به مخلوق ، فأضفناه إلى الله لأن الخلق كلهم بصفاتهم ، وكلامهم لله .

فهذا المحال ، الذى ليس وراءه محال ، فضلا على أن يكون كفرا لأن الله عز وجل لم ينسب شيئا من الكلام كله إلى نفسه ، أنه كلام غير القرآن ، وما أنزل على رسله . فإن قد تم كلامكم ولزمتوه لزمكم ، أن تسموا الشعر ، وجميع الغناء والنوح وكلام السباع والطيور والبهائم كلام الله ، فهذا ما يختلف المصاؤون فى بطوله واستحالته .

فما فضل القرآن إذا عندكم على الغناء والنوح والشعر إذ كان كله فى دعواكم كلام الله ؟ فكيف خص القرآن بأنه كلام الله ونسب كل كلام سواه إلى قائله ؟ فكفى بقوم ضلالا ، أن يدعوا دعوى لا يشك الموحدون فى بطوله واستحالته . وما يزيد دعواكم تكذيبا واستحالة ويزيد المؤمنين بكلام الله إيمانا وتصديقا ، أن الله عز وجل قد ميز بين من كلم من رسله وبين من لم يكلم ومن يكلم من خلقه فى الآخرة ومن لم يكلم فقال : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم ، من كلم الله ورفع بعضهم درجات) [٢٥٣/البقرة] فيز بين من اختصه بكلامه ، وبين من لم يكلمه ، ثم سعى عن كلم موسى فقال : (وكلم الله موسى تكليما) .

فلو لم يكلمه بنفسه إلا على تأويل ، ما ادعيت ، فما فضل ما ذكر الله من تكليمه إياه على غيره من لم يكلمه ، إذ كل الرسل فى تكليم الله إياهم مثل موسى ، وكل عندكم لم يسمع كلام الله ، فهذا محال من الجحجج ، فضلا أن يكون ردا لكلام الله .

وتكذيباً لكتابه ، ولم يقل : (منهم من كالم الله) إلا وأن حالاتها مختلفتان في تكليم الله إياهم . فما يزيد ذلك تحقيقاً قوله : (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله) [٧٧ / آل عمران] يعنى يوم القيامة ففي هذا بيان بين أنه لا يعاقب قوما يوم القيامة بصرف كلامه عنهم ، إلا وأنه مشيب بتكليمه قوما آخرين .

ثم قد ميز رسول الله صلى الله عليه وسلم بين من يكلمه الله يوم القيامة ، وبين من لا يكلمه فمن ذلك ماروينا في هذا الباب عن عدى بن حاتم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ، والحديث الآخر ماروينا عن أبي ذر رضى الله عنه قال : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة .

ففى هذين الحديثين أيضاً بيان بين على نفس كلام الله عز وجل ، أنه يكلم أقواماً ، ولا يكلم آخرين . ولو كان كما ادعيت كان المثاب بكلام الله ، والمعاقب به المحصوف عنه سواء عندكم ، ألا ترى أن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن آدم صلوات الله عليه أنبيا كان ؟ قال : نعم مكلماً ، فهذا ينتبك أنه أراد نفس كلام الله لا كلام من سواه ، ولو كان مكلماً بكلام المخلوقين في دعواكم لم يكن فيه كبير فضيلة لآدم على غيره من الخلق ، لأن عامة الخلق يكلم بعضهم بعضاً فهم مكلبون فما فضل آدم في هذا عندكم على من سواه من ذريته ؟ وقد قال تبارك وتعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه لأنه هو التواب الرحيم) .

باب الاحتجاج للقرآن أنه غير مخلوق

قال أبو سعيد رحمه الله : فمن ذلك ما أخبر الله تعالى في كتابه عن زعيم هؤلاء الأَكْبَر وإمامهم الأَكْفَر الذى ادعى أولاً أنه مخلوق : وهو الوحيد واسمه الوليد ابن المغيرة فأخبر الله عن الكافر دعواه فيه ، ثم أنكر عليه دعواه وردها عليه ووعده النار أن ادعى أن قول الله قول البشر ، وقوله (إن هذا إلا قول البشر) [٢٥ / المدثر] وقول هؤلاء الجهمية (هو مخلوق) واحد لا فرق بينهما :

فبئس التابع وبئس المتبوع ! قال الله تعالى : (ذرني ومن خلقت وحيدا) [١١ / المدثر] إلى قوله : (ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سألصليه مقرر) [٢٦ / المدثر] يعني أنه ليس بقول البشر كما ادعى الوليد ولكنه قول الله عز وجل .

فحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا ابن نمير ، ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر قال : سمعت أبي يذكر عن مجاهد في قوله : (ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا) [١٢ / المدثر] قال : ذلك الوليد بن المغيرة المخزومي والمال المدود ألف دينار ، والبنين الشهود عشرة بنين قال : فلم يزل النقصان في ماله وولده حين تكلم بما تكلم حتى مات .

قال أبو سعيد ، وكذلك صار لاتباعه الذين تلقفوا منه هذه الكلمة خزي وتباب في كل شيء من أمرهم .

وبما نحتاج به أيضا عليهم من كتاب الله عز وجل ، قول الله عز وجل : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [٨٨ / الإسراء] وقوله : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) [٢٤ / البقرة] تشيئا أنهم لا يفعلونه أبدا وقوله : (فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعم من دون الله إن كنتم صادقين) [١٣ / هو] ففي هذا بيان بين أن القرآن خرج من الخالق لا من المخلوقين ، وأنه كلام الخالق لا كلام المخلوقين ، ولو كان كلام المخلوقين ومنهم ، لقدرة المخلوق الآخر أن يأتي بمثله أو بأحسن منه ، لانه لم يتكلم مخلوق بحق وباطل من الشعر أو الخطب أو المواعظ أو من كلام الحكمة أو غير ذلك إلا وقد أتى بمثله أو بأحسن منه نظراؤه ، من هم في عصره ، أو من بعده .

فهذا قد ثبت الله عليه الشهادة أنه لا يأتي بمثله جن ولا إنس لانه منه ، وصدق

الله وبلغ رسوله لم يأتوا بمثله منذ مأتى وخمسين سنة (١)، ولا يأتون بمثله إلى خمسين ألف سنة فكيف يفعلونه ، وقد قال الله عز وجل : (لن تفعلوا) و (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ؟ ففى هذا بيان بين أنه كلام الخالق نفسه نه غير مخلوق .

وعما نحتاج به عليهم أنه غير مخلوق من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) .

حدثنا به شهاب بن عباد العبدى الكوفى ، ثنا محمد بن الحسن بن أبى يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) .

حدثنا عقبه بن مكرم البصرى ، ثنا معلى بن أسد ، ثنا محمد بن سواء ، ثنا سعيد ابن أبى عروبة عن أشعث الحداني عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه) وحدثني محمد بن حميد الرازى ، حدثنا إسحق بن سليمان الرازى ، ثنا الجراح بن الضحاك السكندى عن علقمة بن مرثد عن أبى عبد الرحمن عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه) قال أبو عبد الرحمن : فهذا الذى أجلسنى هذا المجلس ، وفضل القرآن على سائر الكلام ، كفضل الخالق على المخلوق ، وذلك أنه منه .

قال أبو سعيد ، ففى هذه الأحاديث بيان أن القرآن غير مخلوق لأنه ليس شىء من المخلوقين من التفاوت فى فضل ما بينها كما بين الله وبين خلقه فى الفضل ، لأن فضل ما بين المخلوقين يستدرك ، ولا يستدرك فضل الله على خلقه ، ولا يحصىه أحد ، وكذلك فضل كلامه على كلام المخلوقين ، ولو كان كلاما مخلوقا لم يكن فضل

ما بينه وبين سائر الكلام كفضل الله على خلقه ولا كعشر عشر جزء من ألف ألف جزء ولا قريبا ولا قريبا فافهموه ، فإنه ليس كمثل شيء ، فليس ككلامه كلام ، ولن يؤتى بمثله أبدا .

حدثنا سعيد بن أبي مرزيم المصري ، ثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد ابن أبي هلال ، عن ثابت بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوى كدوى النحل يقول : يارب منك خرجت وإليك أعود أتلى ولا يعمل بي . سمعت إسحق بن إبراهيم الحنظلي يقول : قال سفيان بن عيينة قال عمرو بن دينار ، أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق ، وما سواه مخلوق ، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود .

حدثنا علي بن المديني ، ثنا موسى بن داود : ثنا معبد ، قال : قال علي - وهو ابن راشد - عن معاوية بن عمار قال : قيل لجعفر بن محمد ، القرآن خالق أو مخلوق ؟ قال : ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله . حدثنا محمد بن منصور الذي يقال له الطوسي من أهل بغداد ، وكان ثقة قال : حدثني علي بن مضاء مولى خالد القسري قال سمعت ابن المبارك بالمصيصة وسأله رجال عن القرآن فقال : هو كلام الله غير مخلوق .

وحدثنا محمد بن منصور قال ، حدثني علي بن المضاء قال : سمعت بقيق بن الوليد يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق . وحدثنا محمد بن منصور ، ثنا علي بن المضاء قال : سمعت عيسى بن يونس يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق . حدثنا محمد بن منصور ، ثنا علي بن المضاء قال : سمعت القاسم الجزري يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق .

حدثنا محمد بن منصور ، ثنا علي بن المضاء ، ثنا هشام بن بهرام قال : سمعت المعافى بن عمران يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، قال هشام ، وأنا أقول كما

قال المعافى، قال على : وأنا أقول كما قال هشام ، قال محمد بن المنصور : وأنا أقول كما قالوا خمسين مرة .

قال أبو سعيد : وأنا أقول كما قالوا سبعين مرة ، قال القرشي : وأنا أقول كما قالوا ، قال الأزدي : وأنا أقول كما قالوا عدد أيام الدهر ، من أوله إلى آخره ، وبه ألقى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم : قال أبو روح : وأنا أقول بعدد من يبصر ومن لا يبصر ، وقال شيخنا أبو عبد الله : وأنا أقول بعدد جميع الخلائق . سمعت محمد بن منصور يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام حدثنا ما استخلف جعفر فقلت له : إن أنا ما يقولون : القرآن مخلوق ، فقال بوجهه ، هكذا كأنه أعرض ، فقلت : أليس كلام الله غير مخلوق ؟ قال : نعم ، ثم قلت له مرة أخرى ، فقال : نعم .

حدثنا عبد الله بن صالح المصري ، ثنا يحيى بن يوب عن عبيد الله بن أبي جعفر عن رجل من شيوخ أهل مصر أنه حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : القرآن أحب إلى الله من السموات والأرض وما فيهن .

قال أبو سعيد : فهذا ينبغي أن يكون كلام الله ، وأنه غير مخلوق ، لأن الله عز وجل لم يخلق كلاماً إلا على لسان مخلوق . فلو كان القرآن مخلوقاً كما يزعم هؤلاء الممطون كان إذا من كلام المخلوقين ، وكل هذه الروايات والحكايات والشواهد والدلائل ، قد جاءت وأكثر منها في أنه غير مخلوق . ثم أحاطة علم العلماء وعقول العقلاء بأن كلام الخالق لا يكون مخلوقاً ، أبداً إذا كان في دعواهم قبل أن يخلق الكلام منقوصاً مضطراً إلى الكلام حتى خلقه ، وكلت ربوبيته وتمت وحدانيته بمخلوق في دعواهم .

باب الاحتجاج على الواقعة

قال أبو سعيد رحمه الله : ثم إن أناسا ممن كتبوا العلم بزعمهم ، وادعوا معرفته وقفوا في القرآن فقالوا : لا نقول : « مخلوق هو ، ولا « غير مخلوق » ، ومع وقوفهم هنا لم يرضوا حتى ادعوا أنهم ينسبون إلى البدعة من خالفهم ، وقال بأحد هذين القولين . فقلنا لهذه العصابة :

أما قولكم « مبتدع » ، فظلم وحيف في دعواكم حتى تفهموا الأمر وتعقباوه ، لأنكم جهلتم أى الفريقين أصابوا السنة والحق ، فيكون من خالفهم مبتدعة عندكم ، والبدعة أمرها شديد ، والمنسوب إليها سوء الحال ، بين أظهر المسلمين ، فلا تعجلوا البدعة ، حتى تستيقنوا وتعلوا أحقا قال أحد الفريقين أم باطلا .

وكيف تستعجلون أن تنسبوا إلى البدعة أقواما في قول قالوه ، ولا تدرون أنهم أصابوا الحق في قولهم ذلك أم أخطأوه ؟ ولا يمكنكم في مذهبكم أن تقولوا لواحد من الفريقين : لم تصب بقولك ، وليس كما قلت .

فمن أسفه في مذهبه وأجهل من ينسب إلى البدعة أقواما يقول : لا ندرى أهو كما قالوا أم ليس كذلك ، ولا يأمن من مذهبه أن يكون أحد الفريقين أصابوا الحق والسنة فسامهم مبتدعة ، ولا يأمن في دعواه أن يكون الحق باطلا ، والسنة بدعة ، هذا ضلال بين وجهل غير صغير .

وأما قواكم : « لا ندرى مخلوق هو م غير مخلوق » ، فإن كان ذلك منكم قلة علم به ، وفهم ، فإن بيننا وبينكم فيه النظر ، بما يدل عليه الكتاب والسنة ويحتمل العقول . وجدنا الأشياء كلها شيئين : الخالق بجميع صفاته ، والمخلوقين بجميع

صفاتهم ، فالخالق بجميع صفاته غير مخلوق ، والمخلوق بجميع صفاته مخلوق : فانظروا في هذا القرآن فإن كان عندكم صفة المخلوقين ، فلا ينبغي أن تشكوا في المخلوقين ، وفي كلامهم ، وصفاتهم أنها مخلوقة كلها لاشك فيها ، فيلزمكم في دعواكم حينئذ أن تقولوا كما قالت الجهمية ، فلتستريحوا من القال والقال فيه ، وتغيروا عن ضمايركم وإن كان عندكم هو صفة الخالق وكلامه حقا ، ومنه خرج ، فلا ينبغي لمصل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يشك في شيء من صفات الله وكلامه الذي خرج منه أنه غير مخلوق .

هذا واضح لا لبس فيه إلا على من جهل العلم مثالكم ، وما فرق بينكم وبين من قال : (هو مخلوق) إلا يسير ، يزعم أولئك أنه كلام الله مضاف إليه مخلوق ، وزعمتم أنتم أنه كلام الله ، ولا تدرون مخلوق هو أو غير مخلوق ، فإذا لم تدروا لم تأمنوا في مذهبكم أن يكون أولئك الذين قالوا مخلوق قد أصابوا من قولكم فكيف تنسبونهم إلى البدعة وأنتم في شك من أمرهم ؟ فلا يجوز لرجل أن ينسب رجلا إلى بدعة بقول أو فعل حتى يستيقن أن قوله ذلك وفعله باطل ، ليس كما يقول .

فلذلك قلنا : إن فرق ما بينكم يسير ، لأن أولئك ادعوا أنه مخلوق ، وزعمتم أنتم أنه كلام الله ، ومن زعم أنه غير مخلوق ، فقد ابتدع ، وضل في دعواكم ، فإن كان الذي يزعم أنه غير مخلوق مبتدعا عندكم ، لا تشكون فيه ، أنه لمخلوق عندكم حقا لا شك فيه ، ولكن تستترون من الافتضاح به مخافة التشنيع ، وجعلتم أنفسكم جنة ودُّلسة للجهمية عند الناس تصوبون آراءهم وتحسنون أمرهم وتنسبون إلى البدعة من خالفهم .

والحجة على هذه العصابة أيضا جميع ما احتججنا به من كتاب الله في تحقيق كلام الله ، وما رويناه فيه من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فن بعده : أن

القرآن نفس كلام الله وأنه غير مخلوق . فهي كلها داخلة عليهم ، كما تدخل على الجهمية ، لأن كل من آمن بالله وصدق في قوله : (وإن أحد من المشركين استجار فأجره حتى يسمع كلام الله) ، وفي قوله : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ، فأيقن بأنه كلامه حقاً كما سماه أصدق القائلين ، لزمه الإيمان بأنه غير مخلوق لأن الله تبارك وتعالى لم يجعل كلاماً مخلوقاً لنفسه صفة ، وكلاماً ، ولم يضاف إلى نفسه كلام غيره ، لأنه أصدق القائلين ، ولا يقاس (كلام الله) بـ (بيت الله) و (عبد الله) و (خلق الله) و (روح الله) لأن الخلق ليس من الله ، ولا من صفاته ، وكلامه صفته ، ومنه خرج فلا يضاف إلى الله من الكلام إلا ما تكلم به ، ولو جاز أن ينسب كلام مخلوق إلى الله فيكون لله كلاماً ، وصفة كما يضاف إليه (بيت الله) و (عبد الله) لجاز أن تقول : كل ما يتكلم به أنا الليل والنهار ، من حق ، أو باطل ، أو شعر ، أو غناء ، أو نوح كلام الله ، فما فضل القرآن في هذا القياس على سائر كلام المخلوقين ، إن كله ^(١) ينسب إلى الله ويقام لله صفة وكلاماً في دعواكم ؟ فهذا ضلال بين مع أنا قد كفينا مؤنة النظر بما في كتاب الله من البيان ، وفي الآثار من البرهان ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قال أبو سعيد رحمه الله : احتججنا بهذه الحجج ، وما أشبهها على بعض هؤلاء الواقعة ، وكان من أكبر احتجاجهم علينا في ذلك أن قالوا : إن ناساً من مشيخة رواة الحديث الذين عرفناهم عن قلة البصر بمذاهب الجهمية ، سئلوا عن القرآن فقالوا : لا نقول فيه بأحد القولين ، وأمسكوا عنه إذ لم يتوجهوا المراد القوم ، لأنها كانت أغلوطة وقعت في مسامعهم ، لم يعرفوا تأويلها ، ولم يبتلوا بها قبل ذلك فكفوا عن الجواب فيه وأمسكوا . فحين وقعت في مسامع غيرهم من أهل البصر بهم ، وبكلامهم ، ومرادهم من جالسهم وناظرهم ، وسمعوا قبح كلامهم مثل من سمي ، مثل جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، وابن المبارك ، وعيسى بن يونس ، والقاسم الجزري ، وبقية بن الوليد ، والمعاني بن عمران ، ونظرائهم من

(١) كذا في الأصل وأمله : إن كان كله .

أهل البصر بكلام الجهمية ، ولم يشكوا أنها كلمة كفر ، ون القرآن نفس كلام الله ، كما قال تبارك وتعالى وأنه غير مخلوق ، إذ رد الله على الوحيد قوله ، أنه قول البشر ، وأصله عليه سقر فصرّ حوا به على علم ومعرفة ، أنه غير مخلوق والحجة بالعارف بالشئ ، لا بالغافل عنه القليل البصر به .

وتعلق هؤلاء فيه بإمسك أهل البصر ، ولم يلتفتوا إلى قول من استنبطه وعرف أصله . فقلنا لهم : إن يك كجبن هؤلاء الذين احتججتم بهم من قلة بصر ، فقد اجتراً هؤلاء وصرحوا ببصر ، وكانوا من أعلام الناس ، وأصل البصر ، بأصول الدين ، وفروعه ، حتى أكفروا من قال : (مخلوق) غير شاكين في كفرهم ولا مرتابين فيهم .

باب الاحتجاج في إكفار الجهمية

قال أبو سعيد رحمه الله : ناظرني رجل يبغداد منافحا عن هؤلاء الجهمية فقال لي : بأية حجة تكفرون هؤلاء الجهمية ، وقد نهى عن إكفار أهل القبلة ؟ بكتاب ناطق تكفروهم أم بأثر أم بإجماع ؟ فقلت : ما الجهمية عندنا من أهل القبلة ، وما تكفروهم إلا بكتاب مسطور ، وأثر مأثور ، وكفر مشهور .

أما الكتاب فما أخبر الله عز وجل عن مشركي قريش من تكذيبهم بالقرآن ، فكان من أشد ما أخبر عنهم من التكذيب أنهم قالوا : هو مخلوق ، كما قالت الجهمية سواء . قال الوحيد وهو الوليد بن المغيرة المخزومي (إن هذا إلا قول البشر) وهذا قول جهم : إن هذا إلا مخلوق . وكذلك قول من يقول بقوله وقول من قال (إن هذا إلا إفك افتراء) [٤ / الفرقان] و (إن هذا إلا أساطير الأولين) [٢٥ / الأنعام] و (إن هذا إلا اختلاق) [٧ / ص] معناه في جميع ذلك ومعنى جهم في قوله يرجعان إل أنه مخلوق ليس بينهما فيه من البون كفرز لمبرة ، ولا كفتيس شعرة .

فهذا تكفروهم كما أكفر الله به أئمتهم من قريش وقال : (مأسأليه مقر) إذ قال (إن هذا إلا قول البشر) لأن كل إفك وتقول ، وسحر ، واختلاق ، وقول البشر كله لاشك في شيء منه أنه مخلوق ، فاتفق من الكفر بين الوليد المغيرة ، وجهم بن صفوان الكلمة ، والمراد ، في القرآن ، أنه مخلوق ، فهذا الكتاب الناطق في إكفارهم .

وأما الأثر فيه فما حدثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد وجريز بن حازم عن أيوب ، عن عكرمة أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتى بقوم من الزنادقة فحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فقال : أما أنا فلو كنت لقتلتهم لقول رسول الله صلعم : من بدل دينه فاقتلوه ، ولما حرقتهم لنهي رسول الله صلعم : لا تعذبوا بعذاب الله ، زاد سليمان في حديث جريز : فبلغ عليا ما قال ابن عباس

رضى الله عنهم فقال : ويح ابن أم الفضل إنه اغواص على الهنات .

قال أبو سعيد : فرأينا هؤلاء الجهمية أفحش زندقة وأظهر كفراً وأقبح تأويلاً لكتاب الله ، ورد صفاته فيما بلغنا عن هؤلاء الزنادقة الذين قتلهم على عليه السلام وحرقهم . فضئت السنة من على وابن عباس رضى الله عنهما في قتل الزنادقة لما أنها كفر عندهما ، وأنهم عندهما بمن بدل دين الله وتأولوا في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يجب على رجل قتل من قول يقوله ، حتى يكون قوله ذلك كفراً ، لا يجب فيما دون الكفر قتل إلا عقوبة فقط ، فذاك الكتاب في إكفارهم وهذا الأثر ونكفرهم أيضاً بكفر مشهور وهو تكذيبهم بنص الكتاب .

أخبر الله تبارك وتعالى أن القرآن كلامه ، وادعت الجهمية أنه خلقه ، وأخبر الله تبارك وتعالى أنه كلم موسى تكليماً . وقال هؤلاء : لم يكلمه الله بنفسه ، ولم يسمع موسى نفس كلام الله ، إنما سمع كلاماً خرج إليه من مخلوق . ففي دعواهم : دعا مخلوق موسى إلى ربوبيته ، فقال : (إني أنا ربك فاخلع نعليك) فقال له موسى في دعواهم : صدقت ، ثم أتى فرعون يدعوه أن يجيب إلى ربوبية مخلوق كما أجاب موسى في دعواهم : فافرق بين موسى وفرعون في مذهبهم في الكفر إذا فأى كفر بأوضح من هذا ؟ وقال الله تبارك وتعالى : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقال هؤلاء : ما قال لشيء قط قولاً وكلاماً ما كان فكان ، ولا يقوله أبداً ، ولم يخرج منه كلام قط ، ولا يخرج ، ولا هو يقدر على الكلام في دعواهم فالصم في دعواهم والرحن بمنزلة واحدة في الكلام ، فأى كفر بأوضح من هذا ؟ وقال الله تبارك وتعالى : (بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء) و (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) [٧٥/ص] و (بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) [٢٦/آل عمران] وقال : (يد الله فوق أيديهم) [١٠/الفتح] قال هؤلاء : ليس لله يد ، وما خلق آدم بيديه ، إنما يده نعمته ورزقاه ، فادعوا في يد الله أوحش مما ادعته اليهود (قالت اليهود يد الله مغلولة) .

وقالت الجهمية ، يد الله مخلوقة ، لأن النعم والارزاق مخلوقة لا شك فيها ، وذلك حال في كلام العرب ، فضلا أن يكون كفرا ، لانه يستحيل أن يقال : خلق آدم بنعمته ، ويستحيل أن يقال في قوله تعالى تبارك الله وتعالى (بيدك الخير) : بنعمتك الخير ، لأن الخير نفسه هو النعم نفسها ، ومـ تحيل أن يقال في قول الله عز وجل (يد الله فوق أيديهم) نعمة الله فوق أيديهم . وإنما ذكرنا هنا اليد مع ذكر الايدي في المبايعة بالأيدي فقال : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) [١٠ / الفتح] ويستحيل أن يقال : (يدها مبسوطتان) نعمته ، فكأن ليس له إلا نعمتان مبسوطتان ، لا تخص نعمه ، ولا تستدرك ، فلذلك قلنا : إن هذا التأويل حال من الكلام فضلا عن أنه يكون كفرا .

ونكفرهم أيضا بالمشهور من كفرهم أنهم لا يثبتون لله تبارك وتعالى وجها ولا سمعا ولا بصرا ولا علما ولا كلاما ولا صفة إلا بتأويل ضال ، افترضوا وتبينت عوراتهم يقولون : سمعه وبصره وعلبه وكلامه بمعنى واحد ، وهو بنفسه في كل مكان ، وفي كل بيت مغلق ، وصندوق مقفل ، قد أحاطت به في دعواهم حيطانها وأغلاقتها وأقنأها فألى الله نبرا من إله هذه صفته ، وهذا أيضا مذهب واضح في إكفارهم .

ونكفرهم أيضا أنهم لا يدرون ين الله ، ولا يصنعونه بأيد ، والله قد وصف نفسه بأمين ، ووصف به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : (الرحمن على العرش استوى) (وهو القاهر فوق عباده) و (إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا) و (يخافون ربهم من فوقهم) (أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) ونحو هذا فهذا كله وصف بأين . ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأين فقال للأمة السوداء : أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة .

والجهمية تكذبه ، وهذا أيضا من واضح كفرهم والقرآن كله ينطق بالرد

عليهم ، وهم يعلمون ذلك ، و بعضهم ولكن يكابرون ويغالطون الضعفاء ، وقد علموا أنه ليس من حجة أنقض لدعواهم من القرآن ، غير أنهم لا يجدون إلى رفع الأصل سبيلا ، مخافة القتل والفضيحة ، وهم عند أنفسهم بما وصف الله به فيه نفسه جاحدون . قد ناظرنا بعض كبرائهم ، وسمعنا ذلك منهم ، منصوصا مفسرا .

ويقصدون أيضا بعبادتهم إلى إله تحت الأرض السفلى ، وعلى ظهر الأرض العليا ، ودون السماء السابعة العليا ، وإله المصلين من المؤمنين ، الذين يقصدون إليه بعبادتهم الرحمن ، الذى فوق السماء السابعة العليا ، وعلى عرشه العظيم استوى ، وله الاسماء الحسنى تبارك اسمه وتعالى . فأى كفر بأوضح مما حكينا عنهم من سوء مذاهيبهم ، وما زاد مائى ، وشعلة الزنديقان .

قال أبو سعيد : فقال لى المناظر الذى ناظرنى : أردت إرادة منصوصة في إكفار الجهمية باسمهم ، وهذا الذى رويت عن على رضى الله عنه في الزنادقة . فقلت : الزنادقة والجهمية أمرهما واحد ، يرجعان إلى معنى واحد ، ومراد واحد ليس قوم أشبه بقوم منهم بعضهم ببعض ، وإنما يشبه كل صنف وجنس بجنسهم ، وصنفهم ، فقد كان ينزل بعض القرآن خاصا فى شيء ، فيكون عاما فى مثله ، وما أشبهه فلم يظهر جهم ، وأصحاب جهم ، فى زمن أصحاب رسول الله صلعم ، وكبار التابعين ، فيروى عنهم فيها أثر منصوص ، مسمى ، ولو كانوا بين أظهرهم مظهرين آراءهم لقتلوا ، كما قتل على رضى الله عنه الزنادقة ، التى ظهرت فى عصره ولقتلوا كما قتل أهل الردة .

ألا ترى أن الجعد بن درهم أظهر بعض رأيه فى زمن خالد القسرى ، فزعم أن الله تبارك وتعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما فذبحه خالد بواسطة يوم الإضحى على رؤوس من حضره من المسلمين ، لم يعبه به عائب ، ولم يعطن

عليه طاعن، بل استحسنوا ذلك من فعله وصوبوه ، وكذلك لو ظهر هؤلاء في زمن أصحاب رسول الله صلعم وكبار التابعين ، ما كان سيئ لهم عند القوم إلا القتل ، كسييل أهل الزندقة وكما قتل على رضى الله عنه من ظهر منهم في عصره ، وأحرقه وظهر بعضهم بالمدينة في عهد سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فأشاروا على وإلى المدينة يومئذ بقتله .

ويكنى المائل من الحجج في إكفارهم ما تأولنا فيه من كتاب الله ، وروينا فيه عن على وابن عباس رضى الله عنهما ، وما فسرنا من واضح كفرهم ، وفحش مذاهبهم شيئا شيئا . فأما إذ أبيتم أن تقبلوا إلا المنصوص فيهم المقصود بها لئلا يجلهم بأسمائهم ، فسروى ذلك عن بعض من ظهر ذلك بين أظهرهم ، من العلماء حدثى محمد بن المعتمر السجستاني أبو سهل ، وكان من أوثق أهل سجستان وأصدقهم عن زهير بن نعيم البسابي ، أنه سمع سلام بن أبي مطيع يقول : الجهمية كفار .

وسمعت محمد بن المعتمر يقول : سمعت زهير بن نعيم يقول : مثل حماد بن زيد ، وأنا معه في سوق البصرة عن بشر المريسي فقال : ذاك كافر . قال أبو سعيد : وبلغنى عن يزيد بن هرون أنه قال : الجهمية كفار ، وقال : حرصت غير مرة أهل بغداد على قتل المريسي .

حدثنا يحيى الحماني : ثنا الحسن بن الربيع قال : سمعت ابن المبارك يقول : من زعم أن قوله (إني أنا الله لا إله إلا أنا) مخلوق فهو كافر . سمعت محبوب ابن موسى الأنطاكي يذكر أنه سمع وكيعا يكفر الجهمية . قال أبو سعيد : وحدثت عن سفیان الثوري ، عن حماد بن أبي سليمان أنه كفر من زعم أن القرآن مخلوق : وسمعت يحيى بن يحيى يقول : القرآن كلام الله من شك فيه أو زعم أنه مخلوق فهو كافر .

وسمعت الربيع بن نافع أبا توبة يكفر الجهمية . قال أبو سعيد : هؤلاء الذين أ كفروهم في آخر الزمان وعلى بن أبي طالب وابن عباس رضى الله عنهما هم أول الزمان وأنزلهم منزلة من بدل دينه فاستحقوا القتل بتبديله .

حدثنا الحناني ، ثنا إبراهيم بن منصور العلاف - وأثنى عليه هو ومن حضر المجلس خيرا - قال : لما كان أيام المحنة فأخرج النفر إلى المأمون فامتحنوا ، وردوا لقيت أعرابيا فقال لى : ألا أحدثك عجبا ؟ قلت : ماذا ؟ قال : رأيت فى المنام كأن نفرا ثلاثين أو أكثر جرى بهم من قبل المشرق أو المغرب فنظرت إليهم فإذا بطونهم مشققة ليس فى أجوافهم شئ فقليل : هؤلاء الذين كفروا بالقرآن ، والأعرابي لا يدري ما المحنة وما سببهم .

حدثني الزهراني أبو الربيع قال : كان من هؤلاء الجهمية رجل وكان الذى يظهر من رأيه الترفض وانتحال حب على بن أبي طالب طالب رضى الله عنه فقال له رجل عن يخالطه ويعرف مذهبه : قد علمت أنكم لا ترجعون إلى دين الإسلام ولا تعتقدونه فما الذى سئتمكم على الترفض وانتحال حب على ؟ قال : إذا أصدقك إنما إن أظهرنا رأينا الذى نعتقه ، رمينا بالكفر والزندقة ، وقد وجدنا أقواما ينتحلون حب على ويظهرونه ، ثم يقومون بمن شاءوا ويعتقدون ما شاءوا ، ويقولون ما شاءوا فنسبوا بذلك إلى الترفض والتشييع ، فلم نر لمذهبنا أمرا ألفت من انتحال حب هذا الرجل ثم نقول ماشئنا ، ونعتقد ماشئنا ونقع بمن شئنا فلأن يقال لنا رافضة أو شيعة أحب إلينا من أن يقال زنادقة كفار ، وما على عندنا أحسن حالا من غيره ، بمن نقع بهم .

قال أبو سعيد رحمه الله ، وصدق هذا الرجل فيما عبر عن نفسه ، ولم يراوغ ، وقد استبان ذلك من بعض كبارهم ، وبصرائهم ، أنهم يستترون بالتشييع يجعلونه ، تشييعا لكلامهم وخطبهم ، وسلبا وذريعة لاصطياد الضعفاء ، وأهل الغفلة ، ثم يبدرون بين ظهرائى خطبهم بذر كفرهم وزندقته ، ليكون أنجع فى قلوب الجهال ،

وأبلغ فيهم ، ولئن كان هل الجهل في شك من أمرهم ، إن أهل العلم منهم أعلى يقين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

باب قتل الزنادقة والجهمية واستتابتهم

من كفرهم

- حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني أن أبا بكر بن عياش حدثهم عن أبي حصين عن سويد بن غفلة أن علياً رضي الله عنه قتل زنادقة ثم قال : صدق الله ورسوله حدثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد وجرير بن حازم ، عن أيوب ، عن عكرمة أن علياً رضي الله عنه أتى بقوم من الزنادقة فحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فقال : أما أنا فلو كنت لقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما حرقتهم لنبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه وقال : لا تعذبوا بعذاب الله وزاد سليمان في حديث جرير قال : فبلغ علياً ما قال ابن عباس رضي الله عنهما فقال : ويح ابن أم الفضل أنه لغواص على الهنات .

قال أبو سعيد رحمه الله : فالجهمية عندنا زنادقة من أخبت الزنادقة ، نرى أن يستتابوا من كفرهم فإن أظهروا التوبة تركوا ، وإن لم يظهروها تركوا ، وإن شهدت عليهم بذلك شهود ، فأنكروا ولم يتوبوا قتلوا ، كذلك بلغنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه من في الزنادقة . حدثنا يحيى بن يحيى : أنبأ هشيم عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي إدريس قال : أتى علي بن أبي طالب بقوم من الزنادقة فأنكروا فقامت عليهم البيعة فقتلهم (١) ، هذا قد استتبته فاعترف بذنبه فخلعت مسيله .

وحدثنا القاسم بن محمد البغدادي ، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب ، عن أبيه ، عن جده حبيب بن أبي حبيب قال : خطبنا خالد بن عبد الله

(١) في الأصل : يياض وكتب به : صح .

القسرى بواسط يوم الاضحى فقال : أيها الناس ارجعوا فضحوا تقبل الله منا ومنكم ، فإنى مضح بالجعد بن درهم لأنه زعم أن الله تبارك وتعالى لم يتخذ لإبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا ، ثم نزل فذبحه .

حدثنا هشام بن منصور البغدادي المكشوف ، ثنا أحمد بن سليمان الباهلي ، ثنا خلف بن خليفة الأشجعي قال : أتى خالد بن عبد الله القسرى برجل قد عارض القرآن فقال : قال الله في كتابه : (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شأنك هو الأبر) وقلت أنا : ما هو أحسن منه (إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهرولا تطع كل منافه وكافر) فضرب خالد عنقه ، وصلبه فمر به خلف بن خليفة وهو مصلوب فضرب يده على خشيته فقال : (إنا أعطيناك العمود فصل لربك على عود ، فأنا ضامن لك أن لا تعود) .

حدثنا موسى بن إسماعيل قال : قلت لإبراهيم بن سعد : ما تقول في الزنادقة ترى أن نستحيهم ؟ قال : لا ، قلت : فم تقول ذلك ؟ قال : كان علينا وال بالمدينة فقتل منهم رجلا ولم يستتب فسقط في يده فبعث إلى أبي فقال له أبي : لا يهيدنك فإنه قول الله عز وجل : (لما رأوا بأسنا) [٨٤ / غافر] قال السيف (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) [٨٥ / غافر] قال السيف . فقال سنه القتل : وسمعت الربيع بن نافع أبا توبة الحلبي يقول : ناظرت أحمد بن حنبل رحمه الله في قتل هؤلاء الجهمية فقال : يستأبون ، فقلت له : أما خطبائهم فلا يستأبون وتضرب أعناقهم .

حدثنا يحيى بن بكير المصري ، ثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من غير دينه فاضربوا عنقه قال مالك : معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم فيما نرى والله أعلم أنه من خرج من الإسلام إلى غيره مثل

الزنادقة وأشباهها فإن أولئك يقتلون ولا يستتابون ، لأنه لا تعرف توبتهم ، وأهم قد كانوا يسرون الكفر ، ويعلمون بالإسلام . فلا أرى أن يستتاب هؤلاء ، ولا يقبل قولهم ، وأما من خرج من الإسلام إلى غيره ، وأظهر ذلك فإنه يستتاب . فإن تاب وإلا قتل ، وذلك أنه لو كان قوم كانوا على ذلك رأيت أن يدعوا إلى الإسلام ويستتابوا فإن تابوا قبل ذلك منهم ، وإن لم يتوبوا قتلوا ، قال مالك : ولم يعن بهذا الحديث من خرج من اليهودية إلى النصرانية ولا من النصرانية إلى اليهودية ، إنما عني بذلك من خرج من الإسلام إلى غيره فيما نرى والله أعم .

قال أبو سعيد رحمه الله : فأى كفر أعظم من كفر قوم رأى فقهاء المدينة مثل سعد بن إبراهيم ، ومالك بن أنس أنهم يقتلون ، ولا يستتابون إعظاما لكفرهم ؟ والمرتد عندهم يستتاب ويقبل رجوعه ، فكانت الزنادقة أكبر في أنفسهم من الارتداد ومن كفر اليهود والنصارى ، ولذلك قال ابن المبارك رحمه الله : لأن أحكى كلام اليهود والنصارى أحب إلى من أن أحكى كلام الجهمية . حدثنا الحسن بن الصباح البغدادي عن علي بن شقيق عن ابن المبارك .

قال أبو سعيد : وصدق ابن المبارك أن من كلامهم ما هو أوحش من كلام اليهود والنصارى ، فلذلك رأى أهل المدينة أن يقتلوا ولا يستتابوا ولذلك قال أبو توبة لأحمد بن حنبل رضى الله عنها : أما خطباؤهم فلا يستتابون وتضرب أعناقهم ، لأن الخطباء اعتقدوه ديننا في أنفسهم على بصر منهم بسوء مذاهم ، وأظهروا الإسلام نعوذا ، وجنة من القتل ، ولا تكاد ترى البصير منهم بمذهبه ، يرجع عن رأيه .

قال أبو سعيد : وذممت يوما أحكى ليحيى بن يحيى كلام الجهمية لاستخراج منه نقضا عليهم ، وفي مجلسه يومئذ الحسين بن عيسى البسطامي وأحمد بن يونس القاضي ، ومحمد بن رافع وأبو قدامة السرخسي فيما أحسب وغيرهم من المشايخ ،

فزبرني بغضب وقال : اسكت وأنكر على المشايخ الذين في مجلسه استعظاما أحكى كلام الجهمية وتشنيعا عليهم ، فكيف بمن يحكى عنهم ديانة ، ثم قال لي يحيى : القرآن كلام الله من شك فيه أو زعم أنه مخلوق فهو كافر .

حدثنا يوسف بن يحيى البويطى ، عن محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله فى الزنديق قال : يقبل قوله إذا رجع ولا يقتل ، واحتج فيهم به (إذا جاءك المنافقون) [١/المنافقون] الآية فأمره الله عز وجل أن يدع قتلهم لما يظهرون من الإسلام وكذلك الزنديق إذا أظهر الإسلام ، كان فى هذا الوقت مسلما غير مبدل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا شققت عن قلبه ؟

قال أبو سعيد رحمه الله : وأنا أقول كما قال الشافعى : أن تقبل علانيتهم ، إذا اتخذوها جنة لهم من القتل ، أسروا فى أنفسهم ما أسروا ، فلا يقتلوا كما أن المنافقين (اتخذوا ليمانهم جنة) [٢/المنافقون] فلم يؤمر بقتلهم والزنديق عندنا شر من المنافق ، فلربما كان المنافق جاحدا بالرسول والإسلام ، مقرا بالله عز وجل ، مثبتا لربوبيته فى نفسه ، والزنديق معطل لله ، جاحد بالرسول ، والكتب ، وما يعرف فى الإسلام زنادقة ، غير هؤلاء الجهمية ، وأى زندقة بأظهر من ينتحل الإسلام فى الظاهر ، وفى الباطن يضاحى قوله فى القرآن قول مشركى قريش الذين ردوا على الله ورسوله فقالوا : (إن هذا إلا اختلاق) و (إن هذا إلا أساطير الاولين) و (إن هذا إلا قول البشر) كما قالت الجهمية سواء : إن هذا إلا مخلوق .

ولهم فى ذلك أيضا أئمة سوء أقدم من مشركى قريش ، وهم عاد قوم هود ، الذين قالوا لنبيهم (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين إن هذا إلا خلق الاولين وما نحن بمعذبين) [١٢٨/الشعراء] فأى فرق بين الجهمية وبينهم ؟ حتى نجبن عن قتلهم ولم كفارهم .

ولو لم يكن عندنا حجة فى قتلهم ولم كفارهم إلا قول حماد بن زيد وسلام بن

في مطيع وابن المبارك ووكيعة ويزيد بن هرون وأبي توبة ويحيى بن يحيى وأحمد
ابن حنبل ونظرانهم رحمة الله عليهم أجمعين لجبنا عن قتلهم ، ولا كفارهم بقول هؤلاء حتى
نستبرئ ذلك عن من هو أعلم منهم ، وأقدم ، ولكننا نكفرهم بما تأولنا فيهم من كتاب
الله عز وجل ، وروينا فيهم من السنة ، وبما حكينا عنهم من الكفر الواضح
المشهور الذي يعقله أكثر العوام ، وبما ضاهوا مشركي الأمم قبلهم ، بقولهم في
القرآن فضلا على ما ردوا على الله ورسوله من تعطيل صفاته ، وإنكار وحدانيته ،
ومعرفة مكانه واستوائه على عرشه بتأويل ضلال به ، هتك الله سترهم ، وأبدى
سوءتهم وعبر عن ضمائرهم .

كلنا أرادوا به احتجاجا ، ازدادت مذاهبهم اعوجاجا ، وازداد أهل السنة
بمخالفتهم ابتهاجا ، ولما يخفون من خفايا زندقتهم استخرجوا . والله الموفق والاحول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
جميع الأنبياء والمرسلين .

آخر كتاب الرد على الجهمية

رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد
على المريسي الغني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن يا كريم

أخبرنا الشيخ الإمام أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الأخف قال :
أخبرنا إسحق بن أبي إسحق القراب الحافظ قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أبي
الفضل بن الحسين المزكي قال ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الصرام قال :
حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله ورضي عنه قال :

الحمد لله قبل كل كلام ، وله الحمد في كل مقام ، وعلى محمد صلوات ربنا وعليه
أفضل السلام .

أما بعد ، فقد عارض مذاهبنا في الإنكار على الجهمية من بين ظهر يك معارض
وانتدب لنا منهم مناقض ، ينقض ما روينا فيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وأصحابه ، بتفاسير المضل المريسي - بشر بن غياث - الجهمي . فكان
من صنع الله لنا في ذلك المعارض على كلام بشر ، إذ كان مشهورا عند العامة بأقبح
الذكر ، مفتضحا بضلالاته في كل مصر ، ليكون ذلك أعون لنا على المعارض عند
الخلق ، وأنجح في قلوبهم لقبول الحق ومواضع الصدق . ولو قد كنى فيها عن بشر
كان جديرا أن ينفذ عليهم بعضه في خفاء وفي ستر . ولم يفتن له من الناس إلا كل
من تبصر ، غير أنه أفصح باسم المريسي وصرح ، وحقق على نفسه به الظن وصحح ،
ولم ينظر لنفسه ولا لاهل بلاده ولم ينصح ، فحسب امرئ من الخيبة والحرمان ،
وفضيحة في الـكون (١) والبلدان : أن يسكون إمامه في توحيد الله بشر بن غياث
المريسي ، الملحد في أسماء الله ، المعطل المقتري لصفات ربه ، الجهمي .

(١) كذا في الأصل وأمله : السكور .

أنشأ هذا المعارض يحكى في كتاب له عن المريسى من أنواع الضلال ، وشنيع المقال ، والحجج المحال ، مالم يكن بكل ذلك نعرفه ، ونصفه فيه برثائه مناقضة الحجج ، مالم يكن يقدر أن يصفه ، فتجافينا عن كثير من مناقضة المعارض ، وقصدنا قصد المريسى العاثر في قوله الداحص . لما أنه أمكن في الحجاج من نفسه . ولم يفتن لغور مايخرج من رأسه : من الكلام المدلس المنقوض ، والكفر الواضح المرفوض وكيف يهتدى بشر للتوحيد ، وهو لا يعرف مكان واحده ؟ فلا هو بزعمه في الدنيا والآخرة بواجده . فهو إلى التعطيل أقرب منه إلى التوحيد ، وواحده بالمعدوم أشبه منه بالموجود ، ومنعبر لكم عنه من نفس كلامه مايحكم عليه بالجود ، بعون الملك المجيد الفعال لما يريد .

ولولا مابدأكم هذا المعارض بإذاعة ضلالات المريسى وبشها فيكم ، ما اشتغلنا بذكر كلامه ، مخافة أن يعلق بعض كلامه بقلوب الجهال ، فيلقمهم في شك من خالقهم وفي ضلال . أو أن يدعوم إلى تأويله المحال ، لأن كل كلامه نقص ووقية في الرب ، واستخفاف بجماله وسب . وفي التنازع فيه يتخوف الكفر ويرهب .

ولذلك قال عبد الله بن المبارك : (لأن أحكى كلام اليهود والنصارى أحب إلى من أحكى كلام الجهمية) حدثنا الحسن بن الصباح البزاز قال : حدثنا على بن الحسين ابن شقيق عن ابن المبارك .

فمن أجل ذلك كرهنا الخوض فيه ، وإذاعة نقائضه حتى أذاعها المعارض فيكم وبشها بين أظهركم . فخشينا أنه لا يسعنا إلا الإنكار على من بشها ، ودعا الناس إليها ، منافحة عن الله ، وتشبيها لصفاته العليا ، ولأسمائه الحسنى ، ودعا إلى الطريقة المثلى ، ومحاماة عن ضعفاء الناس ، وأهل الغفلة من النساء والصبيان ، أن يضلوا بها ، أو أن يفتنوا ، إذ بشها فيهم رجل كان يشير إليه بعضهم بشيء من فقهه ، وبصره ، ولا يفتنون لعثراته إن هو غش ، فيكونوا من أخواتها منه على حذر .

وقد كتب إلى علي بن خشرم أنه سمع عيسى بن يونس يقول : (لا تجالسوا
الجهمية ، وبينوا للناس أمرهم كي يعرفهم فيحذروهم) .

قال أبو سعيد : افتتح هذا المعارض كتابه بكلام نفسه ومنشأ لكلام المريسي ،
مدلسا على الناس بما يهيم أن تحكى (١) ويرى من قبله من الجبال ومن حواليه من
الانحمار : أن مذاهب جهم والمريسي في التوحيد كبعض اختلاف الناس في الإيمان
في القول والعمل ، والزيادة والنقصان ، كاختلافهم في التشيع والقدر ، ونحوها .
كيلا ينفروا من مذاهب جهم والمريسي أكثر من نفورهم من كلام الشيعة والمرجئة
والقدرية .

وقد أخطأ المعارض في حجة السبيل ، وغلط غلطا كثيرا في التأويل ، لما أن
هذه الفرق لم يكفرهم العلماء بشيء من اختلافهم والمريسي وجهم وأصحابها
يكفرهم أهل الفرق ، لم يشك أحد منهم في إكفارهم .

سمعت محبوب بن موسى الانطاكي أنه سمع وكيعا يكفر الجهمية .

وكتب إلى علي بن خشرم أن ابن المبارك كان يخرج الجهمية من عداد
المسلمين .

وسمعت يحيى بن يحيى وأبا توبة وعلي بن المديني يكفرون الجهمية ، ومن
يدعى أن القرآن مخلوق .

فلا يقيس الكفر ببعض اختلاف هذه الفرق إلا امرؤ جهل العلم ، ولا يوقف
فيه على كفرهم .

فادعى المعارض أن الناس قد تكلموا في الإيمان ، وفي التشيع ، والقدر ونحوه
ولا يجوز لأحد أن يتأول في التوحيد غير الصواب : أن جميع خلق الله يدرك

(١) كذا في الأصل والله : يحكى .

بالحواس الخمس ، اللمس ، والشم ، والذوق ، والبصر بالعين ، والسمع والله بزعم المعارض لا يدرك بشيء من هذه الخمس .

فقلنا لهذا المعارض ، الذى لا يدرك كيف يتناقض : أما قولك لا يجوز لأحد أن يتأول فى التوحيد غير الصواب ، فقد صدقت ، وتفسير التوحيد عند الأمة وصوابه قول (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من جاء بها مخلصا دخل الجنة) (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) من قالها فقد رحمه الله .

وكذلك روى جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم (أنه أهلّ بالتوحيد فى حجة الوداع فقال : ليك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك ليك ، إن الحمد والمنة لك ، والمالك لا شريك لك) حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة عن حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه جابر فهذا تأويل التوحيد وصوابه عند الأمة .

فمن أدخل الحواس الخمس أيها المعارض فى صواب التأويل من أمة محمد ومن غداها ؟ فأشر إليه ، غير ما ادعيتم فيه من الكذب على ابن عباس من رواية بشر المريسي ، ونظرائه .

ولمن تأول فى التوحيد الصواب لقد تأولت أنت فيه غير الصواب إذ ادّعت أن الله لا يدرك ولن يدرك بشيء من هذه الحواس الخمس ، إذ هو فى دعواك لاشيء ، والله مكذب من ادعى هذه الدعوى فى كتابه إذ يقول عز وجل : (وكلم الله موسى تكليما) [١٦٤ / النساء] (ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيمهم) [١٧٤ / البقرة] (ووجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [٢٣ / القيامة] .

فأخبر الله تعالى فى كتابه أن موسى أدرك منه الكلام بسمعه ، وهو أحد الحواس عندك وعندنا . ويدرك فى الآخرة بالنظر إليه بالآعين ، وهى الحاسة

الثانية ، كما قال الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ترون ربكم يوم القيامة كما ترون الشمس والقمر جهرًا ، لاتضامون في رؤيته) .

وروى عدى بن حاتم الطائى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان) حدثناه عمر بن عون الواسطى ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن عدى بن حاتم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فذاك الناطق من قول الله ، وهذا الصحيح المشهور من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأى صواب هو أبين من هذا ؟ فلذلك قلنا : إن المعارض قد تأول فيه غير الصواب .

باب الايمان بأسماء الله

وأنها غير مخلوقة

ثم اعترض المعترض أسماء الله المقدسة ، فذهب في تأويلها مذهب إمامه المرسى . فادعى أن أسماء الله غير الله ، وأنها مستعارة مخلوقة ، كما أنه قد يكون شخص بلا اسم ، قد سميت لا تزيد في الشخص ، ولا تنقص . يعنى أن الله كان مجهولا كشخص مجهول ، لا يحدى لاسمه ، ولا يدري ماهو ، حتى خلق الخلق ، فابتدعوا له أسماء من مخلوق كلامهم ، فأعاروها لإياه من غير أن يعرف له اسم قبل الخلق .

ومن ادعى التأويل في أسماء الله فقد نسب الله تعالى إلى العجز والوهن ، والضرورة والحاجة إلى الخلق . لأن المستعير محتاج مضطر . والمعير أبدا أعلى منه وأغنى : ففى هذه الدعوى استجهال الخالق إذا كان بزعمه هملا لا يدري ما اسمه وهو ما وصفته .

والله المتعالى عن هذا الوصف المازة عنه . لأن أسماء الله هي تحقيق صفاته .
سواء عليك قلت : عبدت الله ، أو عبدت الرحمن ، أو الرحيم ، أو الملك العزيز
الحكيم . وسواء على الرجل قال : كفرت بالله ، أو قال : كفرت بالرحمن الرحيم ،
أو بالخالق العزيز الحكيم . وسواء عليك قلت : عبد الله ، أو عبد الرحمن ، أو
عبد العزيز ، أو عبد المجيد . وسواء عليك قلت : يا الله ، أو يارحمان ، أو يارحيم ،
أو يامالك ياعزيز يا جبار . بأى اسم دعوته من هذد الاسماء أو أضفته إليه ، فإنما
تدعو الله نفسه ، من شك فيه فقد كفر .

وسواء عليك قلت ربى الله ، أو ربى الرحمن ، كما قال الله: (وربنا الرحمن
المستعان على ما تصفون) [١٨ / يوسف] ، وقال الله : (سبح لله ما فى السموات
وما فى الأرض) [١ / الحشر] وقال (وسبحوه بكرة وأصيلا) [٤٢ / الأحزاب]
كذلك قال فى الاسم: (سبح اسم ربك الأعلى) [١ / الأعلى] كما قال (يسبح لله)
[١ / الجمعة] .

ولو كان الاسم مخلوقا مستعارا ، غير الله لم يأمر الله أن يسبح مخلوقا غيره .
وقال (له الأسماء الحسنى) [٢٤ / الحشر] (يسبح له ما فى السموات والأرض
وهو العزيز الحكيم) [٢٤ / الحشر] ثم ذكر الآلهة التى تعبد من دون الله بأسمائها
المخلوقة المستعارة . فقال: (إن هى إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم) [٢٣ / النجم]
وكذلك قال هود لقومه حين قالوا (أجنثنا لتعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد
آباؤنا) [٧٠ / الأعراف] فقال لهم نبيهم (أتجادلوننى فى أسماء سميتوها أنتم
وآباؤكم) [٧١ / الأعراف] يعنى أن أسماء الله لم تزل ، كما لم يزل الله ، وأنها
بخلاف هذه الأسماء المخلوقة التى أعاروها الأصنام ، والآلهة التى عبدوها من
دونه .

فإن لم تسكن أسماء الله بخلافها ، فأى توييح لأسماء الآلهة المخلوقة إذ كانت
أسماءها ، وأسماء الله مخلوقة ، مستعارة عندكم بمعنى واحد ، وكلها من تسمية
العباد ، ومن تسمية آباؤهم بزعمهم .

ففي دعوى هذا المعارض أن الخلق عرفوا الله إلى عباده بأسماء ابتدعوها ،
لا أن الله عرفهم بها نفسه . فأى تأويل أوحش في أسماء الله من أن يتأول رجل
أنه كان كشخص مجهول ، أو يدب ، أو شجرة ، أو بهيمة لم يسبق لشيء منها
اسم ، ولم يعرف ماهو ، حتى عرفه الخلق بعضهم بعضا ؟

ولا تقاس أسماء الله بأسماء الخلق ، لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة ،
وليست أسماء نفس صفاتهم ، بل مخالفة لصفاتهم ، وأسماء الله صفاته ليس
شيء منها مخالفا لصفاته ، ولا شيء من صفاته مخالفا لأسمائه .

فمن ادعى أن صفة من صفات الله مخلوقة ، أو مستعارة فقد كفر وفجر ، لأنك
إذا قلت : (الله) فهو (الله) وإذا قلت : (الرحمن) فهو (الرحمن) وهو (الله)
فإذا قلت : (الرحيم) فهو كذلك ، وإذا قلت : حكيم ، عليم ، حميد ، مجيد ، جبار ،
متكبر ، قاهر ، قادر فهو كذلك ، هو (الله) سواء لا يخالف اسم له صفته ،
ولا صفته اسما .

وقد يسمى الرجل حكيما وهو جاهل ، وحكما ، وهو ظالم ، وعزيزا ، وهو
حقير . وكراما وهو لئيم . وصالحا وهو طالح . وسعيدا وهو شقي . ومحمودا وهو
مذموم . وحبيبا وهو بغيض . وأسدا ، وحمارا ، وكلبا ، وجديا ، وكلبيا ، وهرا ،
وحنظلة ، وعلقمة ، وليس كذلك ، والله تعالى وتقدس اسمه كل أسمائه سواء .
لم يزل كذلك ، ولا يزال . لم تحدث له صفة ، ولا اسم ، لم يكن كذلك . كان
خالقا قبل المخلوقين ، ورازقا قبل المرزوقين ، وعالما قبل المعلومين ، وسميعا
قبل أن يسمع أصوات المخلوقين ، وبصيرا قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة .

قال الله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) [ه / طه] وقال : (الله الذي
خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن)
[هـ / الفرقان] وقال مرة (الرحمن على العرش استوى) [هـ / طه] وقال مرة الله
على العرش استوى لأنها بمعنى واحد .

ولو كان كما ادعى المعارض وإمامه المريسي ، لكان الخالق والمخلوق استويا جميعا على العرش . إذ كانت أسماؤه مخلوقة عندهم . إذ كان الله في دعواهم في حد المجهول أكثر منه في حد المعروف . لأن حدوث الخالق حدا ، ووقتا وليس لازلية الله حد ولا وقت ، ولم يزل ولا يزال . وكذلك أسماؤه لم تزل ولا تزال .

ثم احتج المعارض لترويج مذهبه هذا بأقبح قياس ، فقال : أرأيت لو كتبت اسما في رقعة ، ثم احترقت الرقعة ، أليس إنما تحترق الرقعة ، ولا تضر الاسم شيئا ؟

فيقال لهذا التائه الذي لا يدري ما يخرج من رأسه : إن الرقعة وكتابة الاسم ليس كنفس الاسم . إذا احترقت الرقعة احترق الخط ، وبقي اسم الله له ، وعلى لسان الكاتب . لم يزل قبل أن يكتب . لم تنقص النار من الاسم ، ولا بمن له الاسم شيئا . وكذلك لو كانت أسماء المخلوقين ، لم تنقص النار من أسمائهم ولا من أجسامهم شيئا ، وكذلك لو كتبت الله بهجائه في رقعة ثم احترقت الرقعة لا احترقت الرقعة ، وكان الله بكأله على عرشه ، وكذلك لو صور رجل في رقعة ، ثم ألقيت في النار ، لا احترقت الرقعة ، ولم تضر المصور شيئا .

وكذلك القرآن لو احترقت المساحف كلها لم ينقص من نفس القرآن حرف واحد . وكذلك لو احترق القراء كلهم ، أو قتلوا أو ماتوا لبقى القرآن بكماله كما كان ، لم ينقص منه حرف واحد ، لأنه منه بدأ وإليه يعود عند فناء المخلوق بكماله غير منقوص .

وقد كان لإمام المريسي في أسماء الله مذهب كذهبه في القرآن ، كان القرآن عنده مخلوقا من قول البشر ، لم يتكلم الله بحرف منه ، في دعواه وكذلك أسماء الله عنده من ابتداء البشر ، من غير أن يقول : (إني أنا الله رب العالمين) [٣٠ / القصص] بزعمه قط . وزعم أني متى اعترفت بأن الله تكلم بأني أنا الله رب

العالمين لزمى أن أقول : تكلم الله بالقرآن ، ولو اعترفنا بذلك لانكسر علينا مذهبنا في القرآن وقد كسر الله عليهم ، على رغم أنوفهم ، فقال : (إني أنا الله رب العالمين) لاستحق كل مخلوق أن يتكلم بهذا .

فان فعل ذلك كان كافرا ، كفرعون الذى قال : (أنا ربكم الأعلى) [٢٤ / النازعات] .

فهذا الذى ادعوا في أسماء الله أصل كبير من أصول الجهمية التى بنوا عليها محنتهم ، وأسموا بها ضلالتهم ، غلطوا بها الأغمار والسفهاء ، وهم يرون أنهم يغالطون بها الفقهاء . ولئن كان السفهاء وقعوا في غلط مذاهبهم فإن الفقهاء منهم لعل يقيين .

أرايتم قواكم : إن أسماء الله خلقة ، فمن خلقها ؟ أو كيف خالقها ؟ أجعلها أجساما وصورا تشغل أعيانها أمكنة دونه من الأرض والسماء ؟ أم موضعا دونه في الهواء ؟

فإن قلتم لها أجسام دونه ، فهذا ما تنقمه عقول العقلاء .

وإن قلتم خلقها على ألسنة العباد ، فدعوه بها ، وأعاروها إياه ، فهو ما ادعينا عليكم : أن الله كان بزمكم مجهولا لا اسم له حتى أحدث الخلق ، وأحدثوا له أسماء من مخلوق كلامهم . فهذا هو الإلحاد بالله وبأسمائه والتكذيب بها . قل : (الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين) [٣ / النافحة] كما يضيفه إلى (رب العالمين) ولو كان كما ادعيتم ل قيل : الحمد لله رب العالمين المسمى الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين .

وكما قال : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق) [١ / آل عمران] وكما قال : (نزيل الكتاب من الله) [١ / الزمر] كذلك قال : (نزيل من الرحمن الرحيم) [٢ / فصلت] (نزيل من حكيم حميد) [٤٢ / فصلت]

(وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) [١/النمل] كلها بمعنى واحد وكلها هي (الله) و (الله) هو أحد أسمائه كالعزيز الحكيم ، الجبار ، المتكبر ، كذلك روى زعيمكم الأوسط يعقوب بن يوسف عن الشعبي إن قنعتم بروايته .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو يوسف ، عن مجالد ، عن الشعبي قال :
(اسم الله الأعظم هو الله) .

حدثنا هذبة بن خالد ، أخبرنا أبو هلال الرمسي ، عن حيان الأعرج ، عن جابر بن زيد قال : (اسم الله الأعظم هو الله ، ألم تروا أنه يبدأ به قبل الأسماء كلها ؟)

أفلا يستحي عبد من خالقه ومن خلق ربه ، فيدعى أن (الله) اسم مخلوق مستعار ؟

حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كيعص اسم من أسماء الله) .

وقد روى لنا في تفسيرها عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ما حدثناه أحمد بن يونس ، أنبأنا هشام ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : (كاف من كريم ، وعين من عليم ، وياء من حكيم ، وهاء من هاد ، وصاد من صدوق) وحتى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يحملها فيقول : (يا كيعص اغفر لي) كما يقول : (يا الله اغفر لي) .

حدثنا روح بن عبد المؤمن المقرئ ، حدثنا محمد بن مسلم ، حدثنا نافع بن أبي نعيم ، عن فاطمة ابنة علي رضي الله عنها أنها سمعت عليا يقول : (كيعص اغفر لي) .

فمن خلق (كيعص) في دعواكم ؟ ومن تكلم بها قبل الله ؟ ومن اهتدى لها غير الله ؟

وكما قال الله في كتابه : (أنا الله رب العالمين) كذلك قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (أنا الرحمن) . حدثناه مسدد ، عن سفیان ، عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (قال الله : أنا الرحمن ، وهى الرحم شقت لها من اسمى ، فس وصلها وصلته ، ومن قطعها بته) فيقول الله : (أنا شقت لها من اسمى) وادعت الجهمية مكذبين لله ولرسوله أنهم أعاروه الاسم الذى شقها منه .

ومن أين علم الخلق أسماء الخالق قبل تعليمه إياهم؟ فإنه لم يعلم آدم ولا الملائكة أسماء المخلوقين ، حتى علمهم الله من عنده ، وكان بدء علمها منه : فقال : (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) [٣٣ / البقرة] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها وحفظها دخل الجنة) .

حدثنا على بن المدينى ، حدثنا سفیان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لله تسعة وتسعون اسما ، مائة إلا واحداً ، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر) .

حدثنا هشام بن عمار الدمشقى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا خليل بن دعلج ، عن قتادة ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها كلها دخل الجنة) .

قال هشام : وحدثنا الوليد بن مسلم حدثنا سعيد بن عبد العزيز مثل ذلك .

وقال : (كلها في القرآن ، هو الله الذى لا إله إلا هو الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الخليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، المحصى ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المبدىء ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الماجد ، الواجد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعال ، البر ، التواب ، المنتقم ، الغفور ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المعطى ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادىء ، البديع ، الباقي ، الوارث الرشيد ، الصبور) .

فهذه كلها أسماء الله ، لم تزل له ، كما لم يزل ، بأياها دعوت فإنما تدعو الله نفسه .

وفى أسماء الله حجيح وآثار أكثر مما ذكرنا ، تركناها مخافة التطويل . وفيما ذكرنا من ذلك بيان بين ، ودلالة قاطعة ظاهرة على إلحاد هؤلاء الملحدين فى أسمائهم ، المبتدعين أنها محدثة مخلوقة ، قاتلهم الله أنى يخرصون ، وعز ربنا وجل عما غمطوه ، وتبارك وتعالى عما نقصود وهو المنتقم منهم فيما افترضوه .

وأى تأويل أوحش مما يدعى رجل أن الله كان ولا اسم له ؟ ما يدعى هذا مؤمن ، وإن يدخل الإيمان قلب رجل حتى يعلم أن الله لم يزل لها واحداً بجميع أسمائه ، وجميع صفاته ، لم يحدث له منها شيء ، كما لم تزل وحداً نيته .

باب

وإدعى المعارض : أن الله تعالى لا يدرك بشيء من الخواص الخمس . وهى فى دعواه : اللمس ، والشم ، والذوق والبصر بالعين ، والسمع واحتج لدعواه بحديث مقتل مكذوب على ابن عباس ، معه شواهد ودلائل كثيرة أنه مكذوب مقتل .

فأول شواهد : أنه رواه المعارض عن بشر بن غياث المريسي المتهم فى توحيد الله المكذب بصفاته .

والثانى : أنه رواه بشر عن قوم لا يوثق بهم ، ولا يعرفون ، رواه المريسي عن أبى شهاب الخولاني ، عن نعيم بن أبى نعيم ، عن إبراهيم بن ميمون ، عن عطاء عن ابن عباس .

فيقال لهذا المعارض : من بشر ، وأبو شهاب الخولاني ، ونعيم بن أبى نعيم ، فيحكم بروايتهم عن ابن عباس رضى الله عنها على رواية قوم أجلة مشهورين من أهل العلم ، قد رووا عن ابن عباس خلافة ؟ .

فمن ذلك : ما حدثنا موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أبى نضرة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (آتى يوم القيامة باب الجنة فيفتح لى ، فأرى ربى وهو على كرسيه ، أو سريره ، فيتجلى لى ، فأخرله ساجدا) فهذا أحد الخواص وهو النظر بالعين والتجلى ، رواه هؤلاء المشهورون عن ابن عباس ، على رغم بشر .

ومن ذلك ما حدثناه عمر بن شبة ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس قال : (إذا تكلم الله بالوحى سمعوا له مثل صلصلة الحديد على الصفوان) .

وهذا الحواس الثاني : بأسماع الملائكة على رغم بشرورواية بشر ، فأتغن
عن بشر روايته عن هؤلاء المغمورين ، إذا ما كذب برواية هؤلاء المشهورين ،
مع تكذيب الله لإياه قبل ، وفي كتابه ، إذ يقول : (وكلم الله موسى تكليما)
و (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) وقال (لا يكلمهم الله يوم
القيامة) .

فأخبر الله أنه قد أسمع موسى نفسه كلامه ، وسمعه موسى بسمعه . وسيكلم من
شاء يوم القيامة ، ويراه المؤمنون يوم القيامة عيانا ، بأعينهم كما قال الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم ويحس الملائكة بكلامه عند نزول وحيه حتى يصعقوا
من شدة صوته ، كما قال ابن عباس ، وابن مسعود ، وتأولا فيه قول الله : (حتى
إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ، وهو العلى الكبير) .

فهل من حواس أقوى من السمع والنظر ؟

فمن يلتفت إلى بشر وتفسير بشر ، ويترك الناطق من كتاب الله والمأثور من
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلا كل مخبول مخذول ؟

ثم طعن المعارض في رؤية الله تعالى يوم القيامة ليردها بتأويل ضلال ، وبقياس
محال ، فقال : لم تره عين فتستوصفه .

فنظرنا إلى ما قالوا في قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) و (وجوه يومئذ
ناضرة إلى ربها ناظرة) وروى فيه أقاويل مسندة ، وغير مسندة ، ولا بد من
معرفة ذلك .

فيزعم المعارض : أن عمر بن حماد بن أبي حنيفة روى عن أبيه عن أبي
حنيفة (أن أهل الجنة يرون ربهم كما يشاء أن يروه) فبين في ذلك أن صفات هذه
الأحاديث كلها يحتمل أن يسكون على ما ذهب إليه من قال : لا تدركه الأبصار . يعنى
المريسي ونظراءه الذين قالوا لا تدركه الأبصار في الدنيا والآخرة أن تفسر ذلك

أنه يرى يومئذ آياته وأفعاله : فيجوز أن يقول : رآه ، يعنى أفعاله وأموره وآياته كما قال الله فى كتابه (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) فالموت لا يرى وهو محسوس ، إنما يدرك عمل الموت ، فإن كان أبو حنيفة أراد هذا أو غير ذلك فقد آمننا بالله ، وبما أراد من هذه المعانى ، ووكلتنا تفسيرها وصفتها إلى الله تعالى .

فيقال لهذا الثناء ، الذى لا يدرك ما يخرج من رأسه وينقض آخر كلامه أوله : أليس قد ادعيت فى أول كلامك أنه على ماذهب إليه من قال لا تدرك الأبصار فى الدنيا والآخرة : أنه يرى آياته وأفعاله . فيجوز أن يقول رآه . ثم قلت فى آخر كلامك : فقد وكلتنا تفسيرها إلى الله . أفلا وكلت التفسير إلى الله قبل أن تفسره ؟

وزعمت أيضا فى أول كلامك أنه لا بد من معرفة ذلك ثم رجعت عن قولك ، فقلت : لا . بل نكله إلى الله ، فلو كان لك ناصح لحجر عليك الكلام .

والعجب من جاهل فسر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤية مشروحا مختصا ، ثم يقول : إن كان كما فسر أبو حنيفة فقد آمننا بالله .

ولو قلت أيها المعارض : آمننا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفسره ، كان أولى بك من أن تقول : آمننا بما فسر أبو حنيفة ، ولاندرى قال ذلك أبو حنيفة أو لم يقله .

وهل ترك النبي صلى الله عليه وسلم فى تفسير الرؤية لأبى حنيفة والمريسي وغيرهما من المتأولين موضع تأويل ، إلا وقد فسرهم وأوضحه بأسانيد أجود من عمر بن حماد بن أبى حنيفة . رواه إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ترون ربكم يوم القيامة

كما ترون الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونها سحب ، لاتضامون في رؤيته ،
ورواه غيره من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فكيف تستحل أن تقول : يحتمل أن يكون على ماذهب إليه أبو حنيفة
ولايحتمل أن يكون عندك كما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل رسول
الله صلى الله عليه وسلم : يراه أهل الجنة كما يشاء ، كما رويت عن أبي حنيفة-إن
كان قاله - ولكن قال : (كما ترون الشمس والقمر صحوا ، ليس دونها سحب)
فالتفسير مقرون بالحديث بإسناد واحد فمن اضطر الناس أيها المعارض إلى الأخذ
بالمبهم من كلام أبي حنيفة الذي رويت عنه إن كان قاله - مع ترك قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم المنصوص المفسر ؟

هذا إذن ظلم عظيم . وجور جسيم .

وأما قولك : لم تره عين فتستوصفه . فلو احتج بهذا صبي صغير لم يزد على
ماقلت جهالة . أفرأى أحد الجنة والنار ومافيها بعينه فتستوصفه ؟ وهل نصفها
ونصف مافيها إلا بما وصفها الله في كتابه : أن في الجنة حورا عينا ، وطعاما
وشرابا وأنهارا ونخيلا ورمانا وشجرا ، وقصور من در وياقوت ، ولباسا من
سندس وامتبرق وحرير وما أشبهها . وكذلك النار فيها أنكال ، وقيود ومقامع
من حديد ، وأغلال وسلاسل وزقوم ؟ أفنصف الجنة والنار أيها المعارض بهذه
الصفات عن رآهما بعينه ، أو بما أخبر الله في كتابه وأخبر الرسول ؟ وكذلك نصف
رؤية الله وتفسيرها عن الله وعن رسوله ، وإن لم تره عين تستوصفه ، قال الله
(وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ترون
الله جهرة يوم القيامة كما ترون الشمس والقمر ليلة بدر) فأخذنا هذا الوصف عن
الله وعن رسوله كما أخذنا صفة الجنة والنار عنهما ، وإن لم نر شيئا منهما بأعيننا ،
ولا أخبرنا عنهما من رآهما بعينه فتدبر أيها المعارض كلامك ثم تكلم ، فلو احتج بما
احتججت به صبي ، لم يبلغ الحث ما زاد .

وأعجب من ذلك ما رويت عن أبي حنيفة - إن صدقت عنه روايتك - أنه ذهب في الرؤية إلى أنهم يرون (١) آياته وأفعاله ، وأموره مرئية منظور إليها في الدنيا كل يوم وساعة ، فما معنى توقيتها وتحديدها وتفسيرها يوم القيامة ؟ من أنكر هذا فقد جهل ، وإن كان كما ادعيت ورويت عن أبي حنيفة ما خص النبي صلى الله عليه وسلم بها يوم القيامة دون الأيام .

ففى دعواك : يجوز للخلق كلهم ، مؤمنهم وكافرهم أن يقول : نرى ربنا في الدنيا كل يوم وساعة ، لما أنهم يرون كل ساعة وكل يوم وكل ليلة أموره وآياته وأفعاله ، فقد بطل فى دعواك (لا تدركه الأبصار) لأن الأبصار كل يوم وساعة تدرك أموره وآياته في الدنيا والآخرة .

فأنكرتم علينا رؤيته فى الآخرة ، وأقررتم برؤية الخلق كلهم إياه فى الدنيا ، مؤمنهم وكافرهم ، لما أنهم جميعا لا يزالون يرون أموره وآياته آناء الليل والنهار ، فخالفتكم بسلوك هذه المحجة جميع العالمين ، ورددتم قول الله (لا تدركه الأبصار) إذ ادعيت أن رؤيته ، يعنى إدراك آياته وأموره وأفعاله .

وأما دعواك : أن رؤية الله كقول الله : (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) فلو قد عقلت تفسير هذه الآية وفيما أنزلت ، لكن احتجاجك لإقرارا برؤية الله عيانا ، لأن هذه الرؤية كانت رؤية عيان .

وتفسير ذاك : رؤية القتال والقتال فقد رأوه بأعينهم وهم ينظرون ، فلم يصبروا له .

ولما نزلت هذه الآية فى قوم غابوا من مشهد بدر ، فقالوا : (لئن أَرانا الله قتالا ليرين ما نصنع ولنقاتلن) فأراهم الله القتال عيانا ، وهم ينظرون إليه بأعينهم فولوا مدبرين ، كما قال الله ، ولم يصبروا للقتال . فعفا عنهم وقال : (ولقد كنتم

(١) فى الأصل : يروا .

تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) فكان هذا رؤية عيان، لا رؤية خفاء، حدثناه موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمه، عن ثابت عن أنس قال: «غيب أنيس بن النضر عن بدر، فقال: غيبت عن أول مشهد شهده النبي صلى الله عليه وسلم لأن أراني الله قتالا لأرين الله ما أصنع».

حدثنا العباس بن الوليد النرسي، عن يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه) قال: «كان أناس لم يشهدوا بدرأ، وكانوا يتمنون أن يروا قتالا فيقاتلوا»، فهذه رؤية عيان، لا رؤية خفاء.

فإن أنكرت ما قلنا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الموت يرى في الآخرة»، قال «يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، فيقال يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت».

ولولا كثرة ما تستنكر الحق وترده بالجهالة لم نشتغل بكل هذه المنازعة في الرؤية، لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر لها تفسيراً لم يدع لأحد فيها مقالاً، إلا أن يكابر رجل عين الحق وهو يعلمه، إذ مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: «هل نرى ربنا يوم القيامة»، فقال: «هل تضامون في رؤية الشمس والقمر صحوا؟ فكذلك لا تضامون في رؤيته»، حدثناه نعيم، عن ابن المبارك، عن معمر، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد، عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وحدثناه نعيم بن حماد، حدثنا إبراهيم بن سعيد، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم وحدثناه عبد الله بن صالح، عن ليث بن سعد، عن هشام بن سعد، عن عطاء بن يسار،

عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدثناه أحمد بن يونس ، عن أبي شهاب الخنيط ، عن إسماعيل بن خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم وحدثناه علي بن المديني ، عن سفیان بن عيينة ، عن إسماعيل بإسناده مثله .

قال ابن المديني : لا يكون من الإسناد شيء أجود من هذا .

وقد روينا فيه بابا كبيرا في الكتاب الأول بأسانيدها فمن لم يؤمن بها ولم يرجحها كان من المحجوبين عنه يوم القيامة ، من الذين قال الله تعالى فيهم : (كلا لأنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لأنه يقال : من كذب بفضيلة لم ينلها ، وقد كذبت الجهمية بهذه الفضيلة أشد التكذيب .

وكتب إلى علي بن خشرم قال : من نازع في حديث الرؤية ظهر أنه جهمي .

باب النزول

وادعى المعارض أيضا أن قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله ينزل إلى السماء الدنيا إذا مضى ثلث الليل ، فيقول : هل من تائب ؟ هل من مستغفر ؟ هل من داع ؟ ، حدثنا القعنبي ، وابن بكير ، عن مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن الأغر ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني أستجب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ .

حدثنا أبو عمر الحوضي عن هشام الدستوائي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن رفاعة الجهني ، أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مضى ثلث الليل - أو شطر الليل - ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادى غيرى ، من يستغفرنى أغفر له ، من يدعونى أستجب له ، من يسألنى أعطه ، حتى ينفجر الفجر » وهذا باب طويل قد جمعناه فى الكتاب الاول (١) .

فادعى المعارض أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته ، وهو على العرش وبكل مكان ، من غير زوال لأنه الحى القيوم والقيوم بزعمه من لا يزول .

فيقال لهذا المعارض : وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ، لأن أمر الله ورحمته ينزل فى كل ساعة ووقت وأوان . فما بال النبي صلى الله عليه وسلم يحد لنزوله الليل دون النهار ، ويوقت من الليل شطره أو الأسحار ؟ فبرحمته وأمره يدعو العباد إلى الاستغفار ، أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلم دونه ، فيقولان « هل من داع فأجيب ؟ هل من سائل فأعطى ؟ ، فإن قدرت مذهبك ، لزمك أن تدعو الرحمة والأمر للذين يدعون إلى الأجابة والاستغفار بكلامها ، دون الله ، وهذا حال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء ؟ قد علمتم ذلك ولكن تكابرون .

وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل ، ثم لا يميكنان إلا إلى طلوع الفجر ، ثم يرفعان ، لأن رفاعة يرويه يقول فى حديثه « حتى ينفجر الفجر » .

قد علمتم إن شاء الله أن هذا التأويل أبطل باطل ، لا يقبله إلا كل جاهل .

(١) يقصد به كتابه الرد على الجهمية المطبوع فى هذه السلسلة من الخزائن

وأما دعواك : أن تفسير « القيوم » الذى لا يزول من مكانه فلا يتحرك . فلا يقبل مثل هذا التفسير إلا بأثر صحيح ، مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه ؛ أو التابعين . لأن الحى القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء وينزل ويرتفع إذا شاء ؛ ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء لأن أماراة ما بين الحى والميت التحرك ، كل حى متحرك لا محالة . وكل ميت غير متحرك لا محالة .

ومن يلتفت إلى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة ، إذ فسر نزوله مشروحا منصوصا ، ووقت انزوله وقتا مخصوصا ، لم يدع لك ولا لأصحابك فيه لبسا ولا عويضا .

ثم أجمل المعارض جميع ما ينكر الجهمية من صفات الله وذاته المسماة في كتابه ؛ وفي آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعد منها بضعا وثلاثين صفة نسقا واحدا ؛ يحكم عليها ويفسرها بما حكم المريسي وفسرها ، وتأولها حرفا حرفا ؛ خلاف ما عنى الله ؛ وخلاف ما تأولها الفقهاء الصالحون . لا يعتمد فى أكثرها إلا على المريسي .

فبدأ منها بالوجه ثم السمع والبصر ، والغضب ، والرضا ؛ والحب والبغض ، والفرح والكره ، والضحك والعجب ، والسخط ، والإرادة والمشية ، والأصابع والكف والقدمين . وقوله : (كل شيء هالك إلا وجهه) و (أينما تولوا فثم وجه الله) (وهو السميع البصير) و (خلقت آدم بيدي) ، (وقالت اليهود يد الله مغلولة) و (يد الله فوق أيديهم) (والسموات مطويات بيمينه) وقوله (فانك بأعيننا) و (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) (وجاء ربك والملك صفا صفا) (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) (الرحمن على العرش استوى) و (الذين يحملون العرش ومن حوله)

و (يحذرکم الله نفسه) و (لا یکلّمهم الله ولا ینظر لایهم) و (کتب علی نفسه الرحمة) و (تعلم ما فی نفسی ولا أعلم ما فی نفسك) و (الله یحب التوابین ویحب المتطهرین).

عمد المعارض إلى هذه الصفات والآیات ففسدها ونظم بعضها إلى بعض ، كما نظمها شيئاً بعد شيء ، ثم فرقها أبواباً في كتابه ، وتلفظ بردها بالتأویل ، كتلفظ الجهمية معتمداً فيها على تفاسیر الزائغ الجهمی بشر بن غياث المریسی ، دون من سواه ، مستتراً عند الجهال بالتشنيع بها على قوم يؤمنون بها ویصدقون الله ورسوله فيها ، بغير تکیيف ولا مثال .

فزعم أن هؤلاء المؤمنین یسکیفونها ویشبهونها بذوات أنفسهم . وأن العلماء بزعمه قالوا : ليس فی شيء منها اجتهاد رأى ، لیدرك کینة ذلك أو يشبهه شيء منها بشيء مما هو فی الخالق موجود .

قال : وهذا خطأ لما أن الله ليس كمثله شيء . فكذاك ليس ککیفیهته شيء .

قال أبو سعید : فقلنا لهذا المعارض المدلس بالتشنيع :

أما قولك : إن کيفية هذه الصفات وتشبيها بما هو موجود فی الخلق خطأ ، فإننا لانقول : إنه خطأ بل هو عندنا كفر . ونحن لتکیيفها وتشبيها بما هو موجود فی الخلق أشد أنفامنكم ، غير أنا كما لانشبهها ولا نکیفها لانکفر بها ، ولا نكذب ، ولا نبطلها بتأویل الضلال ، كما أبطلها إمامک المریسی فی أماكن من کتابک ، سنينها لمن غفل عنک من حوالیک من الاغمار إن شاء الله تعالى .

وأما ما ذكرت من اجتهاد الرأى فی تکیيف صفات الله ، فإننا لانجهز اجتهاد الرأى فی كثير من الفرائض والأحكام ، التي نراها بأعيننا ، وتسمع فی أذاننا ، فکیف فی صفات الله التي لم ترها العیون ، وقصرت عنها الظنون ؟ غير أنا لانقول فيها كما قال إمامک المریسی : إن هذه الصفات كلها لله غير شيء واحد ، وليس السمع

منه غير البصر ، ولا الوجه منه غير اليد ، ولا اليد منه غير النفس ، وأن الرحمن ليس يعرف بزعكم لنفسه ، سمعا من بصر ، ولا بصرا من سمع ، ولا وجها من يدين ، ولا يدين من وجه . هو كله بزعكم بصر وسمع ووجه ، وأعلى وأسفل ، ويد ونفس ، وعلم ومشية وإرادة مثل خلق الارضين والسماء والتلال ، والهواء التي لا يعرف شيء منها شيئا . فالله المتعالى عندنا أن يسكون كذلك .

فقد ميز الله في كتابه السمع من البصر فقال: (إني معكما أسمع وأرى) [٤٦/ طه] و (إنا معكم مستمعون) [١٥/ الشعراء] وقال (لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة) [٧٧/ آل عمران] ففرق بين الكلام والنظر ، دون السمع ، فقال عند السماع والصوت (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) [١/ المجادلة] (ولقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) [١٨١/ آل عمران] ولم يقل: قد رأى الله قول التي تجادلك في زوجها وقال في موضع الرؤية (أنه يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) [٢١٩/ الشعراء] وقال (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) [١٥/ التوبة] ولم يقل يسمع تقلبك ويسمع الله عملكم فلم يذكر الرؤية فيما يسمع ، ولا السماع فيما يرى لما عنده خلاف ما عندكم .

وكذلك قال (ودسر تجرى بأعيننا) [١٤/ القمر] (ولتصنع على عيني) [٢٩/ طه] ولم يقل لشيء من ذلك على سمعي .

فكما نحن لانكيف هذه الصفات لانكذب بها كتكذيبكم ، ولانفسرها كتفسيركم .

باب الحد والعرش

قال أبو سعيد : وادعي المعارض أيضا أنه ليس لله حد ولا غاية ولا نهاية .

وهذا الأصل الذى بنى عليه جهم جميع ضلالاته ، واشتق منه أغلوطاته وهى كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهما إليها أحد من العالمين .

فقال له قائل من حاوره : قد علمت مرادك أيها الأعجمى ، وتعنى أن الله لا شيء ، لأن الخلق كلهم علموا أنه ليس شيء يقع عليه اسم الشيء إلا وله حد وغاية وصفة ، وأن لا شيء ليس له حد ولا غاية ولا صفة ، فالشيء أبدا موصوف لا محالة . ولا شيء يوصف بلا حد ولا غاية . وقولك (لا حد له) يعنى أنه لا شيء .

قال أبو سعيد : والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره . ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية فى نفسه . ولكن نؤمن بالحد ونكل علم ذلك إلى الله ، والمكانة أيضا حد ، وهو على عرشه فوق سمواته ، فهذان حدان اثنان .

وسئل عبد الله ابن المبارك (بم تعرف ربنا ؟ قال بأنه على العرش ، بائن من خلقه . قيل : بمحد ؟ قال : بمحد) .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، عن على بن الحسين بن شقيق ، عن ابن المبارك فمن ادعى أنه ليس لله حد ، فقد رد القرآن ، وادعى أنه لا شيء . لأن الله وصف حد مكانه فى مواضع كثيرة من كتابه . فقال : (الرحمن على العرش استوى) [ه / طه] (أأمنتم من فى السماء) [١٦ / الملك] (يخافون ربهم من فوقهم) [ه / النحل] (إنا متوفيك ورافعك إلى) [٥٥ / آل عمران] إليه يصعد الحكم الطيب ، والعمل للصالح يرفعه) [١٠ / فاطر] فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد .

ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد آيات الله .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله فوق عرشه فوق سمواته) وقال للأمة السوداء (أين الله ؟ قالت : فى السماء . فقال : اعتقها فإنها مؤمنة) .

فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنها مؤمنة) وإنما لو لم تؤمن بأن الله في السماء لم تكن مؤمنة ، وأنه لا يجوز في الرقبة إلا من يحد الله أنه في السماء ، كما قال الله ورسوله .

فحدثنا أحمد بن منيع البغدادى الأصم ، حدثنا أبو معاوية ، عن شبيب بن شيبه ، عن الحسن ، عن عمران بن الحصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبيه (يا حصين كم تعبد اليوم إلها ؟ قال : سبعة ، ستة في الأرض وواحد في السماء . قال : فأيهم تعدد لرغبتك ولرهبتك ؟ قال الذى في السماء) فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على الكافر أن عرف أن إله العالمين في السماء . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم .

فحصين الخزاعى كان يومئذ في كفره أعلم بالله الجليل الأجل ، من المريسي وأصحابه ، مع ما ينتحلون من الإسلام . إذ ميز بين الإله الخالق الذى في السماء ، وبين الآلهة والأصنام التى في الأرض مخلوقة .

وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء ، وحدوده بذلك إلا المريسي الضال وأصحابه ، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك ، إذا حزب الصبي شيء يرفع يديه إلى ربه يدعو في السماء دون ماسواها ، فكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية .

ثم انتدب المعارض لتلك الصفات التى ألفها ، وعددها في كتابه من الوجه ، والسمع والبصر ، وغير ذلك ، يتأولها ، ويحكم على الله وعلى رسوله فيها حرفاً بعد حرف وشيئاً بعد شيء ، تحكم بشر بن غياث المريسي ، لا يعتمد فيها على إمام أقدم منه ، ولا أرشد منه عنده فاغتنمنا ذلك منه ، إذ صرح باسمه ، وسلم فيها لحكمه ، لما أن الكلمة قد اجتمعت من عامة الفقهاء في كفره ، وهتوك ستره ، واقتضاه في مصره ، وفي سائر الأمصار ، الذين سمعوا بذكره .

فروى المعارض عن بشر المريسي قراءة منه بزعمه - وزعم أن بشر قال له :

أروه عنى — أنه قال لإبليس (مامنعك أن تستجد لما خلقت بيدى) [٧٥ / ص -]
فادعى أن بشرا قال يعنى الله بذلك : أنى وليت خلقه ، وقوله : (بيدى) تأكيد
للخلق ، لأنه خلقه بيد .

فيقال لهذا المريسي الجاهل بالله وبآياته : فهل علمت شيئا مما خلق الله ولى خلق
ذلك غيره ، حتى خصّ آدم من بينهم أنه ولى خلقه من غير مسيس بيده فسه ؟
ولأفمن ادعى أن الله لم يل خلق شيء صغر أو كبر ، فقد كفر . غير أنه ولى
خلق الأشياء بأمره ، وقوله ، وإرادته ، وولى خلق آدم بيده مسيسا . لم يخلق
ذا روح بيده غيره ، فلذلك خصه به ، وفضله وشرف بذلك ذكره ، لولا ذلك
ما كانت له فضيلة فى ذلك على شيء من خلقه . إذ كلهم خلقهم بغير مسيس
فى دعواك .

وأما قولك : (تأكيد للخلق) فلعمري أنه لتأكيد جهات معناه فقلبتة ، إنما هو
تأكيد اليمين وتحقيقها ، وتفسيرهما ، حتى يعلم العباد أنه تأكيد مسيس بيد ، لما أن
الله تعالى قد خلق خلقا كثيرا فى السموات والأرض أكبر من آدم وأصغر ، وخلق
الأنبياء والرسل . وكيف لم يؤكد فى خلق شيء منها ما أكد فى آدم . إذا كان
أمر المخلوقين فى معنى يد الله كمنى آدم عند المريسي . فإن يك صادقا فى دعواه
فليس شيئا نعرفه ، وإلا فإنه الجاحد بآيات الله ، المعطل ليدى الله .

وادعى الجاهل المريسي أيضا فى تفسير التأكيد من المحال ما لا تعلم أن أحدا
ادعاه من أهل الضلالة . فقال : هذا تأكيد للخلق ، لا ليد ، كقول الله تعالى
(فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتن تلك عشرة كاملة) [١٩٦ / البقرة] .

فيقال لهذا التائه الذى سلب الله عقله وأكثر جهله : نعم هو تأكيد لليمين ،
كما قلنا ، لا تأكيد للخلق . كما أن قوله : (تلك عشرة كاملة) تأكيد للعدد لا تأكيد
للسيام ، لأن العدد غير الصيام ويد الله غير آدم . فأكد الله لآدم الفضيلة التى كرمه
وشرفه بها ، وآثره على جميع عبادته ، إذ كل عبادته خلقهم بغير مسيس بيد ،

وخلق آدم بميسر : فهذه عليك لا لك . وقد أخذنا فالك من فيك ، محتجين بها عليك كالشاة التي تحمل حثفها بأظلافها .

فإن أجاب هذا المريسي أعلنه أن تأكيد الخلق - إن كان جاهلا به - هو قول الله : (صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه) [٨٨ / الزمل] و (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه - الآية) [٩ / السجدة] وقوله : (خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه) الآية (وصوركم فأحسن صوركم) [٦٤ / غافر] (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) [٤ / التين] (ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقه . فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما . فكسونا العظام لحما . ثم أنشأناه خلقا آخر . فتبارك الله أحسن الخالقين) [١٤ / المؤمنون] فهذا تأكيد الخلق وتفسيره ، لا ما ادعى الجاهل . وقوله (لما خلقت بيدي) تأكيد يديه لا تأكيد خلق آدم . وما كان حاجة إبليس إلى أن يؤكد الله له خلق آدم ، وقد كان من أعلم الخلق بآدم ؟ رآه قبل أن ينفخ فيه الروح طينا مصورا مطروحا بالأرض . ثم رآه بعدما نفخ فيه الروح . ثم كان معه في الجنة حتى وسوس إليه فأخرجه منها . ثم كان يراه إلى أن مات . فإنما أكد الله له من أمر آدم ما لم ير ، لا ما رأى لأنه لم ير يديه الله وهما تخلقانه . فليعلم الجاهل المريسي بأننا ما ظننا أن عنده من رنائة الحجج والبيان ، وقلة الإصابة والبرهان ، قدر ما كشف عنه هذا الإنسان . والحمد لله الذي أنطق بها لسانه ، وعرف الناس شأنه ، ليعرفوه فيجافوا مكانه .

ثم لم يرض الجاهل المريسي ، مع سخافة هذه الحجج ، حتى قام الله في يديه اللتين خلق بهما آدم أقبح القيام وأسمجه ، بعد ما زعم أنه لا يحل أن يقاس الله بشيء من خلقه ، ولا بشيء هو موجود في خلقه ، ولا يتوهم ذلك . ثم قال : أليس يقال للرجل المقطوع اليدين من المنكبين (إذ هو كفر بلسانه) إن كفره ذلك بما

كسبت يده ، وإن لم يكن كفره بيديه .

فيقال لهذا الضال المضل : أليس قد زعمت أن الله لا يشبه بشيء من خلقه ، ولا يتوهم الرجل في صفاته ما يعقل مثله في نفسه . فكيف تشبه الله في يديه اللتين خلق بهما آدم بأقطع مجذوم اليدين من المنكبين؟ وتوهم في قياس يده الله ما تعقلته في ذلك المجذوم المقطوع ، وتوهم ذلك ؟ فقد توهمت أقبح ما عبت على غيرك إذا ادعيت أن الله لا يدين له كالأقطع المقطوع اليدين من المنكبين ، وتلك إنما تقال لمن كفر بلسانه وليست له يدين : ذلك بما كسبت يده مثلا معقولا . يقال ذلك الأقطع وغير الأقطع من ذوى الأيدي ، غير أنه لا يضرب هذا المثل ، ولا يقال ذلك إلا لمن هو من ذوى الأيدي أو كان من ذوى الأيدي قبل أن يقطعها . والله بزرعكم قط لم يك من ذوى الأيدي ، فيستحيل في كلام العرب أن يقال لمن ليس بذى يدين ، أو لم يكن قط ذا يدين : إن كفره وعمله بما كسبت يده وقد يجوز أن يقال : بيد فلان أمرى ومالى ، وبيده الطلاق والعناق والأمر ، وما أشبهه وإن لم تكن هذه الأشياء موضوعة في كفه ، بعد أن يكون المضاف إليه من ذوى الأيدي . فإذا لم يكن المضاف إلى يده من ذوى الأيدي يستحيل أن يقال : بيده شيء من الأشياء وقد يقال : بين يدي الساعة كذا وكذا ، وكما قال الله : (بين يدي عذاب شديد) [٦٤ / سبأ] وكقوله (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها) [٦٦ / البقرة] وكما قال الله (مصدقا لما بين يديه) [٩٧ / البقرة] فيجوز أن يقال : بين يدي كذا وكذا كذا لما هو من ذوى الأيدي وعن ليس من ذوى الأيدي .

ولا يجوز أن يقال : بيده إلا لمن هو من ذوى الأيدي . لأنك إذا قلت : بيدي الساعة كذا وكذا كما قلت : بين يديها ، استحال . وبيدي العذاب كذا وكذا وبيدي القرآن الذى هو مصدق لما بين يديه كذا وكذا ، وبيدي القرية التى جعلها الله أنكالا كذا وكذا استحال ذلك كله ، ولا يستحيل أن يقال : بين يديك لأنك تعنى أمامه وقدامه بين يديه . فذلك يجوز أن يقال للأقطع إذا كفر بلسانه : إنه بما كسبت يده . لأنه كان من ذوى الأيدي فقطعتا ، أو كانتا معه .

ويستحيل أن يقال : بما كسبت يدي الساعة ، و يدي العذاب ، و يدي القرآن .
لأنه لا يقال : يدي شيء شيء . إلا وذلك الشيء معقول في القلوب أنه من ذوى
الأيدي . وأنت أول من نفيت عن الله يديه ، أنه ليس بذى يدين ، ولم يكن قط
له يدان . ثم قلت : يدي الله كذا وكذا . و خلقت آدم يدي ولا يدان له عندك
فهذا محال في كلام العرب ، لا شك فيه ، أو سم شيئا يخالف دعوانا .

وكذلك الحجة عليك فيما احتججت به أيضا في نفي يدي الله أنه عندك كقول
الناس في الامثال (يداك أو كتا وفوك نفخ) وكقول الله (بيده عقدة النكاح)
[البقرة/٢٢٧] فادعيت أن العقدة بعينها ليست موضوعة في كفه . ويجوز أن يقال
ذلك في الكلام . فقلت لك : أجل ، أيها الجاهل ، هذا يجوز لما أن الموصوف
بهما من ذوى الأيدي : فلذلك جاز لولا ذلك لم يحز ولم يكن للذى بيده عقدة
النكاح ، ولا للوكي ، ولا للنافخ يدان . أو لم يكونوا من ذوى الأيدي كعبودك
في نفسك لم يحز أن يقال : بيده .

ولو لم يكن لله يدان بها خلق آدم ومسه بها ميسا . كما ادعيت لم يحز ن
يقال (بيدك الخير) [٢٦/آل عمران] (وأن الفضل بيد الله) [٧٣/آل عمران]
(تبارك الذى بيده الملك) [١/الملك] المذهب الذى فسرنا . فإن كنت لا تحسن
العربية فسل من يحسنها ثم تكلم .

وقد يجوز للرجل أن يقول : بنيت دارا ، أو قتلت رجلا ، أو ضربت غلاما ،
أو وزنت لفلان مالا ، أو كتبت له كتابا ، وإن لم يتول شيئا من ذلك بيده ،
بل أمر البناء ببنائه ، والكتّاب بكتابه ، والقاتل بقتله ، والضارب بضربه
والوازن بوزنه . فقل هذا يجوز على المجاز الذى يعقله الناس بقلوبهم ، على مجاز
كلام العرب .

وإذا قال : كتبت يدي كتابا كما قال الله ، خلقت آدم يدي . أو قال : وزنت

بيدى . وقتلت بيدي . وبذيت بيدي ، وضربت بيدي . كان ذلك تأكيذا لبيديه ، دون يدي غيره . ومعقول المعنى عند العقلاء ، كما أخبرنا الله : أنه خلق الخلائق بأمره فقال : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [٤٠ / النحل] فعلمنا أنه خلق الخلائق بأمره ، وإرادته وكلامه وقوله (كن) وبذلك كانت ، وهو الفعال لما يريد .

فلما قال خلقت آدم بيدي - علمنا أن ذلك تأكيد لبيديه . وأنه خلقه بها مع أمره وإرادته . فاجتمع مع آدم تخليق اليد نصا والأمر والارادة . ولم يجتمعا في خلق غيره من الوجودانيين : لأن الله لم يذكر أنه مس خلقا ذا روح بيده غير آدم ، إذ لم يذكر ذلك في أحد من سواه ولم يخص به بشرا غيره من الأنبياء وغيرهم .

ولو كان على ما تأولت أنه أراد بيديه أنه ولي خلقه فأكد له لكان لابليس فيما احتج به الله عليه من أمر اليمين لآدم بذلك فضل وفخر ، إذ ولي خلق لابليس في دعواك كما ولي خلق آدم سواء ، وأكده كما أكد له . ولو كان ذلك على ما تأولت لحاج لابليس ربه ، كما حازه حين قال : (خلقتني من نار وخلقته من طين) [٧٦ / ص] وكما قال : (أسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون) [٣٣ / الحجر] فيقول : خلقتني أيضا يارب بيدك ، على معنى ما خلقت به آدم ، أى وليت خلقي . فأكذبه في دعواه ولكن كان الكافر الرجيم أجود معرفة بيدي الله منك أيها المريسي بل علم عدو الله لابليس أنه لو احتج بها على الله لا كذبه .

وأما دعواك أيها المريسي في قول الله (بل يدها مبسوطتان) [٦٧ / المائدة] فزعمت أن تفسيرها عندك : رزقاه رزق موسع ورزق مقتور : ورزق حلال ورزق حرام . فقوله يدها عندك رزقاه . فقد خرجت بهذا التأويل من حد العربية كلها ، ومن حد ما يفقهه النحباء ، ومن جميع لغات العرب والعجم فمن تلقاها؟ وعن زويته من أهل العلم بالعربية والفارسية؟ وإنك جئت بمجال لا يعقله أعجمي

ولا عربي ، ولا نعلم حدا من أهل العلم والمعرفة سبقك إلى هذا التفسير . فإن كنت صادقا في تفسيرك هذا فأثمه عن صاحب علم أو صاحب عربية وإلا فإنك مع كفرك بها من المدلسين .

وإن كان تفسيرهما عندك مذهباً إليه فإنه كذب محال ، فضلا عن أن يكون كفرا . لأنك ادعيت أن الله رزقا موسعا ورزقا ، مقترأ ثم قلت : إن رزقيه جميعا مبسوطان . فكيف يكونان مبسوطين ؟ والمفتور أبدا في كلام العرب غير مبسوط وكيف قال : الله أن كليهما مبسوطان وأنت تزعم أن إحداها مقتورة وهذا أول كذبك وجهالك بالتفسير . وقد كفانا الله ورسوله مؤنة تفسيرك هذا بالناطق من كتابه وبما أخبر الله عن إيمان نبيه .

أما الناطق من كتابه فقوله (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) [٧٥/ص] وقوله (بل يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقوله (يد الله فوق أيديهم) [١٠/المتح] وقوله (بيدك الخير) وقوله (وأن الفضل بيد الله) وقوله (تبارك الذي بيده الملك) وقوله (لاتضربوا بين يدي الله ورسوله) [١/الحجرات] فهل يجوز لك أن تتأول في جميع ما ذكرنا من كتابه أنه رزقاه . فتقول : برزقه الخير ، وبرزقه الفضل ، وبرزقه الملك ، ولا تقدموا بين رزق الله ورسوله ؟

وأما المأثور من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله صلى الله عليه وسلم (إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين) حدثنا ابن المديني ونعيم بن حماد وابن أبي شيبة عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمر بن أوس عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فتفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم في تأويلك أيها المريسي : أنهم على منابر من نور عن رزقي الرحمن ، وكلتا رزقيه يمين .

وحدثنا مهدي بن جعفر الرملي حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه . عن

عبد الله بن مقسم، عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(ياخذ الجبار سمواته وأرضه بيديه - وقبض كفيه ، أو قال يديه - فجعل يقبضها
ويبسطها . ثم يقول : أنا الملك ، أنا الجبار : أين المتكبرون ؟ ويميل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله ، حتى نظرت إلى المنبر من أسفل شيء منه
حتى إنى لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟) .

فيجوز أيها المريسي أن تتأول هذا الحديث أنه يأخذ السموات والأرض
برزقيه موسوعه ومقتوره ، وحلاله وحرامه ؟ ما أراك إلا وستعلم أنك تتكلم
بالحال ، لتغالط بها الجهال ، وتروج عليهم الضلال .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم (والذي نفسى بيده . لا تدخلوا الجنة حتى
تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا - الحديث) .

حدثنا نعيم بن حماد بن المبارك ، أخبرنا يونس ، عن الزهري حدثني سعيد بن
المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يقبض الله الأرض
يوم القيامة ويطوى بيمينه ، ثم قال أنا الملك أين الملوك) ؟

أفيجوز أن يطوى الله السماء بأحد رزقيه (فأيها الموسع عندك من المقثور ؟
وأيها الحلال من الحرام) ؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (وكلنا يديه يمين) .

وادعيت أنت أن أحدهما موسع والآخر مقتور .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنا محمد بن عمرو ، عن
أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لقي آدم موسى .
فقال له : أنت الذى خلقك الله بيده) ؟ أفيجوز أيها المريسي أن تتأول قول موسى
(خلقك الله بأحد رزقيه . بحلاله أم حرامه) ؟

حدثنا مسلم بن إبراهيم الأزدي ، وأبو عمر الحوضي ، وعمر بن مرزوق ،
قالوا : حدثنا شعبة ، عن عمر بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى . عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها) أفيجوز أن يقال : يبسط حلاله بالليل وحرامه بالنهار ليتوب المسيئان ؟

حدثنا نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، أنا عيمنة بن سعيد ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) [٦٧ / العنكبوت] فأين يكون الناس يومئذ يارسول الله ؟ قال : (على جسر جهنم) أفيجوز أن يقال : إن الأرض جميعا رزق الله يوم القيامة ، والسموات مطويات برزقه حلاله وحرامه ، وموسوعه ، ومقتره ؟ لقد علم الحق من جهل استحالة هذا التأويل .

فأو أنك إذا أردت معاندة الله ورسوله ومخالفة أهل الاسلام احتججت بكلام أستر عورة ، وأقل استحالة من هذا ، لكان أنجح لك في قلوب الجاهل ، من أن تأتي بشيء لا يشك عاقل ولا جاهل ، في بطوله واستحالته .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث حدثني ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه أن رحمتى تغلب غضبي) أفيجوز لهذا المريسي أن يقول : كتب برزقه حلاله وحرامه على نفسه ؟

وفي هذا الباب أحاديث كثيرة ، تركناها مخافة التطويل . وفيما ذكرنا من ذلك بيان بين ، ودلالة ظاهرة ، في تثبيت يدى الله : أنها على خلاف ما تأوله هذا المريسي الضلال ، الذى خرج بتأويله هذا من جميع لغات العرب والعجم . فليعرض هذه الآثار رجل على عقله : هل يجوز لعربي أو عجمي أن يتأول أنها أرزاقة ، وحلاله ، وحرامه ؟ وما أحسب هذا المريسي إلا وهو على يقين من نفسه أنها تأويل ضلال ، ودعوى محال ، غير أنه مكذب الأصل ، متلطف لتكذيبه بمحال التأويل ، كيلا

يفطن لتكذيبه أهل الجهل . ولئن كان أهل الجهل في غلط من أمره ، إن أهل العلم منه لعلّ يقين . فلا يظن المنساخت من دين الله أنه يناط بتأويله هذا إلا من قد أضله ، وجعل عل قلبه وسمعه وبصره غشاوة .

ثم لما ما عرفنا لآدم من ذريته ابنا أعق ولا أحسد منه ، إذا ينفي عنه أنه أفضل فضائله ، وأشرف مناقبه ، فيسويه في ذلك بأخص خلق الله ، لأنه ليس لآدم فضيلة أفضل من أن الله خلقه بيده من بين خلائقه ، ففضله بها على جميع الأنبياء والرسل والملائكة . ألا ترون موسى حين التقى مع آدم في المحاورة ؟ احتج عليه بأشرف مناقبه . فقال : (أنت الذى خلقك الله بيده) ولو لم تكن هذه مخصوصة لآدم دون من سواه ، ما كان يخصه بها فضيلة دون نفسه ، إذ هو وآدم في خلق يدى الله سواء في دوى المريسى . فلذلك قلنا : لأنه لم يكن لآدم ابن أعق منه ، إذ ينفي عنه ما فضله الله به على الأنبياء والرسل والملائكة المقربين .

وبما يبين ذلك : حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث ، حدثني هشام بن سعيد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنها قال : (لقد قالت الملائكة : ياربنا ، منا الملائكة المقربون ، ومنا حملة العرش ، ومنا الكرام الكاتبون ، ونحن نسبح الليل والنهار ولا نسأم ولا نفتر ، خلقت بنى آدم فجعلت لهم الدنيا ، وجعلتهم يأكلون ويشربون ويستريحون ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة . فقال : لن أفعل ثم عادوا فاجتهدوا المسئلة فقال : لن أفعل . ثم عادوا فاجتهدوا المسئلة بمثل ذلك فقال : لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي ، كمن قلت له كن فكان) .

أولا ترى أيها المريسى ، كيف ميز بين آدم في خلقه بيدي الله من بين سائر الخلق ولو كان تفسيره على ما ادعيت لاحتجت الملائكة على ربه إذ احتج عليهم بيديه في آدم ، أن يقولوا : ياربنا نحن وآدم في معنى خلقه بيدك سواء ولكن علمت

الملائكة من تفسير ذلك ما عني عنه الضال المريسي . والله ما رضى الله لذرية آدم حتى أثبت لهم بذلك عنده منقبة آدم ، إذ خلق أباهم بيده خصوصا من بين الخلاق .

حتى احتج به على الملائكة وفضل ولده بذلك عليهم ، فكيف آدم نفسه ؟ لقد حسدت أباك أيها المريسي كما حسده إبليس ، حيث قال (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وأى حقوق لآدم أعظم من أن يقول الله : خلقت أباك آدم بيدي دون من سواه من الخلاق ، فنقول : لا . خلقته بإرادتك دون يديك ، كما خلقت القردة والخنازير ، والكلاب ، والخنافس ، والعقارب سواء ؟

وما يزيدك بيانا لاستحالة دعواك : قول ابن عمر رضى الله عنهما (خلق الله أربعة أشياء بيده ثم قال لسائر الخلق كن فكان) .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عبيد بن مهران وهو المصنف ، حدثنا مجاهد قال : قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما (خلق الله أربعة أشياء بيده . العرش ، والقلم ، وعدن ، وآدم ثم قال لسائر الخلق . كن فكان) .

أفلا ترى أيها المريسي كيف ميز ابن عمر وفرق بين آدم وسائر الخلق من خلقه باليد ؟ أفأنت أعلم من ابن عمر بتأويل القرآن وقد شهد التنزيل وعين التنزيل وكان بلغات العرب غير مجبول .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن عطاء بن السائب ؟ عن ميسرة قال : (إن الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلاث : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده) .

حدثنا محمد بن المنهال ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ،

عن قتادة ، عن أنس ، عن كعب ، قال : (لم يخلق الله بيده غير ثلاث ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده ، ثم قال لها تكلمي : قالت : قد أفلح المؤمنون) .

ولو كان كما ادعى المريسي لكان معنى هذه الأحاديث : إن الله لم يل خلق شيء غير هذه الثلاث . وهذا الكفر بالله .

ومن يحصى ما في تثبيت يد الله من الآثار والأخبار ؟ غير أنا أحيينا أن نأتي منها بألفاظ إذا فكر فيها العاقل استدل على ضلال هذا الجاهل .

حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن طلق بن حبيب ، حدثه عن ابن عباس في قول الله تعالى (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) قال (كلهن بيمينه) .

حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، (والسموات مطويات بيمينه) وكلنا يدى الرحمن يمين ، قال . قلت : فأين الناس يومئذ ؟ قال : (على جسر جهنم) .

حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن فطر بن خليفة ، عن عبد الرحمن بن سابط . عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال (خلق الله الخلق فكانوا في قبضته) فقال لمن في يمينه ادخلوا الجنة بسلام ، وقال لمن في الأخرى ، ادخلوا النار ولا أبالي . فذهبت إلى يوم القيامة .

حدثنا عمر بن عون الواسطى ، أخبرنا خالد ، عن سهيل ، عن أبيه ابن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن العبد إذا تصدق بالتمر من الكسب الطيب فيضعها في حقها ، فيقبضها الله بيمينه ، فما يبرح يربها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون أعظم من جبل) .

حدثنا مسدد حدثنا يحيى - يعنى القطان - عن شعبة ، قال حدثني عبد الله بن

السائب ، قال : سمعت أبا قتادة - رجلا من محارب - قال سمعت ابن مسعود يقول :
(ما من رجل يتصدق بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل) وقرأ
(أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) [١٠٤ / التوبة] .

وحدثنا الربيع ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، عن سليمان التيمي ،
عن أبي عثمان ، عن سلمان أو عبد الله بن مسعود قال : (إن الله خمر طينة آدم
أربعين ليلة ، ثم قال بيده هكذا ، فخرج في يمينه كل طيب ، وخرج في الأخرى
كل خبيث ، ثم قال : (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) . قال :
يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن .

حدثنا الربيع بن نافع ، أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام ، أنه سمع أبا سلام
قال : حدثني عامر بن زيد البكائي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم (إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفا بغير
حساب ، ويشفع كل ألف بسبعين ألفا ، ويحوى بكفه ثلاث حشيات ، فذكر عمر) . وحدثنا
الربيع بن نافع أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا
سلام قال : حدثني عبد الله بن عامر أن قيسا الكندي حدث الوليد أن أبا سعيد
الخير الأيادي حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن ربي وعدني أن
يدخل الجنة من أمي سبعين ألفا ويشفع كل ألف بسبعين ألف ، ثم يحوى لي ثلاث
حشيات بكفه . قال قيس : فأخذت بمنكب أبي سعيد فجبدته . فقلت أنت سمعت هذا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم بإذني ووعاه قلبي) هو قيس بن
الحارث الكندي .

حدثنا الهيثم بن خارجة ، حدثنا إسماعيل بن عياش . عن حميد بن أبي مويد ،
عن عطاء ، عن أبي هريرة رضى الله عنه - في تأكيد الكف عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : (من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض كف الرحمن)
يعنى استلام الحجر الأسود .

حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جارية قال : سمعت بشر بن عبيد الله قال سمعت أبا إدريس الخولاني يقول : سمعت النّوّاس بن سميان الكلّابي رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الميزان بيدى الرحمن يرفع أفواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة) .

ولما جئت بهذه الأخبار كلها ليعلم الناس أن القوم مخالفون لما قال الله ورسوله وما مضى عليه الصحابة والتابعون ، وأنهم في ذلك على غير سبيل المؤمنين ومحجة الصادق .

قد ادعى المريسي أيضا وأصحابه أن يد الله نعمته . فقلت لبعضهم . إذن يستحيل في دعواكم أن يقال : خلق الله آدم بنعمته . أقوله (مبسوطتان) أنعمتان من أنعمه فقط مبسوطتان ؟ فإن نعمه أكثر من أن تحصى ، أفلم يبسط منها على عباده إلا اثنتين ، وقبض عنهم ماسواهما في دعواكم ؟ فحين رأينا كثرة نعم الله المبسوطات على عباده ثم قال (بل يداه مبسوطتان) علمنا أنها بخلاف ما ادعيتهم ، ووجدنا أهل العلم ممن مضى يتأولونها على خلاف ما تأولتم ، ومحجتهم أرضى وقولهم أشفى .

حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن حسين بن وافد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة قال : قوله : (بل يداه مبسوطتان) قال : (يعنى اليدين) .

حدثنا سعيد بن أبي مريم عن نافع بن عمر الجمي قال (سألت ابن أبي مليكة عن يد الله تعالى : واحدة ، أو اثنتان ؟ قال بل اثنتان) .

وحدثنا هديّة بن خالد حدثنا سلام بن مسكين عن عاصم الجحدري في قول الله تعالى : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) قال : « بيديه » .

فمن يلتفت بعد إلى تأويل هذا المريسي ، ويدع تأويل هؤلاء الأئمة العلماء السالحين ؟ أرايتم إذ تأرأيتم أن يد الله نعمته أفيجسن أن يقولوا في قول رسول

الله صلى الله عليه وسلم (يطوى الله السموات بيمينه يوم القيامة) نه يطويها بنعمته ؟ أم قوله (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين) على منابر من نور - عن نعمة الرحمن ، وكلتا نعمتي الرحمن نعمة واحدة . هذا أقبح محال ، وأمع ضلال ، وهو مع ذلك ضحكة وسخرية ماسبة لكم إلى مثلها أعجمى أو عربى ، أم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الصدقة تقع في يد الله قبل يدى السائل ، أنها تقع في نعمتي الله ؟ أم قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه (خلق الله الخلق فكانوا في قبضته) أى نعمته . قال لمن في نعمته اليمنى ادخلوا الجنة وقال لمن في نعمته الأخرى ادخلوا النار ؟ أم قول ابن عمر رضى الله عنها (خلق الله أربعة أشياء بيده ، ثم قال لسائر الأشياء كن فكان) أفيجوز أن يقولوا خلق أربعة أشياء بنعمته ورزقه ثم قال : لسائر الخلق كونوا بلا نعمة ولا رزق فكانوا ؟

قد علمت أيها المريسي أن هذه تفاسير مقلوبة ، خارجة من كل معقول ، لا يعقله إلا كل جهول ، فإذا ادعيت أن اليد قد عرفت في كلام العرب أنها نعمة وقوة ، قلنا لك : أجل ، ولسنا بتفسيرها منك أجهل ، غير أن تفسير ذلك يستبين في سياق كلام المتكلم حتى لا يحتاج له من مثلك إلى تفسير ، إذا قال الرجل : لفلان عندي يد أ كافته عليها . علم كل عالم بالكلام أن يد فلان ليست ببائنة منه موضوعة عند المتكلم . وإنما يراد بها النعمة التي يشكر عليها . وكذلك إذا قال : فلان لى يد أو عضد أو ناصر ، علمنا أن فلانا لا يمكنه أن يكون نفس يده عضوه ، ولا عضده فإنما عنى به النصرة والمعونة والتوبة فإذا قال : ضربنى فلان بيده . وأعطانى الشيء بيده . وكتب لى بيده . استحال أن يقال : ضربنى بنعمته ، وعلم كل عالم بالكلام أنها اليد التي بها يضرب ، وبها يكتب ، بها يعطى لا النعمة . كما قال الله تعالى : (أولى الأيدي والأبصار) علم كل عالم أنها ليست باليد التي يضرب بها ويكتب بها لما أن الناس كلهم أولى أيدى وأبصار والأيدي والأبصار التي هى الجوارح . لا يجوز الكلام في آيات الصفات وأحاديث الإثبات لها ونفى المثلية عنها والإيمان

بها بما يعرف من اللغة العربية على سياق الكلام وملازمته والله أعلم .
ولا يجوز لك أيها المريسي أن تنفي اليد التي هي اليد ، لما أنه وجد في كلام العرب أن اليد قد تكون نعمة وقوة ، ولكن هذا في سياق الكلام معقول ، ولا ينفي المثلية إلا من بين موجودين بالانصافات ، إما بمدح وإكمال ، وإما بدم ونقصان فلما قال الله (خلقت يدي) استحال فيها كل معنى إلا اليدين . كما قال العلماء الذين حكينا عنهم . فليس من ذكر هذه الاليدى إلا ذلك في سياق الكلام معقول . والشاهد بتفسيرها ينطق في نفس كلام المتكلم . فإن صرفت منه معنى منهوما إلى غير مفهوم استحال وإن صرفت عاما إلى خاص استحال وإن صرفت خاصا منه إلى عام استحال أو بطل معناه . وأظن ليس لك من الجبل بمعاني الكلام كل ما لا تقبل ما قلنا . ولكنك فيه كالغريق يتعلق بكل عود . وقد قلنا يكفيني في مس الله آدم بيده أقل مما ذكرنا . ولو لم يكن إلا أنا لا نسمع في شيء من كتاب الله . ولا على لسان أحد من عباد الله أن الله خلق نوحا بيده وهوذا صالحا أو إبراهيم أو إسماعيل ، أو إسحق ، وموسى وعيسى ، ومحمدا صلوات الله عليهم أجمعين لكان كافيا .

ولو كان معناه أيها المريسي كل ما ادعيت أن الله أراد باليدين تأكيد الخلق لا تأكيد اليد ، لا أكد أيضا في خلق نبي أو رسول ، كما أكد في خلق آدم ، في دعواك . حتى أن أهل الآخرة يعرفون لآدم تلك الفضيلة في الموقف يوم القيامة فيقولون : (اذهبوا بنا إلى آدم . فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده اشفع لنا إلى ربك) .

حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن هشام الدستوائي ، عن قتادة ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم (يأتون آدم ثم يأتون إبراهيم وموسى وعيسى) ولا يقولون لأحد منهم : أنت الذي خلقك الله بيده كما قالوا لآدم ، بل يقولون لإبراهيم : اتخذك الله خليلا ، ولموسى : كذلك الله تكليما ولعيسى : كنت تبرى الأكمه والأبرص ويقولون لآدم من بينهم خلقك الله تعالى بيده) لما أنه مخصوص بذلك من بينهم . كما أن كل واحد من هؤلاء الأنبياء مخصوص بمنقبته

التي هي له دون صاحبه . فأى ضلال أبين من ضلال رجل خالفه في دعواه أهل الدنيا والآخرة ولسكن (من يضلل الله فلا هادى له ومن يهدى الله فلا اله من مضل) فإن احتج محتج عن المريسى في إبطال أن الله خلق آدم بيده بقوله (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن) [٥٩ / آل عمران] فقال : جعله مثل عيسى ، وعيسى لم يخلقه بيده ، لقلنا لهذا المحتج : غلطت في التأويل وضللت عن سواء السبيل . فإنه ليس عيسى مثل آدم في كل شيء من أمره . وهذا أنه كان بأمر الله وكتبته من غير أب ، كما أن آدم لم يكن له أب ، ثم هو في سائر أمره مخالفا لآدم ، أوله خلق الله لإياه بيديه ، والثاني أن الله خلق آدم بتمامه من طين ، لم يكن صغيرا فكبر ، ولم يشتمل عليه بطن ولا رحم ، ولم يرضع بلبن صغيرا في المهد ، فكما هو في هذه الأشياء مخالف لآدم فهو له مخالف في خلق يدي الله ، كما أنه ليس كمثل شيء ، فليس كيده يد .

فافهم أيها المريسى أنك تأولت في يدي الله أفحش مما تأولت اليهود قالوا : يد الله مغلوقة . وادعيت أنها مخلوقة ، لما أنك تأولتها النعم والأرزاق وهي مخلوقة ، فإذا لقي الله من عماياتكم هذه ؟ تدعون أن يدي الله مخلوقتان إذ هما عندكم رزقاه حلاله وحرامه ، وموسوعه ومقتوره . وهذه كلها مخلوقة .

السمع والبصر

وادعى المريسى أيضا في قول الله (إن الله سميع بصير) (والله بصير بالعباد) بمعنى عالم بهم ، لا أنه يبصرهم ببصر ، ولا ينظر إليهم بعين . فقد يقال للأعمى : ما أبصره ، أى ما أعلمه ، وإن كان لا يبصر بعين .

فيقال لهذا المريسى الضال : الحمار ، والكلب أحسن حالا من إله على هذه الصفة . لأن الحمار يسمع الأصوات بسمع ، ويرى الألوان بعين . والهك بزعمك أعمى أصم ، لا يسمع بسمع ، ولا يبصر ببصر ! واسكن يدرك الصوت كما تدرك

الحيطان والجبال التي ليست لها أسمع ، ويرى الألوان بالمشاهدة لا يبصر في دعواك .

فقد جمعت أيها المريسي في دعواك هذه جهلا وكفرا . أما الكفر فتشبيهاك الله بالاعمى الذي لا يبصر ولا يرى . وأما الجهل فعرفة الناس بأنه لا يستقيم في كلام العرب أن يقال لشيء : هو سميع بصير ، إلا وذلك الشيء موصوف بالسمع والبصر من ذوى الاعين والاسماع والأبصار . والاعمى من ذوى الاعين ، وإن كان قد حجب بصره .

فإن كنت تنكر ما قلنا فسم شيئا من الأشياء التي ليست لها أسمع وأبصار : هل يجوز أن يقال : هو سميع بصير ؟ ونحن نقول : الله سميع بصير ثم نفيت عنه السمع والبصر اللذين هما السمع والبصر ، ونفيت عنه العين ، وكما يستحيل هذا في الأشياء التي ليست لها أسمع وأبصار فهو في الله السميع البصير أشد استحالة .

وكيف استجزت أن تسمى أهل السنة وأهل المعرفة بصفات الله المقدسة مشبهة إذا وصفوا الله بما وصف به نفسه في كلامه بالأشياء التي أسماؤها موجودة في صفات بن آدم بلا تكليف . وأنت قد شبهت إلهك في يديه وسمعه وبصره بأعمى وأقطع ، وتوهمت في معبودك ما توهمت في الأعمى والأقطع ، فعبودك في دعواك مخدج منقوص ، أعمى لا يبصر له ، وأبكم لا كلام له ، وأجزم لا يدان له ، ومقعد لا حراك به ، وليس هذه بصفة إله المصلين . أفأنت أوحش مذهبا في تشبيهاك إلهك بهؤلاء العميان والمقطوعين ، أم هؤلاء الذين تسميهم مشبهة ، إذ وصفوه بما وصف به نفسه بلا تشبيه ، فلو أنها كلة هي محنة الجهمية التي بها ينزبون المؤمنون ما سميت مشبها غيرك ، لساجة ما شبهت ومثلك ويملك ، إنما نصفه بالأسماء لا بالتكليف ولا بالتشبيه كما يقال : أنه ملك كريم عليم حكيم ، حلیم رحيم ، لطيف مؤمن ، عزيز جبار متكبر .

وقد يجوز أن يدعى البشر ببعض هذه الأسماء ، وإن كانت مخالفة لصفاتهم . فالأسماء فيها متفقة ، والتشبيه والكيفية مفترقة ؟ كما يقال : ليس في الدنيا عما في الجنة إلا الأسماء ، يعنى في الشبه والطعم والدوق ، والمنظر واللون . فإذا كان كذلك فالله أبعد من التشبيه وأبعد . فإن كنا مشبهة عندك إذ وحدنا الله وإلهوا واحدا بصفات أخذناها عنه من كتابه ، فوصفناه بما وصف به نفسه في كتابه ، فالله في دعواكم أول المشبهين نفسه ثم رسوله الذى أنبأنا ذلك عنه . فلا تظلموا أنفسكم ولا تكبروا العلم إذ جهلتموه فإن التسمية من التشبيه بعيدة : إذا لزم الاشتراك في الأسماء ما يلزم الاتحاد في الذوات المحدثه والذات القديمة فيما تقدم اتقى القياس .

وأما ما ادعيت في تفسير قوله (أنه كان سميعا بصيرا) أنه إنما عنى عالما بالأصوات عالما بالالون ، لا يسمع بسمع ، ولا يبصر ببصر ثم قالت : ولم يجر خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره أنه يسمع بسمع ، ويبصر ببصر . ولكنكم قضيت على الله تعالى بالمعنى الذى وجدتموه في أنفسكم .

فيقال لك أيها المريسي : إنما دعواك علينا أنا قضينا عليه بالمعنى الذى وجدناه في أنفسنا فهذا لا يقضى به إلا من هو ضال مثلك . غير أن الله تبارك وتعالى اسمه أخبر عن نفسه أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر واتصلت بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار متصلة . فإن حرمك الله معرفتها فما ذنبنا ؟ قال الله لموسى (ولتصنع على عيني) وقال : (ودرج تجرى بأعيننا) (واصنع الفلك بأعيننا) ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال : (إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور) والعور عند الناس ضد البصر . والأعور عندكم ضد البصير بالعينين .

ورويت أنت أيها المريسي ، عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم عتجا لمذهبك أن النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال لهم : (إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا) فالصم ضد السمع الذى هو السمع عند

الناس . وهذا مما رويته وثبته عن النبي صلى الله عليه وسلم صحيحا في نقض دعواك به . ففيما ذكرنا عن الله ورسوله بيان أن السمع غير البصر ، وأن البصر غير السمع ، وأنه يسمع بسمع ، ويصير ببصر ، غير مكيف ولا يمثل .

ومما يزيدك بيانا : قول إبراهيم الخليل خليل الله صلوات الله عليه حين قال لآبيه : (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) يعنى إبراهيم أن الهه بخلاف الصم ، يسمع بسمع ويصير ببصر ولو كان على ما تأولت أيها المريسي لقال أبو إبراهيم لإبراهيم : فإلهك أيضا لا يسمع بسمع ولا يبصر ببصر . وكذلك قال في أصنام العرب (أم لهم أيد يبطشون بها ؟ أم لهم أعين يبصرون بها ؟ أم لهم آذان يسمعون بها ؟) [١٩٥ / الاعراف] يعنى أن الله بخلافهم ، له يد يبطش بها ، وله أعين يبصر بها ، وسمع يسمع به .

وادعيت أيضا أنا إن قلنا : إن الله يسمع بسمع ، ويصير ببصر ، فقد ادعينا أن بعضه عاجز وبعضه قوى ، وبعضه تام ، وبعضه ناقص ، وبعضه مضطر . فإن قلتم : أيها المريسي لا يجوز هذا القياس في صفة كلب من الكلاب ، فكيف في صفة رب العالمين ؟ بل حرام على السائل أن يسأل عن مثل هذا ، وحرام على المحجب فيه . والعجب من قائله ، كيف لم يخسف الله به ، غير أن الله حلیم ذو أناة وحلم عمن قال : الله ثالث ثلاثة ، وعمن قال : (اتخذ الله ولدا) وعمن قال : (أنا ربكم الأعلى) وعمن قال : (يد الله مغلوطة) وكذلك حلم على هذا المريسي إذ لم يخسف به ، ولم يعجزه هربا .

ويلك أيها المريسي ، إنا لا ندعى فيه هذه الخرافات التي احتججت بها بما ليس لمثلها جواب ، ونجمله أن نلفظ في صفاته هذه الخرافات ، غير أنا سمعناه يقول : (أنه سميع بصير) (وإننى معكما أسمع وأرى) ففرق بين السمع والبصر ، فأخذنا عن الله ورددنا عليك جهلك وخرافاتك .

أو لم يقل أيها المريسي : إنه لا يحمل لاحد أن يتوهم في صفات الله تعالى بما يعرف

معناه في نفسه ، فكيف نسبت الله إلى العجز في سماعه وبصره على المعنى الذى تعرفه من نفسك ؟ ثم قلت : فكما أنك بإحدهما مضطر إلى الآخر كذلك الله - فيما ادعيت علينا - مضطر إلى الآخر - فشبهت الله في مذهبك بالإنسان المخدج المنقوص .

أو لم تسمع أيها المريسي قول الله (ليس كمثلثه شيء) وكما أنه ليس كمثلثه شيء . فليس كسمعه سمع ولا كبصره بصر ، ولا لها عند الخلق قياس ولا مثال ، ولا شبهه فكيف تقيسها أنت بشبه ما تعرفه في نفسك ، وقد عبته على غيرك ؟

وأما ادعواك : إن قوله (سميع بصير) أنه يدرك الأصوات ويعلم الألوان فقد فهمنا بحمد الله معنى كفر ما تقصد به إليه . فلا يجوز لك علينا في ذلك أغلوطة إن شاء الله : إن إلهك مهمل هجج ، هو قائم داخل في كل مكان ، لا يوصف بسمع ولا بصر ، ولا علم ولا كلام ، ولا وجه ولا يد ، ولا نفس ولا أحد . فالسمع عندك منه بصر ، والبصر منه سمع ، والوجه ظهر ، والأعلى منه أسفل ، والأسفل منه أعلى . يسمع الأصوات بزعمك أنه يبلغه الصوت ولا يفهمه ، كما يبلغ الجبال التى ليست لها أسماع ولا تفقه ، ويعرف الألوان بالتراني والمشاهدة لا أن له سمعا يسمع به فيفقهه ولا له بصر يبصر به فيراه ويعرفه ، كما يقال للدور والقصور ترى بعضها بعضا أى تراهى وليست لها أبصار ، والجبال ينظر بعضها إلى بعض بلا بصر ، فكما يقال : ذهب فلان بين سمع الأرض وبصرها ، من غير أن يكون للأرض سمع ولا بصر هو السمع والبصر . فوصفت ربك بما وصف الله به الأصنام ، كما قال (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) وكما قال للذين يدعون من دونه (إن تدعوهم لا يسمعون ادعاءكم ولا يسمعون ما استجابوا لكم) ولو كان معنى السمع والبصر إدراك الأصوات وتراعى الأجسام لكان كذلك تدرك الأصنام كما يدرك الله في دعواكم ولكن ما وصفت أيها المريسي صفة الأصنام لصفة الله . فألى هذا المعنى تقصد في سمع الله وبصره وقد سمعنا من خطبائكم مغالطين بمثل هذه الحجج أنباط كونا أو بطاطا أو يهودا خيرة أهل ملة أبيك وجيرانه .

فقد سمعت أبا هشام الرفاعي يذكر أنه سمع أبا نعيم يقول : إنه رأى أباك يهوديا صابغا بالحيرة .

وأما دعواك : إن من وصف الله بالسمع الذي هو السمع ، والبصر الذي هو البصر ، وميز بينهما فقد نسبته إلى العجز ، فما ظننا أيها المريسي أنه يشك أحدا من ولد آدم أن العاجز الضعيف المضطر المحتاج الذي لا يسمع له ولا يصر حتى ادعيت أنت على جهل منك ، وما يدعوك إلى ذكر العجز والقوة وما أشبهها من خرافاتك صفه بما وصف به نفسه ، فإنه أعلم بنفسه أنه القوى المتين ، الغنى بجميع صفاته وعلى كل حال ، وهو بجميع ذلك إله واحد لا شريك له ، المتعالى عما نسبته إليه . قاتلك الله ما أكفرك به . ولقد كنت أسمع بكفرك قديما وحكى لى بعضه عنك وما كنت أظن أنك تعتقد من أنواع الكفر كل ما روى عنك المعارض وما لإخاله يعقل معانى كلامك ، وما يؤديك إلى صريح الكفر ، فإن هو عقله واعتقده فهو مثلك إذ يعتقده ، ثم ييشه وينشره للعوام . إذ لم تكن تهتري . أنت أن تنشره في بلدك للأنام إلا مناجاة بينك وبين جملة طغام .

وأما ما ادعيت : أنه لم يحمى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يسمع بسمع ويصر بصر . فسنروى لك ما قد غضبت منه إن شاء الله تعالى .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة قال : قالت عائشة رضى الله عنها : (الحمد لله وسع سمعه الأصوات كلها ، إن خولة جاءت تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخفى على أحيانا بعض ما تقول فأنزل الله تعالى (قد سمع الله قول القوم بما كانوا يكتمون)) .

وحدثنا موسى بن إسماعيل أن جرير بن حازم حدثهم قال : سمعت أبا يزيد المزني قال : أقيمت امرأة عمر ، يقال لها خولة ابنة ثعلبة ، فقال عمر :

هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات .

حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا حرملة بن عمران التميمي قال حدثني أبو يونس سليمان بن جبير مولى أبي هريرة ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأنه كان سميعا بصيرا) فوضع إصبعه الدماء على عينيه ، وإبهامه على أذنيه .

حدثنا نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك أخبرنا خالد الحذاء ، عن أبي عثمان النهدي ، عن أبي موسى الأشعري قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فجعلنا لا نصعد شرفا - أولا نعلو شرفا - ولا نهبط في واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، فدنا منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا بصيرا) .

أفلا ترى أيها المريسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الأصم والسميع ، وهما متضادان ، فأخبر أن الله سميع بخلاف الأصم .

حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان الثوري ، عن الأعمش بن عمار ، عن وهب بن ربيعة ، عن عبد الله بن مسعود قال : أتى لمستتر بأستار الكعبة إذ جاء ثلاثة نفر : ثقفى وقرشيان ، كثير شحم بطونهم ، قليل فقه فلو بهم ، فتحدثوا الحديث بينهم ، فقال أحدهم أترى الله يسمع لما قلنا ؟ فقال الآخر : إن كان يسمع إذا رفعنا فإنه لا يسمع إذا خفضنا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فأمر الله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ، فأصبحتم من الخاسرين) .

حدثنا عبد الله بن صالح أن يحيى بن أيوب المصرى حدثه عن عبد الله بن سليمان عن دراج قال : - أنى أبو الهيثم عن أبي سعيد وعن ابن جبرية الأكبر عن أنى

هريرة وأحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء والأرض . فإذا قال الرجل : لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم . اللهم أجرني من حر جهنم . قال الله لجهنم : إن عبدا من عبادي استجارني من حر . فاني أشهدك أني قد أجرته منك . فإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل الأرض ، فإذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم ، اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله لجهنم : إن عبدا من عبادي استجارني من زمهريرك ، وأني أشهدك أني قد أجرته . قالوا : وما زمهرير جهنم يارسول الله ؟ قال بيت يلقي فيه الكفار يتميز من شدة برده بعضه من بعض) .

قلت لأبي اليمان : أخبرك شعيب عن الزهري ؟ قال قال : سالم قال عبد الله ابن عمر (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال . ثم قال : إني سأقول لكم قولا لم يقله نبي لقومه : (تملن أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور) فأخبرني أبو اليمان أن شعيبا أخبره به .

ففي تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله ليس بأعور) بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جارية بن أسماء عن نافع عن عبد الله أن الدجال ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (ألا إن المسيح الدجال أعور عينه اليمنى كأن عينه عنبة طافية) .

حدثنا مسلم بن الهيثم حدثنا شعبة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال : (أعور جعد ، وإن ربكم ليس بأعور) .

حدثنا الزهراي أبو الربيع حدثنا أبو معشر المدني عن سعيد - وهو المقبري - عن

أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي إلا وقد حذر أمته الدجال، حتى نوح وسأخبركم عنه بشيء ما أخبر به نبي كان قبلى: إنه أعور، وإن الله ليس بأعور. وكذلك مكتوب بين عينيه كافر، يقرأه كل مؤمن).

حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شريك عن دطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس فى قول الله (المر) قال (أنا الله أرى).

حدثنا القعنبي - فيما قرأ على مالك بن أنس - عن نافع وعبد الله بن دينار وزيد بن أسلم كلهم بمحدثه (١)، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره خيلاء).

حدثنا القعنبي - فيما قرأ على مالك بن أنس - عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم بمثله إلا أنه قال: (جر إزاره بطرا).

حدثنا القعنبي، عن مالك بن أنس، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله.

حدثنا سهل بن بكر حدثنا عبد السلام أبو الجليل قال: سمعت الهجيمى أبا تيمية يحدث عن أبي جرى جابر قال (أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت: السلام عليك فقال: وعليك: ثم قال: إن رجلا كان ممن كان قبلكم لبس بردين له فتبختر فيها. فنظر الله إليه من فوق عرشه. فمقته، فأمر الأرض فأخذته فهو يتجلجل بين الأرضين، فاحذروا وقائع الله).

فهاك خذها أيها المريسى قد جئتاك بها، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مأثورة صحيحة بعد ما ادعيت بجهلك أنه لم يأت فيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن غيره.

(١) كذا فى الأصل واصله بمحدثه.

وهذا تصنع فيه بأمر بعد قول الله عز وجل (إنه كان سميعا بصيرا) لأنه لا يقال لشيء أنه سميع بصير إلا لمن هو من ذوى الاسماع والابصار . وقد يقال في مجاز الكلام ، الجبال والقصور تترأى وتسمع ، على معنى أنها تقابل بعضها بعضا ، وتبلغها الأصوات ولا تفقه . ولا يقال : جبل سميع بصير ، وقصر سميع بصير . لأن سميع مستحيل ذلك إلا لمن يسمع بسمع ، ويبصر ببصر ، فإن أنكر أصحاب المريسى ما قلنا فليسموا شيئا ليس من ذوى الاسماع والابصار أجازت العرب أن يقولوا فيه هو سميع بصير فإنهم لا يأتون بشيء يجوز أن يقال له ذلك .

وادعت أيها المريسى في قول الله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك) (١٥٨ / الانعام) وفي قوله (إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) [٢١٠ / البقرة] ادعت أن هذا ليس منه بإتيان ، لما أنه غير متحرك عندك .

ولكن يأتي بالقيامة بزعمك . وقوله (يأتيهم الله في ظلل من الغمام) يأتي الله بأمره في ظلل من الغمام ، ولا يأتي هو بنفسه . ثم زعمت أن معناه كعنى قوله (فأتى الله بنيانهم من القواعد) [١٦ / النحل] وقوله (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) [٢ / الحشر] .

فقيال لهذا المريسى : فأنلك الله ، ما أجراك على الله وعلى كتابه بلا علم ولا بصر : أنباك الله أنه إتيان ، وتقول : ليس إتيانا إنما هو مثل قوله . (فأتى الله بنيانهم من القواعد) لقد ميزت بين ما جمع الله ، وجمعت بين ما ميز الله ، ولا يجمع بين هذين في التأويل إلا كل جاهل بالكتاب والسنة . لأن تأويل كل واحد منهما مقرون في سياق القراءة بما لا يحمله : إلا مثلك . وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته : وأنه لا ينزل قبل يوم القيامة لعقوبة أحد من خلقه . ولم يشكوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ، ويحاسبهم ويثيبهم ؛ وتشقق السموات يومئذ لنزوله ، وتنزل الملائكة تنزيلا ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، كما قال الله ورسوله : فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا علخوا يقينا أن ما يأتي الناس من

العقوبات إنما هو من أمره وعذابه فقوله : (فأنى الله بنيانهم من القواعد) ،
يعنى مكره من قبل قواعد بنيانهم (فخر عليهم السقف من فوقهم) فتفسير هذا
الآتيان . خور السقف عليهم من فوقهم .

وقوله : (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) ، مكر بهم (فقذف في قلوبهم
الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) وهم بنو قريظة . فتفسير
الآتيانين مقرون بهما : خور السقف والرعب : وتفسير إتيان الله يوم القيامة
منصوص في الكتاب ، مفسر . قال الله تعالى : (فإذا نفخ في
الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت
الواقعة ، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية . والمملك على أرجائها ويحمل عرش
ربك فوقهم يومئذ ثمانية . يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية - إلى قوله - هلك
عن سلطانة) [٢٩ / الحاقة] فقد فسر المعنيين تفسيراً لا لبس فيه ، ولا يشبهه على
ذى عقل . فقال فيما يصيب من العقوبات في الدنيا (أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً
فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس) [٢٤ / يونس] ، فحين قال : (أتاها
أمرنا) علم أهل العلم أن أمره ينزل من عنده من السماء وهو على عرشه . فلما
قال (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة) الآية التي ذكرنا وقال أيضاً (ويوم
تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً) [٢٥ / الفرقان] و (يأتيهم الله في ظلل
من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور) و (دكت الأرض دكا دكا
وجاء ربك والمملك صفا صفا) [٢٣ / الفجر] علم بما قضى الله من الدليل ، وبما حد
لنزول الملائكة يومئذ أن هذا إتيان الله بنفسه يوم القيامة ليلى محاسبة خلقه بنفسه ،
لا ليلى أحد غيره وإن مناه مخالف لمعنى إتيان القواعد ، لاختلاف القضيتين .

ألا ترى أيها المريسي أنه حين قال : (أتى الله بنيانهم من القواعد) لم يذكر عندها
نفخ الصور ولا تشقق السماء ، ولا تنزل الملائكة ، ولا حمل العرش . ولا إتيان
المملك صفا صفا ، ولا يوم العرض . ولكن قال : (خر عليهم السقف من فوقهم)
في دنياهم (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) فرد الإتيان إلى العذاب . ففرق

بين المعنيين ما فرّق بها من الدلائل والتفسير . وإنما يصرف كل معنى إلى المعنى الذى ينصرف إليه ويحتمله فى سياق القول إلى أن يحد الشيء اليسير فى الفرط يجوز فى المجاز بأقل المعانى وأبعدها من العقول ، فيعمد إلى أكثر معانى الأشياء وأغلبها فيصرف المشهورات منها إلى المغمورات المستحيلات ، يغالط بها الجهال ، ويروج عليهم الضلال . فيكون ذلك دليلاً منه على الظنة والريبة ، ومخالفة العامة والقرآن عربى مبين ، تصرف معانيه إلى أشهر ما تعرفه العرب فى لغاتها ، وأعمها عندهم . فإن تأول متأول مثلك جاهل فى شيء منه خصوصاً ، أو صرفه إلى معنى بعيد عن العموم بلا أثر ، فعليه البيّنة على دعواه . وإلا فهو على العموم أبداً ، كما قال الله . وقد كفانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم تفسير هذا الإتيان ، حتى لا يحتاج له منك إلى تفسير ، ولو لم يأت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم فيه أثر لم تكن ممن يعتمد على تفسيره لما أنك فيه ظنين غير أمين .

حدثنا نعيم بن حماد حدثنا إبراهيم بن سعد عن ، ابن شهاب ، عن عطاء بن زيد الليثى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبّعهُ . قال فيقول المؤمنون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم الله ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه) .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن يوسف ابن مهران ، عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية (ويوم تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة تنزيلاً) قال (ينزل أهل السماء الدنيا وهم أكثر من أهل الأرض ومن الجن والانس ، فيقول أهل الأرض : أفيكم ربنا فيقولون : لا . وسيأتى . ثم تشقق السماء الثانية) وسأفه إلى السماء السابعة قال : (فيقولون : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : لا وسيأتى ، ثم يأتى الرب تبارك وتعالى فى السكروبين ، وهم أكثر من أهل السموات والأرض) .

وحدثنا عبد الله بن صالح المصري حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : وتلا هذه الآية (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) قال : (يبدلها الله يوم القيامة من فضة لم يعمل عليها الخطايا ، ينزل عليها الجبار) .

وحدثنا أحمد بن أبي شهاب ، عن عوف ، عن أبي المنهال ، عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم ، فإذا كان ذلك قبضت هذه السماء الدنيا على أهلها ، فنتشروا على وجه الأرض فإذا أهل السماء الدنيا أكثر من جميع أهل الأرض . فإذا رآهم أهل الأرض فرعوا . وقالوا : أفيكم ربنا ؟ فيقولون ليس فينا ، وهو آت . قال : ثم يقبض أهل السماء الثانية) وساق الحديث إلى السماء السابعة . قال : فلاهل السماء السابعة وحدهم أكثر من أهل ست سموات ، ومن جميع أهل الأرض بالضعف) قال : ويحجى الله فيهم ، والامم جثيا صفوف . قال : فينادى مناد يستعملون اليوم من أصحاب الكرم) .

ومن يلتفت أيها المريسي إلى تفسير المحال في إتيان الله تعالى يوم القيامة ، ويدع تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم إلا كل جاهل مجنون ، خاسر مغبون ، لما أنك مغبون في الدين مأبون ، وعلى تفسير كتاب الله تعالى غير مأمون ، ويليك ؟ أياق الله بالقيامة ويتغيب هو بنفسه ؟ فمن يحاسب الناس يومئذ ؟ لقد خشيت على من ذهب مذهبك هذا ، واستيقن أنه لا يؤمن بيوم الحساب .

وادعيت أيها المريسي أن قول الله تعالى : (هو الحى القيوم) ادعيت أن تفسير القيوم عندك : الذى لا يزول . يغنى الذى لا ينزل ، ولا يتحرك ، ولا يقبض ، ولا ييسط وأمسندت ذلك عن بعض أصحابك ، غير مسمى ، عن الكلبي ، عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال (القيوم الذى لا يزول) ومع روايتك هذه عن ابن عباس دلائل وشواهد أيضا باطل .

لأحداها : أنك أنت رويتها ، وأنت المتهم في توحيد الله .
والثانية : أنك رويته عن بعض أصحابك غير مسمى ، وأصحابك مثلك في
الظنة والتهمة .

والثالثة : أنه عن السكبي . وقد أجمع أهل العلم بالآثر على أن لا يحتاجوا
بالسكبي في أدنى حلال ولا حرام ، فكيف في تفسير توحيد الله وتفسير كتابه ؟
وكذلك أبو صالح .

ولو صحت روايتك عن ابن عباس أنه قال (القيوم : الذي لا يزول) لم يستكر
وكان معناه مفهوما واضحا عند العلماء ، وعند أهل البصر بالعربية ، أن معنى
(لا يزول) لا يفنى ولا يبيد ، لا أنه لا يتحرك ولا يزول من مكان إلى مكان ،
لإذا شاء ، كما كان يقال للشيء الفانى : هو زائل ، كما قال لييد .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
يعنى فان ، لأنه متحرك . فإن أماراة ما بين الحى والميت المتحرك ، وما
لا يتحرك فهو ميت ، لا يوصف بحياة ، كما وصف الله الأصنام الميتة ، فقال
(والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء
وما يشعرون إيان يبعثون) [٢٠/النحل] فالله الحى القيوم الباسط يتحرك إذا
شاء ، وينزل إذا شاء ، ويفعل ما يشاء ، بخلاف الأصنام الميتة التى لا تزول
حتى تزال .

واحتججت أيها المريسي في نفى التحرك عن الله والزوال بحجج الصبيان ،
فزعمت أن إبراهيم حين رأى كوكبا وشمسا وقمرًا قال: (هذان بى فلما أفل قال لأحب
الآفلين) ثم قلت : فتنفى إبراهيم المحبة عن كل إله زائل : يعنى أن الله إذا نزل
من سماء إلى سماء أو نزل يوم القيامة لمحاسبة العباد . فقد أفل وزال ، كما أفلت
الشمس والقمر ، فتنصل من ربوبيتهما إبراهيم ، فلو قاس هذا القياس تركى طهطمانى
أو ذى (١) أعجمية ما زاد على ما فتست قبحا وسماجة .

ويلك ، ومن قال من خلق الله : إن الله إذا نزل أو تحرك ، أو نزل ليوم الحساب أفل في شيء ، كما تأفل الشمس في عين حمئة . إن الله لا يأفل في شيء خلق سواه إذا نزل أو ارتفع ، كما يأفل الشمس والقمر والكواكب . بل هو العالی على كل شيء ، المحيط بكل شيء في جميع أحواله : من نزوله وارتفاعه . وهو الفعال لما يريد ، لا يأفل في شيء بل الأشياء كلها تخشع له . والمواضع والشمس والقمر والكواكب خلائق مخلوقة . إذا أفلت ، أفلت في مخلوق في عين حمئة ، كما قال الله والله أعلى وأجل ، لا يحيط به شيء ، ولا يحتوى عليه شيء .

الرؤية

ثم انتدب المريسي الضال لرد ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤية في قوله : (سترون ربكم يوم القيامة لاتضامون في رؤيته كما لاتضامون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر) فأقر الجاهل بالحديث وصححه ، وثبت روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم تلطف لرده وإبطاله بأقبح تأويل ، وأسمج تفسير ، ولو قد رد الحديث أصلاً كان أعذر له من تناسيره هذه المقالوبة ، التي لا يوافقها عليها أحد من أهل العلم ، ولا من أهل العربية ، فادعى الجاهل أن تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (سترون ربكم لاتضامون في رؤيته) تعلبون أن لكم رباً لاتشكون فيه كما لاتشكون في القمر أنه قمر ، لا على أن أبصار المؤمنين تدركه جهرة يوم القيامة لأنه نبي ذلك عن نفسه بقوله (لاتدركه الأبصار) قال : وليس على معنى قول المشبهة ، فقوله : (ترون ربكم) تعلبون أن لكم رباً لايعتریکم فيه الشكوك والريب ألا ترون أن الاعمی يجوز أن يقال : ما أبصره أى ما أعلاه ، وهو لا يبصر شيئاً . ويجوز أن يقول الرجل : قد نظرت في المسئلة ، وليس للمسئلة جسم ينظر إليه فقوله : نظرت فيها ، رأيت فيها ، فتوهمت المشبهة الرؤية جهرة وليس ذلك من جهة البيان .

فيقال لك أيها المريسي : أقرت بالحديث وثبته عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، فأخذ الحديث بحلقك ، لما أن رسول الله صلى عليه وسلم قد قرن التفسير بالحديث ، فأوضحه ولخصه لجمعها جميعا في إسناد واحد ، حتى لم يدع لتأول فيه مقالا . وأخبر أنه رؤية العيان نصا كما توهم هؤلاء الذين تسميهم بجهلك مشبهة . فالتفسير فيه ماثور مع الحديث ، وأنت تفسره بخلاف ما فسرته الرسول ، من غير أثر تأثره عن هو أعلم منك . فأى شقى من الأشقياء ، وأى غوى من الأغوياء يترك تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم المقرون بحديثه ، المعقول عند العلماء ، الذى يصدق ناطق الكتاب ؟ ثم يقبل تفسيرك المحال الذى لا تأثره إلا عن هو أجهل منك وأضل ؟ .

أليس قد أقررت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ترون ربكم لا تضامون فيه ، كما لا تضامون فى رؤية الشمس والقمر) وإنما قال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تشكون يوم القيامة فى رؤيته . وهذا التفسير مع ما فيه من معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو محال خارج عن المعقول . لأن الشك فى ربوبية الله زائل عن المؤمن والكافر يوم القيامة فكل مؤمن وكافر يومئذ يعلم أنه ربهم ، لا يعترضهم فى ذلك شك : فيقبل الله ذلك من المؤمنين ولا يقبله من الكافرين ، ولا يعذرهم بمعرفتهم ويقتنهم به فى ذلك اليوم فما فضل المؤمن على الكافر يوم القيامة عندك فى معرفة الرب ؟ إذ مؤمنهم وكافرهم لا يعترضه فى ربوبيته شك .

أو ما علمت أيها المريسي أنه من مات ولم يعرف قبل موته أن الله ربه فى حياته ، حتى يعرفه بعد مماته ، فإنه يموت كافرا ، ومصيره إلى النار أبدا ؟ ولن ينفعه الإيمان بالله يوم القيامة بما يرى من آياته ، إن لم يكن آمن به من قبل ؟ فما موضع بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين برؤية ربهم يوم القيامة ؟ إذ كل مؤمن وكافر فى الرؤية يومئذ سواء عندك ، إذ كل لا يعترضه فيه شك ولا ريبه .

أو لم تسمع أيها المريسي قوله تعالى (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) [١٢ / السجدة] (ولو ترى إذ أقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق ؟

قالوا : بلى ، وربنا ([٣٠ / الانعام] فقد أخبر الله عن الكفار أنهم يومئذ موقنون . فكيف المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين سألوه (هل نرى ربنا) وقد علموا قبل أن يسألوه أن الله بهم لا يعترهم في ذلك شك ولا ريبه .

أو لم تسمع ما قال الله (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) [١٥٨ / التوبة] (يقال في تفسيره . إنه طلوع الشمس من مغربها . فإذا لم ينفع الرجل إيمانه عند الآيات في الدنيا ، فكيف ينفعه يوم القيامة فيستحق به النظر إلى الله ، فاعقل أيها المريسي ما يجلب عليك كلامك من الحجب الآخذة بحلقك .

وأما إذ خالك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حقق من رؤية الرب يوم القيامة قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) فانما يدخل على من عليه نزل . وقد عرف ما أراد الله تعالى به وعقل فأوضحه تفسيراً وعبره تعبيراً . ففسر الأمرين جميعاً تفسيراً شافياً كافياً سأله أبو ذر (هل رأيت ربك) يعنى في الدنيا ، فقال (نور ، أنى أراه ؟) .

حدثنا الحوضي وغيره عن يزيد بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق ، عن أبي ذر رضى الله عنه ، عن النبي صلعم .

فهذا معنى قوله (لا تدركه الأبصار) في الحياة الدنيا . فحين سئل عن رؤيته في المعاد قال (نعم جهرة كما ترى الشمس والقمر ليلة البدر) ففسر رسول الله صلعم المعنيين على خلاف ما ادعيت .

والعجب من جهلك بظاهر لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ تنوهم في رؤية الله جهرة أنها كرؤية الشمس والقمر ثم تدعى أنه من توهم من سميتهم مشبهة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم في دعواك أول المشبهة . إذ شبه رؤيته تعالى

برؤية الشمس والقمر ، كما شبهه أولئك المشبهون في دعواك .

وأما أغلو طنتك التي غالطت بها جهال أصحابك في رؤية الله يوم القيامة فقلت :
ألا ترى أن قوم موسى حين قالوا : (أرنا الله جهرة) (٢٥٣ / النساء) أخذتهم
الصاعقة ، وقالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) (٥٥ / البقرة) فأخذتهم
الصاعقة ، وقالوا (أو نرى وبنا فقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا)
[٢١ / الفرقان] فادعيت أن الله أنكر عليهم ذلك وعابهم بسؤالهم الرؤية .

فيقال لهذا المريسى : تقرأ كتاب الله وقلبك غافل عما يتلى عليك فيه ؟ ألا
ترى أن أصحاب موسى سألوا موسى رؤية الله تعالى في الدنيا إلخافا . فقالوا (لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) ولم يقولوا حتى نرى الله في الآخرة . ولكن في الدنيا
فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وسؤالهم ما حظره الله على أهل الدنيا . ولو قد سألوه
رؤيته في الآخرة كما سأل أصحاب محمد صلعم لم تصبهم تلك الصاعقة ، ولم يقل لهم
إلا ما قال محمد صلعم لأصحابه إذ سألوه (هل ترى ربنا يوم القيامة ؟ فقال نعم
لا تضارون في رؤيته) فلم يعيهم الله ولا رسوله بسؤالهم عن ذلك ، بل حسنة لهم
وبشرهم بشرى جميلة كما رويت أيها المريسى عنه . وقد بشرهم الله بها قبله في كتابه :
فقال : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [٢٣ / القيامة] وقال : للكفار
(كلا لأنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [١٥ / المطففين] فقوم موسى سألوا نبينهم
ما قد حظر الله على أهل الدنيا بقوله (لا تدركه الأبصار) وسأل أصحاب محمد صلعم
نبينهم ما أخبر الله أنه سيعطيهم ويشيهم به يوم القيامة ، فصعق قوم موسى بسؤالهم
مالا يسكون . وسلم أصحاب محمد صلعم بسؤالهم ما يسكون . ومق عاب الله على
قوم موسى سؤال الرؤية في الآخرة . فتفتري بذلك عليهم ! تكذب على الله وعلى
رسوله ، والله لا يحب الكاذبين ؟

وقد فسرنا أمر الرؤية ، وروينا ما جاء فيها من الآثار في الكتاب الأول ،
الذى أمليناه في الجهمية وروينا منها صدرا في هذا الكتاب أيضا . فاتهمسوها هناك

واعرضوا ألقاظها على قلوبكم وعقولكم تنكشف لكم عورة كلام هذا المريسى ،
وضلال تأويله ، ودخوض حجته إن شاء الله . ولولا أن يطول به الكتاب لأعدت
الباب بطوله هاهنا وأسانيده .

أصابع الرحمن

ورويت أيها المريسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (القلوب بين
إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) فأقررت أن النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ، ثم رددته بأقبح محال ، وأوحش ضلال . ولو قد دفعت الحديث أصلا كان
أعذر لك من أن تقر به ثم ترده بمحال من الحجج ، وبألى هى أعوج فزعمت أن
إصبعى الله . قدرتيه . قلت : وكذلك قوله (والارض جميعا قبضته يوم القيامة)
أى فى ملكه .

فيقال لك أيها المعجب بمجالاته : فى أى لغات العرب وجدت إن إصبعيه
قدرتيه ؟ فأنبتنا بها فإننا قد وجدناها خارجة فى جميع اللغات إنما هى قدرة واحدة
قد كفت الأشياء كلها ومالاتها واستنطقتها ، فكيف صارت القلوب من بين الأشياء
بين قدرتين ؟ وكم تعدها قدرة ؟ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بين أصبعين
من الأصابع) وفى دعواك : هى أكثر من قدرتين وثلاث وأربع حكمت فيها
للقلوب بقدرتين وسائرهما لما سواها . ففى دعواك هذا أقبح محال ، وأبين ضلال .
فكيف ادعيت أن الارض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه : أنها
صارتا يوم القيامة فى ملكه ، كأنها كانتا قبل يوم القيامة فى ملك غيره ، خارجتان
عن ملكه . فكان مغلوبا عليهما فى دعواك ، حتى صارتا يوم القيامة فى ملكه
وما بامهما تصير فى ملكه يوم القيامة مطويات ، ولاتكونان فى يده منشورات ؟
وما أراك إلا استدري أن قوله (مطويات) ناقض لتأويلك .

وما يزيد نقضا : قوله تعالى : (يوم نطوى السماء كسطى السجل للكتاب)

[١٠٤ / الانبياء] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (يطوى الله السماء يوم القيامة بيمينه ثم يقول أنا الملك ففى قول الله (يوم نطوى السماء) وحديث رسوله : بيان ومعنى مخالف لقولك . وكيف أقررت بالحديث فى الأصبعين من أصابع الله وفسرتها قدرتين ، وكذبت بحديث ابن مسعود رضى الله عنه فى خمس أصابع ، وهو أجود إسنادا من حديث الإصبعين ؟ أفلا أقررت بحديث ابن مسعود ، ثم تأولته : القدرة خمس قدرات كما تأولت من الأصبعين بقدرتين ؟ فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (بين إصبعين من الأصابع) فأما تكذيبك بحديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم (أن حبرا من اليهود قام إليه فقال : أبلغك أن الله يحمل يوم القيامة السموات على إصبع ، والجبال على إصبع والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، والخلائق على إصبع . ثم يهزهن ويقول : أنا الملك ، فضحك رسول صلى الله عليه وسلم تعجبا لما قال الخبر وتصديقا له ثم قرأ) وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (فادعيت أن هذه الآية نزلت تكذيبا لما قال الخبر ، ثم قلت : أفتحتجون بقول اليهود ؟

فيقال لك أيها المريسى . قلنا رأينا منسرا ومتكلما أشد مناقضة لكلامه منك ؟ مرة تقول : الحديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفسره قدرتين ، ومرة تقول : هو كذب وقول اليهود ، وتقربه مرة وتنكره أخرى . ولو قد كنت من أهل الحديث ورواته لعلست أن الأثر قد جاء به تصديقا لليهودى ، لا تكذيبا له كما ادعيت .

حدثنا أحمد بن يونس ، عن فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (ضحك من قول الخبر تعجبا لما قال وتصديقا له) .

فمعن رويت أيها المريسى أنه قال فى حديث ابن مسعود : أنه قال تكذيبا له ، فأنبتنا به ، وإلا فأنك فيها من الكاذبين .

وأما تشنيعك على هؤلاء المقرين بصفات الله ، المؤمنين بما قال الله : إنهم يتوهمون فيها جوارح وأعضاء فقد ادعيت عليهم في ذلك زورا وباطلا ، وأنت من أعلم الناس بما يريدون بها ؛ إنما يشبتون منها ما أنت معطل . وبه مكذب ، ولا يتوهمون فيها إلا ما عني الله ورسوله ، ولا يدعون جوارح ولا أعضاء كما تقول عليهم . غير أنك لا تألو في التشنيع عليهم بالكذب ، ليكون أروج لضلالتك عند الجهال ، ولئن جزعت من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الخبر ، فالك راحة في رواية عائشة وأم سلمة وغيرهما بما يحقق حديث ابن مسعود ويثبت روايته .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أم محمد ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الله ، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه) حدثنا نعيم ابن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا حيوة بن شريح ، أخبرني أبوهاني الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفها كيف يشاء ، ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) .

حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال سمعت بشر بن عبيد الله قال سمعت أبا إدريس الخولاني يقول : سمعت النواس ابن سمعان الكلبي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه وإن شاء أزاعه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك) .

حدثنا عبد الله بن صالح ، عن ليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن خالد ابن أبي عمران ، عن أبي عباس بن أبي مهران ، عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن) .

حدثنا يزيد بن عبد ربه الحمصي ، أخبرنا بقية بن الوليد ، عن عتبة بن أبي حكيم ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفس محمد بيده لقلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ، إذا شاء قال به هكذا - وأمال يده ، وإذا شاء قال به هكذا - وأمال يده - وإذا شاء ثبتته) حدثنا عمر بن عون الواسطي ، أخبرني عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، قال : سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (مامن بنى آدم بشر إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فإن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه) .

فهذه ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي بينته ورويته بلسان عربي مبين . ففي أى لغات وجدت أنها قدرتين (١) من القدر ؟ وهل من شيء ليس تحت قدرة الله التي وسعت كل شيء ، حتى خص رسول الله صلى الله عليه وسلم والقلوب من بينها بقدرتين . فلم يدع ما إذا رجعت فيه إلى نفسك علمت أنه ضلال وباطل وضحكة وسخرية ، مع أن المعارض لم يقنع بتفسير إمامه المريسي حتى اخترق لنفسه فيه مذهبا خلافا لما قاله إمامه ، وخلاف ما يوجد في لسان العرب والعجم ، فقال : إصبعاه : نعمتاه قال : وهذا جائز في كلام العرب .

فيقال لهذا المعارض : في أى كلام العرب وجدت إجازته ؟ وعن أى فقيه أخذته ؟ فأسنده إليه وإلا فانك من المفترتين على الله وعلى رسوله . فلو كنت الخليل بن أحمد أو الأصمعي ما قبل ذلك منك إلا بحجة .

ومعنى الأصابع مفهوم ، ومعنى النعمة مفهوم .

وكذا وافقه أبو حامد في نفى الأصابع فسلها نعمة فكفى خيبة وخسارة

(١) كذا في الأصل وصوابه : قدرتان .

برجل يضاد قوله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكذب دعواه ، ويرجع تنزيهه على تنزيه رسوله .

وأما إنكارك أيها المريسي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن الله يترامى لعباده المؤمنين يوم القيامة في غير صورته . فيقولون : نعوذ بالله منك ، ثم يترامى في صورته التي يعرفونها ، فيعرفونه ، فيتبعونه) .

فزعمت : أيها المريسي أنه من أقرب هذا فهو مشرك .

يقال لهم : أليس قد عرفتم ربكم في الدنيا فكيف جهلتموه عند العيان وشككتهم فيه ؟

قال أبو سعيد : فيقال لك أيها المريسي : قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رواية الزهري .

حدثناه نعيم بن حماد عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم كأنك تسمع رسول الله يقول ، من جودة إسناده ، فاحذر أن لا يكون قد فلك بالشرك أن يقع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما ذنبنا أن كال الله سلب عقلك حتى جهلت معناه ؟

ويلك إن هذا ليس بشك ولا ارتياب منهم ، ولو أن الله تجلى لهم أول مرة في صورته التي عرفهم صفاتها في الدنيا لا عترفوا بما عرفوا ، ولم ينفروا ، ولكنه يرى نفسه في أعينهم ، لقدرته ولطف ربه في صورة غير ما عرفهم الله صفاتها في الدنيا ، ليمتحن بذلك إيمانهم ثانية في الآخرة . كما امتحن إيمانهم في الدنيا ، ليثبتهم أنهم لا يعترفون بالعبودية في الدنيا والآخرة إلا للعبود الذي عرفوه في الدنيا بصفاته التي أخبرهم بها في كتابه ، واستشعرتها قلوبهم حتى ماتوا على ذلك .

فإذا مثل في أعينهم غير ما عرفوا من العسفة نفروا وأنكروا لإيمانهم بصفة

ربوبيته التي امتحن قلوبهم في الدنيا بها ، فلما رأى أنهم لا يعرفون إلا الذي امتحن الله به قلوبهم تجلى لهم في الصورة التي عرفهم في الدنيا فأمنوا به . وصدقوا ، وماتوا ، ونشروا عليه ، من غير أن يتحول الله من صورة إلى صورة . ولكن يمثل ذلك في أعينهم بقدرته . فليس هذا أيها المريسي بشك منهم في معبودهم ، بل هو زيادة يقين بايمان به مرين ، كما قال ابن مسعود رضى الله عنه (إنه قال لهم يوم القيامة : أتعرفون ربكم ؟ فيقولون : إنه إذا تعرف لنا عرفناه) يقولون : لا نقر بالربوبية إلا لمن استشعرته قلوبنا ، بصفاته التي أنبأنا بها في الدنيا . فحينئذ يتجلى له في صورته المعروفة عندهم ، فيزدادون به عند رؤيته إيماناً و يقيناً ، و ربوبيته اغتباطاً و طأينة ، وليس هذا من باب الشك على ما ذهب إليه ، بل هو يقين بعد يقين ، و إيماناً بعد إيمان . ولكن الشك والريبة كلها فيما ادعيت أيها المريسي في تفسير الرؤية : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ترون تربكم يوم القيامة لاتصامون في رؤيته) فادعيت أن رؤيتهم تلك أنهم يعلون يومئذ أن لهم رباً لا يعترفهم في ذلك شك . كأنهم في دعواك أيها المريسي لم يعلوا في الدنيا أنه ربهم ، حتى يستيقنوا به في الآخرة . فهذا التفسير إلى الشك أقرب مما ادعيت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشك والشرك ، لا بل هو الكفر ، لأن الخلق كلهم : مؤمنهم وكافرهم ، يعلون يومئذ أن الله ربهم ، لا يعترفهم في ذلك شك . ألا ترى أنه تعالى يقول (أبصرنا وسمعنا فأرجعنا فاعمل صالحاً إنما موقنون) والشك في الله هذا الذي تأولته أنت في الرؤية ، لا ما قال رسول صلى الله عليه وسلم .

ويلك إن الله لا تغير صورته ولا تبدل ، ولكن يمثل في أعينهم يومئذ . أولم تقرأ كتاب الله (وإذا يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمر كان مفعولاً) [٤٤ / الأنفال] وهو الفعال لما يشاء ، كما مثل جبريل مع عظم صورته وجلالة خلقه في عين النبي صلى الله عليه وسلم صورة دحية الكلبي ، وكما مثله لمريم بشراً سوياً ، وهو ملك كريم في صورة الملائكة ، وكما شبه في أعين

اليهود إذ قالوا (إنا قتلنا المسيح) فقال (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) [١٥٧ / النساء] .

وما عليك أيها المريسي بهذا وما أشبهه ، غير أنه وردت عليك آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت بحلقك ، ونقضت عليك مذهبك ، فالتمسست الراحة منها بهذه المغاليط والأضاليل ، التي لا يعرفها أحد من العلم والبصر بالعربية . وأنت منها في شغل ، كلما غالطت بشيء أخذ بحلقك شيء آخر ، فخنقك ، حتى تلمس له أغلطة أخرى . ولئن جزعت من هذه الآثار فدفعتها بالمغاليط ، مالك من راحة فيما يصدقها من كتاب الله الذي لا تقدر على دفعه . وكيف تقدر على دفع هذه الآثار وقد صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفاظها بلسان عربي مبين ، مناقضة لمذاهبك وتفسيرك ، قد تداولتها أيدي المؤمنين ، وتناسخوها ، يؤديها الأول إلى الآخر ، والشاهد إلى الغائب إلى أن تقوم الساعة ، ليقرعوا بها رؤوس الجهمية ، ويهشموها بها أنوفهم ، وينبذوا تأويلك هذا في حش أبيك . ويكسر في حلقك كما كسر في حلق من كان فوقك من الولاة والقضاة الذين كانوا من فوقك ، مثل ابن أبي دؤاد وعبد الرحمن وشعيب بعده ، وغسان ، وابن رباح المقتري على القرآن .

فإن كنت تدفع هذه الآثار بمحملك فما تصنع في القرآن وكيف تحتال له ؟ وهو من أوله إلى آخره ناقض لمذهبك ، ومكذب لدعواك ، حتى بلغني عنك من غير رواية المعارض : أنك قلت : ما شيء أنقض لدعوانا من القرآن غير أنه لا سبيل إلى دفعه إلا مكابرة بالتأويل .

ثم أنشأت أيها المريسي تطعن في حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما صدقت به ، وعرفت أنه قد قاله ، ثم فسرتَه تفسيراً مخالفاً لتفسير أهل الصلاة وهو قوله صلى الله عليه وسلم (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد ، حتى يضع الجبار فيها قدمه ، فتروى ، وتقول قط قط) فادعيت أيها المريسي أن

الحديث حق ، ومعناه عندك : أنها تمتلئ . حتى يضع الجبار قدمه فيها ، فقلت : معنى (قدمه) أهل الشقوة الذين سبق لهم في علمه أنهم صائرون إليها . كما قال ابن عباس يباطل زعمك في تفسير قول الله (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) [٢١ / يونس] قال : (ما قدموا من أعمالهم) .

فقد روينا أيها المريسي عن الثقات الائمة المشهورين عن ابن عباس رضى الله عنهما في تفسير القدم خلاف ما ادعيت من تأويلك هذا .

الجزء الثانى

من نقض أبى سعيد عثمان بن سعيد الدارمى
على الضال المضل بشر المريسى الجبار العنيد

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن برحمتك

أخبرنا الشيخ أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الأحنف أخبرنا إسحق
ابن أبى إسحق القراب الحافظ أخبرنا أبو بكر محمد بن أبى الفضل بن محمد بن الحسين
المزكى قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الصوام قال : حدثنا عثمان بن
سعيد الدارمى قال حدثنا عبد الله بن أبى شيبه ويحيى الحماني ، عن وكيع ، عن
سفيان ، عن عمار الدهنى عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى
الله عنها قال (الكرمى موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله) .

فهذا الذى عرفناه عن ابن عباس صحيحا مشهورا .

فبالك تحيد عن المشهور المنصوص من قوله وتعلق بالمغموز منه ، المتلبس ،
الذى يحتمل المعانى ؟

وكيف تدعى أنها لا تمتلىء حتى يلقي الله فيها الأشقياء الذين هم قدم الجبار عندك ،
فتمتلىء بهم فى دعواك ؟ وهل استزادت أيها النائه إلا بعد مصير الأشقياء إليها ،
وإلقاء الله إياهم فيها ؟ فاستزادت بعد ذلك ، أفليقيم فيها ثانية ، وقد ألقاهم فيها
قبل ، فلم تمتلىء ؟ كأنه فى دعواك حبس عنها الأشقياء ، وألقى فيها السعداء ، فلما
استزادت ألقى فيها الأشقياء بعد ، حتى ملأها .

لو ادعى هذا من لم يسمع حرفا من القرآن مازاد .

ثم رددت الحديث بعد ما أقررت به أنه حق . فقالت : يقال مأولاء المشبهة :
أليس من قال : إن الله يخلف وعده كافر . فإن قالوا : نعم ، فقل لهم : من زعم
أن جهنم تمتلئ من غير الجن والإنس فقد كفر . لأن الله قال : (لا ملأن جهنم من
الجنة والناس أجمعين) [١١٩ / هود] :

ويلك أيها المريسي ، إنما أنزل هذه من أنزل التي في سورة قـ (يوم نقول
لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) ويجوز في الكلام أن يقال لملتئ :
استراد ، كما يمتلئ الرجل من الطعام والشراب ، فيقول : قد امتلأت وشبعت ،
وهو يقدر أن يزداد ، كما يقال : امتلأ المسجد من الناس ، وفيه فضل وسعة للرجال
بعد ، وامتلا الوادي ماء ، وهو محتمل لاكثر منه . وكما قال النبي صلى الله عليه
وسلم (يخرج المهدي فيملأ الأرض قسطا كما ملئت جورا وظلما) وفي الأرض سعة
بعد لاكثر من ذلك الظلم ، وأكثر من ذلك القسط . فتمتلئ جهنم بما يلقى الله فيها
بما وعدوها من الجنة والناس ، وتقول هل من مزيد ، لنضل فيها ، غضبا الله على
الكفار ، حتى يفعل الجبار بها ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشاء ، وكما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحينئذ تقول (حسبي ، حسبي) .

وكيف يستحيل أيها المريسي ما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع
القدم في جهنم ؟ وأنت تزعم أن الله بكأله في جهنم قبل أن يملأها ، وبعد ما مملأها ،
لأنك تزعم أنه لا يخلو منه مكان ، فجهنم من أعظم الأمكنة ، فأنت أول من كذب
بالآية ، إذ تدعى أن جهنم تمتلئ من الجبار ، تبارك وتعالى عز وجل عن وصفك
بما وصفته به .

ثم ادعيت أن من تأول في هذا قدم الجبار فقد جعل الله من الجنة والناس ومن
يتبع إبليس . إذ زعم أن شيئا منه يدخل جهنم ، والله يقول (لا ملأن جهنم منك
ومن تبعك منهم أجمعين) .

فيقال لك أيها المريبى : فأنت أول من جعله من الجنة والناس ، ومن يتبع إبليس ، إذ تزعم أنه لا يخلو من جهنم ، ولا شيء من الامكنة ، أفعبض أوحش أم كل ؟

ويلك إنما أراد الله بقوله (لاملان جهنم من الجنة والناس أجمعين) الذين حق عليهم العذاب ، ولها خزنة يدخلونها ملائكة غلاظ شداد ، غير معذبين بها وفيها كلاب وحيات وعقارب . قال (عليها تسعة عشر ، وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة . وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) فلا يدفع هذه الآيات قوله (لاملان جهنم من الجنة والناس أجمعين كما لا يدفع هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم (يضع الجبار فيها قدمه) فإذا كانت جهنم لا تنضر الخزنة الذين يدخلونها ويقرمون عليها ، فكيف تنضر الذى سخرها لهم ؟

فإن أنت أفررت بالخزنة وملائكة العذاب وما فيها من غير الجنة والناس كفرت فى دعواك ، لأنك زعمت أن من ادعى أن جهنم تمتلئ من غير الجنة والناس فقد كفر . وهذه الآثار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذكر القدم بما أنت مصدق به محقق .

حدثنا سهيل بن بكر البصرى حدثنا أبان عن قتادة عن أنس قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم (لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد ، فيدلى فيها رب العالمين قدمه فينزوى بعضها إلى بعض ، فتقول قط بعزتك . ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا فيسكنهم فيها) .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد - وهو ابن سلة - عن عطاء بن السائب عن عبيد الله بن عتبة ، عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (افتخرت الجنة والنار فقال النار : يارب يدخلنى الجبارون والملوك والأشراف ، وقالت الجنة يدخلنى الفقراء والضعفاء والمساكين فقال الله للنار : أنت عذابي أصيب بك من أشاء . وقال للجنة : أنت رحمتى وسعت كل شيء ، ولكل واحدة منكما ملؤها . فأما النار فيلقى فيها وتقرل هل من مزيد ، ثلاث

مرات ، حتى يأتيها فيضع قدمه عليها . فتقول : قد ، قد ، ثلاثا) .

وقرأت على عثمان بن الهيثم المؤذن أن عوف بن أبي جميلة الاعرابي حدثه ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اختصمت الجنة والنار ؛ فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا مسفة الناس وسقطتهم ، أو كما قالت - فقال لها . قال للجنة أنت رحمتي أسكنك من أشاء من خلقى ، ولكل واحدة منك ما ملؤها . وأما جهنم فإنها لا تمتلئ حتى يضع الله قدمه فيها ، فينزوى بعضها إلى بعض : وأما الجنة فإن الله ينشئ لها من شاء من خلقه) .

فأخبرني عثمان بن الهيثم أن عوفا حدثه بذلك كما قرأت عليه .

حدثنا عبد الله بن صالح أن معاوية بن صالح حدثه ، عن راشد بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الله يطوى المظالم يوم القيامة فيجعلها تحت قدميه ، إلا ما كان من أجر الأجير ، وعقر البهمية ، وفض خاتم بغير حق) يريد اقتضااض الأبقار .

فانظر أيها المريسي في ألفاظ مارويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أقررت بأنه قاله ، هل تحتمل ألفاظه التأويل الذى ذهب إليه أنت ؟

باب ما جاء فى العرش

ثم انتدبت أيها المريسي مكذبا بعرش الله وكرسيه ، مطنبا فى التكذيب بجمالك متأولا فى تكذيبه بخلاف ما تفعله العقلاء والعلماء . فرويت عن ابن عباس رضى الله عنها أنه قال : (وسع كرسيه السموات والأرض : عليه) .

قلت : فعنى الكرسي العلم . فمن ذهب فيه إلى غير العلم أ كذبه كتاب الله .

فيقال لهذا المريسي : أما مارويت عن ابن عباس فإنه من رواية جعفر الآخر ،

وليس جعفر من يعتمد على روايته . إذ قد خالفه الرواة الثقات المتقنون . وقد روى مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنها في الكرسي خلاف ما ادعت على ابن عباس .

حدثناه يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع ، عن سفيان ، عن عمار الدهنى ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال (الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله) .

فأقر المريسى بهذا الحديث وصححه ، وزعم أن وكيعا رواه ، إلا أن تفسير القدمين هاهنا في دعواه : الثقلين قال : يضع الله عليه وقضاه للثقلين يوم القيامة فيحكم به فيهم فهل سمع سامع من العالمين مثل ما ادعى هذا المريسى ؟

ويك عن أخذته ؟ ومن أى شيطان تلقينه ؟ فإنه ماسبقك إليه آدمى نعلمه .

أحتاج الرب أن يضع محاسبة العباد على كتاب علمه وأفضيته يحكم بما فيه بينهم ؟ ولا أراك مع كثرة جهلك إلا ومنعلم أنك احتججت بباطل ، جعلته أغلوطه تغالط بها أعمار الناس وجهاهم .

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنها أيضا ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (آتى باب الجنة فيفتح لى ، فأرى ربى وهو على كرسىه ، تارة يكون بذاته العرش . وتارة يكون بذاته على الكرسي ، فيجلى لى . فأخرله ساجدا) فهل يجوز لك فى تأريلك أنه يأتى ربه وهو على علمه . إذ ادعت أن من زعم أن الكرسي غير العلم أكذبه القرآن بما رويت فيه عن ابن عباس . فهذا ابن عباس يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن نفسه خلاف ما رويت فيه فكيف تحيد عن هذا المشهور عن ابن عباس إلى المغموز عنه إلا من ظنة وريبة ؟

وأما قولك : من ذهب فى الكرسي لى غير العلم أكذبه كتاب الله .

ويلك ، وأية آية لم تنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ؟

ويلك ، وهل بقي أحد من نساء المسلمين وصبيانهم إلا وقد عقل أمر العرش والكرسى ، وآمن بهما إلا أنت ورهطك ؟ وليدس العرش والكرسى ، مما ينبغي أن يسند في تثبيتهما الآثار وتكيف فيها الأخبار ، ولولا أغلوطنك هذه . لما كان عليها والإيمان بها خلص إلى النساء والصبيان إلا إليك وإلى أصحابك ، طهر الله منكم بلاده ، وأراح منكم عباده .

والعجب من استطالتك هذه وجهالتك وأغلوطنك ، إذ تقول لمن هو أعلم بالله وبكتابه منك : إن لم تعلموا تفسير ما قلنا وإلا فسلاوا العلماء ولا تعجلوا بالقضاء .

ويلك أيها المريسى ، قد سألنا العلماء ، وجالسنا الفقهاء ، فوجدنا كلهم على خلاف مذهبك فسم عالما بمن مضى ومن غير يحتج بهذه العمايات ، ويتكلم بها حتى نعرفه ونسأله . فانا مارأينا متكلما ينتحل الاسلام أظهر كفرأ وأسمج كلاما ، وأقل إصابة في التأويل منك . وقد عرضنا كلامك على كلام من مضى ومن غير من العلماء فما وجدنا أحدا على مذهبك ، وعرضناه على لغات العرب والعجم فلم يحتمل شئ منها شيئا من كلامك . ولو كان عندك من ينصحك لحجر عليك الكلام ، فضلا أن تفتخر بحسن الكلام وسندك لك آثارا بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الكرسى ، لتنظر في ألفاظها : هل تدل على شئ ، من أغلوطنك هذه ؟

حدثنا عبد الله بن أبي شيبه حدثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحق ، عن سعد بن معبد قال : حدثني أسماء بنت عميس (أن جعفرأ جاءها لإذهم بالحبشه وهو يبيكي ، فقالت ماشأنك ؟ قال رأيت فتى مترفأ من الحبشة شابا جسيما مر على امرأه ، فطرح دقيقا كان معها ، فسفته الريح ؛ فقالت : أكأك إلى يوم يجلس الملك على الكرسى . فيأخذ المظلوم من الظالم) .

حدثني يحيى الحناني حدثنا خالد بن عبد الله ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد

الله بن بريدة ، عن أبيه قال (لما قدم جعفر من الحبشة قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما أعجب ما رأيت بالحبشة ؟ قال : رأيت امرأة على رأسها مكثل فيه طعام فجاء فارس فأذراه فجلست تجمعه ، ثم التفتت ، ثم قالت : ويحك ، كيف تصنع لو قد وضع الملك كرسيه فيأخذ للظلم من الظالم ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعجب من ذلك . وقال : ما قدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفها من شديدتها غير متنع) .

حدثنا هشام بن خالد الدمشقي حدثنا محمد بن شعيب بن سابق وأخبرنا عمر ابن عبد الله مولى غفرة قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتاني جبريل فقال : إن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب عن عرشه إلى كرسيه ، وحف الكرسي بمنابر من نور ، فيجلس عليها النبيون ، وحفت المنابر بكراسي من ذهب ، فيجلس عليها الصديقون والشهداء) .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد - وهو ابن سلمة - عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (بين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام ، والعرش على الماء ، والله فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه) .

حدثنا يحيى الحماني وأبو بكر قالا : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عمار الدهني ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنها قال (الكرسي موضع القدمين لا يقدر قدره إلا الله) .

حدثنا الحماني حدثنا الحكم بن ظهير ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال (ما السموات والأرض في الكرسي إلا مثل حلقة في أرض فلاة) .

حدثنا يحيى الحماني حدثنا أبو معارية ، عن الأعشى ، عن مجاهد قال

(ما السموات والأرض في الكرسي إلا بمزلة حلقة في أرض فلاة) .

حدثنا عبد الله بن رجاء أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن عبد الله بن خليفة قال (أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ادع الله أن يدخلني الجنة ، فعظم الرب . فقال : إن كرسيه وسع السموات والأرض ، وإنه ليقعد عليه ، فما ينزل منه إلا قدر أربع أصابع ، ومد أصابعه الأربع - وإن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد إذا ركبته من ينقله) .

فهاك أيها المريسي خذها مشهورة مأثورة فصرها وضعها بجانب تأويلك الذي خالفت فيه أمة محمد ، ثم أنشأت أيها المريسي ، واعظا لمن اعتظ قبلك بمواعظ وقبلها عن الله ، وصدق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهى فيها إلى ما أمر الله . فأنزجر عما نهى الله . فقلت لهم : لا تعتقدوا في نفوسكم أن الله شها أو مثلا ، أو عدلا ، أو يدرك بحاسة . وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه ، وصفوه بما وصف به نفسه في كتابه ، فإن من زعم أن الله شها أو عدلا فهو كافر .

فيقال لك أيها المريسي المدعى في الظاهر ، لما أنت له نافي في الباطن : قد قرأنا القرآن كما قرأته ، وعقلنا عن الله أنه ليس كمثل شيء ، وقد نفينا عن الله ما نفاه عن نفسه ، ووصفناه بما وصف به نفسه فلم نعهده ، وأبيت أن تصفه بما وصف به نفسه ، فنفيته عنه ما وصف به نفسه ، ووصفته بخلاف ما وصف به نفسه . أخبرنا الله في كتابه أنه ذو سمع وبصر ، ويدين ، ووجه ، ونفس ، وعالم ، وكلام ، وأنه فوق عرشه فوق سمواته ، فأما بجميع ما وصف به نفسه كما وصفه بـ لا تكيف ونفيته . أنت عنه كلها أجمع بعمايات من الحجج ، وتكليف . فادعيت أن وجهه : كله . وأنه لا يوصف بنفس ، وأن سمعه : إدراك الصوت إياه ، وأن بصره : مشاهدة الألوان كالجبال والحجارة والأصنام التي تنظر إليك بعيون لا تبصر ، وأن يديه : رزقه : موسوعه ومقتوره ، وأن عله وكلامه مخلوقان محدثان . وأن أسماءه

مستعارة مخلوقة محدثة ، وأن مافوق عرشه منه مثل ماهو أسفل سافلين ، وأنه في صفاته كقول الفلاس في كذا وكقول العرب في كذا ، تضرب له الأمثال تشبيها بغير شكلها ، وتمثيلا بغير مثلها ، فأى تكيف أوحش من هذا إذ نفيت هذه الصفات وغيرها عن الله بهذه الأمثال والضلالات المضلات ؟

وداعيت في تأويلك أن معبودك أصم لا يسمع أبكم لا يتكلم ، أعمى لا يبصر أجذم لا يد له ، مقعد لا يقوم ولا يتحرك ، جاهل لا يعلم ، مضطرب لا يوصف بحد ولا يدرك بحاسة في دعواك . وهذا خلاف صفة رب العالمين ، والحمد لله الذى من علينا بمعرفته ، وطبع على قلبك بجهالته ، ولوقد قرأت القرآن ، وعقلت عن الله معناه لعلمت يقينا أنه يدرك بحاسة بينة في الدنيا والآخرة ، فقد أدرك موسى منه الصوت في الدنيا ، والكلام هو من أعظم الحواس ، قال الله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) ويدرك منه في الميعاد الرؤية والكلام والنظر عيانا ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رغمتك ، وإن كرهت ، وكما قال الله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم) فهل من حواس أعظم من الكلام والنظر ؟ غير أنكم جعلتم الحواس كلمة أغلوطة تغالطون بها الصبيان والعميان : لأن قولكم : لا تدرك الحواس معناه عندهم أنه لاشيء بما قد علمتم ، وجميع العالمين أن الشيء الذى يقع عليه اسم الشيء لا يتخلو من أن يدرك بكل الحواس أو ببعضها . وأن لاشيء لا يدرك بشيء من الحواس في الدنيا ولا في الآخرة ، فجعلتموه لاشيء . وقد كذبت الله بذلك في كتابه إذ قال (كل شيء هالك إلا وجهه) وقال (قل أى شيء أكبر شهادة ؟ قل الله) فجعل نفسه أعظم الأشياء أو أكبر الأشياء ، وخالف الأشياء . فإن أنكرت ما قلنا ، ولم تعقله بقلبك فسم من الأشياء شيئا صغير أو كبيرا يقع عليه اسم الشيء لا يدرك بشيء من الحواس الخمس ، غير ما ادعيتم على الأكبر الأكبر ، والأعظم الأعظم والأوجد (١) الأوجد (٢) الذى لم يزل ولا يزال . فجعلتم الخلق الفانى موجودا

والقيوم الدائم الباقي غير موجود ، ولا يدرك بحاسة في الدنيا والآخرة .
وادعيتم على غيركم من لا يكيّف : التكيّف . وعلى من لا يشبه : التشبيه ،
وانتم دائبون تكيّفون وتشبهون بأقبح الأشياء . وأبطل الأمثال ، فمرة تكيّفه
فتشبهه بأعمى ، ومرة بأقطع ، فكان وعظك هذا لهؤلاء . كقول القائل كلبه حق
يبتغى بها باطل .

والعجب من إعجابك بهذه المقلوبات من تفاسيرك ، والمحالات من شرحك
وتعبيرك حتى رويت عن مجاهد أنه قال (للحديث جهابذة كجهابذة الورق) وصدقت
أيها المريسي وما أنت والله منهم ، ولا من رجاله ولا من رواته . ولا من جهابذته ،
فقد وجدنا الزيوف عندكم - حائزة نقادة ، والنقادة نفاية ، فكيف تستطيل بمعرفتها ،
وأنت المنسلخ منها ؟

ثم ادعى المعارض أنه انتهى إلى هاهنا السماع من بشر . قال : ثم ابتدأنا نقول
في حكايات ابن الثلجى .

فيقال لهذا المعارض المعجب بضلالات هذين الضالين : فرغت من كلام بشر
بسخط من الرحمن ، ولمبتدأت في كلام ابن الثلجى بعون الشيطان : ومثل فراغك
من بشر بسخط الرحمن ، وابتدأت في كلام ابن الثلجى بعون الشيطان . ومثل
فراغك من بشر وشروعك في كلام ابن الثلجى كمثل المستجير من الرمضاء
بالنار . فرغت من احتجاج كافر إلى احتجاج جهمى خامس . فعلى أى جنبيك
وقعت منها لم تنجبر ، وبأيهما استعنت لم تظفر ، وبأيهما استنصرت لم تنصر
وكذلك قال الأوزاعي لبعض أهل البدع إذا انتقلوا من رأى إلى رأى : إنكم
لا ترجعون عن بدعة إلا تعلقتم بأخرى هي أضر عليكم منها .

حدثناه عبد الله بن صالح عن الهقل بن زياد عن الأوزاعي وسنقص على ابن
الثلجى ضلالاته ، كما نقصنا من قبل ضلالات المريسي إن شاء الله بعون الله
وتوفيقه .

حكيت أيها المعارض عن ابن التلجي أنه قال : ناظرت بشرا المريسي في العرش
أن الله فوقه . قال فقال لي بشر : لا أقول إنه على عرشه ، كم مخلوق على
مخلوق .

فيقال لهذا التلجي الغوى : أول غوايتك سؤالك المريسي عن تفسير العرش ،
إذ عقل أمره النساء والصبيان .

ويلك ، أما وجدت شيئا من أهل الإسلام وأهل العلم الذين أدركت أجود
ليمانا بالعرش من بشر وأحسن معرفة له : حتى تناظره فيه من بينهم ؟ ثم تستحسن
تفسيره وتروييه لأهل الغفلة عنه ، كيما يعتقدونه ديناً ، وكان أكفر أهل زمانه
بالعرش ، وأشدّهم له إنكاراً ممن ينتحل الإسلام . فكفى بهذا دليلاً وظنه على الريبة
أن يكون المختار عندك من جميع العلماء في تفسير العرش بشر بن غيات
المريسي .

أو ماسمت بشرا وسوء مذهبه ، وافترضاه في بلده ، وأهل مصره ، وأنت له
جار قريب ؟ ولكننا نعتبر بالإمام المأموم ، والصاحب بالصاحب .

أو لم يكفك أيها التلجي ما قص الله في كتابه من ذكر العرش وتفسيره وما روى
فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تقنع بها حتى اضطرت إلى مناظرة
المريسي ؟ والمناظرة في العرش ريبة . والعرش لاشك فيه . لأن الإيمان به قد خلص
إلى النساء والصبيان الذين لا فقه لهم ولا علم . فكيف إلى من يدعى معرفة العلم ؟

فأما إذ أبيت إلا مناظرته فإنه يقال : أيها المريسي ، لا يقال لله : أنه على العرش
كم مخلوق على مخلوق ، ولكن ملك كريم خالق غير مخلوق على عرش عظيم مخلوق
على رغمك وأنت ملوم . فمن لم يؤمن به أنه كذلك فقد كفر بما أنزل الله ووجد
آيات الله ورد أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولك ككذا على كذا ، وكم مخلوق على مخلوق : تشبيه ودلسة ، وكلفة لم تكلف

ذلك في ديننا ، وليكن نقول كما قال : (الرحمن على العرش استوى) وكما قال الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم (إنه فوق عرشه الأعلى فوق سمواته العلى) وتلك العروة الوثقى ، من انتهى إليها اكتفى ، ومن عدل عن ذلك اعتدى .

ثم انتدب المعارض متكلماً من قبل نفسه في العرش ، متأولاً في تفسيره ومعناه خلاف ما تأوله أهل العلم بالله وكتابه وآياته : فقال (الرحمن على العرش استوى) ليس له تأويل إلا على أوجه نصفها ؛ ونكل عليها إلى الله .

قال بعضهم : العرش أعلى الخلق ، والله عليه وعلى كل شيء ، وبكل مكان غير محوى ولا ملازق ، ولا تمازج ، ولا بائن باعتزال وبفرجة بينه وبين خلقه : ولا يتوهم أنه على العرش كجسم على جسم .

فيقال لهذا المعارض : ما تركت أنت وإمامك هذا من التكذيب بالعرش غاية ولا من الافتراء على الله نهاية . أوله أنك قلت وحكيت أن العرش أعلى الخلق . والله مكذوبك في كتابه بقوله إذ يقول : (وكان عرشه على الماء) [٧ / هود] فكيف يمكن أن يكون العرش أعلى الخلق وكان العرش على الماء قبل الخلق ، إذ لا أرض ولا سماء ولا خلق غير العرش والماء ؟ وما يزيدك تكذيباً قول الله (وترى الملائكة حافين من حول العرش) [٧٥ / الزمر] وقال (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم) [٧ / غافر] أفتحمل الملائكة في دعواك أعلى الخلق ، أو أسفله ، أو شيئاً من الخلق ؟ وقال (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) [١٧ / الحاقة] أي يحملون يومئذ أعلى الخلق ويتركون أسفله ؟ أم الملائكة تحمل الناس يوم القيامة والسوات ، لأنها أعلى الخلق قبل سماع سامع ؛ حال من الحجج أبين من هذا ؟ مع ما فيه من التكذيب بالعرش نصاً ، ودفعه رأساً ، لأنه إن يكن العرش في دعواه أعلى الخلق فقد بطل العرش الذى هو أعلى الخلق ، لأن العرش غير ما سواه من الخلق ، إذ كان مخلوقاً على الماء قبل الخلق . ففي أى كلام العرب وجدت هذا أيها

المعارض أن العرش أعلى الخلق فيبينه لنا وإلا فإنك من المبطلين ، والله مكذبك في كتابه إذ يقول : (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) [٨٦ / المؤمنون] فميز الله بين أعلى الخلق وبين العرش العظيم وجعله غير السموات السبع فما دونها .

وبما يزيدك تكذيباً قوله (ذو العرش المجيد) [١٥ / البروج] وقوله (لا إله إلا هو رب العرش الكريم) [١١٦ / المؤمنون] وأى مجد وكرم لأعلى الخلق ما ليس لأوسطه وأسفله . فلذلك قلنا : إن تأويلك هذا تكذيب بالعرش صراحاً وإنكار له نصاً .

وأما قولك : إن الله غير محوى ولا ملازق ، ولا ممازج فهو كما ادعيت .

وأما قولك ، غير بائن باعتزال ، ولا بفرجة بينه وبين خلقه . فقد كذبت فيه فضلك عن سواء السبيل ، بل هو بائن من خلقه فوق عرشه بفرجة بينة . والسموات السبع فيما بينه وبين خلقه في الأرض ، وهو يعلم من فوق عرشه مأم عاملون ، لا يخفى عليه منهم خافية في الأرض . كما أنبأنا الله ورسوله وأصحاب رسول الله .

وأما قولك كجسم على جسم فإننا لا نقول أنه كجسم على جسم . لكننا نقول رب عظيم ، وملك كريم كبير نور ، السموات والأرض ، وإله السموات والأرض على عرش مخلوق عظيم فوق السماء السابعة . دون ما سواها من الأماكن . من لم يعرفه بذلك كان كافراً به وبعرشه والأنوار المخلوقة ليس منها نور إلا وله ضوء ساطع ، ومنظر رائع . فكيف النور الذي ليس كمثل شيء ؟

وزعمت أيها المعارض أن الله لم يصف نفسه أنه بموضع دون موضع ، ولكنه بكل مكان . وتأولت في ذلك بما تأولت به جهنم بن صفوان قبلك ، فقلت : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم - الآية)

ثم رويت عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه وقد رفعوا الصوت بالتكبير (لأنكم لاتدعون أصم ولا غابا لأنه أقرب إليكم من رموس رواحلكم) .

فيقال لهذا المعارض : هو كما وصف نفسه ووصفه الرسول ، مع كل ذى نجوى . وهو أقرب إلى أحدهم من جبل الوريد ، وأقرب منها ، يعلم وينظر ويسمع من فوق العرش ، لا يخفى عليه منهم خافية ، ولا يحجبهم عنه شيء ، عليه بهم من فوق عرشه محيط . وبصره فيهم نافذ ، وهو بكماله فوق عرشه . والسموات ومسافة ما بينهما وبينه وبين خلقه في الأرض ، فهو كذلك معهم رابعهم وخامسهم وسادسهم ، يعلم ما عملوا من شيء ثم يثيبهم يوم القيامة بما عملوا . كذلك هو مع كل ذى نجوى لا كما ادعيت أنه مع كل بائل ومحدث ومجامع ، في كنهم وحشوشهم ومضاجعهم . وإنما يعرف فضل الربوبية وعظم القدرة بأن الله فوق عرشه وبعد مسافة السموات والأرض يعلم ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، وهو مع كل ذى نجوى . ولذلك قال (عالم الغيب والشهادة) ولو كان في الأرض كما ادعيت يجذب كل ذى نجوى ما كان بعجب أن ينبتهم بما عملوا يوم القيامة . فلو كنا نحن بتلك المنزلة منهم لنبأنا كل عامل منهم بما عمل وقال ، ونأجى به أصحابه . فما فضل علام الغيوب على المخلوق الذى لا يعلم الغيب في دعواك .

وأما قولك : إن الله لم يصف نفسه أنه في موضع دون موضع . فإن كنت أيها المعارض ممن تقرأ كتاب الله أو تفهم شيئا من العربية علمت أنك كاذب على الله في دعواك ، لانه وصف نفسه أنه في موضع دون موضع ، ومكان دون مكان . ذكر أنه فوق العرش ، والعرش فوق سمواته . قد عرف ذلك كثير من النساء والصبيان . فكيف من الرجال ؟ قال الله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) (أأمنتم من في السماء) [١٧ / الملك] (وهو القاهر فوق عباده) [١٨ / الانعام] (يخافون ربهم من فوقهم) [٥٠ / النحل] (إلى متوفيك ورافعك إلى) [٥٥ / آل عمران] (ذو المعارج ترج الملائكة والروح إليه) [٤ / المعارج] من الأرض

السافلة . وقال: (إليه يصد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [١٠ / فاطر]
ولم يقل ينزل به إليه تحت الأرض :

فهذا الآى كلها تنبئك عن الله أنه فى موضع دون موضع ، وأنه على السماء
دون الأرض ، وأنه على العرش دون ماسواه من المواضع .

قد عرف ذلك من قرأ القرآن وآمن به ؛ وصدق الله بما فيه . فلم تحكم على الله
أيها العبد الضعيف الا بما هو مكذبك فى كتابه ، ويكذبك به الرسول صلى الله عليه
وسلم أو لم يبلغك حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للأمة السوداء (أين الله؟)
فقات فى السماء . قال : (اعتقها فإنها مؤمنة) فهذا ينبئك أنه فى السماء دون
الأرض ، فكيف ترك ما قال الله ورسوله : ونختار عليها فى ذلك قول بشر وابن
الثلجى ونظرأثم من الجهمية ؟

وأما قولك : إنه غير محوى ولا محاط به . فكذلك هو عندنا وفى مذهبنا .
لما أنه فوق العرش فى هواء الآخرة حيث لاخلق معه هناك غيره ، ولا قوة سما .
وفى قياس مذهبك ومذاهب أصحابك ، هو محوى ، محاط به ، ملازق مماس قد
اعرفت بذلك من حيث لا تشعر ، لأنكم تزعمون أنه فى كل مكان من السموات
والأرض ، والسموات فوق بعضه . وأنه فى كل بيت مغلق ، وفى كل صندوق
مقفل ، فهو فى فى دعواكم محاط به مماس . ولا يكون شيء فى مكان إلا وذلك
الشيء مما بين الامكنة قد أحاطت به الأرض فى دعواكم والسماء . وحيطان
البيوت ، والاغلاق والاقفال . فإذا كان فى كل مكان ، يلزم هذا الجاهل على
ما ادعاه أن تكون ذاته ملء الحلاء بأمره ، فيلزمه أن يكون ظرفا لحوادثه وتعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا أن يكون ظرفا لحوادثه ، أو تكون حوادثه
ظرفا له ، لانه تعالى محيط بالأشياء لا محاط به .

فبطل ما قاله ، وظهر فساد ما ادعاه ونحن نبرأ إلى الله أن نصفه بهذه الصفة ، بل
هو على عرشه ، فوق جميع الخلائق فى أعلى مكان وأطهر مكان ، كما قال الله تعالى

(وهو القاهر فوق عباده) يعلم من فوق عرشه ما فى السموات وما فى الارض ، وما تحت الثرى ! يدبر منه الامر ، ويعرج إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، كما قال لا يحيط به شيء ولا يشتمل عليه حائط ولا سقف بيت ، ولا تقله أرض ، ولا تظله سماء كما ادعت أياها المتبلى أنه فى كل جحر وزاوية ، وفى كل حش وكذيف ومرحاض ، حيث مقيل الشيطان ومبيته ، تعالى الله عن وصفك .

و ادعى المعارض على قوم من أهل الجماعة : أنهم يقولون : علم الله من ذاته . وهو فى الارض بائن منه . فإننا لا نقول كما ادعت أياها المعارض . ولا نقول إن بعض ذاته فى الارض منزوع بجسم بائن منه . ولكننا نقول : علمه وكلامه معه كما لم يزل ، غير بائن منه . فهو بعلمه الذى كان فى نفسه عالم من فوق عرشه بكل ذى نجوى ، أى لا يخفى عليه منهم خافية . لانهم منه بمنظر ومسمع ، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد . لا يخفى عليه من جسدكم ظاهرا وباطنا قيس خردلة من مخ أو عظم أو لحم أو عرق . داخل وخارج . لقوله تعالى (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون) أى نحن نعلم ما ظهر وما بطن . وما غيبت منه الجاود ، وواراه الجوف ، وأخفته الصدور ، وأنتم لا تبصرون . فنحن أقرب إليه منكم بالعلم بذلك . لا بأن علمه منزوع منه بائن بجسم فى الارض كما ادعت بجهلك فعلى هذا التأويل ندعى أن علمه فى الارض . لا ما ادعت علينا من الباطل . وكيف يتوجه لحجة غيره من لا يتوجه لحجة نفسه ولا يدرى ما ينطق به ؟ وادخال الحشو من الكلام والحجج الداخضة فيه من هذا المعارض .

وكلا أكثر من ذلك أو كان أدحض لحجته ، وأكشف لعورته .

فأعصر أياها المعارض ، فإن العرش لا يعطل بإكثار حشوك ، وخرافات كلامك ، وكلام المريسى وابن الثلجى ، إذ عقل أمره النساء والصبيان ، فكيف الدجال ؟

ويحك ، هذا المذهب أنزه الله من السوء أم مذهب من يقول : هو بكماله وجلاله وعظمته وبهائه فوق عرشه فوق سمواته ، وفوق جميع خلقه في أعلى مكان ، وأطهر مكان ، حيث لا خلق هناك من لئس ولا جان ، فيكفر ؟ فأى الحزبين أعلم بالله وأشد له تعظيما وإجلالا ؟

وأما ما رويت عن ابن الثلجى من غير سماع منه من حديث السدى عن أبى مالك عن ابن عباس فى قوله (الرحمن على العرش استوى) قال (ارتفع ذكره وثناؤه على خلقه) وعن ابن عباس أنه قال (استوى له أمره وقدرته فوق بريته) .

وعن ابن الثلجى أيضا من حديث جوير عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس (الرحمن على العرش) قلت ثم قطع الكلام فقال (استوى به مافى السموات ومافى الأرض) ينفى عن الله الاستواء ويجعله لما فى السموات والأرض .

فيقال لك أيها المعارض : لو قد سمعت هذا من ابن الثلجى لما قامت لك به حجة فى قيس تمرة . وهذه الروايات كلها لا تساوى بعرة ، وما يحتج بها فى تكذيب العرش إلا الفجرة . وأول ما فيه من الريب أنك ترويه عن ابن الثلجى المأبون المتهم فى دين الله . والثانى : عن الكلبي هو ابن عم الثلجى ، وعن جوير . ولو صح ذلك عن الكلبي وجوير من رواية سفیان وشعبة وحاد بن زيد لم نكثر بها . لأنها مغموزان فى الرواية لا تقوم بها الحجة فى أدنى فريضة ، فكيف فى إبطال العرش والتوحيد ؟ ومع ذلك لانراه إلا مكذوبا على جوير والكلبي . ولكن من يريد أن يعدل عن الحجة يحتج لمذهبه بما لا تقوم به الحجة .

والعجب ممن يدفع ما روى الزهرى ، عن عطاء بن يزيد الليثى ، عن أبى هريرة وأبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن زيد بن أسلم ، عن أبى سعيد المقبرى ، وثابت البناتى ، من رواية معمر وسفيان وشعبة ومالك بن أنس وحاد بن زيد ، ونظراتهم من أعلام المسلمين ، ويتعلق برواية ابن الثلجى والمريسي

ونظراتهم من أهل الظلّة في دين الله إذا وجد في شيء فيها أدنى متعلق يدخل بها دلالة على الجهاال .

وسنبين لهم من ذلك ما دلس إن شاء الله تعالى .

ادعى المعارض أن بعض الناس قال في قوله : (استوى على العرش) قال استولى : وقال بعضهم : استوى عليه ، أى هو عال عليه . يقال للرجل : علا الشيء أى ملكه ، وصار في سلطانه ، كما يقال : غلب فلان على مدينة كذا ثم استوى على أمرها ، يريد استولى ولا يريد الجلوس وهذه تأويلات محتملة .

فيقال لهذا المعارض العامة التائه المأبون ، الذى يهذى ولا يدري : هذه تأويلات محتملة لمعانى هى أقبح الضلال . وأفحش الخال ، ولا يتأولها من الناس إلا الجهاال ، وكل راسخ في الضلال .

ويحك ، هل من شيء لم يستول الله عليه في دعواك ولم يعلمه ، حتى خص العرش به من بين مافى السموات ومافى الأرض ؟ وهل نعرف من مثقال ذرة في السموات وفي الأرض ليس الله مالكة ولا هو في سلطانه ، حتى خص العرش بالاستيلاء عليه من بين الأشياء ؟ وهل نازع الله من خلقه أحد أو غالبه على عرشه ، فغلبه الله ثم استوى على ما غلبه عليه مغالبة ومنازعة ، مع أنك صرحت بما قانا ، إذ قسمته في عرشه بمتغاب غاب على مدينة فاستوى عايبها بغلبته ؟

ففى دعواك لم يامن الله أن يغاب لأن الغالب المستولى ربما غاب وربما غاب .

فهل سمع سامع بجاهل أجهل بالله ممن يدعى أن الله استولى على عرشه مغالبة ، ثم يقيسه في ذلك بمتغاب ؟ فيقول : ألا ترى أنه يقال للرجل : غاب على مدينة واستولى على أهلها ؟ وأين ما انتحلت أنه لا يجوز لأحد أن يشبه الله بشيء من خلقه ، أو يتوهم فيه ما هو موجود في الخلق ؟ وقد شبهته بمتغاب غاب على مدينة

بغلبيته ، فاستولى عليها ؟ لو ولدتك أملك أصم أخرس كان خيرا لك من أن تتأول هذا وما أشبهه في عرشه تعالى .

فأقصر أيها المرء الضعيف . فإنك لن تدفع العرش والكرونى بمثل هذا الحشو والخرافات والعماليات لأن الإيمان بهما قد خلص إلى كل من عرف الله : من عالم ، أو جاهل .

وأعجب من ذلك كله : قياسك الله بمقياس العرش ومقداره ووزنه من صغير أو كبير . وزعمت كالصبيان العميان إن كان الله تعالى أكبر من العرش فقد ادعيت فيه فضلا على العرش . وإن كان مثله فإنه إذا ضم إلى العرش السموات والأرض كانت أكبر ، مع خرافات تكلم بها وترهات يلعب بها ، وضلالات يضل بها ، لو كان من يعمل عليه الله لقطع ثمرة لسانه والخبية لقوم هذا فقيهم . والمنظور إليه مع هذا التمييز كله ، وهذا النظر ، وكل هذه الجهالات والضلالات .

فيقال لهذا البقباقي النفاج : إن الله أعظم من كل شيء ، وأكبر من كل خلق ولم يحتمل العرش عظمة ولا قوة ، ولا حمة العرش بقوتهم ، ولكنهم حملوه بقدرته ومشيتته وإرادته وتأيبده . لولا ذلك ما أطاقوا حمله .

وقد بلغنا أنهم حين حموا العرش وفوقه الجبار في عزته ، وبهائته ضعفوا عن حمله واستكانوا ، وجثوا على ركبهم ، حتى لقنوا (لاحول ولا قوة إلا بالله) فاستقلوا به بقدرته الله وإرادته . لولا ذلك ما استقل به العرش ، ولا الحمة ، ولا السموات ولا الأرض ، ولا من فيهن . ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة ، فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته ، فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات السبع ؟ وكيف تنكر أيها النفاج أن عرشه يقله ، والعرش أكبر من السموات السبع والأرضين السبع ؟ ولو كان العرش في السموات والأرضين ما وسعته . ولكنه فوق السماء السابعة .

فكيف تنكر هذا وأنت تزعم أن الله في الأرض في جميع أمكنتها ، والأرض دون العرش في العظمة والسعة ؟ فكيف تقله الأرض في دعواك ، ولا يقله العرش الذى هو أعظم منها وأوسع ؟ وأدخل هذا القياس الذى أدخلت علينا عظم العرش وصغره وكبره على نفسك وعلى أصحابك في الأرض وصغرها ، حتى تستدل على جهلك وتفتن لما تورده عليك حصائد لسانك فأنك لا تحتج بشئ إلا هو راجع عليك وأخذ بحقتك .

وقد حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح قال (أول ما خلق الله حين كان عرشه على الماء حملة العرش . فقالوا : ربنا لم خلقتنا ؟ فقال : خلقتكم لحمل عرشي . قالوا : ربنا ومن يقوى على حمل عرشك ، وعليه عظمتك وجلالك ووقارك ؟ فقال لهم : لئن خلقتهم لذلك . قال : فيقولون ذلك مرارا . قال فقال لهم : قولوا : (لاحول ولا قوة إلا بالله . فيحملكم والعرش قوة الله) .

أفلا تدري أيها المعارض أن حملة العرش لم يحملوا العرش ومن عليه يقوهم وبشدة أسرهم إلا بقوة الله وتأيدته ؟

وقد بينا لك ما جهلت من أمر العرش بشواهد من كتاب الله ، وشواهد من معقول الكلام ، وما مضى عليه أهل الإسلام .

وسنقص عليك فيه آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم الماثورة وأخباره المشهورة ما لوعرضتها على قلبك ، وتدبرت ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها علمت إن شاء الله أن ما تأولته في تفسير العرش باطل .

حدثنا محبوب بن موسى الأنطاكي أخبرنا أبو اسحق الغزاوى ، عن الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه نفر من أهل اليمن فقالوا : أتيناك لتتفق في الدين ،

ولنسألك عن أول هذا الأمر ، كيف كان ؟ قال : (كان الله ولم يكن شيء غيره . وكان عرشه على الماء تم كتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض) .
فهذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض التي هي أعلى الخلق . فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تكذيب لدعواك ، وإبطال لتأويلك .

حدثنا عبد الله بن أبي شيبه حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا بشر بن نمير عن القاسم ، عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء) .

حدثنا محمد بن كثير العبدى أخبرنا سفيان الثوري حدثنا أبو هاشم ، عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا) ثم قال : ابن عباس بخبر أن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا من خلقه من مماء وأرض .

و ادعيت أنت وصاحبك أن العرش أعلى الخلق تكذبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه .

وروى مجاهد أنه قال (بدء الخلق العرش) .

حدثني موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد قال : (بدء الخلق العرش والماء) .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعشى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وكان عرشه على الماء) قال (والماء على أي شيء ؟ قال : على متن الريح) .

حدثني محمد بن بشار بن دار حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال : سمعت في حديثك من الحلية والكسوة والمعانية (١) .

فلفظ هذا الحديث بخلاف ما فسرت وتفسيرك أنكرك من نفس الحديث . فافهم واقصر عن شبه هذا الضرب من الحديث ، فإن الخطأ فيه كفر ، وأرى الصواب مرفوعا عنك .

ومن الأحاديث أحاديث جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم قالها العلماء ورووها ولم يفسروها . ومتى فسروها أحد برأيه اتموه .

فقد كتب إلى علي بن خنصرم أن وكيعا مثل عن حديث عبد الله بن عمر (والجنة مطوية معلقة بقرون الشمس) فقال وكيع : هذا حديث مشهور قد روى فهو يروها .

فإن حديث الجنة سألوا عن تفسيره فلم يفسر لهم ، ويتم من يذكره وينازع فيه . والجهمية تنكره .

فلو اقتديت أيها المعارض في مثل هذه الأحاديث الضعيفة المشككة المعاني بوكيع كان أسلم لك من أن تنكره مرة ، ثم تثبته أخرى ، ثم تفسره تفسيراً لا ينقاس في أثر ولا فياس عن ضرب المريسى وابن الثلجى ونظرائهم . ثم لا حاجة لمن بين ظهريك من الناس إلى مثل هذه الأحاديث ، ثم فسرت تفسيراً أوحش من الأول فقلت : يحتمل أن يكون هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت على ربي في جنة عدن شابا جعدا أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شابا في الجنة من أولياء الله وافاه رسوله في جنة عدن . فقال (دخلت على ربي) .

فقد ادعى المعارض على رسول الله صلى الله عليه وسلم كفرا عظيما أنه دخل الجنة فرأى شابا من أولياء الله : فقال : رأيت ربي .

ثم بعد ما فسر هذه التناشير المقلوبة قال : ويحتمل أن يكون هذا من الأحاديث التي وضعها الزنادقة ففسدوها في كتب المحدثين .

فيقال لهذا المعارض اللاحق ، الذى تأعب به الشياطين : وأى زنديق استمكن

من كذب المحدثين مثل حماد بن زيد وسفيان وشعبة ومالك ووكيعة ونظرهم فيدسوا منها كبر الحديث في كتبهم ؟ وقد كان أكثر هؤلاء أصحاب حفظ . ومن كان منهم من أصحاب الكتب كانوا لا يكادون يطلعون على كتبهم أهل الثقة عندهم فكيف الزنادقة ؟ وأى زنديق كان يجترى على أن يترامى لأمثالهم ويزاحمهم في مجالسهم . فكيف يفتعلون عليهم الأحاديث ويدسونها في كتبهم ؟ أرايتك أيها الجاهل إذ كان هذا الحديث عندك من وضع الزنادقة فلم تلتمس له الوجوه والمخارج من التأويل والتفسير ، كأنك تصوبه وتثبت ؟ أفلا قلت أولا : هذا من وضع الزنادقة فتستريح وتريح من العناء والاشتغال بتفسيره . ولا تدعى في تفسيره على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل الجنة فرأى شابا من أولياء الله تعالى . فقال : هذا ربي . غير أنك خلطت على نفسك في تشويش وتخليط ، لا تجد لنفسك منا مفرعا إلا بهذه التخليط ولن تجزى عنك شيئا عند أهل العلم والمعرفة . وكلما أكرت من هذا وشبهه ازدادت به فضيحة ، لأن أحسن حجج الباطل تركه .

سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن شيبة وجبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله فوق عرشه فوق سمواته فوق أرضه مثل القبة — وأشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده مثل القبة وأنه ليسط به أطيظ الرجل بالراكب » .

وهذا أيها المعارض ناقض لتأويلك : إن العرش إنما هو أعلى الخلق ، يعنى السموات فما دونها من السقوف والعرش وأعلى الخلائق ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه فوق السموات العلى . فكفى خيبة وخسارة برجل أن يضاد قوله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكذب دعواه .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد - وهو ابن سلمة - عن عاصم عن زر ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « ما بين السماء الدنيا والى تليها مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام . والعرش على الماء . والله فوق العرش . وهو يعلم ما أنتم عليه » .

قال أبو سعيد أفلا ترى أيها المعارض أن ابن مسعود كيف ميز بين العرش والكرسى ، وبين السموات فما دونها التي هي أعلى الخلائق في دعواك وسميتها عرشا .
وعرش الرحمن الذي هو العرش على ألسن العالمين - حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبيد بن مهران - وهو المكتب - حدثنا مجاهد قال قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « خلق الله أربعة أشياء بيده : العرش ، والقلم ، وعدن ، وآدم . ثم قال لسائر الخلق كن فكان ، وفي قول ابن عمر : خلق الله العرش بيده ثم قال لسائر الخلق كن فكان - تكذيب لما ادعيت أيها المعارض ، إذ خلقه الله بيده خصوصا ثم قال لما هو أعلى الخلائق عندك (أثبتا طوعا أو كرها) فإذا كان العرش في دعواك ودعوى إمامك السموات ، فما بال حملة العرش وما يصنع بهم في رفع السموات ، وقد قال تعالى (الله الذى خلق السموات بغير عمد ترونها) ففي معرفة الناس لحملة العرش واستفاضته منهم وعلى ألسنتهم ، تكذيب دعواك ودعوى صاحبك ثم ما روى فيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه سنذكر منها بعض ما حضر إن شاء الله تعالى .

حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبي ثور ، عن سماك ، عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب قال « كنت بالبطحاء في عصابة فمرت سحابة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما هذه ؟ قلنا السحاب . قال : والمزن . قلنا : والمزن قال : والعنان ؟ قلنا : والعنان . فسكتنا . فقال : هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، وكذلك غلظ كل سماء ثم ذكر السموات حتى عد سبع سموات . قال : وفوق السابعة بحر بين أسفله وأعلىه مثل ما بين السماء إلى السماء ، وفوق ذلك ثمانية أوعال ما بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين السماء إلى السماء ، وعلى ظهورهن العرش ما بين أسفله وأعلىه ما بين السماء إلى السماء ، ثم الله فوق ذلك . »

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد - وهو ابن سلة - عن الزبير أى عبد السلام عن أيوب بن عبد الله الفهرى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار . نور السموات من نور وجهه ، وإن مقدار كل يوم من أيامكم عنده ثنتا عشرة ساعة فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار ، فينظر فيها ثلاث ساعات فيطلع منها على ما يكره ، فيغضبه ذلك . فأول من يعلم بغضبه الذين يحملون العرش يمدونه بثقل عليهم فيسبحه الذين يحملون العرش وسراقات العرش والملائكة المقربون وصائر الملائكة) .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال: (لخلعة العرش قرون لها كعوب ككعوب القفى ، ما بين إخص أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام . ومن كعبه إلى ركبتيه مسيرة خمسمائة عام ، ومن ركبتيه إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته إلى موضع القرن مسيرة خمسمائة عام) .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد ، عن هشام بن عروة ، عن عروة قال « حملة العرش منهم من صورته على صورة النسر . ومنهم من صورته على صورة الثور ، ومنهم من صورته على صورة الأسد » .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا إسحاق بن منصور السلولي ، عن معاوية بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله أذن لى أن أحدثكم عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض السابعة السفلى والعرش على منكبه وهو يقول : سبحانك أنت وحيد تكون » .

حدثنا إسماعيل بن عبد الله الرقى أبو الحسن السكرى حدثنا شريك ، عن سماك بن حرب ، عن عبد الله بن عميرة ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس ابن عبد المطلوب فى قوله (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال « ثمانية أملاك على صورة الأوعال » .

وحدثنا الحكم بن موسى البغدادي حدثنا الهقل بن زياد ، عن الأوزاعي ،
عن حسان بن عطية قال : « حمله العرش ثمانية ، أقدامهم في الأرض ورؤوسهم قد
جاوزت السماء ، وقرونها مثل طولهم عليها العرش » .

حدثنا أبو صالح الحراني حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن علي بن
رباح ، عن رجل سمع عبادة بن الصامت يقول : « إن النبي صلى الله عليه وسلم
خرج فقال : إن الله رفعني يوم القيامة في أعلى غرفة من جنات النعيم ، ليس فوقى
إلا حمة العرش » .

وفي العرش وحمة العرش أخبار كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه والتابعين اختصرنا منها هذه الأحاديث ، ليعلم من نظر فيها مخالفتكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ، وإن لم تكن تؤمن بها أنت وأصحابك ،
فقد آمن بها من هو خير منك وأطيب ، وعلوا أن قول هؤلاء القوم أصح عند
الله عما يروى عن المريسى وابن الثلجى ، ومن خرافاتهم وترهاتهم التي لا تنقاس في
كتاب ولا سنة ولا في شيء من لغات العرب والعجم .

وادعت أيضا على قوم أعلم بكتاب الله وسنة نبيه منك ومن أصحابك أنهم
يقولون علم الله غيره ، والعلم بمعزل منه والعلم في السماء والعلم في الأرض
منه بمعزل .

فيقال لهذا المعارض الباهت : مثل هذا لا يتفوه به إلا جاهل مثلك ، ولكنهم
يقولونه على معنى لا يتوجه له أمثالك . يقولون العالم بكماله وبجميع علمه فوق عرشه ،
وعلمه غير بائن منه ، يعلم بعلمه الذى فى نفسه مافى السموات والأرض وما تحت
الترى ، على بعد مسافة ما بينهن . فعنى قولهم (أن علمه فى الأرض) على هذا
التأويل ، لا على ما ادعت عليهم من الزور : أنهم يزعمون أن علم الله مزروع منه
بحسم فى الأرض ، إذا هم فى الجهل والضلال مثلك ومثل أمثالك المريسى وابن
الثلجى ونظرائهم .

وادعيت عليهم أيضا أنهم يزعمون أن كلام الله من صفاته وذاته. والكلام هو الفعل بزعمك ، وزعم هؤلاء أنه من الذات .

فيقال لهذا المعارض : أما ما يزعم هؤلاء من ذلك فسنبينه لك . وإن جهلت ، غير أنك ترددت وراوغت ووالست ودالست ، تقدم رجلا ، وتؤخر أخرى ، كيف تصرح بالقرآن أنه مخلوق ؟ فلم تزل عندك ودونك تلجلج بها في صدرك ، حتى صرحت بها في هذه المسئلة . وزعمت أنه فعل . والفعل عندك مخلوق لاشك فيه .

وأما دعواك علينا أننا نقول : كلام الله من صفاته . فأننا نقول علانية غير سر ، وهو الحق المبين . وليس شيء من صفاته مخلوق . وكل كلام صفة كل متكلم به ، خالق أو مخلوق ، غير أنه لا يقاس به من الخالق والمخلوق بسائر الصفات : من اليد والوجه ، والنفس ، والسمع ، والبصر ، وما أشبهها من الصفات التي إذاً بانّت من الموصوف استبان مكانها فيه ، وقام البائن منه بعينه في مكان آخر . لأنك ترى المتكلم من الناس يتكلم نهاره أجمع ، وكلامه يخرج منه وصفا لا ينقص من كلامه شيء . للذي يخرج منه ، فانه متى شاء عاد في مثله من الكلام . ولا الكلام يقوم بعينه جسما يرى وينظر إليه دونه وينشر كلامه في الآفاق على لسان غيره ، فينسب إليه حيا وميتا ، كما ينسب اليوم أشعار الشعراء فيقال : شعر لبيد ، والاعشى . ولو قطعت يده لاستبان موضع قطعها منه ، واستبان المقطوع في مكان آخر ، فذلك قلنا : إن الكلام له حال خلاف حال هذه الصفات الأخر ، لا يقاس بشيء منها ، ولا يشك فيها أنها صفة المتكلم ، لأنه منه خرج .

وأما قولك : كلام الله : فعله ، فقد صرحت بأنه مخلوق ، وادعيت أن أفاعيل الله زائلة عنه مخلوقة ، والكلام أحد أفاعيله عندك ، فقلت فيه قولاً أفحش عما قاله إمامك المريسي زعم المريسي أنه جموع وكل جموع مخلوق : وزعمت أنت أنه مفعول ، وكل مفعول مخلوق ، وأنتما إن اختلفت منكما الالفاظ فإن المعنى فيه منكما متفق ، كما

اتفق القول من إمامك المريبى مع الوليد بن المغيرة الخزرجى المشرك إذ قال (إن هذا إلاقول البشر) [٢٥ / المدثر] وكذا الذى قال (إن هذا إلاقول البشر) [٧ / ص] فزعم إمامك أنه يجعل ، وزعمت أنت أنه مفعول ، فاتفقت المعانى ، واختلفت الألفاظ منكما جميعا . ولئن كان أهل الجهل من مرادكم فى شك إن أهل العلم منكم لعلى يقين . فكان من صنع الله لمن بين ظهريك أن صرحت بالخلق بشر (١) وانقباض منه ، مخافة الفضيحة ، حتى صرحت بها ، فاستدلوا على مذهبك ليحذروا مثلها من زلاتك ، ويحسبوا أخواتها من سقطاتك . ثم صرحت بها ثانية فى آخر كتابك ، فادعيت أن من قال : القرآن غير مخلوق فقد جاء بالكفر عيانا .

أو لم تزعم أيها المعارض فى صدر كتابك هذا : أن من قال القرآن مخلوق فقد ابتدع . ثم ادعيت أن من قال : غير مخلوق فهو كافر . فإن كان الذى قال غير مخلوق كافرا عندك ، إن الذى يقول مخلوق مؤمن موفق ، مصيب فى دعواك ، فلم تنسبه إلى البدعة ، وهو فى دعواك موفق مصيب ، ولكنك موته بالاول لثلا يفظن الجهال منك الاخرى (٢) . وقد صرحت وأوضحت وأفصحت به ، حتى لم تدع لتأول عليك موضع شبهة .

ثم صرحت أيضا بمذهب كبير فاحش من قول الجهمية . فقلت : إذا قالوا لنا أين الله ؟ فانا لانقول بالآينية بحلول المكان . إذا قيل : أين هو ؟ قيل : على العرش وفى السماء .

فيقال لك : أيها المعارض ، ما أبقيت غاية فى نفي استواء الله على العرش ، واستوائه إلى السماء إذ قلت لانقول : إنه على العرش وفى السماء بالآينية ، ومن لم يعرف أن إلهه فوق عرشه ، فوق سمواته ، فانما يعبد غير الله ، ويقصد بعبادته إلى إلهه وفى الأرض ، ومن قصد بعبادته إلى إلهه فى الأرض كان كعابد وثن . لأن الرحمن على العرش ، والاثثمان فى الأرض ، كما قال جبريل (عند ذى العرش

(١) كذا فى الأصل .

(٢) كذا فى الأصل .

مكن . مطاع ثم أمين) [٢١ / التكوير] ففى قوله دليل على البينونة والحد ، ثم ،
لاها هنا فى السكف والمراحيض كما ادعيتم . وإن أبيت أيها المعارض أن تؤين
الله وتقر به أنه فوق عرشه ، دون ماسواه ، فلا ضير على من أينته ، لإذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أينته . فقال للأمة السوداء (أين الله ؟ قالت : فى السماء .
قال اعتقها فإنها مؤمنة) وكذلك أينته رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفه إبراهيم
عليه السلام أنه فى السماء .

حدثنا أبو هاشم الرافعى حدثنا إسحق بن سليم ، عن أبي جعفر الرازى ،
عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (لما ألقى إبراهيم فى النار قال : اللهم لك فى السماء واحد ، وأنا فى
الأرض واحد عبدك) :

حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن أبان ، عن يزيد العطار ، عن يحيى بن أبى كثير
عن هلال بن أبى ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلبى أن النبى
صلى الله عليه وسلم قال للأمة السوداء : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال :
(اعتقها فإنها مؤمنة) .

فما نصنع بقولك أيها المعارض ، وقول إمامك المريسى مع قول محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وإبراهيم خليل الله صلى الله عليها وسلم إلا أن ينشد
فى الخش .

والقرآن يصدق ما قالوا ويحققه ، من أوله الى آخره . إذ يقول : (أأنتم من
فى السماء) و (إليه يصعد الكلم الطيب) (ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه
فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) (وهو القاهر فوق عباده) (إني متوفيك
ورافعك إلى) وما أشبهها من القرآن .

وزعمت أيها المعارض أنك لا تصف الله تعالى بحلول فى الاماكن ، فلو شعرت

أيها المعارض أنك وصفته بأفبح حلول في الأماكن وأفحش مما عبت على غيرك
لأننا قد أينأله مكانا واحدا أعلى مكان ، وأطهر مكان ، وأشرف مكان : عرشه
العظيم المقدس المجيد ، فوق السماء السابعة العليا ، حيث ليس معه هناك لئس ولا
جان ولا بجنبه حش ولا مرحاض ولا شيطان .

وزعمت أنت والمضلون من زعمائك أنه في كل مكان ، وكل حش ومرحاض
وبجنب كل لئسان وجان . أفأنتم تشبهونه إذ قلتم بالحلول في الأماكن ، أم نحن ؟
هذا واضح بين مذهبكم ، ودعواكم صرحت به أيها المعارض في غير موضع من
كتابك . ولكنك تقول الشيء فتنسأه ، ثم تنقض على نفسك ، وأنت لا تشعر به
حتى يأخذ بحلقك . والحمد لله الذي أعاننا عليك بالنسيان ، وكثرة الهذيان .

ثم ذهبت تنكر النزول وتدفعه بضروب من الأباطيل والاضاليل من كلام
المريسي وابن الثلجي ونظرائهم من الجهمية وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غير خبر ، كأنك تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وقل حديث
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنقض لدعواكم في أن الله في كل مكان من حديث
النزول ، لما أنكم تقولون : لا يخلو منه مكان . فكيف ينزل من مكان إلى مكان من
هو في كل مكان .

فكان من أعظم حجج المعارض لدفع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في النزول حكاية حكاها عن أبي معاوية الضرير لعلمها مكذوبة عليه . أنه قال :
نزوله نزول أمره وسلطانه ، وملائكته ، ورحمته ، وما أشبهها .

فقلنا له : أيها المعارض : أما لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فينقض
ما حكيت عن أبي معاوية . فإن قاله فالحديث يكذبه ويبطل دعواه . لأن لفظ
الحديث إذا مضى ثلث الليل ، أو شطر الليل : نزل الله إلى سماء الدنيا ، فيقول : هل
من داع ، فأجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطيه سؤله ؟ حتى ينفجر
الفجر . وقد جئنا بالحديث بإسناده في صدر هذا الكتاب . فلو كان ذلك على ما حكيت عن

أبى معاوية وادعيته أنت أيضا أنه أمره ورحمته وسلطانه ، ماكان أمره وسلطانه يتكلم بمثل هذا ويدعو الناس إلى استغفاره وموآله دون الله ، ولا الملائكة يدعون الناس إلى إجابة الدعوة وإلى المغفرة منها لهم ، وإلى إعطاء السؤال لان الله ولى ذلك دون من سواه .

وأخرى أن أمره وملائكته ورحمته وسلطانه دائما ينزل آناه الليل والنهار ، لايفتر في كل ساعة ، ولاينقطع فما بال تلك الليل خص بنزول رحمته وأمره من بين أوقات الليل والنهار ؟ حتى وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتا آخر . فقال « لى أن ينفجر الفجر ، ففي دعواك تنزل رحمته على الناس فى تلك الليل . فإذا انفجر الفجر رفعت فى دعواك ، هذا والله تفسير محال ، وتأويل ضلال ، يشهد عليه ظاهر الحديث بالإبطال .

وأما مارويت فى صدر كتابك عن المريسى أن الله بكل مكان عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن ابن عمر أنه قال لرجل « لانقل الله حيث كان ، فإنه بكل مكان » .

وعن أبى الاحوص ، عن زيد بن جبير ، عن أبى البخترى مثله .

فتأويل هذا المعارض على مافسرنا : أنه فوق عرشه ، بكل مكان بالعلم به ، ومع كل صاحب نجومى ، وأقرب من حبل الوريد ، كما قال الله تعالى ، لاعلى أنه بنفسه فى كل مكان ، بما بين الخلق فى الأرض والامكنة ، ويجنب كل مصل وقائم وقاعد ، فهو من فوق عرشه مع من بالشرق ، كما هو مع من بالمغرب ، ومع من فى الأرض السابعة ، كما هو مع من فى السماء ، لايبعد عنه شىء فى الأرض ولا فى السماء ولاينفى عليه خافية من خلقه .

والعجب منك ومن إمامك المريسى أن يحتج فى ضلاله بالتوبة على ابن عمر وعن أبى البخترى ويدع المنصوص المفسر عن ابن عمر فى الرؤية والعرش خلاف ماموه من كتاب الله ، ورواية بضع وعشرين رجلا من الصحابة عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم في النزول، وفي أن الله في السماء دون الأرض ، هذا إلى الابتداع أقرب منه إلى الاتباع ، وإلى الجهل أقرب منه إلى العدل ، غير أن المصيب يتعلق من الآثار بكل واضح مشهور ، والمريب يتعلق بكل متشابه مغمور .

وأعجب من ذلك قولك فيما ادعيت على أبي معاوية في تفسير هذا النزول ، ثم قلت : يحتمل ما قال أبو معاوية ، كما تروون أن القرآن يحى يوم القيامة شافعاً مشفعاً وما حلاً مصدقاً ، فقالوا : معنى ذلك أنه ثوابه . فإن جاز لهم هذا التأويل في القرآن جاز لنا أن نقول إن نزوله : أمره ورحمته .

فيقال لهذا المعارض : لقد قست بغير أصل ولا مثال ، لأن العلماء قد علموا أن القرآن كلام ، والكلام لا يقوم بنفسه شيئاً قائماً حتى تقيمه الألسن ويستلين عليها وأنه بنفسه لا يقدر على المحيى والتحريك والنزول بقدر منزل ولا محرك ، إلا أن يؤتى به ، وينزل والله حي قيوم ، ملك عظيم . قائم بنفسه ، في عزه وبهائه ، يفعل ما يشاء ، كما يشاء وينزل بلا منزل ويرتفع بلا رافع ، ويفعل ما يشاء بغير استعانة بأحد ، ولا حاجة فيما يفعل إلى أحد : ولا يقاس الحي القيوم الفعال لما يشاء بالكلام الذي ليس له عين قائمة حتى تقيمه الألسن ، ولا له أمر ولا قدرة ولا إرادة ولا يستبين إلا بقراءة القراء .

أرأيت إن كان نزوله : أمره ورحمته فما بال أمره ورحمته لا تنزل إلا في ثلث الليل ؟ ثم إلى السماء الدنيا ، وما بال أمره ورحمته في دعواك لا تنزل إلى الأرض من حيث مستقر العباد ، بمن يريد الله أن يرحمه ويحيب ويعطى . فما بالها تنزل إلى السماء الدنيا ، ثم لا تجوزها ؟ وما بال رحمته تبقى على عباده من ثلث الليل إلى انفجار الفجر ، ثم ترجع من حيث جاءت بزعمك ؟ وما باله إذ الله بزعمك في الأرض فإذا استرحمه عباده واستغفروه وتضرعوا إليه بعد عنهم رحمته إلى السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، ولا يفشيهم إليها وهو معهم في الأرض بزعمك . إذا زعمت أن نزوله

تقريب رحمته إليهم كقوله الآخر (منى تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب منى ذراعا تقربت عنه باعا) فقلت : هذا تقرب بالرحمة .

ففى دعواك فى تفسير النزول : من تقرب إليه شبرا تباعد هو عنه مسيرة ما بين الأرض إلى السماء ، وكلما ازداد العباد إلى الله تقربا تباعد هو برحمته عنهم بعد ما بين السماء والأرض بزعمك .

لقد علمت أيها الجاهل أن هذا تفسير محال يدعو إلى الضلال ، والحديث نفسه يبطل هذا التفسير ويكذبه ، غير أنه أغيط حديث للجهمية ، وأنقض شىء لدعواهم لأنهم لا يقولون أن الله فوق عرشه ، فوق سمواته ، لكنه فى الأرض ، كما هو فى السماء . فكيف ينزل إلى السماء الدنيا من هو تحتها فى الأرض ؟ وجميع الأماكن منها ، ولغظ الحديث ناقض لدعواهم ، وقاطع لحججهم .

وأخرى : أنه قد عقل كل ذى عقل ورأى أن القول لا يتحول صورة لها لسان وفم ، ينطق ويشفع ، فحين اتفقت المعرفة من المسلمين أن ذلك كذلك علموا أن ذلك ثواب يصوره الله بقدرته صورة رجل يبشر به المؤمنين ، لأنه لو كان للقرآن صورة كصورة الإنسان لم يتشعب أكثر من ألف ألف صورة . فباتى أكثر من ألف ألف شافع ، وما حل . لأن الصورة الواحدة إذا هى أتت واحدا زالت عن غيره . فهذا معقول ، لا يجعله إلا كل جهول . وهذا كحديث الأعمش عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، إن الرجل إذا مات تأتبه أعماله الصالحة فى صورة رجل فى أحسن هيئة وأحسن لباس وأطيب رائحة ، فيقول : أنا عمالك الصالح ، كان حسنا ، فكذلك ترائى طيبا . وكذلك العمل السيئ . يأتى صاحبه فيقول له : أنا عمالك الخبيث ويشهره بعذاب الله) .

ولما عملهما الصلاة والزكاة والصيام وما أشبهها من الأعمال الصالحة ، وعمل الزنا والربا وقتل النفس بغير حقها ، وما أشبهها من المعاصى قد اضمحلت وذهبت

في الدنيا . فيصور الله بقدرته الدؤوم والفاجر ثوابها وعقابها يبشرهما به ، إكراما للمؤمنين وحسرة على الكافرين .

وهذا المعنى أوضح من الشمس وقد علمتم ذلك إن شاء الله ، ولكن تغالطون وتدلسون ، وعليكم أوزاركم وأوزار من تغالطون .

ثم أكد المعارض دعواه في أن الله في كل مكان بقياس ضل به عن سواء السبيل .

فقال : ألا ترى أنه من صعد الجبل لا يقال : أنه أقرب إلى الله .

فيقال لهذا المعارض المدعى ما لا علم به ، من أنبأك أن رأس الجبل ليس بأقرب إلى الله من أسفله ، لأنه من آمن بأن الله فوق عرشه فوق سمواته علم يقينا أن رأس الجبل أقرب إلى السماء من أسفله ، وأن السماء السابعة أقرب إلى عرش الله من السادسة ، والسادسة أقرب إليه من الخامسة ثم كذلك إلى الأرض . كذلك روى إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن ابن المبارك أنه قال : (رأس المنارة أقرب إلى الله من أسفله) وصدق ابن المبارك . لأن كل ما كان إلى السماء أقرب كان إلى الله أقرب ، وقرب الله إلى جميع خلقه أقصاهم وأدناهم واحد لا يبعد عن شيء من خلقه . وبعض الخلق أقرب إليه من بعض على نحو ما فسرنا من أمر السموات والأرض ، وكذلك قرب الملائكة من الله . فحملة العرش أقرب إليه من جميع الملائكة الذين في السموات كلها . والعرش أقرب إليه من السماء السابعة . وقرب الله إلى جميع ذلك واحد معقول مفهوم إلا عند من لا يؤمن بأن فوق العرش إلهه وكذلك سمي الملائكة المقربين وقال (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحون وله يسجدون) [٢ / الأعراف] فلو كان الله في الأرض كما ادعت الجهمية ما كان لقوله (الذين عند ربك) معنى ، إذ كل الخلق عنده ومعه في الأرض بمنزلة واحدة مؤمنهم وكافرهم ، ومطيعهم وعاصيهم . وأكثر أهل الأرض من لا يسبح بحمده ولا يسجد له . ولو كان في كل مكان ومع كل أحد لم يكن لهذه الآية معنى . لأن

أكثر من في الأرض لا يؤمنون به ولا يسجدون له ويستكبرون عن عبادته . فأى منقبة إذن فيه للبلاثة ؟ إذ كل الخلق عند الجهمية في معنهم على تفسيرهم هذه الآية .

ثم فسر المعارض هذا المذهب تفسيراً أشنع من هذا ، دفعاً بأن يقال : إن الله في السماء . فقال : يحتمل التأويل أن يكون في السماء ، على أنه مدبرها ومتقنها . كما يقال : للرجل هو في صلاته وعمله ، وتدير معيشته . وليس هو في نفسها وفي جوفها ، وفي نفس المعيشة بالحقيقة . ولكن بالحجاز على دعواه .

فيقال لهذا المعارض : قد قلنا لك : إنك تهذى ولا تدري ، تتكلم بالشئ ثم تنقض على نفسك ، أليس قد زعمت أن الله في السماء ، وفي الأرض ، وفي كل مكان بنفسه ، فكيف تدعى فيه ما هنا أنه ليس في السموات منه إلا تدبيره وإتقانه كتدبير الرجل معيشته ، وليس بداخل فيها ؟

ما أولى بك أيها المعارض أن تعض على لسانك ، ولا تحتج بشئ لا تقدر أن تقوده . وتتخلص منه بحجة حتى تنقضه على نفسك بنفس كلامك ولو كان لك ناصح لحجر عليك الكلام ، ولولا أنه يشير إليك بعض الناس ببعض النضرة في العلم ما اشتغلنا بالرد على مثلك ، لسخافة كلامك . ورثاة حججك ولكننا نخوفنا من جهالتك ضرراً على الضعفاء الذين بين ظهريك . فأحيينا أن نبين أن نبين لهم عورة كلامك وضعف احتجاجك كي يحذر وامثلها من رأيك . وقد فضحناك في ذلك ولو استقصينا عليك الاحتجاج لطال به الكتاب ، غير أنا أحيينا أن نفسر منها قليلاً يدل على كثير . ولولا أنك ابتدأتنا بالخواص فيه وفي إذاعة كلام بشر المريسي الملح في توحيد الله ، المعطل لصفات الله ، المفتري على الله ، لم نعرض لشئ من هذا وما أشبهه . لأنه لا يحل لمسلم عنده شئ من بيان أو برهان يكون ببلدة ينشر فيها كلام المريسي في التوحيد ثم لا ينقضه .

ثم عاد إلى مذهبه الأول ناقضاً على نفسه فيما تناول في المسئلة الأولى فاحتج ببعض كلام جهن والمريسي .

فقال : إن قالوا لك أين الله ؟ فالجواب لهم : إن أردتم حلولاً في مكان دون مكان ، وفي مكان يعقله المخلوق . فهو المتعالى عن ذلك . لأنه على العرش . وبكل مكان ، لا يوصف بأين .

فيقال لهذا المعارض : أما قولك كالمخلوق . فهذه كذبة منك ، وتليس ولا يقوله أحد من العلماء ، ولكنه بمكان يعقله المخلوقون المؤمنون بآيات الله ، وهو على العرش فوق السماء السابعة ، دون ماسواها من الامكنة ، وعليه محيط بكل مكان ، وبمن هو في كل مكان . من لم يعرفه بذلك لم يؤمن بالله . ولم يدر من يعبد ، ومن يوحد .

مع أنك أيها المعارض أقررت بأنك تعقل مكانه لأنك ادعيت أنه في كل مكان من سماء ومن أرض .

وأما اشتراطك على من سأل : أين الله . فتقول له : إن كنت تريد كذا وكذا فهذا شرط باطل . لم يشترط ذلك أحد من الأئمة على أحد أراد أن يعرف الله : لأن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأل الأمة السوداء : أين الله ، لم يشترط عليها كما اشترطت أنت . إن كنت تريد حلولاً كحلول كذا وكذا ولكن قالت : في السماء ، فاكتمى منها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ولم يقل لها : كيف كينونته في السماء ؟ وكيف حوله فيها ؟

وأما قولك : لا يوصف بأين . فهذا أصل كلام جهم ، وهو خلاف ما قال الله ورسوله والمؤمنون ، لأن الله قال (أأنتم من في السماء) وقال للملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) وقال (الرحمن على العرش استوى) فقد أخبر الله العباد أين هو ، وأين مكانه ، وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث فقال « من لم يرحم من في الأرض لم يرحمه من في السماء » .

حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي اسحق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد

الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء » ،
قلو لم يوصف بأين كما ادعت أيها المعارض ، لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول للجارية « أين الله » فيغالطها في شيء لا يؤين . وحين قالت « هو في السماء »
لو قد أخطأت فيه لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وأعلمها . ولكنه استدلل على
إيمانها بعرفتها أن الله في السماء وكذلك روى لنا عن ابن المبارك .

حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا علي بن الحسن الشافعي قال : قيل لابن المبارك
« بأي شيء نعرف ربنا ؟ قال : بأنه في السماء على عرشه ، بائن من خلقه : قلت :
بمجد ؟ قال : بمجد ، فهذا القرآن ينطق بأن يوصف الله بأين ، وهذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد وصفه ، وعليه درج أهل المعرفة من أهل الإسلام .

فمن أنبأك أيها المعارض غير المريسي وأصحابه أنه لا يوصف بأين ؟ فأخبرنا
به وإلا فأنت المفترى على الله ، الجاهل به وبمكانه .

ثم نقضت على نفسك دعواك أنه في السماء على أنه مدبرها ، كما يكون الرجل
في عمارة داره خارجا منها ، وليس بداخل فيها . فترك المذهب الأول . ثم ادعت
أخيرا فقلت : هو في السموات وفي الأرض . وفي كل مكان ، تحتج بالشيء ثم
تنساه حتى تنقضه على نفسك . وأنت لا تشعر ؟

وسنذكر في إبطال حججتك في هذه المسئلة أخبارا صحيحة يستدل بها من
وفقه الله على إلحادك فيها إن شاء الله .

حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن عمرو - وهو ابن دينار - عن أبي قابوس ،
عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الراحون يرحمهم
الرحمن . ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء) .

حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري أخبرنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصاري
عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى أحدكم شيئا أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا الذى فى السماء ، تقدس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء . فاجعل رحمتك فى الأرض واغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل شفاء من شفائك ، ورحمة من رحمتك على هذا الوجع ، فيبرأ .

أفلا ترى أيها المعارض رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حده فى السماء دون الأرض بقوله « ربنا الله الذى فى السماء » .

وكذلك روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

« حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا ، وكيع حدثنا سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن عبد الرحمن بن غنم قال : قال عمر بن الخطاب « ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه » .

حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني سالم بن عبد الله أن كعبا قال لعمر « ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء » فقال عمر « إلا من حاسب نفسه » قال كعب « إلا من حاسب نفسه » فكبر عمر ثم خر ساجدا .

ففي هذا بيان بين الحد ، وأن الله فى السماء دون الأرض : لأن الله ديان السموات والأرض جميعا وسلطانها . ولكنه حد مكانه فى السماء دون الأرض ، لأنه هناك على العرش دون ما سواه من الأمكنة .

حدثنا محمد بن بشار حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد بن مطعم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله فوق عرشه ، وعرشه فوق سمواته ، فوق أرضه مثل القبة . وإنه ليشط به أطيط الرحل بالراكب » .

حدثنا عبد الله بن أبي شيبة حدثنا محمد بن الفضل ، عن أبيه ، عن نافع ، عن

ابن عمر قال (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر : أيها الناس إن كان محمد الحكم الذى تعبدون فإنه قد مات وإن كان الحكم الله الذى فى السماء فإن الحكم لم يمت) ثم تلا (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) حتى ختم الآية .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن ضلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود قال (ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، وبين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء ، والله فوق العرش ، ويعلم ما أنتم عليه) .

حدثنا النفيلي حدثنا زهير - وهو ابن معاوية - حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن مليكة أنه حدثه ذكوان حاجب عائشة رضى الله عنها (أن ابن عباس رضى الله عنهما دخل على عائشة رضى الله عنها وهى تموت ، فقال لها كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إلا طيبا . وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات ، جاء بها الروح الأمين . فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيه الله إلا وهى تتلى آناه الليل وآناه النهار) .

حدثنا نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك أخبرنا سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني قال حدثنا رجل من أهل الشام وكان يتبع عبد الله بن عمرو بن العاص ويسمع منه قال : (كنت معه ، فلقي نوحاً البكالى . فقال نوح ذكروا لنا أن الله قال للملائكة ادعوا لى عبادى . قالوا : يارب كيف ندعوهم ، والسموات السبع دونهم ، والعرش فوق ذلك ؟ قال : إنهم إذا قالوا لا إله إلا الله فقد استجابوا) .

حدثنا موسى بن إسماعيل - أبو سلمة - حدثنا أبو هلال حدثنا قتادة قال (قالت بنو إسرائيل : يارب ، أنت فى السماء ، ونحن فى الأرض فكيف لنا أن نعرف

رضاك وغضبك ؟ قال : إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم . وإذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم) .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباؤه أبو بكر وعمر ، وخيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون حتى بنو إسرائيل كلهم قد قالوا بخلاف مذهبكم في أن الله في كل مكان . وهذا باب طويل والآثار فيه كثيرة . ويكفى العاقل ما ذكرنا من ذلك .

القول في كلام الله

ثم رأيتك أيها المعارض من بعد ما فرغت من إظهار حجج الجهمية من كلام بشر المريسي ونظرائه ، تقلدت كلام ابن الثلجي الذي كان يستتر به من التجهم ، بعد ما لم تدع للجهمية من كبير حجة إلا قمت بها ، وأظهرتها وزينت في أعين الجاهل ودعوتهم إليها ، وبعد ما صرحت بأن القرآن مخلوق في مواضع كثيرة من كتابك هذا ، ومن قال غير مخلوق . فهو عندك كافر ، وأن الله في كل مكان يزعمك .

ثم أنشأت طاعنا على من يزعم أنه غير مخلوق . فسطرت فيه الأساطير وأدثت من المناكير ، وغلطت في كثير . فادعيت أن قول الناس في القرآن إنه مخلوق وغير مخلوق بدعة ، إذ لم يكن يخاض فيه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأنهم كانوا يسكرون الخوض في القرآن ، فحكمت أيها المعارض على نفسك بالبدعة ، وشهدت بها على نفسك كما أنك صرحت بأنه مخلوق . وهو قولك : كلام الله غير الله . وهو من أفاعليه والآفاعيل يزعمك زائلة عنه ومخلوقة . فحكمت على نفسك بما تخوفت على غيرك .

فأما قولك . إن السلف كانوا يسكرون الخوض في القرآن فقد صدقت . وأنت المخالف لهم لما أنك قد أكثرت فيه من الخوض . وجمعت على نفسك كثيرا من

النقض . فثلثك فيما ادعيت من كراهية الخوض فيه كما قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه للخوارج حين قالوا : (لاحكم إلا الله) فقال (كلمة حق يستغنى بها باطل) فقد خضت فيه أيها المعارض بأقبح الخوض ، وضربت له أمثال السوء . وصرحت بأنه مفعول كما قال إمامك المريسي أنه مجعول . وكل مفعول عندك مخلوق لاشك فيه .

ويحك ، إنما كره السلف الخوض فيه مخافة أن يتأول أهل البدع والضلال ، وأغمار الجهال ، ماتأولت فيه أنت وإمامك المريسي ، فحين تأولتم فيه خلاف ما أَرَادَ الله ، وعظمت صفات الله ، وجب على كل مسلم عنده بيان أن ينقض عليكم دعواكم فيه ، ولم يكره السلف الخوض في القرآن جهالة بأن كلام الخالق غير مخلوق ، ولا جهالة أنه صفة من صفاته ، حتى لو قد ادعى مدع في زمانهم أنه مخلوق ما كان سبيله عندهم إلا القتل ، كما هم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بصبيغ أن يقتله ، إذ تعمق في السؤال عن القرآن ، فيما كان أيسر من كلامكم هذا . فلما لم يجترأ كافر أو متعوز بالاسلام أن يظهر شيئاً من هذا وما أشبهه في عصرهم لم يجب أن يتكفوا النقض لكفر لم يحدث بين أظهرهم فيكونوا سبياً لإظهاره ، إنما كانت هذه كلمة كفر تكلم بها بدءاً كفار قريش ، منهم الوحيد : الوليد بن المغيرة المخزومي فقال (إن هذا إلا قول البشر) ومنهم النضر بن الحارث قال (لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين) كما قال جهم والمريسي : إنه مخلوق لأن قول البشر مخلوق لاشك فيه ، وكذلك قالت طائفة منهم (إن هذا إلا أساطير الأولين) كما قال جهم والمريسي سواء ، لا فرق بينهما في اللفظ والمعنى إن هذا إلا مخلوق ، فانكر عليهم قولهم . فقال الوحيد (سأصليه سقر) لما قال (إن هذا إلا قول البشر) وقال للذي قال (لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين : - فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) .

ثم لم يزل هذا الكفر دارسا طامسا بعد كفار قریش ، لما قد طمسه الله بتزييه ، حتى مضى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون . فكان أول من أظهره في آخر الزمان في الاسلام الجعد بن درهم بالبصرة ، وجهم بخراسان ، فقتلها الله بشر قتلة ، وفطن الناس لكفرهما ، حتى كان سبيل من أظهر ذلك في الاسلام القتل صبرا . وحتى كانوا يسمونهم بذلك الزنادقة .

ثم لم يزل طامسا دارسا حتى درج العلماء ، وقلت الفقهاء ، ونشأ نشأ من أبناء اليهود والنصارى : مثل بشر بن غياث المريسي ونظرائه ، فخاصوا في شيء منه ، وجانبهم أهل الدين والورع ، وشهدوا عليهم بالكفر حتى هم بهم وبعقوبتهم قاضى القضاة يومئذ أبو يوسف ، حتى فرمته المريسي إمامك ، والحق بالبصرة بزعمك وبروايتك عنه ، فلم يزالوا أذلة مقموعين ، لا يقبل لهم قول ، ولا يلتفت لهم إلى رأى ، حتى ركنوا إلى بعض السلاطين الذين لم يجالسوا العلماء ، ولم يزاخوا الفقهاء ، فاخترعوا هذه المحنة الملعونة حتى أكرهوا الناس عليه بالسيوف والسياط .

فلم تزل للجهمية سنوات يركبون فيها أهل السنة والجماعة بقوة ابن أبي دؤاد المحاد لله ولرسوله حتى استخلف المتوكل رحمه الله ، فطمس الله به آثارهم . وقمع به أنصارهم . حتى استقام أكثر الناس على السنة الأولى ، والمنهاج الأول .

فاحتال رجال ممن كانوا يؤمنون باعتقاد النجم حيلة لترويج ضلالتهم في الناس ، ولم يمكنهم الإفصاح به مخافة القتل والفضيحة والعقوبة من الخليفة الممكر لذلك ، فاستتروا بالوقف من محض التجهم ، إذ لم يكن يجوز لهم من إظهاره مع المتوكل ما كان يجوز لهم من قبله . فانتدبوا طاعنين على من أنكر التجهم ودان بأن كلام الله غير مخلوق . فانتدب هؤلاء الواقفة منافحين عن الجهمية . محتجين لمذاهبهم بالتمويه والتدليس متنفذين في الظاهر من محض كلام الجهمية ، متابعين لهم في كثير من الباطن . موهين على الضعفاء والسفهاء بما حكيت عنهم أيها المعارض أن

أبا أسامة وأبا معاوية ، وبعض نظرائهم كرهوا الخوض في المخلوق وغير المخلوق
فقلنا : روايتك لما أنه لم يكن يخوض فيه إلا شذمة أدلة سرا بمناجاة بينهم ،
وأن العامة متمسكون منهم بالسنن الأولى والأمر الأول .

فكره القوم الخوض فيه إذ لم يكن يخاض فيه علانية ، وقد أصابوا في ترك
الخوض فيه إذ لم يعلن . فلما أعلنوه بقوة السلطان ، ودعوا العامة إليه بالسياط
والسيوف ، وادعوا أن كلام الله مخلوق أنكر عليهم ذلك من غير من العلماء ، ومن
بقي من الفقهاء فكذبوهم وكفروهم وحذروا الناس أمرهم ، وفسروا مرادهم
من ذلك . فكان هذا من الجهمية خوفاً فيما نوا عنه ، ومن أصحابنا انكاراً
للكفر المبين ، ومنافحة عن الله كيلا يسب ولا تعطل صفاته ، وذبا عن ضعفاء
الناس كيلا يضلون بمحتهم هذه ، من غير أن يعرفوا ضدها من الحجج التي تنقض
دعواهم وتبطل حججهم .

فقد كتب إلى علي بن خشرم أنه سمع عيسى بن يونس يقول (لا تجالسوا
الجهمية ، وبينوا للناس أمرهم . كي يعرفوهم فيحذروهم) .

وقال ابن المبارك (لأن أحكى كلام اليهود والنصارى أحب إلى من أن أحكى
كلام الجهمية) .

فحين خاضت الجهمية في شيء منه وأظهروه وادعوا أن كلام الله مخلوق أنكر
ذلك ابن المبارك ، وزعم أنه غير مخلوق ، وأن من قال (أنا الله لا إله إلا أنا)
مخلوق فهو كافر .

حدثني يحيى الحماني ، عن الحسن بن الربيع ، عن ابن المبارك . فكره
ابن المبارك حكاية كلامهم قبل أن يعلنوه . فلما أعلنوه أنكر عليهم وعابهم
على ذلك .

وكذلك قال ابن حنبل (كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه

هؤلاء فلما أظهروه لم نجد بدا من مخالفتهم والرد عليهم .

ولم يقل أبو أسامة وأبو معاوية إنه متى ما أظهرت الجهمية محنتهم وأذاعوا كفرهم ودعوا الناس إليهما ، فأمسكوا عن الإنكار عليهم حتى يستمر في الناس كفرهم ، وتدرس من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . ولكن قالوا : أمسكوا عن الخوض فيه ما لم ينصب القوم الكفر لإماما . فإذا نصبوه إماما فمن يعقل تدليسهم وتمويههم لولا أن من الله على أهل الاسلام ببعض من ناقضهم ، فرد عليهم كفرهم وضلالهم فمن المبتدع الضال من الحزبين ؟ الذي نصب رأى جهم إماما وأذاعه في الناس بداء ، أو المتبع للسنة الذي أنكر عليه وناقضه . فمن أجرى الناقض للبدعة الراد للكفر مجرى من شرعا فقد جمع بين ما فرق الله ، وفرق بين ما جمع الله . وليس بأهل أن يسمح منه ويقبل .

أو طمعتم معشر الجهمية والواقفة أن تنصبوا الكفر للناس إماما تدعونهم إليه ، وتسكتوا أهل السنة عن الإنكار عليهم ، حتى يروج على الناس ضلالكم بما حكيتكم عن أبي بكر بن عياش وأبي أسامة ، وأبي معاوية - إن صدقت دعواكم - حتى تضلل مذهب أهل السنة وتستفيض مذاهب الجهمية في العامة ، لقد أسأتم بأهل السنة الظن ، ونسبتموهم إلى العجز والوهن .

وإن يك أبو أسامة وأبو معاوية وأبو بكر جبنوا عن الخوض فيه ، إذ لم يكن يخاض فيه في عصرهم ، فقد جسر على الرد عليهم من كان أعلم منهم . مثل ابن المبارك وعيسى بن يونس وغيرهم .

وأما ما ادعيت على أبي يوسف من رواية ابن الثلجى فلم يقم لك به حجة . فكيف إذا لم تسمعه . لأنه المطعون في دينه ، المأبون في روايته ، فإن لم تعرف بذلك فسم رجلا صالحا رضى بابن الثلجى في الفتيا والرواية إماما به في السنة نظاما ، أو روى عنه شيئا ، أو حمد له مذهباً . فإن كنت محتجا بحق فعليك بغير ابن الثلجى ونظرائه من رويناه عنهم من أعلام الناس وأئمتهم . ولكن الغريق يتعلق بكل عود .

وأما أبو يوسف فإن صح عنه ما روى ابن الثلجى فردود عليه غير مقبول منه . فإنه لم يكن من التابعين ، ولا من أجلة اتباع التابعين . فينصب إماما يقتدى به فى ترك الصلاة خلف من يناقض الجهمية . ويرد المحدثات من كفرهم ، ويزعم أن كلام الله غير مخلوق ، فجهل أبى يوسف أن يقيم حديثه فى العلماء الذين يزعمون أن كلام الله غير مخلوق .

وكيف يحتج بأبى يوسف فى ترك الصلاة خلف من يدعى أن كلام الله غير مخلوق ولا تحتج به على نفسك فيما رويت عن المريسى من ضلالاته ، وقد رويت عن أبى يوسف أنه هم بعقوبته وأخذه فيها حتى فر من مجلسه إلى البصرة ؟

فإن كنت محتجا علينا بأبى يوسف فهو عليك أحج ، لما أنك به أعجب ، وبإمامته أرضى عن يزعم أن القرآن غير مخلوق ، فمن لم يستيقن أن القرآن غير مخلوق ، لم يؤمن بعد بأنه نفس كلام الله ، لأنه لو آمن بأنه نفس كلام الله لعلم يقينا أن الكلام صفة المتكلم . والله بجميع صفاته وكلامه غير مخلوق .

فإن طلبتم منافيه آثارا مأثورة مسندة منصوبة عن الصحابة والتابعين فقد أخبرناكم أنه كفر لم يحدث فى عصرهم . فيروى عنهم فيه ، غير أنه كفر معقول ، تكلم به مشركو قريش عند مخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : (إن هذا إلا قول البشر) فأنكر الله ذلك عليهم ، ثم طمس حتى ظهر فى العصر الذى أنبأناكم به ، فى عصر جهنم والجعد ، ثم المريسى ونظرائهم . فروينا لكم عن أنكر ذلك عليهم وخالفهم فيه من أهل زمانهم ، مثل جعفر بن محمد ، وعمر بن دينار ، وابن المبارك ، وعيسى بن يونس ، ووكيع بن الجراح ، ويزيد بن هارون ، والمعاوية بن عمران ، وبقية بن الوليد . وغيرهم ، وهذا كفر معقول لا يحتاج فيه إلى أثر ، ولا خبر . كما لو أن رجلا ادعى أن ملك الله قدرته وسلطانه ، وعلمه ، ومشيته ، وإرادته ، ووجهه ، وسمعه وبصره ويديه ، أن شيئا منها مخلوق . قيل له : كفرتك وكذبت ، بل

كلها غير مخلوق . فإن طلبت منا في كل شيء منها أثراً منصوصاً بتسمية ذلك الشيء بعينه قلنا له أنت مريب كافر . ومن أشبهه عليه هذا وما أشبهه حتى يطلب فيها الآثار ؟ وكذلك كلام الله مثل هذه الأشياء سواء ، غير مخلوق محدث ، لا يشك فيه . فالله بزعمك كان بلا كلام حتى خلق لنفسه كلاماً . ثم انتحله اضطراباً إلى كلام غيره . فتمت به ربوبيته ، ووحدايته ، وأمره ونهيّه بزعمك . فمن يحتاج في مثل هذا المعقول إلى أثر ؟

وأخرى أن الكلام لا يقوم بنفسه شيئاً يرى ويحس إلا بلسان متكلم به . فالكلام من الخالق والمخلوق صفتها . فالخالق بجميع صفاته غير مخلوق . والمخلوق بجميع صفاته مخلوق . لا شك فيه .

فلينظر هذا الشاك في القرآن . فإن كان الله المتكلم بالقرآن عنده فلا يشك أن الله لم يتكلم بمخلوق من الكلام ، ولم يضطر إلى شيء مخلوق قط من الكلام وغيره ولم يكن له حاجة . وإن كان ابتدعه مخلوق أصافه إلى الله ، فلا يشك أن هذا الشاك في صفات المخلقين وكلامهم أنها مخلوقة كلها ، وأن مبتدعها والمتكلم بها من المخلوقين الكافرين كافر . إذ يقول (إني أنا الله رب العالمين) (لا إله إلا أنا فاعبدني) و (إني أنا ربك) قائل هذا القول غير الله كافر ، مثل فرعون الذي قال (أنا ربكم الأعلى) و (ما علمت لكم من إله غيري) .

وادعيت أيها المعارض أن من قال : القرآن هو الله فهو كافر ومن قال هو غير الله فقد أصاب . ومن قال : غير مخلوق : فقد جهل وكفر .

فيقال لهذا المعارض : لم تدع من صريح المخلوق شيئاً . إذا زعمت أن من قال : القرآن غير الله فقد أصاب . ومن قال غير مخلوق فقد جهل . لما أن كل من زعم أن القرآن غير الله فقد أقر بأنه مخلوق . لأن كل شيء غير الله فهو مخلوق لا شك فيه .

ولا يقال أيها المعارض : إن القرآن هو الله فيستحيل . ولا هو غير الله فيلزم القائل به أنه مخلوق . ولكن يقال : كلام الله ، علم من علمه ، وصفة من صفاته ، والله بجميع صفاته إله واحد غير مخلوق ، لا شك فيه . فافهم وما أراك تفهمه وتعقله . لأنك تقول : لا يجوز : إلا أن يقال : هو الله ، أو غير الله . فإن قال رجل : هو الله أ كفرته . وإن قال غير الله قلت له : أقررت بأنه مخلوق . وصوبت مذهبي . لأن كل شيء غير الله مخلوق .

فيقال لك : أخطأت الطريق ، وغلطت في التأويل : لأنه لا يقال : القرآن هو الله أو غير الله ، كما لا يقال : علم الله هو الله ، وقدرة الله هي الله . وكذلك عزته وملكوته وسلطانه وقدرته ، لا يقال لشيء منها هو الله بعينه وكما له ، ولا غير الله ، ولكنها صفات من صفاته ، غير مخلوقة . وكذلك الكلام ، فافهم .

واعى المعارض أيضا : أن بعض علمائه وزعمائه قال : إن كلام الله مضاف إليه كما أضيفت إليه روح الله ، وبيت الله ، وخلق الله .

وهذا من قديم حجج الجهمية . وليس من حجج الواقعة . فليكشف المعارض عن اسم هذا العالم الذى قال ، فإنه لا يكشف إلا عن جهى خبيث . وإنه لا يقاس روح الله ، وبيت الله ، وعبد الله ، المجسمات المخلوقات القائمة المستقلة بأنفسهن اللاتى كن بكلام الله لم يخرج شيء منها من الله . بكلامه الذى خرج منه . لأن هذا المخلوق قائم بنفسه وعينه ، وحليته وجسمه . لا يشك أحد فى شيء منها أنه غير الله وأنه ليس شيء منها لله صفة . والقرآن كلام الله الذى خرج منه وبه تكلم ، لم يقم بنفسه جسما غير الله ، قائما يحس أو لم يحس حتى تقيمه القراءة والالسن . فإذا زالت عنه القراءة خفى فلم يحس منه بشيء . فلم يقم له عين إلا أن يبين بكتاب يكتب ، وبين روح الله وبيت الله وعبد الله ، والقرآن الذى هو نفس كلام الله الخارج من ذاته بون بعيد .

فكيف تقلدت أيها المعارض كلام الواقعة بدءا ؟ ثم فزعت منه إلى أفحش

كلام الجهمية : أنه كمبد الله ، وبیت الله ، ثم ادخال الحجج على تمطيل ماسواها من الصفات ؟ إنما تقول الموافقة لأن القرآن كلام الله . ولا تقول مخلوق ولا غير مخلوق ثم لا يعرضون لهذه الحجج التي عرضت لها واحتججت بها . فلذلك قلنا : إنك مستتر بالوقف ، منافع عن التجهم ، حتى صرحت به في غير مكان من كتابك . ولو لم يكن إلا تشبيهك إياه ببيت الله أو عبد الله ، وبقولك : إنه غير الله ، وإنه مفعول ، وإن من قال : غير مخلوق فهو كافر عندك ، لاكتفينا بهذا دون ماسواه .

ثم تعلقت بعده بالوقف مستترا به عن التجهم : تتقدم إلى هؤلاء برجل ، وتتأخر عنهم بأخرى ، فرة تحتج بحجج الجهمية كأنك تلاعب الصبيان ، و مرة تحتج بحجج الموافقة ، وكذلك تأولت في العرش كما تأول جهم بن صفوان : وكتبت عن بعض علمائك وزعمائك ولم تصرح باسمه : أن تفسير قوله (الرحمن على العرش استوى) استولى عليه ، ترى من بين ظهريك هذا الذي رويت عنه هذا التفسير وسميته أحد العلماء ولا يدري من حوله أنه أحد السفهاء ، وقد فسرنا لك تفسيره في صدر هذا الكتاب وبيننا لك فيه استحالة هذا المذهب وبعدة من الحق والمعقول .

فاكشف عن رأس هذا المفسر حتى نعرفه ، أن العلماء هو أم من السفهاء ؟ فإنك لا تؤثره إلا عن المريسي أو عمن هو أخبث منه .

والمعجب من المريسي صاحب هذا المذهب - إذ يدعى توحيد الله بمثل هذا المذهب وما أشبهه ، وقد عطل جميع صفات الواحد الأحد ، فادعى في قياس مذهبه أن واحده الذي يوحد له إله مخدج منقوص ، مشوه لا تتم وحدانيته إلا بمخلوق ، ولا يستغنى عن مخلوق : من الكلام والعلم والامم .

ويلك ، إنما الموحد الصادق في توحيد الله بكماله في جميع صفاته وعلمه وكلامه وقبضه وبسطه وهبوطه وارتفاعه ، الغنى عن جميع خلقه بجميع صفاته . من النفس والوجه والسمع والبصر واليدين والعلم والكلام ، والقدرة

والمشيئة والسلطان ، القابض الباسط ، المعز المذل ، الحى القيوم ، الفعال لما يشاء .
هذا إلى التوحيد أقرب أم هذا الذى يوحد لها نخدجا متقوصا مقصوصا ، لو كان
عبدا على هذه الصفة لم يكن يساوى تمرتين ؟ فكيف يكون مثله لها للعالمين ؟
تعالى الله عن هذه الصفة علوا كبيرا .

واحتج المعارض أيضا لمذهبه ببعض حجج الجهمية ، وليست هذه من
حجج الواقعة . فقال : تقولون يارب القرآن افعل بنا كذا وكذا أىصلى أحد للقرآن
كما يصلى لله ؟ يعنى أن القرآن مخلوق مربوب .

فيقال لهذا الثائنه الحائر ، الذى لا يدرى ما ينطق به لسانه : إنه لا يصلى للقرآن
ولكن يصلى به لله الواحد ، الذى هذا القرآن كلامه وصفته ، لا يخص بالصلاة
قرآنا ولا غيره ، كما أن علمه وقدرته وسلطانه وعزه وجلاله لا يصلى لشيء منها ،
مقصودا بالصلاة إليها وحدها ، ولكن يصلى للواحد الاحد الذى هو إله واحد
بجميع صفاته من العلم والكلام والملك والقدرة وغيرها . فاعقله : وأنى لك العقل
مع هذا الاحتجاج والخرافات ؟

أرايتك إن عرضت بالقرآن أنه مخلوق مربوب لما أنه قد قال بعض الناس :
يارب القرآن . فجعلته مخلوقا بذلك فقد قال الله تعالى (سبحانه ربك رب العزة
عما يصفون) أفتحكم على عزة الله بقوله (رب العزة) كما حكيت على القرآن ؟
ويحك إنما قوله (رب العزة) يقول ذى العزة . وكذلك ذو الكلام . كقوله (ذو
الجلال والإكرام) .

وما يدل على اعتقاد هذا المعارض رأى الجهمية لا رأى الواقعة : أن ذبه
ومنافحته واحتجاجه من غير الواقعة . وأنه أظهر بلسانه الانكار على الفريقين
جميعا : على من يقول مخلوق وعلى من يقول : غير مخلوق تمويهها منه ودنوا إلى العامة

ثم لم يكثر الطعن من قال : مخلوق ، كما أطنب في الطعن على من قال : غير مخلوق ، حتى جاوز فيهم الحد والمقدار ، فنسبهم فيه إلى الكفر البين ، والبدعة الظاهرة ، والضلال والجهل ، وقلة العلم والتمييز وسوء الديانة وسوء مراقبة الله ، وأنهم في قولهم : غير مخلوق مطيعون للشيطان وجنوده ، مقدمون بين يدي الله ورسوله ، ليشهد عليهم بالكفر إذ قالوا القرآن غير مخلوق ، ولم ينسب من قال : مخلوق إلى جزء من ألف جزء مما نسب إليه الذين خالفوه بما شاء الله ، ولكنكم تغالطون والعلماء بمغالطتكم عالمون ، ولضلالاكم مبطلون . ويكفى العاقل أقل ما بينا وشرحنا من مذاهبكم ، غير أن في تكرير البيان شفاء لما في الصدور .

وأما دعواك أيها المعارض أنه لم يسبق من السلف في القرآن قول ولا خوض أنه غير مخلوق فسنقص عليك إن شاء الله عنهم ما يكذب دعواك وسنحكيه لك عن قوم منهم أعلى وأعلم ممن حكيت عنهم مذهبك نحو المريسي والثلجي ونظرائهم .

حدثناه علي بن المديني حدثنا موسى بن داود حدثنا معبد قال علي - وهو ابن راشد - عن معاوية بن عمار قال : قيل لجعفر بن محمد (القرآن خالق أو مخلوق ؟ قال : ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله) .

سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول : قال سفيان بن عيينة قال عمرو بن دينار (أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق ، وماسواه مخلوق . والقرآن كلام الله . منه خرج وإليه يعود) .

حدثني محمد بن منصور الطوسي - من أهل بغداد - قال حدثني علي بن محمد بن مضاء المصيصي مولى خالد القسري قال سمعت محمد بن المبارك بالمصيصة ، وسأله رجل عن القرآن فقال (هو كلام الله غير مخلوق) .

حدثني محمد بن منصور ، عن علي بن مضاء قال : سمعت بقیة بن الوليد يقول
(القرآن كلام الله غير مخلوق) .

حدثني محمد بن منصور حدثنا علي بن محمد بن مضاء قال . سمعت عيسى بن یونس
يقول (القرآن كلام الله غير مخلوق) .

حدثني محمد بن منصور حدثنا علي بن محمد بن مضاء قال سمعت القاسم الجوری
يقول (القرآن كلام الله غير مخلوق) .

حدثني محمد بن منصور حدثنا علي بن محمد بن مضاء قال : حدثنا هشام بن بهرام
قال سمعت المعافى بن عمران يقول (القرآن كلام الله غير مخلوق) .

قال هشام (وأنا أقول كما قال المعافى) قال علي (وأنا أقول كما قال هشام)
قال محمد بن منصور (وأنا أقول كما قال خمسين مرة) قال أبو سعيد (وأنا أقول
كما قالوا) قال الصرام (وأنا أقول كما قالوا) قال رواة الصرام (ونحن نقول كما
قالوا) وقال لنا إسحق (ونحن نقول كما قالوا) .

فكل هؤلاء قد قالوا (إنه غير مخلوق) وليس بدون من رويت عنهم أنهم
كروهوا الخوض فيه فيقولون (هو غير مخلوق) مثل أبي أسامة وأبي معاوية .
ومنصور بن غمار إن صدقت عليهم دعواك . وأخمسهم عند الناس منزلة أعلى
من المريسى واللؤلؤى وابن الثلجی ، ونظرانهم الذين ادعوا أنه مخلوق
حتى لقد أکفرهم كثير من العلماء وكثير منهم أوجب عليهم به القتل ، ولم يوجبوا
عليهم القتل بذلك إلا وأن قولهم كان عندهم كفرا .

حدثني يحيى الحماني أن أبا بكر بن عياش حدثهم عن أبي حصين عن سويد
بن غفلة أن عليا قتل زنادقة ، ثم أحرقهم ثم قال (صدق الله ورسوله) فالجهمية
عندنا أخبث الزنادقة لأن مرجع قولهم إلى التعطيل ، كذهب الزنادقة سواه .

حدثنا القاسم بن محمد المعمرى البغدادی حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب

لأبي حبيب قال : . خطبنا خالد بن عبد الله القمري بواسط يوم الأضحى فقال : أيها الناس ؛ ارجعوا فضحوا ، تقبل الله منا ومنكم . فإني مضح بالجمع بن درهم أنه زعم أن الله لم يتخذ لإبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما . سبحانه وتعالى عما يقوله الجمع بن درهم علوا كبيرا ثم نزل إليه فذبحه . .

حدثنا موسى بن إسماعيل قال : قلت لإبراهيم بن سعد د ما تقول في الزنادقة ، ترى أن تستبهم ؟ قال : لا . قلت فبم تقول ذلك ؟ قال كان علينا وال بالمدينة . فقتل منهم رجلا ولم يستبهم ، فسقط في يده ، فبعث إلى أبي ، فقال له أبي : لا يهتديك فإنه قول الله (فلما رأوا بأسنا) قال : السيف (قالوا آمنا بالله وحده ، وكفرتنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) قال السيف : سنة القتل . .

وسمعت الربيع بن نافع أبا توبة يقول : قلت لأحمد بن حنبل د وما ترى في قتل الجهمية ؟ يستتابون ؟ فقال : لا . أما خطباؤهم فلا يستتابون وتضرب أعناقهم . .

حدثنا يحيى بن بكير بن المصري ، حدثنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : د من غير دينه فاضربوا عنقه ، قال مالك : ومعنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا — فيما نرى ، والله أعلم — أنه من خرج من الإسلام إلى غيره مثل الزنادقة وأشباهها ، فإن أولئك يقتلون ، ولا يستتابون . لأنه لم يعرف رويتهم وأنهم قد كانوا يسرون الكفر ويعلمون بالإسلام ولا أرى أن يستتاب هؤلاء ولا يقبل قولهم . .

حدثنا يوسف بن يحيى البويطى ، عن الشافعى ، في الزنديق د يقبل قوله إذا رجع ولا يقتل ، :

حدثنا محمد بن المعمر السجستاني — وهل من آثر أهل سجستان وأصدقهم — عن زهير بن نعيم الباني ، أنه سمع سلام بن مطيع يقول د الجهمية كفار . .

قال : سمعت زهير بن نعيم يقول : سئل حماد بن زيد — وقيل له عن بشر المريسي — فقال « ذلك كافر » .

حدثني يحيى الحماني ، حدثنا الحسن بن الربيع قال : سمعت ابن المبارك يقول : من زعم أن قول الله (لئن أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني) . أنه مخلوق فهو كافر .

وسمعت محبوب بن موسى الأنطاكي يقول إنه سمع وكيعا يكفر الجهمية ، وكتب إلى علي بن خنجرم أن ابن المبارك كان لا يعد الجهمية في عداد المسلمين .

وسمعت يحيى بن يحيى يقول « القرآن من كلام الله . من شك فيه أو زعم أنه مخلوق فهو كافر » .

فاجتهد هذا المعارض في الطعن على من يقول « غير مخلوق » ، وصفحه عن يقول « مخلوق » ، فهذا يدل على أسوأ الريبة ، وأفصح الظن ، وأن السبك وميله إلى من يصفحه عنه .

ومما يدل على ظننه أن احتجاجة فيه بالمقذوفين المتهمين في دين الله ، مثل المريسي واللؤلؤي وابن الثلجي ونظرائهم ، فأين هو من الزهري والأوزاعي ومالك بن أنس وشعبة وابن المبارك وكيع ونظرائهم ؟ وأين هو ممن كان في عصر ابن الثلجي من علماء أهل زمانه ، مثل أحمد بن حنبل وابن نمير وابن أبي شيبه وأبي عبيد ونظرائهم ؟ إن كان متبعا مستقيم الطريقة ، ولكن لا يمكنه عن أحد منهم في مذهبه حكاية ولا رواية ، وإنما يتعلق بالمغموزين ، إذ لم يمكنه التعلق بهؤلاء المشهورين ، كما يروج ضلالته على الناس بأهل الريب الذين لا قبول لهم ولا عدالة عند أهل الإسلام .

ثم تقلدت أيها المعارض أفحش حجج الجهمية في نفى الكلام عن الله تعالى ، لما أن الله قد نسب الكلام إلى الجبال والشجر والشمس والقمر ، فشبهت الله في كلامه بالجبال والشجر والشمس والقمر ، التي لا تقدر على الكلام ، ولا لها أسماع ولا

أبصار . وهذا من أعظم حجج الجهمية يجعلون الله الحى القيوم المتكلم بالكلام ، السميع البصير القابض الباسط كالمدر والحجارة والتلال الصم البكم التى ليس لها كلام ولا أسمع ولا أبصار .

فقال يجوز عندنا فى المجاز أن ينسب الكلام إلى هذه الأشياء الصم البكم ، فكذلك يجوز فى المجاز أن ينسب الكلام إلى الله من غير أن يقدر الله على الكلام فى دعواكم إلا كقدرة الجبال والشجر والشمس والقمر ، فهل من شئ أشبه بالكفر البين من هذا المذهب ، بل هذا الكفر صراحاً : أن يكون منزلة كلام الله عندهم ككلام الجبال والشجر والحجر والشمس والقمر والأشياء المخلوقة البينة .

هذا كلام ليس له نظام ، ولا هو من مذاهب الاسلام ، ولا يحتاج إلى نقيضه من الكلام ، لأن مع كل كلمة منها نقيضها من نفس كلام المعارض ، ومن ادعى أن كلام الله والقرآن مضاف إلى الله كبنت الله وروح الله وكعبد الله ، أو شبهه بكلام الجبال والشجر فقد صرح بأنه مخلوق اختلقه فى دعواه بشر كذاب ، كما قال الوحيد (إن هذا إلا قول البشر) ، لما أن الله لم يخاق لنفسه كلاماً يدعو إلى الله وإلى توحيده وطاعته ، فإما أن يكون المتكلم به الله عندكم فهو كلام نفسه حقيقة ، ومنه خرج ، ولا يجهل ذو عقل أنه لا يخرج من الله كلام مخلوق ، وإما أن يكون المتكلم به عندكم غير الله ، ثم أضافه كذباً وزوراً وبهتاناً إلى الله ، فهذا المتكلم به المضيفه إلى الله كذاب مفتر كافر بالله إذ يقول : (إني أنا الله رب العالمين) . ويقول : (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) ويقول لموسى : (أنا ربكم من ادعى شيئاً من هذا أو قاله غير الله فهو كافر كفرعون الذى قال (أنا ربكم الأعلى) لا يستحق قاتل هذا أن يجعل قوله قرآناً يضاف إلى الله ويقام به دين الله ، فهذا أوضح من الشمس وأضوأ منها إلا عند كل مدلس .

ولولم يذع هذا المعارض هذا الكلام ، وينشره في الناس لم تعرض لمناقضته
والرد عليه ، مع أنا لم نقصد بالنقض إليه ، ولكن إلى ضعفاء من بين ظهريه ،
الذين لا علم لهم بهذا المذهب وسمعوا به منه ، ولم يسمعوا ضد كلامه من كلام أهل
السنة واحتجاجهم ، فيضلون به ؛ إذ لا يهتدون بضده وما ينقضه عليه . فلو أنه
ألف لهم كتابا في معالم دينهم من نحو الصلاة والوضوء والزكاة ونحوها كان أولى
به وأسلم لدينه وأنفع لمن حواليه من المسلمين .

غير أني أظنه اصطلم هذا الرأي قديما ، وكان يجيش في صدره ، ولا يمكنه
كتمه ، حتى هم بإظهاره فيما بلغني مرة ، فأنكر عليه علماءهم وفقهائهم ، واستتابوه
منه فتأب وعاهدتهم أن لا يعود في شيء منه ؛ ثم عيل صبره بعد وفاة هؤلاء
العلماء حتى عرف بما في صدره فافتضح وفضح أئمنه ، وضل وأضل وجعل فلم
يعقل ، وهو في ذلك معجب بنفسه ، غافل عما عليه في ذلك من الإثم والعار ،
والنقض من كتاب الله وآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب الصالحين .
ولو علم بذلك لكان أن يكون أخرس أحب إليه من أن يتكلم بهذا أو ما أشبهه ،
فكان يتستر من الافتضاح حتى نطق بلسانه .

وصرح بالخلق أيضا في كلام موه عند السفهاء ، مكشوف عند الفقهاء ،
فادعى أيضا أن كلام الله يحتمل أن يكون من أفاعيله ؛ وأن أفاعيله زائلة عنه ،
وكل زائل عن الله مخلوق في دعواه .

قيل له : لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة . وقد أجمعنا وانفقنا على أن
الحركة والنزول والمشي والهرولة والامتواء على العرش ، وإلى السباء قديم ،
والرضى والفرح والغضب ، والحب ، والمقت كلها أفعال في الذات للذات ، وهي
قديمة فكل ما خرج من قول د كن ، فهو حادث . وكل ما كان من فعل الذات
فهو قديم . والله أعلم .

فلم يزل يعيب هذا القول ويلجأ في صدوه حتى صرح به وهو يرى أنه ليس معه بالبلاد من يفتن لمذهبه .

فيقال لهذا المعارض : من زعم أن القرآن فعل الله الزائل عنه ؛ فقد رجع عن قوله : كلام الله . لأن القول غير الفعل ، عند جميع الناس . والمفعولات كلها مخلوقة ولا شك فيها . فقد صرح بالمخلوق مرة بعد مرة ، بعد ما عاب من قاله ؛ فرجع عليه من حيث لا يشعر .

أرأيتك أيها المعارض إذا ادعيت في بعض كلامك أنه لا يجوز أن تقول : مخلوق ولا غير مخلوق ، ولا يزداد على أن يقال : كلام الله ثم يسكت عما وراء ذلك ؛ لما أنه لم يخض فيه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فن خاض فيه بزعمك كان مقدما بين يدي الله ورسوله . فكيف تركت فيه قول الله ومنهاج السلف ، ورجعت عن كلام الله فجعلته فعلا له مخلوقا ؟

أو ما تخشى على نفسك ما تخوفت على غيرك ؟ فقد ارتطمت فيما تخوفته على غيرك وأنت لا تشعر ؛ وصرحت بالمخلوق بعد ما نسبت إلى البدعة من قالها ، وبؤت بما عبت به على غيرك ، وقدمت بين يدي الله ورسوله ، وشايعت جهما والمريسي في دعواهما . زعم أن هذان أنه مجعول ، وزعمت أنت أنه مفعول . وكلا المعنيين سواء .

وقد كان هذا رأس حجج المريسي وأصحابه من الجهمية وأوثقها في أنفسهم ؛ حتى تأولوا فيها على الله من كتابه خلاف ما أراد . فقالوا : قال الله : (حم والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) و (جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) فادعوا أنه لا يقال لشيء (جعلناه) إلا وذلك الشيء مخلوق ، فضلوا بهذا التأويل عن سواء السبيل ، ووجهلوا فيه بغير مذاهب أهل الفقه والبصر بالعربية .

فقلنا لهم : ماذبنا أن سلب الله منكم معرفة الكتاب والعلم به وبمعانيه ،
وبمعرفة لغات العرب ، حتى ادعيتم أن كل شيء يقال له (جعلناه) فهو
خلقناه ؟

أرايتم أيها الجبهة قول الله (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) أهو خلقنا
في ذريته النبوة والكتاب ؟ وكذلك (وجعلها كلمة باقية في عقبه) لا إله إلا الله .
أهو خلقها ؟ وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) (يجعل من أمره يسرا)
أهو خلق له مخرجا ؟ أم قوله (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة)
أهو خلقنا ؟ أم قوله (حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة) أم قوله (ولا تجعل
في قلوبنا غلا للذين آمنوا) أم قوله (لا تجعلنا فتنه للذين كفروا) أهو في دعواكم
لا تخلقنا بعد ما خلقهم مرة ؟ أم قوله (اجعل لي اسان صدق في الآخرين) أتقول :
اخلق لي ؟ أم قوله (واجعلنا للمتقين إماما) أى اخلقنا ؟ أم قوله (إنا رادوه
إليك وجاعلوه من المرسلين) بعد ما فرغ من خلقه ؟ أم قوله (اجعل هذا البلد
آمنا) أم قوله (قد جعلتم الله عليكم كنيلا) أم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن إناثا) أم قوله (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أهو واخلفني . وقد فرغ
من خلقه ؟ أم قول الرجل للرجل : جعلك الله بخير ؟

وكل ما عددنا من هذه الأشياء وما أشبهها بما لم يتعدد بمستحيل أن يصرف
جعلنا . وأشدما استحالة : ما ادعيتم على الله في قوله (إنا جعلناه قرآنا عربيا)
إنا خلقناه فلم تفهموا معناه من قلة علمكم بالعربية .

ويلكم ، إنما الكلام لله بدم آ و آخر آ ، وهو يعلم الاستسنة كلها ، ويتكلم بما شاء
منها : إن شاء تكلم بالعربية وإن شاء بالعبرية ، وإن شاء بالسريانية ، يقول
فقد جعلنا هذا القرآن عربيا من كلامي . وجعلنا التوراة والانجيل من كلامي
عبرانيا ، لما أنه أرسل كل رسول باللغة قوميه ، كما قال : فجعل كلامه الذي لم يزل

له كلاما لكل قوم بلغاتهم في ألسنتهم . فقولوه (جعلناه) صرفناه من لغة إلى لغة أخرى ، ليس (إنا جعلناه) خلقناه خلقا بعد خلق في دعواكم ، فهو مع تصرفه في كل أحواله كلام الله غير مخلوق .

وأما قوله (جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) يقول : تستنير به القلوب وتشرح له . لا أنه نور مخلوق ، له ضوء قائم ، يرى بالآعين . مثل ضوء الشمس والقمر والكواكب : فافهمه ، ولا أراك تفهمه .

واحتج المعارض أيضا لتحقيق قوله (إنه مخلوق) بحديث النبي صلى الله عليه وسلم (يحىء القرآن شفيعا لصاحبه) .

فقال لأهل السنة : إن قلتم بهذا الحديث كان نقضا لما ادعيتم أن القرآن غير مخلوق . لأنه لا يترأى شيء في صورة إلا وذلك المترأى والمتكلم في قياس مذهبه مخلوق . فقد فسرنا هذا لهذا المعجب بجهالته في كتابنا هذا أن القرآن كلام ليس له صورة ، ولا جسم ، ولا يتحول صورة أبدا ، له لسان وفم ينطق به ويشفع . قد عقل ذلك جميع المسلمين . فلما كان المعقول ذلك عندهم علموا أن ذلك ثواب يصوره الله في عين المؤمنين ، جزاء لهم عن القرآن الذي قرأوه . واتبعوا ما فيه ، ليبشر به المؤمنين . ونفس القرآن كلام غير مجسم في كل أحواله ، إنما يحس به إذا قرئ . فإذا زالت عنه القراءة لم يوقف له على جسم ولا صورة ، إلا أن يرسم بكتاب . هذا معقول لا يجهله إلا كل جهول . قد علمتم ذلك إن شاء الله ولكنكم تغاطون . والعلماء بمغاطتكم عالمون ، ولضلالا تمك مبطلون .

حدثنا محبوب بن موسى الأنطاكي أنه سمع وكيعا يكفر الجهمية وكتب إلى علي بن خشرم أن ابن المبارك كان لا يعد الجهمية في عداد المسلمين .

وسمعت يحيى بن يحيى يقول (القرآن كلام الله ، من شك فيه أو زعم أنه مخلوق فهو كافر) .

فهؤلاء الذين أكفروهم في آخر الزمان . وعلى بن أبي طالب وابن عباس في أول الزمان وأنزلهم منزلة من بدل دينه . فاستحق بتبديله القتل .

حدثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد وجريير بن حازم ، عن أيوب ، عن عكرمة أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه (أتى يقوم من الزنادقة فحرقهم . فبلغ ذلك ابن عباس فقال : أما أنا فلو كنت لقتلتهم . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه . وقيل : (لاتعذبوا بعذاب الله) .

فادعى المعارض أن من روينا عنهم من الفقهاء والعلماء المشهورين في إكفار الجهمية وقتلهم عليه ، وقولهم القرآن غير مخلوق . أن هذه الروايات وما أشبهها ليس أثرا عنده ، لما أن أبا يوسف قال (الأثر ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وما بعد هؤلاء ليس بأثر)

فيقال لهذا المعارض : فكيف جمعت أثرت مارويت أثرا في رد مذهبنا ، عن أبي حنيفة وأبي يوسف . وأبي أسامة وأبي معاوية ، والمريسي ، واللؤلؤى وابن الثلجى ؟ فإن لم يكن ماروينا من ذلك ، عن جعفر بن محمد ، وعمر بن دينار ، وبقية بن الوليد ، وابن المبارك ، ووكيعة ، وعيسى بن يونس ، ونظرائهم عندك بأثر . فأبعد من الأثر ما احتججت في رده عن المريسي واللؤلؤى وابن الثلجى ونظرائهم ، فكيف أفمت أقاويل هؤلاء المتهمين لنفسك أثرا ، ولاتقيم أقوال هؤلاء المتهمين لنا أثرا ؟ مع أن أبا يوسف إن قال : ليست أقاويل التابعين بأثر فقد أخطأ . إنما يقال : ليس اختلاف التابعين سنة لازمة كسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فأما أن لا يكون أثرا فإنه أثر لاشك فيه . وأقاويلهم ألزم للناس من أقاويل أبي يوسف وأصحابه : لأن الله أنفى على التابعين في كتابه . فقال (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم) فشهد لهم باتباع الصحابة رضى الله عنهم ، واستجاب الرضا من الله باتباعهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . واجتمعت الكلمة من جميع المسلمين أن سموهم التابعين ، ولم يزالوا يؤثرون عنهم بالأسانيد كما يأمرون عن الصحابة . ويحتجون

بهم في أمر دينهم ، ويرون آراءهم ألزم لهم من آراء من بعدهم . للاسم الذي استحقوا من الله ، ومن جماعة المسلمين الذين سموهم تابعي أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى لقد قال أبو سلمة بن عبد الرحمن للحسن البصري (ولا تفت الناس برأيك) فقال : رأينا لهم خير من آرائهم لأنفسهم . فإن لم يكن عند أبي يوسف : ما روى عن التابعين أثرا ، فليس ما أثنى على زعيمه وإمامه أبي حنيفة ، إذ يشهد عليه أن عامة فتياه بغير أثر ، لأن عظم ما أفتى وأخذ به أبو حنيفة . مما رواه عن حماد بن إبراهيم ، وكان من أتباع التابعين ، فقد شهد على أبي حنيفة أنه كان يفتي بغير أثر ، وعلى نفسه أنه تبعه في فتياه من غير بصر ، فإن لم يكن ما روى عن التابعين عند أبي يوسف وعندكم أثرا ، فكيف سميت رأى إبراهيم : آثار أبي حنيفة ؟ وإنما إبراهيم من أتباع التابعين . كذبتهم إذا فيما ادعيتهم من ذلك لأبي حنيفة أنه أثر ، وليس كذلك عندكم .

فافهم أيها المعارض ثم تكلم ، ولا تنطق فيما لا تعلم ، فإن كنت لا تحسن فتعلم ، ولا ترسل من رأسك ما يأخذ منك بالكظم ، فينقض عليك وتلطم ، وتعد في عداد من لا يفهم .

الجزء الثالث

من كتاب نقض الدارمي على المريسي

باب في الحث على طلب الحديث والرد
على من زعم أنه لم يكتب على عهد النبي صلعم وأصحابه الحديث
والذب عن أصحاب النبي صلعم وأصحاب الحديث وأهل السنة
وفضلهم على غيرهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر برحمتك يا كريم

أخبرنا الشيخ أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الاحنف قال : أخبرنا
إسحق بن أبي إسحق القراب الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد بن أبي الفضل بن
محمد بن الحسين المزكي قال أخبرنا أبو عبد الله بن إبراهيم الصرام رحمه الله قال :
أخبرنا أبو سعيد الدارمي فيما أذن لي أن أرويه عنه قال :

ادعى هذا المعارض عن أبي يوسف قوله : إن الآثار ماري عن النبي صلى الله
عليه وسلم وعن أصحابه رضوا الله عنهم . ثم أنشأ طاعنا على الآثار .

فروى عن أبي يوسف أنه قال : الآثار تصد الناس عن طلبها وتزهدهم فيها
بتأويل ضال يرى من بين ظهريه أنه فيما يدعى من ذلك مصيب .

فكان مما تأول في ردها أن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
(سينشرو الحديث عني ، فما وافق منها القرآن فهو عني ، وما خالفه فليس عني) .

فيقال لهذا المعارض : لقد تأولات حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على

خلاف ما أراد إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيفشو الحديث عني ، أنه يتداوله الحفاظ من الناس والصادق والكاذب ، والمتقن والمغفل ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . قد تبين ما قال في الروايات . وكذلك ينقدها أهل المعرفة بها ، فيستعملون فيها رواية الحفاظ المتقنين ويدفعون رواية الغفلاء الناسين ، ويزيفون منها ما روى الكذابون . وليس إلى كل أحد الاختيار منها . ولا كل الناس يقدر أن يعرضها على القرآن ، فيعرف ما وافقه منها بما خالفه ، إنما ذلك إلى الفقهاء العلماء الجهابذة النقاد لها العارفين بطرقها ومخارجها ، خلاف المريسي واللؤلؤي وابن الثلجى ونظرائهم المنسلخين منها ، ومن معرفتها . وما يصدقها من كتاب الله . فقد أخذنا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نقبل منها إلا ما روى الفقهاء الحفاظ المتقنون . مثل معمر ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وابن عيينة ، وزهير بن معاوية ، وزائدة ، وشريك ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، ووكيع ، ونظرائهم الذين اشتهروا بروايتها ومعرفتها والتفقه فيها ، بخلاف تنفقه المريسي وأصحابه . فما تداول هؤلاء الأئمة ونظراؤهم على القبول قبلنا ، وما ردوه ورددناه ، وما لم يستعملوه تركناه . لأنهم كانوا أهل العلم والمعرفة بتأويل القرآن ومعانيه ، وأبصر بما وافقه منها بما خالفه من المريسي وأصحابه . فاعتمدنا على روايتهم ، وقبلنا ما قبلوا ، وزيفنا منها ما روى الجاهلون من أئمة هذا المعارض . مثل المريسي وابن الثلجى ونظرائهم . فأخذنا نحن بما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديثك الذي رويته عنه ، وتركته أنت . لأنك احتججت في رد ما روى هؤلاء الأعلام المشهورون ، العالمون ما وافق منها كتاب الله بما خالفه ، بأقوال هؤلاء الجهلة المغموزين ، والشاهد عليهم بما أقول : كتابك هذا الذي ألفته على نفسك لأعلى غيرك .

واحتججت أيضا في رد آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رويت عن أبي يوسف أنها رأس الآثار وألزمها للناس بكذب ادعيته زعمت أنه صح عندك أنه لم يكتب الآثار وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في زمن النبي صلى الله

عليه وسلم والخلفاء بعده إلى قتل عثمان رضى الله عنه ، فكثرت الاحاديث، وكثر الطعن على من رواها .

فيقال لهذا المعارض : دعواك هذه كذب ، لا يشوبه شيء من الصدق . فمن أين صح عندك أن الاحاديث لم تكن تكتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده إلى قتل عثمان ؟ ومن أنبأك بهذا ؟ فهل أئسته وإلا فأنت من المسرفين على نفسك ، القائلين بما لا يدعون ، فقد صح عندنا أنها كتبت في عهد رسول الله والخلفاء بعده كتب على بن أبي طالب رضى الله عنه منها صحيفة ، وهو أحد الخلفاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرتها بسيفه ، فيها أمر الجراحات وأسنان الابل . وفيها (المدينة حرام ما بين غير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثا أو أوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وفيها (المؤمنون تكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) وفيها (لا يقتل مسلم بكافر ولا ذر عهد في عهده) رواه الأعمش بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب .

فهذا اسناد جيد قد جئناك به في خلاف دعواك ، فمعن رويت الحديث الذي ادعيت أنه صح عندك ؟ فأظهره حتى نعرفه كما عرفناك هذا .

حدثنا الحنفى حدثنا سفيان بن عيينة ، عن محمد بن سوفة ، عن منذر الثورى عن محمد بن الحنفية قال (جاءت سعاة عثمان إلى على يشكونه ، فقال لى : خذ هذه الصحيفة ، فإن فيها سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذهب بها إلى عثمان . قال فذهبت بها إلى عثمان فقال : لا حاجة لنا فيها . وأتيت بها عليا وأخبرته فقال (ضمها مكانها) .

فهذا على بن أبي طالب - وهو أحد الخلفاء صح عندنا أنه كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث بها إلى عثمان قبل أن يقتل عثمان : فمن أين صح عندك أيها المعارض أنه لم يكتب الحديث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء

بعده حتى قتل عثمان رضى الله عنه ؟ أسنده كما أسندناه لك وإلا فلم تدعى ما لا تمقله ولا تفهمه ، فيسمع به منك سامع في الجهال يحسبك أنك مصيب في دعواك وأنت فيها مبطل . . وإنما قال عثمان (لاحاجة لنا في الصحيفة) على معنى أننا نعرف ما ونحسن ما في الصحيفة .

ثم كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو ، فأكثر ، وأستاذته في الكتابة عنه تأذن له .

حدثناه بن المديني حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن وهب بن منبه ، عن أخيه قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول (ما أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب وأنا كنت لا أكتب) .

حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثني عبد الرحمن بن سليمان ، عن عقيل ، عن المغيرة بن الحكم قال سمعت أبا هريرة يقول : لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحفظ للحديث مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو . فإنه كان يكتب ، واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب فكان يكتب بيده ، ويعي بقلبه وكنت أنا أعى بقلبي) .

وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه كتاب الصدقات عن النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثناه موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة قال (أخذت عن ثمامة بن عبد الله بن أنس كتابا زعم أن أبا بكر رضى الله عنه كتبه لأنس ، وعليه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه مصدقا ، وكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا فريضة الصدقة - وساق أبو سلمة الحديث بطوله) .

حدثنا عبد الله بن صالح ، عن ليث بن سعد ، عن يونس ، عن ابن شهاب

في الصدقات نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عند آل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أقرأنيها سالم بن عبد الله فوعيتها على وجهها — وسأفه أبو صالح بطوله .

حدثنا الحكم بن موسى حدثنا يحيى بن حمزة ، عن سليمان بن داود ، عن الزهري ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : عن أبيه ، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات ، وبعث به مع عمرو بن حزم .

حدثنا نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن عبد الله بن أبي بكر ابن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب لعمر بن حزم في خمس من الأبل شاة . وساق نعيم الحديث بطوله .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بعده ، أبو بكر، وعمر، وعثمان ، وعلى رضى الله عنهم . قد صح أنه كتب الأحاديث والآثار في عصرهم وزمانهم . قد أسندنا لك أيها المعارض إليهم . فمن أين صح عندك ما ادعيت : أنها لم تكتب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ، حتى قتل عثمان فكثرت الأحاديث بعد ، وكثر الطعن على روايتها ، ومن طعن على الثقات من رواة الأحاديث عند مقتل عثمان .

وأما أهل الظنة والغفلة فيها فلم يزالوا مطعوناً^(١) عليهم . ليس منهم أبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، ومعاوية بن أبي سفيان ونظرائهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنهم المطعونون عليهم فيها .

الذب عن أبي هريرة رضى الله عنه

حتى ادعيت ذلك كذباً على عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال (أ كذب

(١) في الأصل : مطعون .

المحدثين أبو هريرة) وهذا مكذوب على عمر رضى الله عنه . فإن تك صادقا في دعواك فاكشف عن رأس من رواه فانك لا تكشف عن ثقة ، فكيف يستحل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يرمى رجلا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالكذب عن غير صحة ولا ثبت . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا أصحابي) و (احفظوني في أصحابي) و (الله الله في أصحابي) و (من سب أصحابي فليبه لعنة الله) فأى سب لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من تكذيبه في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولأنه لمن أصدق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظهم عنه وأرواهم لنواسخ أحاديثه ، والحدث فالأحدث من أمره : لأنه أسلم رضى الله عنه قبل وفاته النبي صلى الله عليه وسلم بنحو من ثلاث سنين ، بعدما أحكم لرسوله أكثر أمر الحدود والقراض والأحكام . وكيف يتهمه عمر بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يستعمله على الأعمال النفيسة ، ويوليه الولايات . ولو كان عند عمر رضى الله عنه كما ادعاه المعارض لم يكن بالذى يأتئمه على أمور المسلمين ، ويوليه أعمالهم مرة بعد مرة حتى دعاه آخر ذلك إلى العمل فأبى عليه .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، عن أبي هلال الراسبي ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن عمر .

ثم عرفه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبتوه في ذلك . منهم طلحة بن عبيد الله ، وابن عمر ، وغيرهما : وروى عنه غير واحد من الصحابة آثارا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وابن عمر ، وأنس بن مالك رضى الله عنهم . ولو كان عندهم في عداد الكاذبين - كما ادعيت عليه - لم يكونوا يستحبون الرواية عنه ثم قد روى عنه أعلام التابعين من أهل المدينة ومكة والبصرة ، والكوفة والشام واليمن ، عدد كثير لا يحصون . منهم سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعطاء ، وطاوس

وبجاهد ، وعلقمة بن نيس ، وقيس بن أبي حازم ، والشعبي وإبراهيم ، وأبو إدريس الخولاني من أهل الشام ، ومن لا يحصون من هذه الكور ، قد رووا الكثير عن أبي هريرة ، واحتجوا به ، واستمعوا روايته : ولو عرفوا منه ما ادعى المعارض ما حدثوا المحدثين عن أ كذب المحدثين . فأتق الله أيها المعارض واستغفره مما ادعيت على صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بخلاف ما رميته به . ولو كان لك سلطان صارم يغضب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأوجع بطنك وظهرك ، وأثر في شرك وبشرك حتى لا تعود لسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا ترميهم بالكذب عن غير ثبت .

وحدثنا أبو الأصبح عبد العزيز بن يحيى الموالي ، عن محمد بن سلمة عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن مالك بن أبي عامر ، عن طلحة ابن عبيد الله قال (والله ما أشك أن أبا هريرة سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم نسمع كنا نحن قوم لنا غناء وبيوتات . وكنا إنما نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقى النهار . وكان مسكيناً لأهل له ولا مال ، إنما يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأكل معه حيث كان فوالله ما تشك أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم نسمع ، ولا نجد أحداً فيه خير يقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل) .

حدثنا أحمد بن يونس ، عن عاصم بن محمد العمري عن أبيه ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان إذا سمع حديث أبي هريرة قال (والله إنما نعرف ما يقول أبو هريرة ولكننا نجبن ويحترىء) .

حدثنا مسدد ، عن هشيم ، عن يعلى بن عطاء ، عن الوليد بن عبد الرحمن ، عن ابن عمر أنه مر بأبي هريرة رضى الله عنه وهو يحدث فقال (لم يكن يشغلنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس الودى ، ولا صفق بالأسواق . إنما كنت أطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلة يطعمنيها أو كلة يملئنيها) فقال ابن

عمر (صدقت يا أبا هريرة كنت أؤمننا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلننا بحديثه) .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، عن إسماعيل بن جعفر المزكي ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قلت يا رسول الله ؟ من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) .

أفلا يراقب امرؤ ربه . فكيف لسانه ولا يقذف رجلا من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيرميه بالكذب من غير ثبوت ولا صحة ؟ وكيف يصح عند هذا المعارض كذبه . وقد ثبت طلحة بن عبيد الله ، وعبد الله بن عمر ، لو عض هذا الرجل على حجر ، أو على جمرة حتى يحرق لسانه ، كان خيرا له مما تأول على صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الذب عن معاوية بن أبي سفيان

و ادعى المعارض أيضا أنه سمع أبا الصلت يذكر أنه كان لمعاوية بن أبي سفيان بيت يسمى بيت الحكمة . فكما وجد حديثا ألقاه فيه ثم رويت بعد .

فهذه الحكاية لا نعرفها ولا نجد لها في الروايات . فلان دري عن رواها أبو الصلت فإنه لا يأتي به عن ثقة . فقد كان معاوية معروفا بقله الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولو شاء لا كثر إلا أنه كان يتقى ذلك ، ويتقدم إلى الناس ينهام عن

الإكثار على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إن كان ليقول (اتقوا الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما كان يذكر منها في زمن عمر ، فإن عمر كان يخوف الناس في الله تعالى) .

حدثناه عن أبي صالح بن معاوية بن صالح ومسايقه بإسناده .

وهذا طعن كثير من المعارض أنه كان يجمع أحاديث الناس عن غير ثبت فيجعلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولو استحلت معاوية هذا المذهب لافتعلها من قبل نفسه ونعلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان يقبل منه لما عرف بصحبته رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يكن ينحل قول غيره من عوام الناس .

ويدلك قلة رواية معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم - وكان كاتبه - على تكذيب ما روي عن أبي الصلت . فإن كنت صادقا فاكشف عن إسناده . فانك لاتسنده إلى ثقة .

الذب عن عبد الله بن عمرو بن العاص

وكذلك ادعت على عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان من أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رواية عنه ، معروفا بذلك . فزعمت أنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب . وكان يرويها للناس عن النبي صلى الله عليه وسلم . وكان يقال له : لاتحدثنا عن الزاملتين .

ويحك أيها المعارض : إن كان عبد الله بن عمرو أصاب زاملتين من حديث أهل الكتاب يوم اليرموك . فقد كان مع ذلك أمينا عند الأمة على حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن لايجعل ما وجد في الزاملتين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان يحكي عن الزاملتين ما وجد فيها . وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما سمع منه ، لايجعل ذلك على هذا ، ولا هذا على ذاك . كما تأولت عليه بجهلك . والله سائلك عنه .

فانقص أيها الرجل عن طعنك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الروايات فانهم لو كانوا عند الأمة في موضع الجرح كما ادعت - وليسوا كذلك - ما كانت

لك حجة على ألف سواهم من المهاجرين والأنصار ممن لا تجد مسيلا إلى الطعن عليهم ، وقد روي من ذلك ما يفيظك : وقد اجتمعت الكلمة من جميع الفقهاء أن شهادات العدول إذا شهد معهم من ليس يعدل لا تسقط . ولا يجعل مثل السوء لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكلهم بحمد الله عدول ، يؤتمنون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمخرج من جرحهم ، ولا يزيغ مائة ألف حديث مشهورة محفوظة مأثورة عن الثقات إذا وجد فيها مائة حديث منكورة . ولا يجرح ألف رجل من أهل الإتيان والحفظ في الرواية أن وجد فيهم عشرون رجلا ينسبون إلى الغفلة والنسيان . وقلة الإتيان : فاربح العناء فيما ليس لك فيه شفاء . كما لا يتبرح مائة دينار إذا وجد فيها ديناران زائفان ، ولا يحكم على جماعة من المسلمين بالجرح إذا وجد فيهم مجروحان . ولكن يزيغ الزائفة ويروج المنقذة .

فما تصنع بهذه العمایات والأغلوطات التي لا تجدى عليك شيئا . فإنه لا يترك طلب العلم والآثار بخلافاتك هذه . ولو كان المذهب فيه ما تأملت لحرم طلب العلم على أهله : ولكن يدل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) أن تركه فريضة على كل مسلم ويدل قوله (تضع الملائكة أجنتها لطالب العلم رضا بما يطلب) أنها تضعها سخطا بما يطلب . ويدل قوله (يستغفر الطالب العلم كل شيء حتى الحوت في الماء) إنما تلغنه وتدعو عليه ، فينقلب في دعواك معاني الحق إلى الباطل ، والمعروف إلى المنكر . وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمن بطلب العلم عمایات أصحاب الكلام وأهل المقاييس . ولكن عني به ما يؤثر عنه .

أو ليس قد ادعيت أن الزنادقة قد وضعوا اثني عشر ألف حديث دلسوها على المحدثين ؟ فدوئك أيها الناقد البصير الفارس النحرير ، فأوجدنا منها اثني عشر

ويحك من سبقك إلا هذا التأويل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في اتباع الروايات واختيار ما يجب منها ؟ إنما يجب على القاضى أن يفحص عن الشهود ويحتاط . فمن عدل عنده منهم حكم بشهادته ، وإن كان كاذبا في شهادته في علم الله بعد ما لم يطالع القاضى منه على ذلك . وترد شهادة المجروح وإن كان صادقا في شهادته في علم الله بعد ما لم يطالع القاضى على صدقه . وكذلك المذهب في استعمال هذه الآثار وقبولها من روايتها . لا ما تأولت فيها من هذه السخرية بنفسك والضحك .

وادعى المعارض أن من الأحاديث التى تروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث منكورة مستشعنة جدا ، لا يجوز إخراجها . فألف منها أحاديث بعضها موضوعة وبعضها مروية تروى وتوقف لا يقدم على تفسيرها ، يوهم من حواله من الأغمار أن آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ما روى منها مما يغيظ الجهمية في الرؤية والنزول ، والصفات التى رواها العلماء المتقنون . ورووها حقا ، سبيلها سبيل هذه المنكرات التى لا يجوز إخراجها ولا الاعتماد عليها . ثم أقبل عليها بعد ما أقر أنها منكرات مستشعنة يفسرها ، ويطلب لها مخارج تدعو إلى صواب التأويل فى دعواه .

ويحك أيها المعارض : وما يدعوك إلى تفسير أحاديث زعمت أنها مستشعنة لا أصل لها عندك . ولا يجوز التحدث بها . فلم تدفعها بعللها وشنعها عندك كان أولى بك من أن تستنكرها وتكذب بها . ثم تفسرها ثانية كالمثبت لها على وجوه وممانى من المحال والضلال الذى لم يسبقك إلى مثله أحد من العالمين ،

فادعيت أن من تلك المنكرات ما روى أبو أسامة ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر قال (خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر ، قلت : وقال بعضهم من شعر الذراعين والصدر) .

فيقال لهذا المعارض : إذا كان هذا الحديث عندك من المنكرات التي ترك من أجله كل الروايات فلم فسرته ، كأنك تثبته ؟ فقلت تأويله عندنا محتمل على ما يقال في أسماء النجوم الذي يسمى منها الذراع والجبهة .

ويحك : أيها المعارض استنكرت الحديث وتفسيرك أنكرك منه أخلق الله الملائكة من نور النجوم وشعورها التي تسمى الذراع والجبهة ، أم للنجوم شعور فيخلق منها الملائكة ؟ لقد أغربت بهذا التفسير على جميع المفسرين وأندرت وكدت تغلب العربية ظهرها لبطنها ان جازت عندك هذه المستحيلات : إن الله خلق الملائكة من شعور النجوم التي تسمى ذراعا .

ثم احتججت في رد آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكرهية طلبها ، والاشتغال بجمعها ، بحكاية حكيبتها عن مفيان الثوري أنه قال (ليس هذا الحديث من عدد الموت) ويقول شعبة (إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون) ويقول ابن المبارك (اللهم اغفر لي رحلتى في الحديث) .

فتوهمت أن قولهم هذا طعن في الآثار ، وكرهية منهم لجمعها واستعمالها . وقد أخطأت الطريق وغلطت في التأويل ، لأنه ليس تأويل هذه الحكايات أنهم لا يعدون هذه الآثار من أصول الدين ، وأنهم لم يروا طلبها أفضل الأعمال ، ولكن خافوا أن قد خالط ذلك بعض الرياء والعجب أو الاستعالة به على من دونهم فيه ، أو أنهم إذا جمعوها وكتبوها لم يقوموا بالعمل بها . كالذي يجب عليهم ، ويصير حجة عليهم . فانما أزرروا فيما حكيت بأنفسهم لا بالعلم والاحاديث . كما تفعله أنت وأصحابك . ولو كانت هذه الروايات عندهم من سوء الأعمال - كما ادعيت عليهم - ماصنفوها ونقلوها إلى الأنام ، ولا دعوهم إلى استعمالها والاخذ بها ، فيشركوهم في إثم ما وقعوا فيه . ومن يظن ذلك بهم إلا جاهل مثلك ، بعد الذي رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (حدثوا عني ولا حرج) وقال (نضر

الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها غيره (وقوله (ليلخ الشاهد منكم الغائب)
وقوله (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وقوله (ماسلك رجل طريقاً يبتغى فيها
علماً إلا سهل الله له بها طريقاً إلى الجنة) وقوله (إن الملائكة لتضع أجنحتها
لطالب العلم رضا بما يطلب) وهى هذه الآثار ، وهى أصول الدين وفروعه بعد
القرآن . فمن سمع شيئاً من هذه الأحاديث التى خص النبي صلى الله عليه وسلم على
طلبها وإبلاغها وأدائها إلى من لم يسمعها علم يقيناً أن ما حكيت عن سفيان الثوري
وشعبة وابن المبارك على خلاف ما تأولته .

ويحك إنما قال القوم هذا تخوفاً على أنفسهم أن يكونوا قد أوتوا منه الكثير
فلم يوفقوا لاتباعه كما يجب ، ولم يتخقلوا بأخلاق العلماء الصالحين قبلهم من السكينة
والوقار والورع والعبادة ، ولم يتأدبوا بأحسن آدابهم .

فقد سمعت يحيى بن يحيى يقول : قال ابن المبارك (طلبنا العلم فأصبنا
منه شيئاً ، فطابنا الأدب فإذا أهلوه قد ماتوا) وكما قال الشعبي (زين العلم حلم
أهله) وكما قال ابن سيرين (ذهب العلم وبقي منه غبرات فى أوعية سوداء) وكان
تخوفهم على أنفسهم بالحكايات التى حكيتها عنهم أنهم عسى أن لم يرزقوا هذا الأدب
وما يحتاج إليه العلم ، حتى يخلص لوجه الله ، فكان ذلك منهم إعظاماً للعلم وإحلالاً
له ، لا استخفافاً به ، وتعريضاً لإبطاله . كما فعلت أنت .

وسمعت الطيالسى أبا الوليد أنه سمع ابن عيينة يقول : طلبت هذا العلم يوم
طلبت له غير الله فأعقبني منه ماترون ،

قال أبو سعيد : يقول لم أعرف لنفسى يوم طلبته تلك النية الخاصة فأعقبني منه
أنى اشتغلت بتحديث الناس به لا بالعمل به والزهادة فى الدنيا والعبادة .

وقد روى عن الشعبي أنه قال : وددت أنى لم أسأل عن شيء أى لما أن الذى
سألت عنه صار على حجة .

وقال الشعبي أيضا : إنما لسنا بفقهاء ولكننا رواة الحديث . وكما قال الحسن : هل رأيت فقيها قط ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، لا يدارى ولا يمارى ، ينشر حكم الله ، فإن قبلت منه حمد الله ، وإن ردت حمد الله .

فتخوف القوم أنهم لم يكونوا من أهله ، وقد كانوا أهله ، وما زادهم تخوفهم من هذا وما أشبهه إلا حبا وتعظيما في قلوب المسلمين ، وللعلم توقيرا وإجلالا إذ خافوا أن لا يكونوا من صالحى أوعيته .

وروى المبارك بن فضالة عن الحسن قال : ما رأيت فيما مضى وفيما بقى مؤمنا ازداد إحسانا إلا ازداد شفقة ، ولا مضى مناسقا ولا بقى ازداد إساءة إلا ازداد بالله غرة .

حدثناه سعدويه عن المبارك بن فضالة عن الحسن .

واحتج أيضا المعارض لمذهبه الأول بحديث مستنكر تعجب الجبال منه ، ويومهم أن بما روى أهل السنة من الروايات الصحاح المشهورة ما ينقض بها على الجهمية في الرؤية والنزول ، وسائر صفات الله : مستنكر مجهول مهجور ، مثل هذا الحديث ، فزعم أن حماد بن سلمة روى عن أبي المهزم عن أبي هريرة قال : يارسول الله دم ربنا ؟ فقال من ماء مرور لا من أرض ولا من سماء ، خلق خيلا فأجراها فمرقت فخلق نفسه من ذلك العرق .

فيقال لهذا المعارض : لو كان لك فهم وعقل لم تكن تضيع في الناس مثل هذا الحديث الذى لا أصل له عند العلماء ، ولم يروه عن حماد إلا كل مقروء في دينه ، فيظن بعض من يسمعه منك أن له أصلا ، فيضربه ويضل ، وهذا الحديث لا يعرف له أصل في كتاب حماد بن سلمة ، ولا ندرى من أين وقع إلى المعارض ؟ ومهما يستنكر هذا الحديث أنه محال المعنى بل هو كفر لا ينقاد ولا ينقاس ، فكيف خلق الله الخيل التى عرفت قبل أن تسكون نفسه في دعواك ؟

ويحك أيها المعارض إنا نكفر من يقول كلام الله مخلوق . فكيف من قال نفسه مخلوقة ؟ لاجزاك الله خيرا عما تورد على قلوب الجاهل ، مما لا حاجة إليه . فعد من رويته عن حماد وعن سمعته ؟ فسمه لنا نعرفه . فإننا لا نعرف إلا أن الله تعالى الأول قبل كل شيء . فكيف كان هذا العرق قبله ، حتى خلق نفسه منه ؟ وهذا الحديث لا يحتاج إلى تفسيره فإن الشاهد منه يدل على أنه باطل .

ثم لم ترض بما قلت رويت مما تستشعنه ، حتى ادعيت له تفسيراً عن إمامك عن ابن الثلجي أنه قال : يحتمل تأويل هذا الحديث أن يكون الكفار سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى . وذلك أن كبارهم وأجبارهم ورهبانهم كالآرباب . قال الله تعالى (اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) .

فيقال لهذا الثلجي الجاهل : ويلك ، يخلق الله أولئك الأجبار والرهبان الذين اتخذوهم أرباباً من عرق الخيل التي أجراها . وفي الحديث أنه خلق من ماء لامن أرض ولا من سماء . فهل شك أحد من ولد آدم أن الله خلق آدم من الأرض ، وذريته من نسله ؟

أو لم يعلم أيها الثلجي رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن خلق الأجبار والرهبان الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله ؟ أو لم يدر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم من ولد آدم ، حتى يقول : خلقهم الله من عرق الخيل ، ولم يخلقهم من أرض ولا سماء ؟ لقد ضل الثلجي بهذا التفسير وضل به من اتبعه : ولو فسر هذا صبي لم يبلغ الخنث ما زاد على هذا جهلاً واستحالة . هو كفر أضافه هذا الثلجي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويلك نحن ندفع الحديث ونستنكره ، وأنت تستشعنه ثم تثبته وتفسره ، وتلتبس له بالخارج ، كي تصوبه . ولئن كان هذا الحديث منكراً فتفسيرك له أنكر .

واحتج المعارض أيضا في دفع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقليد روايتها من العلماء بحكاية حكاهما عن بشر بن غياث المريسي ، كأنه يحكيها عن عامر الشعبي . فقال معجبا بسؤاله : سألت بشر بن غياث المريسي عن التقليد في العلم ، فقال : حرام محرم للعلماء ، حتى يعرف هذا العالم أصله ومعرفته من الكتاب والسنة والإجماع . وإنما التقليد للجهال الذين لا يعلمون .

وافتخر المعارض بسؤال بشر عن هذا كأنه سأل عنه الحسن وابن سيرين ، ولا يعلم أنه إنما سأل جهميا جاهلا بالكتاب والسنة ، مخالفا للإجماع إن أخطأ فمليه خطأه وإن أصاب لم يلتفت لاصابته لأنه المأبون في دين الله ، المتهم في كتاب الله ، الطاعن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكيف يستغنى المريسي . وقد رويت عن أبي يوسف أنه هم بأخذه وتنكيله في هذه الضلالات ، حتى فرمته إلى البصرة ، فإن يكن ما قاله بشر حقا فبؤسالك ولاصحابك الذين قلدتم دينكم أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمد بن الحسن في أكثر مما تفتون بما لا تقعون من أكثره على كتاب ولا سنة .

غير أنا نقول : إن على العالم باختلاف العلماء أن يجتهد ويفحص عن أصل المسئلة ، حتى يعقلها بحجده ما أطاق ، فإذا أعياه أن يعقلها من الكتاب والسنة فرأى من قبله من علماء السلف خير له من رأى نفسه ، كما قال ابن مسعود (ألا لا يقلدن رجل منكم دينه رجلا ، إن آمن آمن وإن كفر كفر ، فإن كنتم لا بد فاعلين فالأموات : فإن الحى لا يؤمن عليه الفتنة) .

وقال ابن مسعود أيضا (من عرض له منكم قضاء فليقض بما في كتاب الله ، فإن لم يجد في كتاب الله ففي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن لم يجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قضى به الصالحون قبله) .

فأباح ابن مسعود التقليد للأموات ، وقضاء الصالحين على التحرى والاحتياط

فمن هذا المريسى الضال الذى يحظره على الامة ؟ ومن هو حتى يستحل بقوله شيء أو يحرم ؟

وقال شريح وابن سيرين : لن نضل ما تمسكنا بالآثر . وقال إبراهيم (ما الأمر إلا الأمر الأول ، لو بلغنا أنهم لم يفسلوا إلا الظفر ما جاوزناه كفى لزراء على قوم أن تخالف أعمالهم) .

فالاقتداء بالآثار تقليد . فإن كان لا يجوز فى دعوى المريسى أن يقتدى الرجل بمن قبله من الفقهاء . فما موضع الاتباع الذى قال الله (والذين اتبعوهم بإحسان) وما تصنع بآثار الصحابة والتابعين بعدهم ، بعد أن لا يسع الرجل استعمال شيء منها إلا ما استنبطه بعقله فى خلاف الآثر . إذا بطلت الآثار ، وذهبت الأحبار ، وحرم طلب العلم على أهله ، ولزم الناس المعقول ، من كفر المريسى وأصحابه ، والمستحيلات من تفاسيرهم . فقد عرضنا كلامهم على الكتاب والسنة . فأخطأوا فى أكثرها الكتاب . ولم يصيبوا السنة .

فقد حدثنا عبد الله بن صالح المصرى عن الحقل بن زياد عن الأوزاعى قال (وما رأى امرئ فى أمر بلغه فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اتباعه ، ولو لم يكن فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أصحابه من بعده كانوا أولى فيه بالحق منا . لأن الله اثنى على من بعدهم باتباعهم إياهم . فقال (والذين اتبعوهم بإحسان) وقتلتم أنفسكم : لابل نعرضها على رأينا فى الكتاب . فما وافقه منها صدقناه وما خالفه تركناه . وتلك غاية كل محدث فى الإسلام : رد ما خلف رأيه من السنة .

وقال أبو سالية بن عبد الرحمن للحسن البصرى (لا تفت الناس برأيك) فقال الحسن (رأينا لهم خير من رأيهم لأنفسهم) .

وكيف تسأل أيها المعارض بشرا عن التقليد . وهو لا يقاد دينه قائل القرآن

ومثله ، ولا الرسول الذى جاء به حتى عارضها فى صفات الله وكلامه ؟ بخلاف ما عنينا وفسر عليها برأيه بخلاف ما أراد .

وأعجب من ذلك قولك : سألت بشرا المرسى عن قول الله (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) فقال بشر : كونه كما شاء بغير (كن) . أو ما وجدت أيها المعارض فيمن رأيت من المشايخ شيئا أرشد من بشر وأعلم بتأويل هذه الآية من بشر الذى كفر برب قال قولنا لشيء قط كن فكان . وهذا المشهور من مذهبه المعروف فى كل مصر : إن الله لم يتكلم بكلمة . ولا يتكلم بها قط ، فسؤالك بشرا عن هذه الآية من بين المشايخ دليل منك على الظن والريبة القديمة وأنت لم تسأله عن ذلك إلا عن ضمير متقدم . أفلا سألت عنه من أدركت من المشايخ مثل أبى عبيد ، وأبى نعيم ، ونظرائهم من أهل الدين والفضل والمعرفة بالسنة ثم ادعيت أن بشرا قال : معناه أن يكونه حتى يكون . أى من غير قول يقول له (كن) ولكن يكونه على ما أراد .

ثم فسر قول بشر هذا ، فزعمت أنه عنى بذلك أن الأشياء ليست مخلوقة من (كن) ولكن الله كونها على ما أراد من غير كيفية . وللكلام وجوه بزعمك .

فيقال لهذا المعارض : قد افتريتما على الله جميعا فيما تأولتما من ذلك وجحدتما قول الله (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) إذ ادعيتما أن الأشياء لا تكون بقوله (كن) ولكن يسكونها بإرادته من غير قول منه (كن) وهذا هو الجحود بما أنزل الله . لأن الله جمع فيه القول والإرادة . فقال (إذا أردناه) فسبقت الإرادة قول (كن) ثم قال (كن) فكان بقوله وإرادته جميعا : فكيفية هذا كما قال أصدق الصادقين (أنه إذا قال لشيء كن كان) لا ما تأوله أ كذب الكذابين . وليس هذه المسألة مما يحتاج الناس فيها إلى تأويل ، ولا هى من

العويص الذى يجهلها (١) العوام فكيف الخاص من العلماء ؟ وليس هذا مما يشكل على رجل رزق شيئا من العقل والمعرفة حتى يسأل عنه مثل المريسى الذى لا يعرف ربه فكيف يعرف قوله ؟

ولما امتنع المريسى وأصحابه من أن يقرؤا بهذا : أنهم قالوا متى أقررنا أن الله قال لشيء كن كلاما منه لزماننا أن نقر بالقرآن والتوراة والانجيل أنه نفس كلامه . فامتنعوا من أجل ذلك . لأن الله فى دعواهم لم يتكلم بشيء ولا يتكلم ، والدليل على هذا المعارض بسؤال بشر عن هذه الآية فديما فى شبابه وقد عرف مذهب بشر أنه قد اصطلم هذا الرأى فى أول دهره ، وليس برأى استحدثه حديثنا .

وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (قال الله : إن رحمتى كلام ، وعذابي كلام ، وغضبي كلام ، إنما قولى لشيء إذا أرتته أن أقول له : كن فيكون) .

وادعى المعارض أيضا مثله فى قول الله لعيسى بن مريم (روح الله وكلته) فقال : يقول أهل الجراه فى معنى (كلمته) أى بكلمته ، وإن سئلوا عن المخرج منه لم يقدرؤا عليه ، وتأولوا على الله برأيهم .

فيقال لهذا المعارض : أو يحتاج فى هذا إلى تفسير ومخرج ؟ قد عقل تفسيره عامة من آمن بالله : أنه اذا أراد شيئا أن يقول له (كن فيكون) وشيء لا يقول له كن لا يسكون ، فإذا قال (كن) كان ، فهذا المخرج من أنه كان بإرادته وبكلمته ، لا أنه نفس الكلمة التى خرجت منه ، ولكن بالكلمة كان ، فالكلمة من الله (كن) غير مخلوقة ، والكائن بها مخلوق .

وقول الله فى عيسى (روح الله وكلته) فبين الكلمة والروح فرق فى المعنى ، لأن الروح الذى نفخ فيه روح مخلوق امتزج بخلقه ، والكلمة من الله غير مخلوقة

لم تتمزج بعيسى ولكن كان بها ، وإن كره لأنها من الله أمر ، فعلى هذا التأويل قلنا ، لا على ما ادعت علينا من الكذب والباطيل .

ثم عاد المعارض إلى انكار ما عني الله بقوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) فادعى أن المجيء والانتقال من مكان إلى مكان صفة الخلق ، والله يأتي في ظلل من الغمام على أضمار (أمره) كما قال (وأسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) يريد أهل القرية ، وأهل العير ، بأضمار (أهل) فكذلك قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) بأضمار أمره ، وكذلك (وجاء ربك والملك صفا صفا) يريد أن الملائكة وهي الصفوف دونه جاءون بأمره ، ففسروها : جاء الملائكة صفا صفا وربك فيهم مدبر محكم ، كما قال في سورة النحل (إلا أن تأتيهم الملائكة) وقال في سورة الأنعام (أو يأتي أمر ربك) فبين الأمر ههنا وأضمره في سورة الأنعام .

فيقال لهذا المعارض المفترى على الله : قد فسرت هذه الآية على خلاف ما عني الله وفسرها رسوله على خلاف ما فسرها أصحابه ، قد روينا تفسيرها عنهم في صدر هذا الكتاب بأسانيدها المعروفة المشهورة ، على خلاف ما فسرت وادعت عن هؤلاء المفسرين ، فمن مفسروك هؤلاء الذين تحكى عنهم أنهم قالوا فيها كذا ، وقال آخرون فيها كذا ؟

فمن هؤلاء الأولون والآخرون ؟ فاكشف عن رءوسهم وسمهم بأسمائهم ، فإنك لا تكشف إلا عن زنديق أو جهمي ، لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحكم لك بتفسير هؤلاء المعنعنين على تفسير هؤلاء المكشوفين الذين سميناهم لك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين ، وهم أصحاب التفسير معروفون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين عند الأمة ، مثل ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ، ونظرائهم ، ومن التابعين مثل سعيد بن جبير ، ومجاهد وأبي صالح الحنفى والسدى وقتادة وغيرهم .

فمن أيهم تحكي هذه التفسير التي ترد بها على رب العالمين ؟ فإننا لما وجدناهم مخالفين لما ادعيت في كتابه أتيناك بها عنهم في صدر هذا الكتاب ، منصوصة مفسرة فمن تروى هذه الضلالات وإلى من تسندها ؟ فصرح بها كما صرحت ببشر المريسي وابن الثلجى .

وما نراك صرحت ببشر والثلجى ، وكنيت عن هؤلاء المفسرين ألا وأنهم أسوأ منزلة عند أهل الإسلام وأشد ظنة في الدين منها . لولا ذلك لكشفت عنهم كما كشفت عن بشر وقد فسرنا لك أمر إتيان الله وبجيته والملك صفا صفا ، في صدر هذا الكتاب فلا يعمده هنا فيطول به الكتاب .

وأما ما ادعيت من انتقال الله من مكان إلى مكان أن ذلك صفة المخلوقين ، فإننا لا نكيف بجيئه وإتيانه أكثر مما وصف الناطق من كتابه ، ثم ما وصف رسوله صلعم وقد روى عن ابن عباس في تفسيرها : أن السماء تشفق لمجيئه يوم القيامة ، وتنزل ملائكة السموات ، فيقول الناس أفيكم ربنا ؟ فيقولون لا ، وهو آت حتى يأتي الله في أهل السماء السابعة وهم أكثر من دونهم وقد ذكرنا هذا الحديث بإسناده في صدر هذا الكتاب ، وهو مكذب لدعواك أنه إتيان الملائكة بأمره ، دون بجيئه ، ولكنه منهم مدبر بزعمك ويحك ، لو كانت الملائكة هي التي تأتي وتجيء بزعمك دونه ، ما قالت الملائكة : لم يأت ربنا وهو آت ، والملائكة آتية نازلة . حين يقولون ذلك .

أرايتم دعواكم أن الله في كل مكان من الأرض والسماء ، أو لم يكن قبل السماء والأرض على العرش فوق الماء ؟ فكيف صار بعد في السماء والأرض في دعواكم ؟ وفي دعوانا استوى إلى السماء دون الأرض . فكما قدر على ذلك فهو القادر على أن يجيئ . ويأتى متى تشاء .

أرايت إن فسرت قوله (يأتهم الله في ظلال من الغمام) فزعمت أن الله أضمر في ذلك دأمره ، كما أضمر في القرية والغير أهلها ، أو ليس قد ادعيت أيها المعارض في

صدر كتابك أنه لا يوصف بالضمير ، فإن الضمير منفي عن الله ، ومن وصف الله بشيء هو عنه منفي فهو الكافر عندك . فكيف نفيت عنه هذا الضمير هناك وأثبتته له ههنا ؟ أو لم تخش على نفسك بما تخوفت على غيرك من الكفر ؟ ولكنك تدعى الشيء فتنسأه حتى تدعى بعد خلافه ، فيأخذ بمحلقك ، غير أني أظنك تسكمت بما تكلمت به بالخراف ، وأنت آمن من الجواب .

وادعيت أيضا أن الزنادقة قد وضعوا اثني عشر ألفا من الحديث ، روجوها على رواية الحديث ، وأهل الغفلة منهم .

فيقال لك أيها المعارض : ما أقل بصرك بأهل الحديث وجهابذته ، لو قد وضعت الزنادقة اثني عشر ألف حديث ما راج لهم على أهل البصر بالحديث منها حديث واحد ، ولا تقديم كلبة ، ولا تأخيرها . ولا تبديل إسناد مكان إسناد . ولو قد صحفوا عليهم في حديث واحد لا مستبان ذلك عندهم . وردوه في نحورهم .

ويلك هؤلاء ينتقدون على العلماء المشهورين بتقديم رجل من تأخيرهم ، وتقديم كلبة من تأخيرها . ويحسون عليهم أغاليطهم ومدلساتهم . أفيجوز الزنادقة عليهم تدليس ؟ إذ هم في الغفلة مثل زعمائك هؤلاء ضرب المريضي ونظرانهم ، إذ هم دلسوا عليه عن ابن عباس : إن الله لا يدرك بشيء من الحواس ؟ فإن كان شيء من وضع الزنادقة فهو هذا . فإن فيه تعطيل ذي الجلال والإكرام . لأن شيئا لا يدرك بشيء من الحواس فهو لا شيء . وهذا مذهب الزنادقة : فقد روجوه . وهذا تكذيب لكتاب الله . قال الله (وكلم الله موسى تكليما) فأخبر أن موسى أدرك منه الكلام وهو من أعظم الحواس وأخبر أن أوامره يدركونه بالحواس بالنظر إليه . وهو قوله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) والنظر أحد الحواس وقال (لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم) وقال رسول الله صلعم للؤمنين : ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ، رواه عدى بن حاتم عنه ، فهل من حواس أبين من الكلام والنظر ؟ فذلك قلنا : إن هذا عن حوالبك من الجهال .

وما إخالك إلا وستعلم أنه لا يجوز للزنادقة على أهل العلم بالحديث تدليس ، غير أنك تريد أن تهجن العلم وأهله ، وتزرى بهم من أعين من حواليك من السفهاء ، بمثل هذه الحكايات كما يرتاب فيها جاهل فراك صادقاً في دعواك . فدونك أيها المعارض فما وجدنا عشرة أحاديث دلسوها على أهل العلم . كما وجدنا بما دلسوا على إمامك المريسي . أو جرب أنت فدلس عليهم منها عشرة ؛ حتى تراهم كيف يردونها في نحرِكَ .

وكيف دلس الزنادقة على أهل الحديث اثني عشر ألفاً ، ولم يبلغ ما روى عن رسول الله صلعم وأصحابه اثني ألف حديث ، بغير تكرار إن شاء الله ؟ إذا رواياتهم كلها من وضع الزنادقة في دعواك .

ورويت أيها المعارض عن جرير بن عثمان عن شبيب أبي روح عن أبي هريرة النبي صلعم قال : الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، وأجد نفس ربكم من قبل اليمين ، فقلت كالمنكر لهذا . تعالى الله عما نحلّه المبطلون : بأن ذلك نفس يخرج من جوف .

فمن سمعت أيها المعارض أن هذا نفس يخرج من جوف الله تعالى ؟ وهذا حديث معروف معقول المعنى جهلت معناه ، فصرفته إلى غيره مما لم نر أحداً يقوله ، أو يذهب إليه . إنما فسره للعلماء على الروح الذي يأتي بها الريح من نحو اليمين ، لأن مهب الريح والروح من هناك عندهم . فأما أن يقول أحد هو نفس يخرج من جوف الرحمن ، فما سمعنا أحداً يقوله قبلك ، وأدنى ما عليك فيه الكذب أن ترمى به قوماً مشنعاً عليهم ، ثم لا تقدر أن تثبتّه عليهم . وهذا كقول النبي صلعم : الإيمان يمان والحكمة يمانية ، أي أنه جاء من قبل مكة .

وادعى المعارض أيضاً أن المقرئ حدث عن حرمة بن عمران عن أبي يونس عن أبي هريرة عن النبي صلعم : أنه قرأ (سميعاً بصيراً) فوضع لإبهامه على أذنه والتي يليها على عيذه ، وقد عرفنا هذا من رواية المقرئ وغيره ، كما روى المعارض

غير أنه ادعى أن بعض كنية الحديث ثبتوا له بصرا بعين كمين وسمعا بسمع جارحة مركبة .

فيقال لهذا المعارض : أما دعواك عليهم لإنهم ثبتوا له سمعا وبصرا فقد صدقت .

أما دعواك عليهم إنه كمين وكسمع فإنه كذب . ادعيته عليهم ، لأنه ليس كئله شيء ، ولا كصفاته صفة .

وأما دعواك لإنهم يقولون جارحة مركبة ، فهذا كفر لا يقوله أحد من المضلين . ولكننا ثبت له السمع والبصر والعين بلا تكيف ، كما أثبتته لنفسه فيما أنزل من كتابه ، وأثبتته له الرسول . وهذا الذي تكرره مرة بعد مرة جارحة وعضو وما أشبهه ، حشو وخرافات ، وتشنيع لا يقوله أحد من العالمين : وقد روينا روايات السمع والبصر والعين في صدر هذا الكتاب بأسانيدها وألفاظها عن رسول الله صلعم . فنقول كما قال ، ونعني بها كما عني ، والتكيف عنا مرفوع ، وذكر الجوارح والأعضاء تكلف منك ، وتشنيع .

وادعى المعارض أن عبد الرحمن بن مهادي روى عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرقط عن جبير بن نفير قال : قال رسول الله صلعم : « إنكم لن تنقربوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه ، يعني القرآن .

فادعى المعارض أن الثلجي قال في هذا من كتاب لم أسمعه من الثلجي . قال : ذهب المشبهة في هذا إلى ما يعقلون من الكلام من الجوف فنافقوا إذ صححوا أنه الصمد . والصمد الذي لا جوف له . فاحتمل أنه خرج منه أي أنى من عنده من غير خروج منه ، كما يقال : خرج لنا من فلان كذا وكذا من الخير ، وخرج المعطاء من قبله . لا أنه خرج من جوفه .

فيقال لهذا المعارض وإمامه الثلجي : قد فهمنا مرادك إنما نريد نفى الكلام

عن الله ، مشنعا بذكر الجوف . فأما خروجه من الله فلا يشك فيه إلا من أنكر كلامه . لأن الكلام يخرج من المتكلم لا محالة . وأما أن نصفه بالجوف كما ادعت علينا زوراً فإننا نجمله عن ذلك ، وهو المتعالى عنه . لأنه الأحاد الصمد ، كما قال : ومن زعم أنه لم يخرج منه إلا كنز خروج عطاء الرجل من قبله ، فقد أقر بأنه كلام غيره مخلوق . لا يجوز أن يضاف إليه صفة . ولو جاز ذلك لجاز أن كل ما تكلم به الناس من الغناء والنوح والشعر كله كلام الله . وهذا محال يدعو إلى الضلال .

وفي هذا القياس الذي ذهبتم إليه يجوز أن يقال . قول اليهود عزيز بن الله ، والنصارى المسيح بن الله ثالث ثلاثة ، قبل أن يخبر الله عنهم كان كلام الله فإن كان القرآن عندكم كلام الله فنه خرج بلا شك ، والجوف منفي عنه وإن لم يخرج منه فليس بكلامه . ولتكن كلام غيره في دعواكم .

فقل لهذا الثلجى يرد هذا التفسير على شيطانه الذى ألقاه على لسانه ، وما يصنع فى هذا يقول الثلجى مع ما يرويه صفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال (أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق ، وما سواه مخلوق ، والقرآن كلام الله ، منه خرج وإليه يعود) .

حدثنا إسحق بن إبراهيم الحنظلى عن صفيان بن عيينة .

وأما أن يقاس الكلام من المتكلم بالخبر الذى يأتى من قبله ، والعطاء الذى يخرج من عنده : فإنه لا يقيسه به إلا جاهل مثل ابن الثلجى . لأن الخلق قد علموا أن الكلام يخرج من المتكلم بلا شك ، وأن إعطاء العطاء ، وبذل البذل من المال . لا يخرج من نفس المعطى والبازل ، ولسكن من شيء موضوع عنده بعينه والكلام غير بائن من المتكلم . والمال والعطاء بائن منه . لأن المتكلم متى شاء عاد فى مثل كلامه الذى تكلم به قبل ، من غير أن يرد الكلام الخارج منه إلى نفسه ثانية . ولعله لا يقدر على رد المال والعطاء الذى خرج منه ، ولا أن يعود فيه بعينه . فن

قاس هذا بذاك فقد ترك القياس الذى يعرفه أهل القياس والمعقول الذى يعرفه أهل العقل .

وروى المعارض أيضا عن ابن عباس ، الركن يمين الله فى الأرض يضافح به خلقه ، فروى عن هذا الثلجى عن غير سماع منه أنه قال : يمين الله نعمته وبركته وكرامته : لايمين الأيدى .

فيقال لهذا الثلجى الذى يريد أن ينفى عن الله هذه الضلالات يديه اللتين خلق بهما آدم ، ويلك أيها الثلجى . إن تفسيره على خلاف ما ذهب إليه ، وقد علمت يقينا أن الحجر الأسود ليس بيد الله نفسه ، وأن يمين الله معه على العرش غير بائن منه ، ولكن تأويله عند أهل العلم : أن الذى يضافح الحجر الأسود ويستلمه كأنما يضافح الله ، كقوله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) فثبت له اليد التى هى اليد عند ذكر المبايعة ، إذ سمى اليد مع اليد ، واليد معه على العرش . وكقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الصدقة تقع فى يد الرحمن قبل يد السائل) فثبت بهذا الله اليد التى هى اليد ، وإن لم يضعها المتصدق فى نفس يد الله : وكذلك تأويل الحجر الأسود إنما هو إكرام للحجر الأسود وتعظيم له وتشبث ليد الرحمن ويمينه لا النعمة كما ادعى ابن الثلجى الجاهل فى تأويله ، وكما يقدر أن يكون مع كل صاحب نجوى وفوق عرشه كذلك يقدر أن تكون يده فوق أيديهم من فوق عرشه .

وكذلك ادعى الجاهل ابن الثلجى أن الله خلق آدم بيده قال : بنعمته التى أنعم بها عليه ، فخصه بما خص من كراماته .

فيقال لهذا الثلجى البقباقي النفاق . لو كنت ممن يعقل شيئا من وجوه الكلام لعلمت أن هذا تأويل محال من كلام ليس له نظام . ويلك أى شيء من خلق الله من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو بهيمة لم ينعم الله عليه فى خلقه ، إذ خلقه حتى خص بنعمته آدم ، ومن عليه بذلك من بين هؤلاء الخلائق ، أى منقبة لآدم فيها إذ كل هؤلاء خلقوا بنعمته ، كما خلق آدم ؟

وأعجب من هذا قول الثلجى الجاهل فيما ادعى : تأويل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين) فادعى الثلجى أن النبى صلى الله عليه وسلم تأول كلتا يديه يمين : أنه خرج من تأويل الغوليين أنها يمين الأيدى . وخرج من معنى اليدين إلى النعم . يعنى بالغوليين أهل السنة ، يعنى أنه لا يكون لأحد يمينان ، فلا يوصف أحد بيمينين ، ولكن يمين وشمال بزعمه .

قال أبو سعيد : ويلك أيها المعارض إنما عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد أطلق على التى في مقابلة اليمين الشمال . ولكن تأويله : وكلتا يديه يمين ، أى منزه عن النقص والضعف ، كما فى إيدينا الشمال من النقص ، وعدم البعش . فقال (كلتا يدي الرحمن يمين) لإجلالة الله وتعظيمه أن يوصف بالشمال ، وقد وصفت يده بالشمال واليسار ، وكذلك لو لم يجر إطلاق الشمال واليسار لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولو لم يجر أن يقال : كلتا يدي الرحمن يمين ، لم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا قد جوزة الناس فى الخلق ، فكيف لا يجوز ابن الثلجى فى يدي الله أنها جميعا يمينان ؛ وقد سمى من الناس ذا الشمالين ؟ فجاز نفى دعوى ابن الثلجى أيضا ، وخرج ذو الشمالين من معنى أصحاب الأيدى .

ثم ادعى الجاهل أيضا : أن هذا من النعم والافضال كقول الشاعر .

سأبكيك للدينيا وللعين إننى رأيت يد المعروف بعدك شلت

نفس المعروف ليس له يد . وإنما المعالى له يد حقيقة . فهى التى تشل .

ويلك أيها الثلجى ، أعلم بوجوه العربية ولغات العرب وأشعارهم من هو أعلم بها منك ؟ هذا ههنا فى المعروف جائز على المجاز ، لا استحيل . وفى يد الله اللتين يقول (خلقت بهما آم) يستحيل أن تصرفا إلى غير اليد ، لأن المعروف ليس له يدان ، يقبض بهما ويبسط ، ويخلق ويبطش . فيقال : يد المعروف مثلا . ولا يقال : فعل المعروف بيده كذا ، وخلق بيده كذا وكتب بيده كذا ، كما يقال : خلق الله آدم

بيده ، وكتب التوراة بيده ، ذاك في سياق القول بين معقول . وهذا في سياق القول بين معقول . من صرف منها شيئاً إلى غيره معناه المعقول جهل ولم يعقل .

أو لم يكفك أيها الثالجي كثرة ما نسبت وإمامك المريسى إلى الله تعالى في نفى اليدين عنه بهذه الأغلوطنات ؟ وما حسدتما أباكما آدم في خلقه بيد الرحمن في صدر كتابك ، حتى عدت لأفصح منها في آخر الكتاب . فادعيت أن يدى الله اللتين خلق بهما آدم قدرته ونعمته . فامتن على آدم بما ركب فيه .

ويحك ، وهل بق أحد من خلق الله لم يخلقه بقدرته ، حتى يمتن على آدم بهذه النعمة من بين الخلائق ؟ هذا حال لا يستقيم في تأويل . بل هو أبطل الأباطيل .

وأشد منه استحالة ما ادعيت في حديث سلمان الفارسي (إن الله خر طينة آدم ثم خلطها بيده . فخرج كل طيب يمينه ، وكل خبيث بشماله ، ثم مسح لإحدى يديه بالأخرى) فادعيت أيها المعارض له تفسيراً من قبلك : أنه لما امتن الله على آدم بنعمته ، كانت تلك النعمة مخالطة . وقال يديه : بنعمته وقدرته ، هكذا .

فيقال لهذا المعارض : إذا خلط قدرته بنعمته فساهما يديه في دعواك . فما بال هذه المنة وضعت على آدم من بين الخلق ، وكل الخلق في نعمته وقدرته بمنزلة واحد ؟ إذ كل خلق هم في دعواك بنعمته وقدرته لا بيديه . وكيف يجوز أن يخلط القدرة بالنعمة ، والقدرة غير مخلوقة ، والنعمة كلها مخلوقة ؟ هذا كلام لا يخرج من جوف عاقل ، وما يوفى لمثله إلا كل جاهل .

ثم رويت عن الحسن البصري أنه قال في قول الله (يد الله فوق أيديهم) قال (نعم الله) فمعن رويت هذا عن الحسن ؟ فاكشف عن رأسه ، فإنك لا تكشف عن ثقة .

وقد أكثرنا النقض عليك وعلى إمامك المريسى وابن الثلجى فى تفسير اليد فى صدر كتابنا هذا ، غير أنك أعدته فى آخر الكتاب فأعدنا هنا .

النقض على ما ادعاه المعارض فى الوجه

ثم لما فرغت من إنكار اليمين ونفيتهما عن الله ، أقبلت قبل وجه الله ذى الجلال والإكرام لتنتفيه عنه بمثل هذه العمائيات ، كما نفيت عنه اليمين ، فرعمت أن وكيعا روى عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة (أن العبد إذا قام يصلى أقبل الله عليه بوجهه الكريم . فلا يصرفه عنه حتى يكون هو الذى ينصرف أو يحدث نفسه حديث سوء .

ثم قلت أيها المعارض : إن هذا يحتمل أن الله يقبل عليه بنعمته وإحسانه وإفضاله ، وما أوجب للصلى من الثواب كما قال (فثم وجه الله) و (كل شيء هالك إلا وجهه) وكقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) أى يبقى الله وحده . فإن قال قائل : والله وجه ؟ قل له : إن كنت تريد (كل شيء هالك إلا وجهه) و (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) و (أينما تولوا فثم وجه الله) فقل له الحق ، وإن أردت عضوا كما ترى من الوجوه فهو الخالق لهذه الوجوه ، فقد يحتمل أن يقال : هذا وجه الشيء ، ووجه الأمر . وتقول : هذا وجه الثوب ووجه الحائط . فقل له (وجه ربك) ما توجه إلى ربك من الأعمال الصالحة . وقوله (أينما تولوا فثم وجه الله) يقول ثم قبله الناس يترجعون إليها . وقوله (ثم وجه الله) ثم قبله الله .

فيقال لهذا المعارض : لم تدع غاية فى إنكار وجه الله ذى الجلال والإكرام ، والجحود به وبآياته التى تنطق بالوجه . قد ادعيت أن وجه الله الذى وصفه : (ذو الجلال والإكرام) مخوق . لأنك ادعيت أنها أعمال مخلوقة . يتوجه بها إليه : ونعم وإحسان : والأعمال كلها مخلوقة لاشك فيها . فوجه ربك ذى الجلال والإكرام فى دعواك مخلوق . وزعمت أيضا أنها قبله الله . والقبلا أيضا مخلوقة . فادعيت

أن كل ما ذكره الله في كتابه من ذكر وجهه ؛ وجه مخلوق . ليس الله منها وجه صفة . ولا هو ذو وجه في دعواك . وكتاب الله المكذب لك في دعواك ، وهو ما تنوت أيها المعارض من هذه الآيات التي كلها ناقضة لمذهبك . وأخذة بحلقك ، أو تأثر تفسير هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأثر مأثور منصوص مشهور . ولن تفعله أبدا . لما قد روى عنه خلافه وهو قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال (النظر إلى وجه الله) أفيجوز أن يتأول هذا : أنه قال : الزيادة النظر إلى الكعبة ، أو إلى أعمال المخلوقين وكان يدعو (اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك) فيجوز في تأويلك أن يقول : اللهم أني أسألك لذة النظر إلى الأعمال الصالحة من أعمال خلقك ، أم إلى القبله ؟

ويلكم ، ما سبقكم إلى هذه الفرية على الله إنس ولا جان ، ولا فرعون من الفراعنة ، ولا شيطان .

وأعظم من ذلك : دعواك أن وجه الله كوجه الثوب والحائط الميت ، الذي لا يوقف منها على وجه ولا ظهر ، ما تركتم من الكفر بوجه الله غاية ، ولو قد تكلم بهذا رجل بالمغرب لوجب على أهل المشرق أن يغزوه ، حتى يقتلوه غضبا وإجلالا لوجه الله ذي الجلال والإكرام .

أرايتك أيها الجاهل ، إن كان وجه الله عندك قبله ، والأعمال التي ابتغى بها وجهه ، وكوجه الثوب والحائط . أفيجوز أن يقال للقبله وأعمال العباد : ذو الجلال والإكرام ؟ فقد علم المؤمنون من خلق الله أنه لا يقدر وجه بذي الجلال والإكرام غير وجه الله تعالى .

وأما تكريرك وتهويلك علينا بالأعضاء والجوارح . فهذا ما لا يقوله مسلم . غير أننا نقول كما قال الله (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) أنه عني به الوجه الذي هو الوجه عند المؤمنين ، لا الأعمال الصالحة ، ولا القبله ،

ولا ما حكيته من الخرافات كاللاعب بوجه الله . وكذلك قوله (كل شيء هالك إلا وجهه) يقول كل وجه هالك إلا وجه نفسه تعالى ، الذى هو أحسن الوجوه ، وأجل الوجوه ، وأنور الوجوه ، الموصوف بذى الجلال والاكرام ، الذى لا يستحق هذه الصفة غير وجهه . وأن الوجه منه غير اليدين ، واليدين منه غير الوجه ، على رغم الزنادقة والجهمية .

وسنذكر فى ذكر الوجه آيات وآثارا مسندة . ليعرضها أهل المعرفة على تفسيرك هذا ، هل يحتمل شيء منها شيئا منه ؟ فإن كنت لا تؤمن بها فخير منك وأطيب من عباد الله المؤمنين من قد آمن بها .

قال الله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) و (كل شيء هالك إلا وجهه) وقوله (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) و (أينما تولوا فثم وجه الله) (إنما نعظمكم لوجه الله) فالخيبة لمن كفر بهذه الآيات كلها أنها ليست بوجه الله نفسه ، وأنها وجوه مخلوقة .

وبما يوافقه من صحاح أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثناه عثمان ابن أبى شيبة حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة ، عن أبى موسى الأشعرى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال : إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه . يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره) .

أفستقيم أيها المعارض أن يتأول هذا أنه أحرقت سبحات وجهه الأعمال الصالحة ووجه القبة ، كل شيء أدركه بصره . ما يشك مسلم فى بطوله واستحالته ، أم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى حدثناه سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله قال (لما نزلت) قل هو القادر

على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك .

أفيجوز أيها المعارض أن يتأول هذا : أعوذ بشوابك الأعمال التي يتبغى بها وجهك وبوجه القبلة ؟ فإنه لا يجوز أن يستعاذ بوجه شيء غير وجه الله ، وبكلماته ، لا يستعاذ بوجه مخلوق .

ومن ذلك ما حدثناه سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب عن أبيه ، عن عمار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان يدعوا اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك) .

أفيجوز لك أن تقول في هذا : لذة النظر إلى قلبك وإلى الأعمال التي ابتغى بها وجهك ؟

ومن ذلك ما حدثنا يحيى الخاني وابن أبي شيبة أبو بكر ، عن شريك ، عن إسحاق عن سعيد بن نمون ، عن أبي بكر الصديق في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الزيادة النظر إلى وجهه سبحانه وتعالى .

أفيجوز أن يتأول هذا : أنه النظر إلى وجه الأعمال التي ابتغى بها وجه الله أو وجه القبلة ؟

وكذلك قال صلى الله عليه وسلم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال (النظر إلى وجه الله تعالى) .

حدثنا موسى بن إسماعيل وغيره ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وحدثنا أحمد بن يونس ، عن أبي شهاب الخناط ، عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر ، عن ابن عمر رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم (أن أهل الجنة إذا باغ

النعم منهم كل مبلغ ، وظنوا أن لا نعيم أفضل منه ، تجلى لهم الرب ، فنظروا إلى وجه الرحمن فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن ،

أفيجوز أن تناول هذا أنه يتجلى لأهل الجنة فنظروا إلى وجه القبلة وإلى الأعمال الصالحة . كأن النظر إلى وجه القبلة في دعواك آثر عندهم بما هم فيه من نعيم الجنة .

ومن ذلك : ما حدثنا عبد الله بن رجاء البصري ، عن المسعودي ، عن عبد الله بن المحارق ، عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود : إن العبد إذا قل ، الحمد لله ، ولا إله إلا الله ، وسبحان الله والله أكبر وتبارك الله ، حط عليهن ملك . فضمن تحت جناحه فصعد بهن ، لا يمر على قوم من الملائكة إلا استغفروا لقائله ؛ حتى يحيي بهن وجه الرحمن . وقرأ له عليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، أفيجوز لك أن تناول أن هذا الملك يصعد بهن حتى يحيي بهن وجه القبلة في السماء والقبلة في الأرض ؟ قد علمت أيها المعارض وعلم كل ذى فهم وعلم أن هذه تفاسير مقلوبة ، ومغاليط لا يستقيم شيء منها في القياس . فكيف في الأثر ؟ ولا يهدي شيء منها إلى هدى ، ولا يرشد إلى تقى .

ومن ذلك : ما حدثنا عبد الله بن أبي شيبه ، عن وكيع ، عن سفیان ، عن أبي إسحق عن عامر بن سعد ، عن مسلم بن بدير عن حذيفة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : « الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله . »

وعن أبي معاوية جو يير عن الضحاك ، وعن جرير عن ليث عن عبد الرحمن ابن سابط . وحدثناه الحمانى عن وكيع عن أبي بكر الهذلى عن أبي تيممة الهجيمى عن أبي موسى الأشعرى قال أبو سعيد : كلهم قالوا : « الزيادة والنظر إلى وجه الله ، ولم يقل أحد منهم : إلى وجه القبلة ، ووجوه الأعمال الصالحة ، كما ادعت .

وعلى تصديق هذه الآثار والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والعلم . ولو لم يكن إلا ما رويت أيها المعارض عن وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة ، أن العبد إذا قام يصلى أقبل الله عليه بوجهه ، فادعيت أنه يقبل عليه بنعمته وثوابه ، وأنه قد يقال : وجه الله في الحجاز ، كما يقال : وجه الحائط ، ووجه الثوب .

ويلك . فهذا مع ما فيه من الكفر محال في الكلام . فإنه لا يقال شيء ليس من ذوى الوجوه : أقبل بوجهه على إنسان أو غيره إلا والمقبل بوجهه من ذوى الوجوه وقد يجوز أن يقال : لثوب وجه ، ولحائط . ولا يجوز أن يقال : أقبل الثوب بوجهه على شيء أو على المشتري ؛ وأقبل الحائط بوجهه على فلان . لا يقال أقبل بوجهه على شيء إلا من له القدرة على الإقبال . وكل قادر على الإقبال ذو وجه . هذا معقول مفهوم في كلام العرب . فإن جهلته فسم شيئا من الأشياء ليس من ذوى الأوجه يجوز لك أن تقول ، أقبل بوجهه على فلان . فإنك لا تأتى به . فافهم . وما أراك ولا إمامك تفهمن هذا وما أشبهه ولولا كثرة من يستنكر الحق ويستحسن الباطل ويستحسن الباطل ما اشتغلنا كل هذا الاشتغال بتثبيت وجه الله ذى الجلال والإكرام . ولو لم يكن فيه إلا اجتماع الكلمة من العالمين ، أعوذ بوجه الله العظيم . وأعوذ بوجهك يارب ، وجاهدت ابتغاء وجه الله . وأعتقت لوجه الله . لكان كافيا بما ذكرنا . إذ عقلته النساء والصبيان ، والبر والفاجر ، والعربي والعجمي ، غير هذه العصابة الزائغة الملحدة في أسماء الله ، المعطلة لوجه الله وجميع صفاته عز وجل وجهه ، وتقديست أسماءه . لقد سببتم الله بأقبح مما سبته (قالت اليهود يد الله مغلولة) وقلتم أنتم : يد الله مخلوقة كلها . لما ادعيتم أنها نعمته ، ورزقه ، لأن النعمة والأرزاق مخلوقة كلها . ثم زدتم عليها فادعيتم أن وجه الله مخلوق . إذ ادعيتم أن وجهه وجه القلبة ووجوه الأعمال الصالحة ، وكوجه الثوب والحائط . وهذه كلها مخلوقة . فادعيتم أن علمه وكلامه وأسماءه محدثة مخلوقة . فابقى لكم إلا أن تقولوا . هو بكلامه مخلوق . فلذلك قلنا إنكم سببتم الله بأقبح مما سبته اليهود .

وروى المعارض عن شاذان عن حماد بن سلة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلعم قال : (دخلت على ربي في جنة عدن شاب جمعد في ثوبين أخضرين) وليس هذا من الأحاديث التي يجب على العلماء نشرها في أيدي الصبيان ، فإن كان منكرا عند المعارض ، فكيف يستنكره مرة ثم يثبته أخرى ، فيفسره تفسيرا أنكر من الحديث ؟ والله أعلم بهذا الحديث وبعاته . غير أني أستنكره جدا لأنه يعارضه حديث أبي ذر أنه قال لرسول الله صلعم : (هل رأيت ربك ؟ فقال نور أني أراه ؟) ويعارضه قول عائشة رضي الله عنها : (من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية وتلت : (لا تدركه الأبصار) فهذا هو الوجه عندنا فيه . والتأويل والله أعلم . لا ما ادعيت أيها المعارض أن تفسيره : إني دخلت على ربي في جنة عدن . كقول الناس : أتيناك ربنا شعنا غربا من كل فج عميق ، لتغفر لنا ذنوبنا ، وهذا تفسير محال لا يشبهه ما شئت لأن في روايتك أنه قال : (رأيته شابا جمعدا في ثوبين أخضرين) ويقول أولئك . أتيناك شعنا غربا أي فصدنا إليك نرجو عفوك ومغفرتك . ولم يقولوا أتيناك فرأيناك شابا جمعدا في ثوبين أخضرين لتغفر لنا . هؤلاء فصدوا قصد الثواب والمغفرة ، ولم يصفوا الذي فصدوا إليه بها^(١) والرجوع عنه .

وروى المعارض أيضا عن عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح عن أبي يحيى عن أبي يزيد عن سلام عن ثوبان أن النبي صلعم قال : أتاني ربي في أحسن صورة فقال : يا محمد ، فيم يختصم الملك الأعلى ؟ فقلت : يارب لا علم لي . فوضع يده بين كتفي ، حتى وجدت برد أنامله في صدري . فتجلى لي ما بين السماء والأرض ،

فادعى المعارض أن هذا يحتمل أن يقال : أتانى ربى من خلقه بأحسن صورة فانتقى تلك الصورة ، وهى غير الله . والله فيها مدبر . فوضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله فى صدرى ، يعنى تلك الصورة التى هى من خلقه . والانامل لتلك الصورة منسوبة إلى الله على معنى أن الخلق كله لله .

فيقال لهذا المعارض : كم تدحض فى قولك وترتطم فيما ليس لك به علم . أرايتك إذا ادعيت أن هذه كانت صورة من خلق الله سوى الله أتمته ، فقالت له : هل تدري يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى ، أفتأول على رسول الله صلعم أنه أجاب صورة غير الله فقال لها ، يارب لا أدرى ، فدعاها ربا ، دون الله ، أم أتمته صورة مخلوقة فقال النبي صلعم ، أتانى ربى ، إن هذا كفر عظيم ادعيت على رسول الله صلعم . وأية صورة تضع أناملها وكفها فى كتف النبي صلعم فينتجلى له بذلك ما بين السماء والأرض غير الله ؟ ففى دعواك التى ادعيت على رسول صلعم أنه أقرب الربوبية لصورة مخلوقة غير الله لأن فى روايتك : أن الصورة قالت له ، هل تدري يا محمد ، يقال لها ، لا يارب ، وهل يمكن أن تكون صورة مخلوقة تضع أناملها فى كتف نبي مثل محمد ، فينتجلى له فى ذلك ما بين السماء والأرض أمور لم يكن يعرفها من قبل أن تضع تلك الصورة كفها بين كتفيه ؟ ويحك لا يمكن هذا لجبريل ولا ميكائيل ولا إسرافيل . ولا يمكن هذا غير الله ، فلم تجلب على نفسك من الجهل والخطأ ، وتتقلد من تفاسير الاحاديث الضعيفة ما لم يرزقك الله معرفتها ، ولا تأمن من أن يحرك الله بذلك إلى كفر بالذى تأولت على رسول الله صلعم أن صورة مخلوقة كتبه فأجابها محمد ، يارب ، أم لله صورة لم يعرفها . فقال : أتانى ربى ، لما أن الله فى تلك الصورة مدبر ؟ ففى دعواك يجوز لك ، كلما رأيت كلبا أو حماراً أو خنزيراً قلت : هذا ربى . لما أن الله مدبر فى صورهم فى دعواك . وجاز لفرعون فى دعواك

أن يقول: (أنا ربكم الأعلى) لما أن الله مدبر في صورته بزمك ، هذا أبطل باطل لا ينبج إلا في أجمل جاهل .

ويلك إن تأويل هذا الحديث على غير ما ذهب إليه لما أن رسول الله صلعم قال في حديث أبي ذر إنه لم ير ربه . وقال رسول الله صلعم : لن تروا ربكم حتى تموتوا ، وقالت عائشة رضى الله عنها : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله على الله النفرية ، وأجمع المسلمون على ذلك، مع قول الله (لا تدركه الأبصار) يعنون أبصار أهل الدنيا . وإنما هذه الرؤية كانت في المنام . وفي المنام يمكن رؤية الله على كل حال وفي كل صورة .

كذلك روى معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلعم أنه قال : صليت ما شاء الله من الليل . ثم وضعت جنبي . فأتاني ربي في أحسن صورة ، فحين وجد هذا لمعاذ بن جبل كذلك صرفت الروايات التي فيها إلى ما قال معاذ . فهذا تأويل هذا الحديث عند أهل العلم . لا ما ذهب إليه من الجنون والخرافات . فزعمت أن الله بعث إلى النبي صلعم صورة في اليقظة كلمته فقال لها النبي في صلعم : يارب . غير أني أظنك لو دريت أنه يخرجك تأويلك إلى مثل هذه الضلالات لأمسكت عن كثير منها . غير أنك تكلمت على حد الجواز أمنا من الجواب ، غارا أن ينتقد عليك . ا

وقد روى المعارض أيضا عن الأعمش عن أبي وائل قال : بينما عبد الله يمجده ربه إذ قال معضل : نعم المرتضى ربنا . فقال عبد الله إني أجله عن ذلك ولكن ليس كمثله شيء . .

فادهى المعارض في تفسيره تخليطا من الكلام ، غير أنه قال الشخص في قوله شيء . ولا يجوز أن يوصف الله إلا بما وصف به نفسه . فأظن به أنه يعنى به أن الشيء لا يخلو من أن يكون شخصا . والله لا يوصف بأنه شيء .

فإن كان هذا المعارض ذهب إلى هذا التأويل فهذا محض الزندقة لأن الله أعظم الأشياء . وأكبر الأشياء ، وخالق الأشياء (ليس كمثله شيء) نور السموات الأرض

من نور وجهه ، كما قال ابن مسعود . حدثنا موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن أبي عبد السلام عن أيوب بن عبد الله الفهري عن ابن مسعود رضى الله عنه «ولأنه ليس من نور مخلوق إلا وله منزل ومنظر فكيف النور الأعظم خالق الأنوار ؟» .

وذكر المعارض أيضا عن ابن عيينة عن حميد الأعرج عن مجاهد قال « يقول داود يوم القيامة : أدنى . فيقال له : أدنه . فيدنو حتى يمس ركبته ، فادعى المعارض أن تأويله : يدنيه إلى خلق من خلقه ، ذي ركبة حتى ، يمس ركبة داود ركبته ذلك . قال : ويحتمل أن يتقرب إليه بالعمل الصالح .

فلو كان لهذا المعارض من يقطع لسانه كان قد نصحه . ويحك ، عن أى زنديق تروى هذه التفاسير ولا تسميه ؟ وأى درك لداود إذا استغفر الله لذنبه ، ولجأ إليه واستعاذ به في أن يدنيه إلى خلق سواه ، فيمس ركبته . وما يجرى عن داود ركبة ذلك المخلوق إذا مس داود النبي ركبته غفر ذنبه ، وأمن روعته ، إن ذلك خلق كريم على ربه أكرم من داود ومن جميع الأنبياء في دعواك ، إذ جعله مفرعا للأنبياء ، ومعولا عليه في ذنوبهم . يحكم على الله في مغفرته ، فيغفر لمن يشاء . ويرحم من يشاء يوم القيامة دون الله ؟ ولا بد لمثل هذا الخلق أن يكون سبق له من الله اسم في الملائكة ، أو في النبيين . فما اسمه أيها الجاهل ؟ لو تكلم بهذا الشيطان ، أو مدمن خمر مسكران ، ما زاد عليك جهلا . فكيف إنسان ؟

وأعجب من ذلك قولك : إنه يتقرب إليه يومئذ بالعمل الصالح لا بالدنو منه . أولم تعلم أيها المعارض أن يوم القيامة ليس بيوم عمل . إنما هو يوم جزاء الأعمال التي يتقرب بها إلى الله في الدنيا ؟ فكيف رفع الله العمل يومئذ عن جميع المسلمين وأوجبه على داود ؟ قلت : وكذلك ما روى المسعودى عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبادة ، أن الرب يبدو لأهل الجنة في كل جمعة على كتيب من كافور . فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة في الدنيا ، فادعيت أن تفسير قوله هذا من القرب : أنه يبدو لهم بظهور الدلالات ، وبذل الكرامات

لأوليائه ، فيظهر بما فعل دلالة وعلاماته لا هو نفسه فيقال لك : أيها المعارض ،
بئسما أثبت على أولياء الله أنهم لم يعرفوا الله بدلالاته وعلاماته ورسالات نبيه
وما أنزل في كتبه في الدنيا قبل مقامهم حتى يعرفوه بها في الآخرة إذ ماتوا كفارا
في دعواك ، جهالا بالله وبدلالاته ، فإن كانوا كذلك في دعواك لم يكونوا إذا
أولياء الله ، إذ لم يموتوا على حقيقة معرفة الله ، ولا استحقوا الكرامات من الله
ولم يكونوا أهلا في دعواك أن يبدو لهم في كتيب من كافور بل يحتاج عنهم ،
إذ لم يعرفوه بدلالاته وعلاماته ورسالات نبيه ، إلا يوم لا ينفع نفساً إيمانها
لم تكن آمنت من قبل ، إذ كل كافر ومناق يعرفه يومئذ بدلالاته وعلاماته . فا
فضل المؤمن عندك في هذا على الكافر ؟

ثم فسرت قول عبد الله : « إنهم يكونون في القرب منه على قدر تسارعهم إلى
الجمعة ، أن ذلك يقرب إليه العمل الصالح كما قال الله « من تقرب إلى شبرا تقرب
منه ذراعا » .

ويلك أيها الحيران ، إنما قال الله « من تقرب إلى شبرا تقرب منه ذراعا ،
في الدنيا بالأعمال الصالحة لا في الآخرة يوم ترفع الأعمال عن العباد .

لقد تقلدت أيها المعارض من تفاسير هذه الأحاديث أشياء لم يسبقك إليها
فصحيح ولا عجمي . ولو قد عشت لقلبت العربية على أهلها إن شاء الله .

ثم قالت : وهذا كقول ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في النجوى : « إنه
يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كتفه فيقرره بذنوبه ، فيقول : سترتها
عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فلت فتفسيره « كتفه ، نعمته وستره
وعافيته . فتأويل هذا أنه على السر مع القرب والدنو والمناجاة التي قالها النبي صلى
الله عليه وسلم ، وأنت بجميعها منكروا وعلى من آمن بها مغتاظ .

الحجب التي احتجب الله بها عن خلقه

ثم طعن المعارض في الحجب التي احتجب الله بها عن خلقه . فقال : روى وكيع ، عن سفيان ، عن عبيد المكتب ، عن مجاهد ، عن عمر (احتجب الله عن خلقه بأربع : بنار ، وظلمة ، ونور) ففسره المعارض تفسيراً يضحك منه فقال : يحتمل أن تكون تلك الحجب آيات يعرفونها ، ودلائل على معرفته أنه الواحد المعروف . إذ عرفهم بدلالاته . فهي آيات لو قد ظهرت للخلق لكانت معرفتهم كاليان بها .

فيقال لهذا المعارض : عن رويت هذا التفسير ؟ ومن أي شيطان تلقيته ؟ ومن ادعى قبلك أن حجب الله آياته التي احتجب بها ؟ فما معنى قول الله (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) ؟ أمعناه عندك ؟ من وراء الدلالات والعلامات ؟ أم قوله (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أهو عندك أن لا يروا يومئذ أنه الواحد المعروف بالوحدانية ، وأنه ليس أحد يوم القيامة في دعواك عنه محجوب لما أن كلا يرى يومئذ دلالاته وعلاماته وآياته . وكل يعرف يومئذ أنه الواحد الأحد . فما موضع الحجاب يومئذ ؟ وكيف صارت تلك الدلالات من نار ، ونور ، وظلمة ؟ وما يصنع بذكر النار والنور والظلمة هاهنا في الدلالات والعلامات ؟

قلت : وكذلك حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم (أن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام : حجاب به النار . لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره) ثم قلت : فتأويل الحجاب في هذا الحديث مثله في الحديث الأول : هي الدلالات التي ذكرها ، وعلى أن الدلالات كشف عن الشيء لا حجاب ولا غطاء .

ثم قلت . فتأويل قوله (لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه) لو كشف تلك النار لأحرقت سبحات وجهه ذلك العلم الدال عليه .

قلت : ويحتمل قوله (سبحات وجهه) ذلك العلم . وذلك العلم وجهه يتوجه برؤيته إلى معرفة الله . كقوله (فثم وجه الله) قلت قبله الله .

فيقال لهذا المعارض : نراك أكثر لجاجتك في رد هذا الحديث ، إنكاراً منك لوجه الله ، إذ يجعل ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين معقول في سياق اللفظ أنه وجه الله نفسه ، فجعلته أنت وجه العلم ، ووجه القبلة ، والا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حجاب الله النار ، لو كشفها عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره : فإن لم تتحول العربية عن معقولها لأنه لوجه الله حقاً كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كانت سبحات وجوه الأعلام لقال النبي صلى الله عليه وسلم . ولو كانت سبحات وجوه الأعلام لقال النبي صلى الله عليه وسلم حجابها النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجوه الخلق . والخلق كلها . وما بال تلك النار تحرق من العلم سبحاته ، وتترك سائرته ؟ وإنما تفسير السبحات الجلال والنور فأى نور لوجوه الخلق حتى تحرقها النار منهم ؟ وما للنار تحرق منهم سبحاتهم بعد أن يكشفها الله عن وجهه . ولا تحرقها قبل الكشف ؟ فلو قد أرسل الله منها حجاباً واحداً لأحرقت الدنيا كلها . فكيف سبحات وجوه الخلق ؟ ويحك إن تأويل هذا بين ، لا يحتاج إلى تفسير ، وإنما قول احتجب الله بهذه النار عن خلقه بقدرته وسلطانه ، لو كشفها لأحرق نور وجه الرب وجلاله كل ما أدركه بصره وبصره مدرك كل شيء ، غير أنه يصيب ما يشاء ، ويصرفه عما يشاء .

كما أنه حين تجلى للجبل تجلى لذلك الجبل خاصة من بين الجبال . ولو قد تجلى لجميع جبال الأرض لصارت كلها دكا . كما صار جبل موسى . ولو قد تجلى لموسى كما تجلى للجبل لجعله دكا . وإنما خر موسى صمغاً بما هاله من الجبل ، بما رأى من صوته حين دك فصار في الأرض .

وحدثنا موسى بن إسماعيل ، عن وهب ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن

النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم في كسوف الشمس والقمر فقال (إنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته . ولكن الله إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له) .

وإتاما كانت تحرق سبحات وجهه لو كشفها كل شيء في الدنيا ، لأن الله كتب الإناء عليها ، وركب ماركب من جوارح الخلق للفناء . فلا يحتمل نور البقاء . فتحترق به أو تدك ، كما دك الجبل . فإذا كان يوم القيامة ركبنا الأبصار والجوارح للبقاء ، فاحتملت النظر إلى وجهه ، وإلى سبحاته ونور وجهه من غير أن يحرق أحدا . كما لو أن أجسم رجل وأعظمه وكله لو ألقى في الدنيا في تنور مسجور لصار رمادا في ساعة فهو يحترق في نار جهنم ألف عام وأكثر ونارها أشد حرا من نار الدنيا سبعين ضعفا ، لا يصير فيها رمادا ، ولا يموت (كلما نفخت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليدوقوا العذاب) لأن أجسامهم وأبصارهم وأسماعهم تركبت يومئذ للبقاء . فاحتملت من عذاب جهنم ما لم تكن تحتمل جزءا من ألف جزء من عذاب الدنيا . وكذلك أولياء الله تعالى تحتمل أبصارهم النظر إلى وجه الله . ولو قد أدركهم شيء من سبحات وجهه في الدنيا لاحترقوا . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تحتملها أبصارهم . فهذا تأويل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تدل عليه ألفاظه ، لا ما تأولت له من التفسير المقلوب ، الذي لا يتقاس للفظ الحديث ، إلا أن ينقلب لفظه كما قلبت تفسيره . فأربح العناء ، إن ظاهر ألفاظه تشهد عليك بالكذب بالتوحيد .

وسنذكر بعض ما ذكر في القرآن وفي الروايات من أمر الحجب ليعرضها كل عاقل على قلبه : هل يتقاس كل منها على ما تأولت ؟

أول ذلك ما رويته أيها المعارض عن أبي موسى . عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى قال (قال فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع

فقال : إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام . يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل ، قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل . حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره)

وحدثنا علي بن المديني حدثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشر الأنصاري قال سمعت طلحة بن خراش يقول سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله لا يكلم أحدا إلا من وراء حجاب) .

وحدثنا عمرو بن عون أخبرنا هشيم ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : (من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية) لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) و (ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) .

أفيجوز أن يتأول هذا أن الله لم يكلم بشرا إلا من وراء الآيات والعلامات ؟

وحدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان ، عن عبد المسكتب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضي الله عنه قال : (احتجب الله من خلقه بأربع : بنار وظلمة ونور وظلمة) أفيجوز أن يتأول على الله في هذا الحديث بأربع علامات ، وأربع دلائل ونار وظلمة ونور وظلمة ؟

وحدثنا موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي عمران الجوني ، عن زرارة ابن أوفى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جبرائيل . هل رأيت ربك ؟ فانتفض جبريل وقال يا محمد إن بيني وبينه سبعين حجبا من نور لو دنوت من أدناها حجبا لأحترقت أفيجوز أن يتأول على جبريل أن يقول : بيني وبين الله تعالى سبعين علامة ودلالة من نور ، لو دنوت من أدناها لأحترقت ؟ أم يجوز (م ٣٤)

أن يتأول على جبريل أنه لا يستدل على معرفة الواحد الآخر لما رأى وشاهد من آياته وعلاماته إلا بهذه الأربعة الحجب التي ادعت أنها دلائل على معرفة الواحد المعروف ؟ أو لم يكتف جبريل بما رأى وعان من الدلالات والعلامات على معرفة الله ، وهو التفسير بينه وبين رسله ، حتى استدل عليه بالحجب التي ادعت أنها آياته وعلاماته ؟ لورزقت أيها المعارض شيئا من العقل علمت أن ماتدعى زورا وباطلا (١) . ولكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت) .

حدثنا عبد الله بن صالح حدثني يحيى بن أيوب عن المثني عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (احتجب ربنا عز وجل عن خلقه بأربع : بنار ، وظلمة ، ثم بنور وظلمة ، من فوق السموات السبع ، والبحر الأعلى فوق ذلك كله تحت العرش) .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، عن حبابة بنت عجلان الخزاعية عن أم حفص ، عن صفية ابنة جرير عن أم حكيم بنت وداع الخزاعية رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (دعاء الوالدة يفضى إلى الحجاب) .

ويحك أيها المعارض قد علم كل ذى عقل وعلم أن ألفاظ هذه الروايات كلها مخالفة لما ادعت من هذه التفاسير المقلوبة ، وأن الله أكر من ألف آية وعلامة فكيف لم يحتجب منها إلا بأربع جعلها دلالة وعلامة على معرفته ؟ وسائر ما لا يدل في دعواك .

باب إثبات الضحك

ثم أنشأ المعارض أيضا منكرا أن الله تعالى يضحك إلى شيء ضحكاه الضحك طاعنا على الروايات التي نقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسرها أقبح التفاسير ، ويتأولها أقبح التأويل .

(١) كذا في الأصل وصوابه زور وباطل .

فذكر منها حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (يتجلى ربنا ضاحكا يوم القيامة)

وأیضا حديث أبي رزين العقيلي أنه قال (يارسول ، أضحك الرب ، فقال : نعم . فقال لن نعدم من رب يضحك خيرا) .

وحديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم في ضحك الرب .

فادعى المعارض في تفسيره أن ضحك الرب رضاه ورحمته ، وصفحه عن الذنوب ألا ترى أنك تقول : رأيت زرا يضحك .

فيقال لهذا المعارض : قد كذبت بما رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ شبت ضحكك بضحك الزرع ، لأن ضحك الزرع ليس بضحك ، إنما هو خضرته ونضارته ، فجعلته مثلا للضحك . فعمن رويت هذا التفسير من العلماء إن ضحك الرب رضاه ورحمته ؟ فسمه وإلا فأنت المحرف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأويل ضلال ، إذ شبت ضحك الله الحي القيوم الفعال لما يشاء ، ذى الوجه الكريم ، والسمع السميع ، والبصر البصير ، بضحك الزرع الميت الذى لا يضحك له ، ولا قدرة له ، ولا يقدر على الضحك وإنما ضحكك يمثل ، وضحك الله ليس يمثل .

ويحك أيها المعارض إن ضحك الزرع نضارته وزهرته وخضرته . فهو أبدا مادام أخضر ضاحكا (١) لكل أحد للولى وللعُدو ، لمن يسقيه ، ولمن يحصده لا يقصد بضحكه إلى شيء . والله يقصد بضحكه إلى أولياه عندما يعجبه من فعالهم ، ويصرفه عن أعدائه فيما يستخطه من أفعالهم .

فالدليل من فعل الله أنه يضحك إلى قوم ويصرفه عن قوم ، وأن ضحك الزرع مثل على المحاز ، وضحك الله أصل وحقيقة للضحك . يضحك كما يشاء ، والزرع أبدا نضارته وخضرته التى سميت (٢) ضحكا أبدا قائم حتى يستحصد .

(١) كذا فى الأصل وصوابه . ضاحك .

(٢) كذا فى الأصل .

وأما قولاك : إن ضحكك رضا رحمة . فقد صدقت في بعض . لأنه لا يضحك لأحد إلا عن رضى . فيجتمع منه الضحك والرضا . ولا يصرفه إلا عن عدو . وأنت تنفى الضحك عن الله ، وتثبت له الرضا وحده . ولئن جرعت من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الضحك حتى تنفيه عن الله بمعنى ضحك الزرع ، مالك من راحة فيما يروى عنه ابن مسعود رضى الله عنه مما يكذب دعواك ، ويستحيل به تفسيرك .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (آخر رجل يدخل الجنة رجل يمشى يكبو على الصراط مرة وتسفحه النار مرة . فإذا جاوزها التفت إليها . فقال : تبارك الذى أنجاني منك . فترفع له الجنة فيقول : يارب ، ادنني منها ، حتى إنه ليقول : يا ابن آدم ، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ فيقول : يارب أنتهزى بى ، وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود ، ثم قال : ألا تسألنى مم ضحكك ؟ هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : ألا تسألونى مم أضحك ؟ فقالوا مم تضحك ؟ فقال : من ضحك رب العالمين منه حين يقول : أنتهزى بى . فيقول الله تعالى : إني لا استهزى بك ، ولكننى على ما أشاء قادر . فيدخله الجنة) .

أولا تسمع أيها المعارض من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ضحك رب العالمين منه) إنه لا يشبه ضحك الزرع . لأنه لا يقال للزرع . يضحك ، ولا يقال : ضحك من أحد ولا من أجل أحد . وإنما لم نجعل هذا في العربية ، ولكنه على خلاف ما ذهب إليه ، فقد سمعنا قول الأعشى وفهمنا معناه وهو من معنى ضحك الرب بعد إذ يقول :

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعيم النبات مكتمل

فالزراع مادام أخضر فهو ضاحك للشمس أبدا ، لا يخص بضحكه أحد ، ولا يصرفه عن أحد . والله يضحك إلى قوم ويصرفه عن آخرين .

وحدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو يعلى أخبرنا يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حديد ، عن أبي زيد العقيلي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ، قال أبو زيد : أيضحك الرب يا رسول الله ؟ قال نعم . قال : لن نعدم من رب يضحك خيرا) فهذا حديثك أيها المعارض الذي رويته وثبته وفسرته ، وأقررت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قاله ، ففى نفس حديثك هذا ما ينقض دعواك وهو قول أبي رزين للنبي صلى الله عليه وسلم (أيضحك الرب) ولو كان تفسير الضحك الرضى والرحمة والصفح عن الذنوب فقط . كان أبو رزين فى دعواك إذن جاهلا أن لا يعلم أنه ربه يرحم ويرضى ويغفر الذنوب ، حتى يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيرحم ربنا ويغفر ويصفح عن الذنوب ؟ بل هو كافر فى دعواك ، إذ لم يعرف الله بالرضى والرحمة والمغفرة . وقد قرأ القرآن وسمع ما ذكر الله فيه من رحمته ومغفرته وصفحه عن الذنوب ، ما كان له فيه مندوحة عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم : أيغفر ربنا ويرحم ؟ إنما سأله عما لا يعلم لا عن علم ما علم وآمن به قبل . وقرأ القرآن ، فوجد فيه ذكره . ولم يجد فيه ذكر الضحك . فلما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه يضحك قال (لن نعدم من رب يضحك خيرا) ولو كان على تأويلك لاستحال أن يقول أبو رزين للنبي صلى الله عليه وسلم . لن نعدم من رب يرحم ويرضى ويغفر خيرا لما أنه قد آمن وقرأ قبل فى كتابه (إنه غفور رحيم) فاعقله . وما أراك تعقله .

ثم لم تأنف من هذا التأويل حتى ادعيت على قوم من أهل السنة أنهم يفسرون ضحك الله على ما يعقلون من أنفسهم . وهذا كذب تدعيه عليهم . لأننا لم نسمع أحدا منهم يشبه شيئا من أفعال الله بشيء من أفعال المخلوقين . ولكننا نقول . هو نفس الضحك ، يضحك كما يشاء وكما يليق به وتفسيرك هذا منبوذ فى حشك ثم فسرت

تفسيرا أو حش من هذا أيضا فقلت : يحتمل أن يكون ضحكك أن يبدو له خلق من خلق الله ضاحكا بأنهم مبشرا ومعينا ، ودليلا إلى الجنة .

ويحك أيها المعارض : ألا تسمع ما في حديثك الذي رويته وثبته عن أبي رزين قال (قلت : يا رسول الله أيضا ضحك ربنا ؟ قال : نعم) ولم يقل أخلق الله خلقا يضحك . ثم قال (لن نعدم من رب يضحك خيرا) ولم يقل لانعدم من رب يخلق الضاحك . فهذا في نفس حديثك لو قد عقلته ، وأنى لك العقل مع هذا التخليط ؟

وادعيت أيضا تفسيرا للضحك أبعد من هذا من الحق والمعقول فزعمت أن الله يضحك من رجل ، أو من شيء . تفسره أنه يضحك ويسره . وذلك ضحك الله على السنة ، يعنى أن الخلق وضحكهم وكلامهم لله .

فيقال لك أيها المعارض : إذا تحولت العربية إلى لغتك ولغة أصحابك جاز فيها أنكر من هذا التأويل ، وأفحش من هذا التفسير . وهذا أيضا بين في النفس حديثك الذي رويته عن أبي رزين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له (أيضا ضحك ربنا يا رسول الله) ولم يقل يضحك ربنا . ولو قال كذلك لكان جهلا . إذ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا ضحك الرب الخلق ، وقد قرأ في كتاب الله (ولأنه هو أضحك وأبكى) ومحال أن يسأل أحد : أيضا ضحك الله الخلق ، لما قد علم كل الخلق أن الله هو أضحك وأبكى . فلو اشتغلت أيها المعارض فيما تنقلت فيه من مسائل أبي يوسف ومحمد بن الحسن ونظرائهم كان أعذر لك من أن تتعرض لمثل هذه الأحاديث الصعاب والمعاني التي كان يستعفى من تفسيرها العلماء أصحاب العربية البصراء فتفسرها بجمل وضلال .

وسنذكر لك أيضا بعض ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ضحك الرب ما ينقض دعواك ، حتى تضمه إلى حديث أبي رزين وأبي موسى ، فتعلم أن الله لم يوفقك فيها لصواب من التأويل .

حدثنا يحيى الخثاني وأبو بكر بن أبي شيبة ، عن هشيم ، عن مجالد ؛ عن أبي الوداك ، عن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ثلاثة يضحك الله تعالى إليهم يوم القيامة : رجل قام من الليل . والقوم إذا صفوا للقتال والقوم إذا صفوا للصلاة) أفلا ترى أيها المعارض أن هذا الضحك لا يشبه ضحك الزرع الذى تأولته . لأن ضحك الزرع لا يخص به أحدا ولا يصرفه عن أحد . والله تعالى يضحك إلى قوم ويصرفه عن قوم .

حدثنا هشام بن عمار الدهنى ، عن إسماعيل بن عياش حدثني بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن كثير بن مرة ، عن نعيم بن همار قال (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أى الشهداء أفضل ؟ قال الذين يلقون فى الصف ولا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك الذين يتلبطون فى الغرف العلى من الجنة يضحك إليهم ربك وإذا ضحك ربك إلى عبد فى موطن فلا حساب عليه) .

وحدثنا عبد الله بن صالح عن أبي شريح المعافى . عن عبيد الله بن المغيرة عن أبي فراس عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنها قال (يضحك الله إلى صاحب البحر ثلاث مرات : حين يركبه ويخلى من أهله ، وحين يئيد متسطحا ، وحين يرى البر ليسر له) .

حدثنا أحمد بن يونس أخبرنا إسرائيل عن أبي اسحق ، عن أبي الأحوص وأبي الكنود ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال (إن الله يضحك إلى اثنين رجل قام من جوف الليل فتوضأ وصلى ، ورجل كان مع قوم فلقوا العدو فانهمزوا وحمل عليهم فاته يضحك إليه) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله يضحك من رجلين قتل أحدهما صاحبه وكلاهما داخل الجنة مشرك قتل مسلما : ثم يسلم فيشهد بعد » .

حدثنا محبوب بن موسى عن أبي إسحق الفزارى ، عن شفيان بن حسين ، عن

الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وحدثناه القعني ، عن مالك بن أنس ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن بكر البغدادى حدثنا إسماعيل بن زكريا أبو زياد ، عن محمد ابن إسماعيل السلى ، عن عبد الله بن أبي الهذيل أنه سمع ابن مسعود يقول : إن الله يضحك من ذكره في الأسواق .

حدثنا محمد بن عبيد الله بن نمير حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا إسماعيل بن زكريا أبو زياد ، عن محمد بن إسماعيل ، عن عبد الله بن أبي الهذيل أنه سمع ابن مسعود يقول (إن الله تعالى يضحك) .

حدثنا اسحق بن راشد عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : لما توفي سعد بن معاذ صاحت أمه ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا يرقأ دمعك ، ويذهب حزك ؟ فإن ابنك أول من يضحك الله إليه .

ولو لم كان تأويل ضحكه ماشبهت به أيها المعارض من ضحك الزرع ما كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم : أول من ضحك الله إليه ، لأن خضرة الزرع ونضارته بادية لأول ناظر إليها وآخره ، ولا يقصد بضحكه إلى تقى ، ولا يهرفه عن شقى ، فكم تدحض في بولك ، وتعث في قولك ، وتغر من حولك ؟

أولم تقل في صدر كتابك هذا : أن الله لا يقاس بالناس ، ولا يحل للرجل أن يتوهم في صفاته ما يعقله من نفسه ؟ وأنت تقيسه في ضحكه بالزرع . فكيف بالناس وتوهم فيه ما يتوهم بالزرع .

وادعيت أيضا في صدر كتابك هذا أنه لا يجوز في صفات الله اجتهد الرأى ، وأنت تجتهد فيه أقبح الرأى ، حتى من قباحة اجتهدك تخطى به الحق إلى الباطل ،

والصواب إلى الخطأ ، أو لم تذكر في كتابك : أنه لا يحتمل في التوحيد إلا الصواب فقط ، فكيف نخوض فيه بما لا تدري ، أمصيب أنت أم مخطيء ؟ لأن أكثر ما نراك تفسر التوحيد بالظن ، والظن يخطئ . ويصيب . وهو قولك : لا يحتمل في تفسيره كذا ، ويحتمل كذا تفسيراً آخر ، ويحتمل في صفاته كذا ، ويحتمل خلاف ذلك كذا ، ويحتمل في كلامه كذا وكذا ، والاحتمال ظن عند الناس غير يقين ، ورأى غير مبين ، حتى تدعى لله في صفة من صفاته ألواناً كثيرة أنها تحتملها لا تنف على الصواب من ذلك فتختاره ، فكيف تندب الناس إلى صواب التوحيد ، وأنت دائب تحمل صفاته وتقيسها بما ليس عندك يقين ؟ ولكننا نظنك تقول الشيء فتنساه ، حتى يدخل عليك فيه ما يأخذ بحلقك ويكظمك . والعجب من رجل يدعى على قوم زورا وكذبا أنهم يشبهون الله بآدم في صورته ، فيدعى بذلك عليهم كفرا ، وهو يشبهه في يده بأقطع من ذرية آدم وفي بصره بأعمى ، وفي سمعه بأصم ، وفي وجهه بوجه القبلة ووجوه الاعمال الصالحة وفي كلامه بأبكم ، حتى تتوهم في كلامه أنه مثل كلام الجبال والشجر ، وفي ضحكه بالزورع الأخضر . فكيف تميز لنفسك أيها المعارض من ذلك ما يجمعه على غيرك ؟ لقد احتظرت واسما ، أو كلما احتججت لمذهبك من باطل احتمال ، وما احتج غيرك فيه من حق باطل ؟ رويدك بالقضاء فلا تعجل ، فتزل قدمك ، وتستجمل وتفتضح بها عند من عقل . ولئن لم يكن للجهمية من الحجج إلا ما حكيت عنهم من هذه العمايات المستشعة ، والتفاسير المقلوبة ما أسديت إليهم بذكرها نصيحة وقد زدتهم بها فضيحة . أو تضيف إليهم هذه للتشاييع القبيحة ، فكشفت عنهم الغطاء فيما كان بينهم هينة في خفاء .

وروى المعارض أيضا عن الشعبي : أن الله قد ملأ العرش ، حتى إن له أطيطا كأطيط الرجل . ثم فر قول الشعبي : أنه قد ملأه آلاء ونعما ، حتى إن له أطيطا لا على تحميل جسم . فقد حمل الله السموات والأرض والجبال الأمانة فأبين أن يحملنها والأمانة ليست بجسم . فكذلك يحتمل ما وصف على العرش .

فيقال لهذا المعارض : لجلجت بها ولبست حق صرحت بأن الله ليس على العرش ، إنما عليه آلاؤه ونعمائه ، فلم يبق من إنكار العرش غاية بعد هذا التفسير وبلك فإن لم يكن على العرش بزعمك إلا آلاؤه ونعمائه فما بال العرش يسط من الآلاء والنعماء ؟ لكانها عندك أعكام الحجارة والصخور والحديد فيسط منها العرش مع أنك قد جحدت في تأويلك هذا أن يكون على العرش شيء من الله ، ولا من الآلاء والنعماء . إذ شبهتها بما حمل الله السموات والأرض والجبال من الأمانة فأبين أن يحملنها . فقد أقررت بأنه ليس على العرش شيء . لأن السموات والأرض والجبال إذ أبين أن يحملن الأمانة لم يحملن الله شيئا ، بل تركهن خلوا من تلك الأمانة وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا ،

ففي دعواك ليس على العرش شيء من تلك الآلاء والنعماء التي ادعيت ، كالمليس على السموات والأرض والجبال من تلك الأمانة شيء ، فكما أن السموات والأرض والجبال خلوا من الأمانة كذلك العرش عندك خلوا من كل شيء عليه .

فانظر أيها الجاهل إلى ما تورده هذه التفاسير من المبالك . وما تجر إليك من الجهل والضلال فتشهد عليك بأقبح المحال . ولم تتأول في العرش في صدر كتابك تأويلا أفحش ، ولا أبعد من الحق من هذا .

وادعيت أيضا أن قتادة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لما قضى الله خلقه استلقى ووضع إحدى رجله على الأخرى) ثم قال : لا ينبغي لأحد أن يعقله ثم فسره المعارض بأصح التفسير وأبعده من الحق وهو مقر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قاله له .

فزعم أنه قيل في تفسير هذا الحديث (إن الله تعالى لما خلق الخلق استلقى) فتفسيره : أنه ألقاهم وبشهم ، وجعل بعضهم فوق بعض . وذلك قوله (ووضع إحدى رجله على الأخرى) فيحتمل أنه أراد بالرجل الجماعة الكثيرة ، كقول الناس رجل جراد . فنسب تلك الرجل إلى الله كما نسب روح عيسى إلى الله

بالإضافة فاللقى رجلا على رجل ، أى جماعة على جماعة فى دعواه .

فيقال لهذا المعارض : من يتوجه لنقض هذا الكلام من شدة استحالته وخروجه من جميع المعقول عند العرب والعجم ، حتى كأنه ليس من كلام الإنس ، ومع كل كلمة منها شاهد من نفسها ينطق لها حتى لا يحتاج لها إلى نقيضه . ويملك من أحدث هذا التفسير ؟ ومن علمك ؟ وعين رويت هذا ؟ فسمه حتى يرتفع عنك عاره ويلزم من قاله ، فاعرب بها من ضحكة ، واعظم بها من سخيرية .

ويحك أخلق الله خلقه فسامهم رجلا له ، ثم ألقى رجلا على رجل بعضهم على بعض . أحطبا كانوا فأخذهم فالقى بعضهم على بعض فى الشمس ؟ وفى أى لغات العرب وجدت استلقى فى معنى ألقى ؟ فإنك لم تجده فى شيء من لغاتهم .

وأعجب من ذلك كله احتجاجك بجهلك المقابوب على تفسيرك هذا بقول الشاعر :

فر بنا رجل من الناس وانزوى إليهم من الرجل اليماني أن رجل

ويملك ، إنما قال الشاعر : رجل من الناس ، ورجل من اليمانيين . ولم يقل رجل من الله ، كما ادعيت أنت أن الخلق رجل من الله ألقى بعضهم على بعض ثم انتحلت أنت فيه قول الشاعر بما بهتته به . لو تكلم بهذا مجنون . فأبس بؤسا لفرية مثلك فقيها والمنظور إليه .

وادعى المعارض أيضا زورا على قوم أنهم يقولون فى تفسير قول الله (يا حمرتا على ما فرطت فى جنب الله) قال : يعنون بذلك الجنب الذى هو العضو . وليس على ما يتوهمونه .

فيقال لهذا المعارض : ما أرخص السكذب عندك ، وأخفه على لسانك : فإن كنت صادقا فى دعواك فأمر بها إلى أحد من بنى آدم قاله ، والا فلم تشنع بالسكذب على قوم هم أعلم بهذا التفسير منك ، وأبصر بتأويل كتاب الله منك ، ومن إمامك ؟

إنما تفسيرها عندهم : تحسر الكفار على ما فرطوا في الإيمان والفضائل التي تدعو إلى ذات الله تعالى . واختاروا عليها الكفر والسخرية بأولياء الله . فسماهم الساعرين فهذا تفسير الجنب عندهم . فن أنباءك أنهم قالوا : جنب من الجنوب . فانه يحمل هذا المعنى كثير من عوام المسلمين ، فضلا عن علمائهم . وقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه (الكذب بجانب الايمان) وقال ابن مسعود (لا يجوز من الكذب جد ولا هزل) وقال الشعبي (من كان كذابا فهو منافق) فأحذر أن تكون منهم .

وروى المعارض أيضا عن إسرائيل ، عن ثوبان بن فاخنة ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن أدنى أهل الجنة منزلة ، من ينظر إلى نعيمه وجناته مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجه غدوة وعشية . ثم تلا (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) .

قال المعارض : فيحتمل أن يكون النظر إلى وجهه نظرا إلى ما أعد الله لهم من النظر إلى جنة هي أعلى الجنات .

فيقال لهذا المعارض : قد جئت بتفسير طم على جميع تفاسيرك ضحكة وجهالة . ولو قد رزقك الله شيئا من معرفة العربية لعلمت أن هذا الكلام الذي رويته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا السياق وهذه الألفاظ الواضحة لا يحتمل تفسيراً غير ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلا تصديق ذلك من كتاب الله تعالى . وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلى وجه الله) ولم يقل إلى وجوه ما أعد الله لهم من الكرامات . ومن سمي من العرب والعجم ما أعد الله لأهل الجنة وجها لله قبلك ؟ وفي أى سورة من القرآن وجدت أن وجه الله أعلى جنته ؟ ما لقي وجه الله ذو الجلال والإكرام من تفاسيرك هذه . مرة تجعله ما أعد الله لأهل الجنة . مرة تجعله أعلى الجنة . ومرة تجعله وجه القبلة ، ومرة تشبهه بوجه الثوب ووجه الحائط . والله سأنك عما تتلاعب بوجهه ذى الجلال والإكرام . فإن كان كما ادعيت

أن أكرمهم على الله من ينظر إلى وجه ما أعد لهم من الكرامة التي يتوقعونها من الله أفليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثك أيضا (إن أديانهم منزلة ينظرون إلى ما أعد الله لهم من جناته ونعيمه وكراماته مسيرة ألف سنة . وإن الأديان منهم يتوقعون من كرامات الله ما يتوقع أكرمهم ، وينظرون إلى أعلى الجنة كما ينظر أكرمهم . فما موضع تمييز رسول الله صلى الله عليه وسلم الأديان بالنظر إلى ملكه ونعيمه ، والأعلى بالنظر إلى وجهه بكره وعشية ، إذ كلهم عن النظر إلى ما أعد الله لهم فيها غير محجوبين ، ولا عن التوقع بموعين ؟ حتى تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأكرمين منهم ما يتلو في الأديان منهم تشبها لوجه ذي الجلال والاکرام ، وتكذيبا لدعواك . فقال (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ولم يقرأ : إلى كراماتها ناظرة ؟ فسبحان الله ما أوحشها من تأويل : وأقبحها من تفسير وأشدّها استحالة في جميع لغات العالمين . فسبحان من لم يرزقك من الفهم إلا ما ترى . لو تكلم بهذا الكلام صبيان الكتاب لاستضحك الناس منهم فكيف رجل يعد نفسه في عداد علماء أهل بلاده ؟

وروى المعارض أيضا : أن الحجاج بن محمد روى عن ابن جريح ، عن الضحاك . عن ابن عباس أن محمدا (رأى ربه مرتين في صورة شاب أمرد) .

وروى حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم (رأى ربه جعدا أمرد عليه حلة خضراء) .

فادعى المعارض أن أهل العلم فسروا هذا أن هذه صفة جبريل فعرف ربه برؤية جبريل علما بقلبه بادرا كه جبريل عيانا . فهذا تفسيره : أنه رأى من خلقه وهو الصورة التي شاهد ببصره ، وكانت صورة جبريل .

فقلنا لهذا المعارض المناقض : أليس قد زعمت في صدر كتابك أن هذا الحديث من وضع الزنادقة . ثم تدعى هاهنا أن أهل العلم فسروه أنه صورة جبريل . وأى صاحب علم يفسر أحاديث الزنادقة ، أو يؤمن الناس أنها عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ؟ إلا أن يكون زعماء هؤلاء المعطلون ؟ وكيف تثبت الشهادة على حديث الزنادقة أن هذا تفسيره ؟ أو ليس قد أنبأناك في صدر كتابك هذا أن هذا وما أشبهه من الروايات يعارضه حديث أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (هل رأيتم ربك ؟ قال : نور ؛ أنى أراه) ويقول عائشة رضى الله عنها (من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية) لأن الله قال (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) غير أنك فسرته تفسيراً شهدت فيه بالكفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ ادعيت أنه رأى جبريل في صورة فظن أنه ربه . وأنه قال لصورة مخلوقة شاهداً ببصره أنه ربه . فتفكر أيها المعارض فيما يجلب عليك تأويلك هذا من الفضائح ، حين تدعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف جبريل من الله تعالى ، حتى يرى صورة جبريل في صورة شاب جعد ، فيدعى أنه ربه بزعمك . لو ولدتك أمك أبكم كان خيراً لك من أن تتعرض لهذا وما أشبهه . رأيتم قولك : إن أهل العلم قالوا : إن هذا صورة جبريل . فمن أى أهل العلم سمعت هذا التفسير ؟ فأمسده إليه . فانك لا تسنده إلا إلى من هو أجهل منك .

وقد علمنا أنك إنما تغالط الجهال بمثل هذه الروايات لتدفع بها قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأنكم ترون ربكم يوم القيامة ، كما ترون الشمس والقمر ليلة البدر) فتوهم الناس أن هذه الأحاديث التي تستنكرها وتلتبس لها هذه العمايات كالتى تروون في الرؤية وال نزول وما أشبهه . وأنه لا يدفع تلك بمثل هذا التفسير المقلوب ، لما أنها قد ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد كالصخور . فلا يدفع إلا بأثر مثله مأثور . فأربح العناء فقد علمنا حول ماذا تدور وإن تغر بمثلها إلا كل مغرور .

واحتمل المعارض أيضاً في إنكار الرؤية بحديث رواه (أن خالد بن الوليد رضى الله عنه ضرب العزى بالسيف فقال لها كفرانك ، لا سبحانه إنى رأيتم الله قد أهانك) .

قال المعارض : فهذه رؤية علم لا رؤية بصر : قال يعنى المؤمنين لا يرون .
رهبهم يوم القيامة إلا كنجو ما رأى خالد بن الوليد فى دنياه .

قال المعارض : وفسر قوم أن الرؤية للشئ . أن يكون على العلم . كما قال تعالى
(ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل) ولم يره إلا بالمعرفة . وكل شئ . تدركه
بالرؤية قلبه وكثره . فآله المتعالى عن ذلك إنما يرى بدلائله ، وآثار صنعه . ففى
شواهد لا الذى يعرف بملافة ولا بمشاهدة حاسة . فإذا كان يوم القيامة ذهبت
الشكوك . وعرفوه عيانا ، لا بإدراك بصر . ثم قال : فإن كان بالروايات فها هنا
روايات أيضا معارضة . وإن كان ما يحتمل التأويل فها هنا ما يحتمل أيضا .

فيقال لهذا المعارض : أما الروايات فما نراك تحتاج فى جميع ما تدعى إلا بكل
أعرج مكسور ، بالتجهم مشهور . وفى أهل السنة مخمور .

وأما المعقول الذى تدعيه من كلامك فقد أنبأناك أنه عند العرب مجهول ، وعند
العلماء غير مقبول : لا يخفى تناقضه إلا على كل جهول . وأما ما احتججت به من قول
خالد بن الوليد فمعقول بأن الله لما قال (لا تدركه الأبصار) وروى أبو ذر رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (نور ، أنى أراه ؟) وقال النبى صلى
الله عليه وسلم (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) آمنا بما قال الله ورسوله . وعلينا أنه
لا يرى فى الدنيا ، فلما قال (ألم تركيف فعل ربكم بأصحاب الفيل) علينا أن النبى صلى
الله عليه وسلم لم يدركه ولم يره لما أنه ولد عام الفيل . فاستيقنا علما يقينا أن هذه
رؤية علم ، لا رؤية بصر ، وكذلك قوله (ألم تر إلى ربك كيف هدّ الظل ولو شاء
لجعلها ساكنا) فاستيقنا بقوله : إنه لم ير ربه أن هذا ليس برؤية الله عيانا . وأنه
رؤية الفعل ومد الظل الذى يراه بكرة وعشيا . وكذلك قول خالد بن الوليد :
إنى رأيت الله قد أهانك . لاجتماع الكلمة من الله ومن رسوله ومن جميع المؤمنين
أن أبصار أهل الدنيا لا تدركه فى الدنيا . فحين حدّ الله لرؤيته حدا فى الآخرة
بقوله (إلى ربها ناظرة) علينا أنها رؤية عيان . وكذلك قال النبى صلى الله عليه

وسلم حين سأله أبو ذر هل رأيت ربك ؟ (نور أنى أراه) فلما سأل أصحابه (أنراه في الآخرة ! قال : نعم كرؤية الشمس ، والقمر ليلة البدر) .

وأما تفسيرك أن رؤية القيامة رؤية آياته ودلائله لا إدراك بصر ، فإذا رأوا آياته ذهب الشكوك عنهم ، فهذا أفحش كلمة ادعيتها على المؤمنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم ماتوا شكاً لم يعرفوا ربهم حتى يروا آياته يوم القيامة . فيها تذهب الشكوك عنهم يومئذ .

ويحك . أما علمت أنه لن يموت أحد وفي قلبه أدنى شك من خالقه إلا مات كافراً ؟ وكيف يعترى المؤمنين الشكوك والكفار يومئذ برؤيتهم موقنون لا يعترهم شكوك ؟ فان كانت الشكوك يومئذ تنزاح عن المؤمنين بما تصف من الدلالات والعلامات ، من غير إدراك بصر ، فكذلك الكفار كلهم قد رأوا يومئذ آياته وعلاماته ، من غير إدراك بصر فانزاحت عنهم الشكوك . فصاروا كالمؤمنين في دعواك . فافضل بشرى الله ورسوله للمؤمنين على الكفار الذين قال الله عنهم في كتابه (كلا لهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون !) .

ويحك ، للغناء والذرف أحسن مما تدعى على الله ورسوله ، وما تقذف به المؤمنين إذ الشكوك في وحدانية الله تعالى لا تذهب عنهم إلا في الآخرة ، يوم يرون آياته وعلاماته .

فأما ما احتججت به من قول خالد بن الوليد حين قال (رأيت الله قد أهانك) فقل هذا جائز فيما أنت منه على يقين أنه لم ير ، ولم يدرك ، ولم يمكن إدراكه . فأما فيما يرجى إدراكه ببصر فلا يجوز فيه هذا المحال إلا بحجة واضحة من كتاب مسطور ، أو أثر مأثور ، أو إجماع مشهور . وقول خالد عندنا معناه كعنى قول أبي بكر لعمر رضى الله عنهما يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم (إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يميت) فقال أبو بكر ألم تسمع قول الله تعالى (إنك ميت وهم ميتون) (وما جعل البشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ؟) إنما عنى أبو بكر

رضى الله عنه: ألم تسمع الله تعالى يقول في كتابه ، لما أن العلم من جميع العلماء قد أحاط بأنه لم يسمع كلام الله بشر من بنى آدم غير موسى . فحين أحاط العلم بذلك علمنا أن أبا بكر رضى الله عنه عنى قوله : لا السماع من الله . وهكذا قضية خالد ابن الوليد ، وقوله (ألم تر إلى ربك) لاحاطة العلم بأن ذلك لم يكن . فلا يدفع ما أحاط العلم أنه لم يكن ما أحاط العلم بأنه كائن .

ومثله قول السكيت :

وجدت الله إذ سمى نزارا وأسكنهم بمكة قاطنينا

لنا جمل المكارم خالصات فللناس القفاء ولنا الجيينا

فحين عرفنا أن أحدا من خلق الله لم يحده عيانا في الدنيا علمنا أن قول السكيت (وجدت الله) يريد به المكارم التي أعطاها الله .

وادعى المعارض أيضا : أن قوما زعموا أن الله عينا ، يريدون كجارج العين من الانسان وأرادوا التركيب . واحتجوا بقوله تعالى (ولتصنع على عيني) (واصنع الفلك بأعيننا) (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) .

قال المعارض : والمعقول بين أن هذا يريد عين القوم ، يعنى رئيسهم وكبيرهم ولا يريد جارحا . ولكن يريد الذى يحوز فى الكلام ، وقال ابن عباس فى قوله (فانك بأعيننا) يقول (فى كلامنا وحفظنا) ألا ترى إلى قول القائل : عين الله عليك . يقول : أنت فى حفظ الله وكلامه .

فيقال لهذا المعارض : أما ما ادعيت أن قوما يزعمون أن الله عينا . فإننا نقوله لأن الله تعالى قاله ورسوله قاله . وأما جارج كجارج العين من الانسان على التركيب فهذا كذب ادعيته علينا عمدا ، لما أنك تعلم أن أحدا لايقوله . غير أنك لأننا لو ما شئنا . ليكون أجمع لضلالك فى قلوب الجهال : والكذب لا يصلح منه

جد ولا هزل . فمن أى الناس سمعت أنه قال : جارج مركب ؟ فأشر إليه . فإن قائله كافر : فكم تقرر قولك : جسم مركب ، وأعضاء وجوارح ، وأجزاء . كأنك تهود بهذا التشنيع علينا أن نكف عن وصف الله بما وصف به نفسه في كتابه ، وما وصفه الرسول . ونحن وإن لم نصف الله بجسم كأجسام المخلوقين ، ولا بعضو ولا بمجارحة لكننا نصفه بما يفيظك من هذه الصفات التي أنت ودعاتك لها منكرون فنقول إنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ذو الوجه الكريم ، والسع السميع ، والبصر البصير ، نور السموات والأرض . وكما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه حين يقول (اللهم أنت نور السموات والأرض) وكما قال أيضا (نور ، أنى أراه ؟) وكما قال ابن مسعود (نور السموات والأرض من نور وجهه) والنور لا يخلو من أن يكون له إضاءة واستنارة ومنظر ورواء ، وأنه يدرك يومئذ بحاسة النظر . إذا كشف عنه الحجاب كما يدرك الشمس والقمر في الدنيا .

ولما احتجب الله تعالى عن أعين الناظرين في الدنيا رحمة لهم ، لأنه لو تجلى في هذه الدنيا لهذه الأعين المخلوقة الفانية لصارت كجبل موسى دكا ، وما احتملت النظر إلى الله تعالى . لأنها أبصار خلقت للفناء لا لتحمل نور البقاء . فإذا كان يوم القيامة ركبت الأبصار للبقاء فاحتملت النظر إلى نور البقاء .

وأما تفسيرك عن ابن عباس فعناه الذي ادعينا ، لا ما ادعيت أنت يقول بحفظنا وكلاءتنا بأعيننا . لأنه لا يجوز في كلام العرب أن يوصف أحد بالكلاءة إلا وذلك من ذوى الأعين . فإن جهلت فسم لنا شيئا من غير ذوى الأعين يوصف بالكلاءة . وإنما أصل الكلاءة من أجل النظر . وقد يكون الرجل كالنا من غير نظر . ولكنه لا يخلو أن يكون من ذوى الأعين وكذلك قولك : عين الله عليك فأفهم . وقد فسرنا لك بعض هذا الكلام في صدر كتابنا ، غير أنك أعدته لحاجة منك ، واغتيالنا على من يؤمن برويه الله يوم القيامة ، كاختياذك ، وإفراطك على من يزعم أن كلام الله غير مخلوق . فالزم يحمله من لا يقول ذلك الكفر . وهو

الكافر عيانا فيما يتكلف ما لم يؤمر به . ولم يتكلف فيه السلف ، فجاء بالظلم الجرى فهو بجمله آمن على نفسه ، ولا يرضى حق ينسب المؤمن التقى الكاف عن الخوض فيه إلى الكفر ، ثم وصف أن الكلام الناطق لا يسمى محدثا متى ما قاله ، ولا يتركون من عرف وجه الكلام من الكتاب والسنة .

فيقال لهذا المعارض : لا كل هذا الاختلاط غير أن الدليل عليك ، لأنك لا تبدى كل هذا إلا عن خرقه ، فأين لك أنهم لا يرون الكلام من الناطق محدثا فقد فهمنا مرادك من هذا ، يعنى أنهم لا يرونه مخلوقا محدثا لله ، فقد صدقت في دعواك عليهم : لا يرونه محدثا لله كما ادعيت ، ومن رآه محدثا لله عدوه كافرا ، لأن مذهبه في ذلك أنه كان ولا كلام له .

وأما قولك : لم يتكلم فيه السلف ، فقد أنبأناك في صدر كتابنا هذا من تكلم فيه من السلف الذين كانوا أعلم بالله وبكتابه من سلفك الذين احتججت بهم ، مثل المريسى وابن الثلجى ونظرأثم ، وأما ما تصف عن نفسك من السكف عن الخوض فيه فقلنا رأينا أصفق عينا منك ولا أقل حياء ، أو ليس كل ماضمت هذا الكتاب من هذه العمايات خوض^(١) كله ؟ فانا ما رأينا خائضا فيه أقبح منك خوضا ، وأوحش منك تأريلا ، وأقل منك إصابة ، فمثلك في وعظك كالذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم .

وأما قولك : لا يتركون من عرف وجوه الكلام ماضمت هذا الكتاب عن عن نفسك وعن إمامك المريسى وابن الثلجى ، فقد انقلبت لغات العرب ، فصار المنكر منها معروفا والمعروف منكرا ، والعربى عجميا ، والعجمى عربيا . لأن تفاسيركم هذه كلها مخالفة للغاتهم .

وأما الكتاب والسنة فبعيدان من أنتمك هؤلاء الذين تنسبهم إلى معرفة وجوه الكلام بالكتاب والسنة ، لما أنهم لم يتركوا لأهل السنة حجة من كتاب الله على الجهمية والزنادقة إلا نقضوها بخرافات وعمايات ، ولا تركوا للنبي صلى الله عليه

(١) كذا في الأصل وصوابه : خوضا

وسلم حديثاً صحيحاً ناقضاً لمذاهبهم إلا ردوه بتلك العمايات لقد تركوا معرفة كتاب الله والسنة شرقاً ومغرباً . فمثل انتحالك هؤلاء بحسن الكلام مما يوافق الكتاب والسنة كما قال رسول الله صلعم : المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور ، لأنهم لم يؤتوا فيها من البصر إلا خلاف ماضى عليه أسلاف المسلمين . من أهل البصر . فإن جحدته فيها هنا روايتهم وتفسيرهم إذا نظر فيها الناظر استيقن بضلال تفسيركم ، واستدل على قلة علمكم بالمستحالات منها . فما ندرى : أى زعمائك هؤلاء الذين يبصرون وجوه الكلام ؟ فإن كان هؤلاء الذين حكيت عنهم هذه العمايات ، فقد أنبأناك بتناقضها واستحالتها مما يجلب عليهم من أنواع الكفر الذى لا يخرج لهم منها . فمن هؤلاء الذين حكيت عنهم وجوه الكلام من زعمائك ؟ أهو المريسى المشهور بالتجهم ؟ فقد أنبأناك عورة كلامه وكذلك ابن الثلجى ، وكذلك ضرار ، ذاك الزنديق الذى ينتحل بعض كلامه . ويكنى عنه . فإن كان أهل البصر هؤلاء ، وأحسن الكلام عندك ما حكيت عن هؤلاء ، فإلى الله نبرأ بما حكيت عنهم . للقناء والنوح ونبيح الكلام أحسن مما حكيت عنهم من هذه الحكايات التى لا تنقاس فى كتاب ولا سنة ولا إجماع . أحسنهم أيضاً أيها المعارض فيما أصابوا بهذه العمايات من وجوه الحق أم فيما نالوا من المراتب السنية عند أهل الاسلام والثناء الحسن على ألسن المؤمنين ، حتى انتحلتم مذاهبهم واحتججت بكلامهم حتى تتال بهم وبذكرهم من شرف الدنيا ما نالوا ؟ إذ يدعى أحدهم زنديق . والآخر جهمى ، والآخر ترس الجهمية ، يعنون ابن الثلجى : وهنينا لك ميراثهم غير محسود ولا مغبوط . فبأى متكلم منهم تستطيل ؟ بالذى زعم أن كلام الله تعالى يحدث مخلوق ؟ أم بالذى قال : أسماء الله محدثة مستعارة مخلوقة ؟ أم بالذى زعم أن النبى صلعم رأى جبريل فى صورته فقال له يارب ؟ وما أشبهها من فضائح ما حكيت عنهم فى كتابك هذا كثير . أهؤلاء عندك أهل البصر فى الكلام ، وأهل المعرفة بالتمييز ؟ فقد أخبرناك أن النوح ونباح الكلاب أحسن من كلامهم وتفسيرهم .

ثم زعم المعارض : أنه فرغ من الحديث عن الأحاديث المشتبهة وابتدأ فى التوحيد المعقول ثم حكى فى تفسير التوحيد كلاماً ليس من كلام أهل الفقه والعلم

ولم نجد شيئا منها في الروايات .

فقال : يسأل الرجل : هل عرفت الخلق بالله ، أو عرفت الله بالخلق ؟ فيقال له : معبودك هذا ماهو ؟ ومن أى شيء هو ؟ وما صفته ؟ وما مثاله ؟ ثم يفسرهما بتفاسير لا يؤثر شيء منها عن أحد موسوم بالعلم من مضي وعن غير . فلم أجد لبعضها نقيضة أسلم من الامساك عن جهل الجاهلين . وكثيراً منها قد فسرت في صدر كتابنا هذا فإن لم يوحد الله تعالى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا من قام بهذه الخرافات وجواباتها مامن أمة محمد صلى الله عليه وسلم عنه هذا المعارض موحد . وقد فسرنا للمعارض من تفسير التوحيد ما كان فيه مندوحة من هذه التخاليلط : أنه قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له . هذا تفسيره المعقول . وهي كلمة التقوى ، والعروة الوثقى من جاء بها خلاصاً فقد وحد الله تعالى . ومن لم يحىء بها خلاصاً لم يوحد الله تعالى . وهي الكلمة التي طلبها محمد صلى الله عليه وسلم من عمه [أبى طالب . ليحاجج له بها عند الله] وهي الدليل على إسلام الرجل وإيمانه وتوحيده .

ويمحك أيها المعارض ، أو لم تزعم أنه لا يجوز في التوحيد إلا الصواب ؟ أفتأمن من الجواب في هذه الهيايات أن تترك إلى الخطأ في التوحيد ، والخطأ فيه كفر ؟ فأين أنت عن نفسك لما تدبت إليه غيرك من الخوض فيه وما أشبهه ؟

ثم عاد المعارض إلى أسماء الله ثمانية فادعى أنها محدثة كلها ، لأن الأسماء هي الألفاظ ، ولا يتكون لفظ إلا من لافظ . إلا أن من معانيها ماهى قديمة ومنها حديثة .

وقد فسرنا للمعارض أسماء الله في صدر كتابنا هذا ، واحتججنا عليه بما تقوم به الحجة من الكتاب والسنة . فلم يجب لإعادتها هاهنا ليطول بها الكتاب ، غير أن قوله (هي لفظ الالفاظ ، يعنى أنه من ابتداع المخلوقين بالفاظهم . لأن الله تعالى لا يلفظ بشيء في دعواه ، ولكن وصفه بها المخلوقون . فكلما حدث لله فعل ،

فى دعواه ، أعاره العباد اسم ذلك الفعل . يعنى أنه لما خلق سموه خالقا . وحين رزق سموه رازقا . وحين خلق الخلق فملكهم سموه مالكا . وحين فعل الشئ سموه فعالا .

وكذلك قالوا منها حديثة ومنها قديمة . فأما قبل الخلق فبزعمهم لم يكن لله أسماء . وكان كالشئ المجهول الذى لا يعرف ولا يدرى ماهو ، حتى حدث الخلق فأحدثوا له أسماء . ولم يعرف الله فى دعواهم لنفسه أسماء حتى خلق الخلق فأعاروه هذه الأسماء من غير أن يتكلم الله منها بشئ . فيقول (أنا الله رب العالمين) و (أنا الله الرحمن الرحيم) و (أنا الله التواب الرحيم) فنفوا كل ذلك عن الله مع نفى الكلام عنه ، حتى ادعى جهم أن رأس محنته نفى الكلام عن الله : فقال: متى نفينا عنه الكلام ، فقد نفينا عنه جميع الصفات ، من النفس واليدين ، والوجه ، والسمع ، والبصر ، لأن الكلام لا يثبت إلا لذى نفس ووجه ويد وسمع وبصر . ولا يثبت كلام لمتكلم إلا من قد اجتمعت فيه هذه الصفات . وكذب جهم وأتباعه فيما نفوا عنه تعالى من الكلام . وصدقوا فيما ادعوا أنه لا يثبت الكلام إلا لمن قد اجتمعت فيه هذه الصفات . وقد اجتمعت فى الله تعالى ، على رغم أعداء الله تعالى . وإن جزعوا منه ، بلا تسكييف ولا تمثيل ، وهو الذى أخبر عن نفسه بأسمائه فى محكم كتابه المنزل على نبيه المرسل . ووصف بها نفسه ، وقوله وصفته غير مخلوق ، على رغم الجهمية ، غير أن الوصف لله على لونين . أما ما وصف به نفسه فالوصف والواصف غير مخلوق . وأما ما وصف به خلقه من السموات والأرض والجبال والشجر ، والجن والإنس ، والأنعام وسائر الخلائق ، فالوصف منه غير مخلوق والموصوفات مخلوقة كلها .

وادعى المعارض أيضا : أن الله لا يوصف بالضمير ، والضمير منهى عن الله وليس هذا من كلام المعارض ، وهى كلمة خبيثة قديمة من كلام جهم ، عارض بها جهم قول الله تعالى (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) يدفع بذلك أن

يسكون الله سبق له علم في نفسه بشيء من الخلق وأعمالهم ، قبل أن يخلقهم ، فتلطف بذكر الضمير ليكون أستر له عند الجاهل .

فرد على جهم بعض العلماء قوله هذا وقالوا : كفرت بها يا عدو الله من ثلاثة أوجه ، وجه : لأنك نفيت عن الله العلم السابق في نفسه قبل حدوث الخلق وأعمالهم والوجه الثاني : لأنك استجملت المسيح ابن مريم : أنه وصف ربه بما لا يوصف بأن له خفايا علم في نفسه . إذ يقول له (ولا أعلم ما في نفسك) الوجه الثالث : لأنك طعنت به على محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء به مصدقا لعيسى . فافهم جهما .

وقول جهم لا يوصف الله بالضمير يقول : لم يعلم الله في نفسه شيئا من الخلق قبل حدوثهم وحدثت أعمالهم . وهذا أصل كبير في تعطيل النفس والعلم السابق ، والناقض عليه بذلك قول الله تعالى : (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) فذكر المسيح أن الله علما سابقا في نفسه ، يعلمه الله ولا يعلمه هو . وقال الله تعالى (واصطعنتك لنفسي) و (كتب على نفسه الرحمة) (ويحذركم الله نفسه) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه : إن رحمتي تغلب غضبي) .

حدثناه أحمد بن يونس ، عن سفيان الثوري ، عن الأعمش عن زكريان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلعم .

وحدثناه عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلعم « قال الله أنا عند ظن عبدي بي ، إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم » .

فقد أخبر رسول الله صلعم أن الله يخفي ذكر العبد في نفسه ، إذا أخفى العبد ذكره ، ويعلن ذكره إذا أعلن ذكره ، ففرق بين علم الظاهر والباطن ، والجهر والخفاء . فإذا اجتمع قول الله وقول الرسولين عيسى ومحمد صلى الله عليهما

وسلم . فمن يكثر ثل لقول جهنم والمريسي وأصحابها ؟ فنفس الله هو الله ، والنفس تجمع الصفات كلها ، فإذا نفيت النفس نفيت الصفات . وإذا نفيت الصفات كان لا شيء .

وحدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان ، عن زيد بن جبير قال : سمعت أبا البخري قال : (لا يقولن أحدكم اللهم أدخلني مستقر رحمتك ، فإن مستقر رحمة نفسه) .

فقد أخبرنا أبو البخري أن رحمة الله في نفسه . وكذلك قال الله تعالى (أن الساعة آتية أكاد أخفيها) .

فحدثنا ابن نمير حدثنا محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح الحنفي (أكاد أخفيها) قال (من نفسي) .

فأى مسلم سمع بما أخبر الله عن نفسه في كتابه ، وما أخبر عنه الرسول ، ثم ياتفت إلى أقاويلهم إلا كل شقى غوى ؟ ولو قد أظهر المعارض هذا وما أشبهه في بلاد سوى بلده لظننا أنه كان ينفي عنها ، ولجانبه أهلها أهل الدين والورع .

ويحك أن الناس لم يرضوا من أبي حنيفة إذ أفق بخلاف روايات رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم في (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا) وفي الوضوء من لحوم الابل . وفي أشعار البدن ، وفي أسهام الفارس والراجل وفي لبس المحرم الخفين إذا لم يجمد نعلين . وما أشبهها من الأحاديث ، حتى نسبوا أبا حنيفة فيها إلى رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وناقضوه فيها ، ووضعوا عليها فيها الكتب ، فكيف بمن ناصب الله في صفاته التي ينطق بنصها كتابه ، فينتقضها على الله صفة بعد صفة ، وشيئا بعد شيء . بمايات من الحجج ، وخرافات من الكلام خلاف ما عني الله ، ولم تأت بشيء منها الروايات . ولم يوجد شيء منها عن العلماء والثقات ، بل كلها ضحك وخرافات ، فإن كان أبو حنيفة استحق بما أفق من خلاف تلك

الروايات إلى رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استحققت أنتم أن تنسبوا إلى رد ما أنزل الله ، بل أنتم أولى بالرد من أبي حنيفة . لأن أبا حنيفة قدوا فقه على بعض فتياه بعض الفقهاء ، ولم يتابعكم على مذاهبكم إلا السفهاء وأهل البدع والأهواء ، ومن لا يعرف له إنما في السماء فستان ما بينكم وبين أبي حنيفة فيما أفق . لأنه ليس من كفر كمن أخطأ ، ولاهما في الأثم والعار سواء .

ونحن قد عرفنا بحمد الله من لغات العرب هذه المجازات التي اتخذتموها دلالة وأغلوطة على الجهال ، تنفون بها عن الله تعالى حقائق الصفات بطل المجازات ، غير أنا نقول : لا يحكم للأغرب من كلام العرب على الأغلب ، ولكن نصرف معانيها إلى الأغلب حتى يأتوا ببرهان أنه عني بها الأغرب وهذا هو المذهب الذي إلى الإنصاف والعدل أقرب ، لا أن نعتز صفات الله المعروفة المقبولة عند أهل البصر فنصرف معانيها بعلة المجازات إلى ما هو أنكر ، وترد على الله تعالى بداحض الحجج وبالتي هي أعوج ، وكذلك ظاهر القرآن وجميع ألفاظ الروايات تصرف معانيها إلى العموم . حتى يأتي متأول ببرهان بين : أنه أريد بها الخوض (١) . لأن الله قال بلسان عربي مبين ، فأنبته عند العلماء ، أعجمه وأشدّه استفاضة عند العرب ، فمن أدخل منها الخاص على العام كان من الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فهو يريد أن يتبع فيها غير مسيل المؤمنين .

فمراد جهم من قوله (لا يوصف الله بضمير) يقول : لا يوصف الله بسابق عليه في نفسه . والله مكذبه بذلك ثم رسوله . إذ يقول (سبق علم الله في خلقه ، فهم صائرون إلى ذلك) .

حدثناه نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا الأوزاعي عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن الديلعي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (جف القلم على علم الله) .

وحدثنا نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك أخبرنا رباح بن يزيد ، عن عمر بن

حبيب ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن سعيد ، عن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن أول شيء خلقه الله القلم . فأمره فكتب كل شيء . يكون) فهل جرى القلم إلا بسابق علم الله في نفسه قبل حدوث خلقه وأعمالهم ؟ والله ما درى القلم بماذا يجرى حتى أجراه الله بعلمه ، وعلمه ما يكتب بما يكون قبل أن يكون .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كتب الله مقادير أهل السموات والأرض قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة .

فهل كتب ذلك إلا بما علم ؟ فما وضع كتابه هذا إن لم يكن عليه في دعواهم ؟

حدثنا عبد الله بن صالح المصري حدثني الليث ، عن أبي هانئ . حميد بن هانئ . عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كتب الله مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .

والأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإيمان بسابق علم الله كثيرة يطول الكتاب إن ذكرناها ؛ وفيما ذكرنا من ذلك ما يبطل دعوى جهم في أغلوطاته التي توهم بها على الله في الضمير .

ثم عارض المعارض أيضا أشياء من صفات الله التي هي مذكورة في كتاب الله وينزع بتلك الآيات التي ذكرت فيها ليغالط الناس في تفسيرها . فذكر منها الحب والبغض والنضب ، والرضى ، والفرج ، والسكره ، والسخط ، والارادة والمشية ليدخل عليها من الأغلوطات ما أدخل على غيرها بما حكيناه عنه ، غير أنه قد أمسك عن الكلام فيما بعد ما خالطها بتلك . فحين أمسك المعارض عن الكلام فيها أمسكنا عن جوابه . وروينا ما روى فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما

لايحتمل أغلو طاته قالى الله نشكو قوما هذا رأيهم فى خالقنا ، ومذهبهم فى الهنا . مع أنه عز وجهه وجل ذكره قد حققها فى محكم كتابه ، قبل أن ينفىها عنه المبطلون ، وكذبهم فى دعوائهم ، قبل أن يدعوا وعابهم قبل أن يحكوه ، ثم رسوله المجتبى وصفه المصطفى . فاستغنيا فيه بما ذكر الله فى كتابه منها وسطر ، ومن رسوله وأخر ، ورد^(١) من ذكرها وكرر ، فمن يكثر لاضلالاتهم بعد قول الله (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) [٢٢٢ / البقرة] (أن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) [٤ / الصف] (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) [٥٤ / المائدة] فجمع بين الحبين : حب الخالق ، وحب الخلق ، متقاربين . ثم فرق بين ما يحب وبين ما لا يحب ، ليعلم خلقه أنها متضادين^(٢) غير متفقين . فقال (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) [٣٤٨ / النساء] و (أنه لا يحب المفسرين) [١٤١ / الأنعام] وقال (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم) [٨٠ / محمد] ثم فرق بين سخطه وإسخط العباد لإياه ، فقال (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) [٢٨ / محمد] وقال (وغضب الله عليهم ولعنهم) [٦ / النحل] ثم ذكر إغضاب الخلق لإياه فقال (فلما آسفونا انتقمنا منهم) [٥٥ / الزخرف] يقول : أغضبونا فذكر أنه يغضب ويغضب . وقال (رضى الله عنهم ورضوا عنه) (ولكن كره الله اتباعهم فنبطهم) [٤٦ / التوبة] فهذا الناطق من كتاب الله يستغنى فيه بظاهر التنزيل عن التفسير ، ويعرفه العامة والخاصة غير هؤلاء الملحددين فى آيات الله الذين غالطوا فيها الضعفاء . فقالوا : نقر بها كلها لأنها مذكورة فى القرآن لا يمكن دفعها . غير أنا نقول : ويرضى ويسخط ويغضب ويكره فى نفسه . ولا هذه الصفات من ذاته على اختلاف معانيها ولكن تفسير حبه ورضاه بزعمهم مايقعون فيه من البلايا والهلكة والضيق والشدة فإنما آية غضبه ورضاه وسخطه عندهم : مايتقلب فيه الناس من هذه الحلات وما أشبهها : لأن الله يحب ويغضب ويرضى ويسخط حالا بعد حال فى نفسه .

فيقال هؤلاء الملحددين فى آيات الله . المكذبين بصفات الله ما رأينا دعوى

(١) كذا فى الأصل وصوابه : ردد

(٢) كذا فى الأصل وصوابه : متضادان

أبطل ولا أبعد من صحيح لغات العرب والمعجم من دعواكم هذا . ففي دعواكم :
إذا كان أولياء الله المؤمنون من رسله وأنبيائه وسائر أوليائه في ضيق وشدة
وجوز من المآكل والمشابوب ، وفي خوف وبلاء كانوا في دعواكم في مسخط من
الله وغضب وعقاب : وإذا كان الكافر في خصب ودعة وأمن عافية ، واتسعت عليه
دنياه من مآكل الحرام وشرب الخمر . كان في رضى من الله وفي محبة . ما رأينا
تأويلا أبعد عن الحق من تأويلكم هذا .

وبلغنا أن بعض أصحاب المريسى قال له : كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد
التي يحتجون بها علينا في رد مذاهبتنا ، بما لا يمكن التكذيب بها ؟ مثل : سفيان عن
منصور ، عن الزهرى ، والزهرى عن سالم ، وأيوب بن عوف ، عن ابن سيرين ،
وعمر بن دينار ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم وما أشبهها ؟

قال : فقال المريسى : لا تردوه تفتضحوا ، ولكن غاطوهم بالتأويل :
فتكونوا قد رددموها بلطف . إذ لم يمكنكم ردها بعنف . كما فعل هذا المعارض
سواء .

وسنقتض بعض ماروى في هذه الأبواب من الحب والبغض والسخط
والكراهية وما أشبهه .

حدثنا محمد بن كثير العبدى أخبرنا همام ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ،
عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من أحب لقاء الله
أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) فذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الكراهيتين معا من الخلق والمخلوق .

وحدثنا مسدد حدثنا يحيى - وهو القطان - عن زكريا بن أبي زائدة حدثني
عامر الشعبي حدثني شريح بن هانيء قال حدثني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه .
والموت قبل لقاء الله) .

وحدثنا عمرو بن عون الواسطي أخبرنا خالد — وهو ابن عبد الله — عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أحب الله عبدا دعا جبريل ، فقال : إني أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى في السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه الملائكة أهل السماء . قال ثم يوضع له القبول في الأرض . وإذا أبغض الله عبدا دعا جبريل فقال : إني أبغض فلانا فأبغضوه . فيبغضه أهل السماء ، ويوضع له البغضاء في الأرض) .

وحدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان قال (ما أحب الله عبدا فأبغضه ، وما أبغض عبدا فأحبه . وإن الرجل ليعبد الأوثان وهو عبد الله) .

حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن ابن جريح قال : سمعت ابن أبي مليكة يحدث عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أبغض الرجال الألد الخصم) .

حدثنا زكريا بن نافع الرملي عن نافع بن عمر الجمحي ، عن بشر بن عاصم الثقفي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يبغض البليغ يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بالسنتها) .

وحدثنا علي بن المديني حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي ، عن قتادة ، عن عبد ابن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تقولوا للمنافق سيدنا . فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم) .

حدثنا محمد بن كثير أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال (يا رسول الله ، أي الهجرة أفضل ؟ قال : أن تهجر ماكره ربك) .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلعم (عجب ربنا من رجلين : رجل قام عن وطائه وغطائه من بين حيه وأهله إلى صلاته ، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم . فعلم ما عليه في الفرار وماله في الرجوع . فرجع حتى أهرق دمه) .

حدثنا مسدد حدثنا يحيى ، عن سفيان حدثني أبو اسحاق ، عن علي بن ربيعة أنه كان رديف علي ، فقال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال (يعجب الرب — أو ربنا — إذا قال العبد : سبحانك لا إله إلا أنت . إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) .

حدثنا سلام بن سليمان المدايني حدثنا شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (عجب ربنا من قوم جرى بهم في السلام حتى يدخلهم الجنة) .

وحدثنا الطيالسي أبو الوليد حدثنا عبيد الله بن أياد بن لقيط حدثني إيراد عن النبراء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كيف يفرح رجل انفلتت منه راحلته تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعام ولا شراب ، وعليها طعامه وشرابه ، فطلبها حتى شق عليه فرت بجذل شجرة ، فتعلق زمامها به ، فوجدها متعلقة به ؟ قال : قلنا شديد الفرح يا رسول الله . قال والله ، لله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا الرجل براحلته) .

وحدثنا هذبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلعم قال (لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يسقط على بعيره قد أضله في أرض فلاة) .

حدثنا يحيى الحماني حدثنا شريك، عن سماك، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (للرب تبارك وتعالى أفرح بتوبة أحدكم من رجل كان في فلاة من الأرض معه راحلة عليها زاده وماله ، فتوسد راحلته فغلبته عينه فنام ، ثم قام والراحلة قد ذهبت ، فصعد شرفاً فنظر فلم ير شيئاً ، ثم هبط فلم ير شيئاً : قال لا أعودن إلى المكان الذي نمت فيه حتى أموت فيه . قال : فداد فظلمته عينه فنام ، فاستيقظ والراحلة قائمة على رأسه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لله أفرح بتوبة أحدكم من صاحب الراحلة بها حين وجدها) .

وحدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد المصري ، عن أبي عبيدة ، عن سعيد بن أبي يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يتوضأ أحد فيحسن وضوءه ويسبغه ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا يتشبهش الله كما يتشبهش أهل الغائب بطلعته .

وحدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد قال حدثني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن نوحا النبي صلى الله عليه وسلم قال لابنه : ائتان أوصيك بهما فاني رأيت الله يستبشر بهما وصالح خلقه ، ورأيتها يسكتان الولوج على الله : سبحان الله وبحمده ، وقول : لا إله إلا الله ، وأما اللتان أنهما عنهما فاني رأيت الله يكرهما وصالح خلقه : الكبير والشرك . فقلت يا رسول الله : أمن الكبير أن ألبس الحلة المسنة ؟ قال : لا إن الله جميل يحب الجمال) .

وفي هذه الأبواب روايات كثيرة أكثر مما ذكرنا : لم نأت بها مخافة التطويل وفيما ذكرنا منها دلالة ظاهرة على ما دلل هذا المعارض عن زعمائه الذين كنى عنهم من الكلام المموه المغطى ، وهو يرى أنه يستخفى حتى لا يفتن لمعناه ولا يدرى ، ونحن نكتفى منه باليسير الأدنى ! حتى تقع الفرحة الكبرى ، فلم يزل هذا المعارض يلجج بأمر القرآن في صدره حتى كشف عن رأسه الغطاء ، وطرح

جلباب الحياء ، فصرح وأفصح بأنه مخلوق ، وأن من قال : غير مخلوق فهو كافر في دعواه ، فلم يترك لمناول عليه موضع تأويل . ولا لمستنبط عليه موضع استنباط لانه إن كان الذي يزعم أنه غير مخلوق عنده كافر ، فالذي يزعم أنه مخلوق مؤمن موثق راشد ، تابع للحق ، فحين كشف للناس عن إرادته ، وشهد عليه بها عبارته سقط في يده وكسر في درعه ، فادعى أنه قصد بالاكفار إلى من يتوهم أن كلام الله ذلك بضم ولسان .

وهم دون من سواهم يسألون عن الكلام ، فإن ادعوا فما ولسانا فهو كفر لا شك فيه . وإن أمسكوا عن الجواب فيه كانوا بإمسكهم أن يدعوا فما ولسانا جهل لا يعذرون به .

فيقال لهذا المعارض المحتج بالحال من الضلال : قد تقلبت منك الكلمة بلا تفسير ولا بحضرة من يدعى عليه فما ولسانا أو تعذر أن تشير إلى أحد من خلق الله أن يتوهم بذلك ، فتعلقك بهذا التفسير اليوم مواربة واعتذار منك إلى الجهال ، كيلا يفتنوا لمرادك منها . ولئن كان أهل الجهل في غلط من مرادك إنا منه لعلى يقين . ولئن جاز لك هذا التأويل لإذا يجوز لكل زنديق وجهمى أن يقول : من زعم أن القرآن كلام الله فهو كافر . فإذا وبخ ووقف على دعواه قال إنما قصدت بالكفر قصد من يدعى به فما ولسانا . وهو لا يقدر أن يشير إلى أحد من ولد آدم أنه قاله . فلم يبل المعارض عند الناس اعتذاره عذرا ، بل حقق بما فسر وأكد من ذلك أنه كلام المخلوق دون الخالق : لانه قال : يسئل من قال كلام الله غير مخلوق فإن ادعوا فما ولسانا لقد كفروا . فإن أمسكوا عن الجواب فقد جهلوا . ولم يعذروا . لما أن الكلام كله في دعواه لا يحتمل معنى إلا بضم ولسان . وخروج من جوف . من لم يفقه ذلك فهو عند المعارض جاهل . فإن كان كما ادعى قد حقق أنه كلام البشر لم يخرج بزعمه إلا من الأجواف والآلسن والآفواه المخلوقة تعالى الله عن هذا الوصف وتكبر لأنه كلام الملك الأكبر نزل به الروح الأمين على خير

البشر صلوات الله عليها عدد من مضى وغير . وعدد التراب والرمل . وأوراق الشجر .

ثم قفى المعارض بكتاب آخر كالمعتذر لما سلف منه ، مصدقا لبعض ما سبق من ضلالاته ، مكذبا لبعض يريد أن يبلى عنه الرعاع لنفسه في زلاته وسقطاته عذرا ، بل أقام على نفسه حجة بعد حجة . وكانت حجته بها في كتابه أعظم من جرمه . وهكذا الباطل ما ازداد له المرء احتجاجا إلا ازداد اعوجاجا . ولما خفى من ضمائره لإخراجا .

فادعى أن من قال : القرآن مخلوق فهو مبتدع . ومن قال غير مخلوق ، وهو - يعنى أنه الله - فهو كافر ، ومن قال : هو غير الله فهو مصيب . ثم إن قال بعد إصابته إنه غير مخلوق فهو جاهل في قوله أنه غير مخلوق . وإن قال : إنه خرج من جسم فهو كافر . قال : والكلام غير المتكلم . والقول غير القائل . والقرآن والمقروء والقارئ كل واحد منها له معنى . فيقال لهذا المعارض : ما أثبت بكلامك هذا الأخير عذرا ، ولا أحدث من ضلالاك به توبة ، بل حققت وأكدت أنه مخلوق بتمويه وتدليس ، وتخليط منك وتلبيس . وإن كنت قد موهت على من لا يعقل بعض التمويه ، فسزده من ذلك إن شاء الله إلى تبينه .

أما قولك : الكلام غير المتكلم ، والقول غير القائل . فانه لا يشك عربى ولا عجمى أن القول والكلام من المتكلم والقائل يخرج من ذاتهم سواء .

وأما قولك : إن من زعم أن القرآن غير الله فقد أصاب . فهذا منك تأكيد وتحقيق أنه مخلوق . لأن كل شيء غير الله في دعواك ودعوانا مخلوق . ثم أكدت أيضا فقلت : من قال غير مخلوق فقد جهل . وقلت مرة : فقد كفر . فأى تأكيد أوكد في المخلوق من هذا ؟ ثم راوغت ، فقلت في بعض كلامك : من قال : إنه فهو مبتدع ، تمويهها منك وتدليسا على الجاهل الذين لا يعلمون . لانه إن كان من

قال غير مخلوق عندك جاهلا ككفرآ. كان من قال مخلوق عندك عالما مؤمنا . فقولك مبتدع لا ينقاس لك في مذهبك ، غير أنك تريد أن ترضى به من حولك من الأعمار .

رأما قولك : من زعم أنه خرج من جسم فهو كافر . فليس يقال كذلك ، ولا أراك سمعت أحدا ينفوه به كما ادعيت ، غير أنا لانشدك أنه خرج من الله تبارك وتعالى دون سواه . وذكر الجسم والفم واللسان خرافات وفضول مرفوعة عنا . لم نكلفه في ديننا . ولا يشك أحد أن الكلام يخرج من المتكلم .

وأما قوك : إنه جز. منه . فهذا أيضا من تلك الفضول . وما رأينا أحدا يصفه بالأجزاء ، والأعضاء ، جل عن هذا الوصف وتعالى ، والكلام صفة المتكلم لا يشبه الصفات : من الوجه ، واليد ، والسمع ، والبصر . ولا يشبه الكلام من الخالق والمخلوق سائر الصفات .

وقد فسرنا ذلك في صدر هذا الكتاب تفسيراً فيه شفاء إن شاء الله تعالى .

وأما قولك : إن قالوا : القرآن هو الله . فهو كفر . فإننا لا نقول : هو الله ، كما ادعيت ، فيستحيل . ولا نقول . هو غير الله فيلزمنا أن نقول : كل شيء غير الله مخلوق . كما لزمك . ولكنه كلام الله وصفة من صفاته . خرج منه كما يشاء أن يخرج . والله بكلامه وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته غير مخلوق . وهو بكماله على عرشه .

وأما قولك : في القراءة والقارىء والمقروء : وإن لكل شيء منه معنى على حدة فهذا أمر مذاهب اللفظية . لاندرى من أين وقعت عليه ، وكيف تقلدته ؟ فمرة أنت جهمى ، ومرة واقفى ، ومرة لفظى ولولا أن يطول الكتاب

لينا لك وجوه القارىء والقراءة والمقروء ، غير أنى طولت وأكثرت . ومع ذلك اختصرت وتخطيت خرافات ، لم يستقم لكثير منها جواب . غير أنا ما فسرنا منه يدل على مالم يفسر ، والله الموفق للصواب ما نأتى وما نذر .

قال أبو سعيد رحمه الله : واعلموا أنى لم أركتابا قط أجمع لحجج الجهمية من هذا الكتاب الذى نسب إلى هذا المعارض . ولا أنقض لعرى الاسلام منه . ولو وسعنى لافنديت من الجواب فيه بمحال . ولكن خفت أنه لايسع أحدا عنده شئ من البيان يكون ببلدة ينشر فيها هذا الكلام . ثم لاينقض على ناشره ذبا عن الله وحاماة عن أهل الغفلة من ضعفاء الرجال والنساء والصبيان . أن يضلوا به ، أو يفتنوا أو يشكوا فى الله وصفاته . ولم نألكم فيه والاسلام نصحا إن قبلتم ، ومن لم يقبله فلينصح نفسه وأهله وولده وإخوانه من أهل الاسلام ، ليعرض على من بقى من علماء الحجاز والعراق ، ومن عبر من علماء خراسان حتى يستقر عنده نصحنا ، وخيانة هذا المعارض للاسلام وأهله . فانه أحدث أشنع المحدثات وجاء بأكبر المنكرات . ولا آمن على من أحدث هذا بين ظهريهم فأغضوا له عنه ولم ينكروه عليه بمجد : إن يصيبهم الله بعقاب من عنده ، أو مسخ ، أو خسف . فإن الخطب فيه أعظم مما يذهب إليه العوام . لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (سيكون فى أمتى مسخ ، وذلك فى قدرية وزندقية) .

حدثنا يحيى الحماني حدثنا ابن المبارك ، عن حيوة بن شريح قال حدثنى ابن صخر حميد بن زياد أن نافما أخبره عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (سيكون فى أمتى مسخ ، وذلك فى قدرية وزندقية) والتجهم عندنا باب كبير من الزندقة يستتاب أهله . فان تابوا وإلا قتلوا ، وقد رويناه باب قتلهم فى صدر هذا الكتاب ، حتى لقد رأى عمر بن عبد العزيز استتابة القدرية ، فكيف الجهمية والزنادقة ؟

حدثنا القعنبي ، عن مالك بن أنس ، عن عمه أبي سهل قال (كنت أسأله عن ابن عبد العزيز فقال لي : ما ترى في هؤلاء القدرية ؟ فقلت : أرى أن تستبيهم . فإن تابوا وإلا عرضتهم على السيف . فقال عمر (ذاك رأيي) قال القعنبي قال مالك (ذلك رأيي) وحدثنا محمد بن عثمان التنوخي . عن سعيد ، بن بشير ، عن قتادة عن سعيد بن جبير (أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما نسبة رأبك ؟ فأنزل الله (قل هو الله أحد) كلها .

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو هلال الراسبي أن عبد الله بن رواحة قال للحسن (هل تصف ربك ؟ قال نعم ، بغير مثال) حدثنا سلام بن سليمان المديني حدثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس قال (ليس لله مثل) .

ونحن نقول كما قال ابن عباس : ليس لله مثل ولا شبه ، ولا كمثل شيء . ولا كصفاته صفة . فقولنا : ليس كمثل شيء أنه أعظم الأشياء وخالق الأشياء ، وأحسن الأشياء نور السموات والأرض .

وقول الجهمية ؛ ليس كمثل شيء ، يعنون أنه لا شيء . لأنهم لا يثبتون في الأصل شيئاً . فكيف المثل ؟ وكذلك صفاته ليست عندهم بشيء ، والدلالة على دعواهم هذه الخرافات والمستحالات التي يحتجون بها في إبطالها ، واتخذوا (ليس كمثل شيء) دلالة على الجهال ليروجوا عليهم بها الضلال . كلمة حق يتغنى بها باطل ، ولئن كانوا (١) السفهاء في غلط من مذاهبيهم ، إن الفقهاء منهم لعلهم يقين .

آخر كتاب النقض على بشر المريسي ، عليه أدام لعنة ، وأقبح خزي إلى يوم التناد ، وعلى من اتبعه وصدقه في بدعته ، كلها أو بعضها ، وروى عن اسمه فيها . والحمد لله وحده ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

طبعت عن نسخة منقولة بخط الاخ السلفى الشيخ محمود شويل خادم العلم
بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في صبيحة الاربعاء ١٤ ربيع الاول سنة
١٣٥٠ وهو نقلها عن نسخة مكتوبة بخط أيوب بن صخر العامري . فرغ
من كتابتها في ١٣ ذى القعدة سنة ٧١١ محفوظة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة
المنورة .

ملحق من التفسير

المسمى : محاسن التأويل

أحمد جمال الدين القاسمي (١)

عند قوله تعالى في سورة الاعراف الآية ٤٤ : (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) .

وقوله تعالى : (ثم استوى على العرش) اعلم أن الاستواء ورد على معان اشترك لفظه فيها ، فجاء بمعنى الاستقرار ومنه : استوت على الجودي — وبمعنى القصد ومنه : ثم استوى إلى السماء ، وكل من فرغ من أمر وقصد لغيره فقد استوى له وإليه . قال الفراء : تقول العرب : استوى إلى يخاصمني أى أقبل على - ويأتى بمعنى الاستيلاء قال الشاعر (قد استوى بشر على العراق) — وقال آخر :

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر

ويأتى بمعنى العلو ومنه آية : (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك) ومنه هذه الآية .

قال البخارى في آخر صحيحه في كتاب الرد على الجهمية في باب قوله تعالى : « وكان عرشه على الماء » قال مجاهد : استوى علا على العرش . انتهى .

(١) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، وشركاه ، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ ، ج ٧ ص ٢٧٠٢ وقد اخترنا إلحاق هذه القطعة من تفسير القاسمي لأن مؤلفه من السلف المعاصرين ، الذين انتحوا نحو السلف المتقدمين في تفسير آيات الصفات ، مما يدل على استمرار هذا المنهج السلفي إلى عصرنا هذا .

وفي كتاب «العلو» للمحافظ الذهبي : قال إسحق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين يقول . « الرحمن على العرش استوى » أى ارتفع ونقل ابن جرير عن الربيع بن أنس أنه بمعنى ارتفع . وقال لأنه فى كل مواضعه بمعنى علا وارتفع . وأقول : لا حاجة إلى الإكثار من ذلك ، فإن الاستواء غير مجهول وإن كان الكيف مجهولا .

روى الإمام أحمد بن حنبل فى كتابه « الرد على الجهمية » عن شريح بن النعمان عن عبد الله بن نافع قال : قال مالك بن أنس : الله فى السماء وعلمه فى كل مكان لا يخلو منه شيء .

وروى البيهقى عن ابن وهب قال : كنت عند مالك فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الله « الرحمن على العرش استوى » كيف استوى ؟ فأطرق مالك وأخذته الرضاء ثم رفع رأسه فقال : « الرحمن على العرش استوى » كما وصف نفسه ، ولا يقال : كيف . « وكيف » عنه مرفوع وأنت صاحب بدعة . وفى رواية قال : السكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

قال الحافظ الذهبي فى كتاب «العلو» — بعدما ساق هذا مانصه : وهو قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا تعقلها بل نجهلها وأن استواءه معلوم كما أخبر فى كتابه وأنه كما يليق به لا تعمق ولا تتحلق ولا نخوض فى لوازم ذلك نفيا ولا إثباتا بل نسكت ونقف السلف ، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون ولما وضعهم لإقراره وإقراره والسكوت عنه ونعلم يقينا مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له فى صفاته ولا فى استوائه ولا فى نزوله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

ثم قال الذهبي : قال الإمام العلم أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى صاحب التصانيف الشهيرة فى كتابه « مختلف الحديث » : نحن نقول فى قول الله

تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » ، أنه معهم يعلم ما هم عليه ، كما تقول للرجل وجهته إلى بلد شامع : احذر التقصير فإني معك ، يريد أنه لا يخفى على تقصيرك وكيف يسوغ لأحد أن يقول : إن الله سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله « الرحمن على العرش استوى » ، ومع قوله : « إليه يصعد الكلم الطيب » ، كيف يصعد إليه شيء هو معه وكيف تعرج الملائكة والروح إليه وهي معه ؟ قال ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرتهم وماركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلبوا أن الله عز وجل هو العلى وهو الأعلى وأن الأيدي ترفع بالدعاء إليه والامم كلها عجميها وعربيها يقول : إن الله في السماء ما تركت على فطرها . انتهى .

ثم قال الذهبي أيضا : عن يزيد بن هرون شيخ الاسلام أنه قيل له : من الجهمية ؟ قال : من زعم أن « الرحمن على العرش استوى » ، على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي .

قال الذهبي : والعامة مراده بهم جمهور الأمة وأهل العلم والذي وقر في قلوبهم من الآية هو ما دل عليه الخطاب مع يقيهم بأن المستوى « ليس كمثل شيء » ، هذا هو الذي وقر في فطرم السليمة وأذهانهم الصحيحة .

ولو كان له معنى وراء ذلك لتفوهوا به ولما أهملوه . ولو تأول أحد منهم الاستواء لتوفرت الهمم على نقله ولو نقل لاشتهر فإن كان في بعض جهلة الأغبياء من يفهم من « الاستواء » ، ما يوجب نقصا أو قياسا للشاهد على الغائب وللمخلوق على الخالق فهذا نادر . فمن نطق بذلك زجر وعلم ، وما أظن أن أحدا من العامة يقر في نفسه ذلك - والله أعلم - انتهى .

قال الشيخ الإمام العارف قدوة العارفين الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه في كتابه « تحفة المتقين وسبيل العارفين » ، في باب المذاهب في صفات الله عز وجل وفي ذكر اختلاف الناس في الوقف عند قوله : « وما يعلم تأويله إلا الله » ، قاله إسحق : في العلم إلى أن قال : والله تعالى بذاته على العرش ، عليه محيط بكل

مكان والوقف عند أهل الحق على قوله : « إلا الله » . وقد روى ذلك عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا الوقف حسن لمن اعتقد أن الله بذاته على العرش : ويعلم ما في السموات والأرض . إلى أن قال : ووقف جماعة من منكرى استواء الرب عز وجل على قوله « الرحمن على العرش » ، وابتدأوا بقوله : استوى له ما في السموات وما في الأرض ، يريدون بذلك نفى الاستواء الذي وصف به نفسه وهذا خطأ منهم لأن الله تعالى على العرش بذاته .

وقال في كتابه « الغنية » : أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن تعرف وتيقن أن الله واحد أحد إلى أن قال : لا يخلو من عليه مكان ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل يقال إنه في السماء على العرش كما قال جل ثناؤه : « الرحمن على العرش استوى » ، وقوله : « ثم استوى على العرش الرحمن » ، وقال تعالى : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » ، والنبي صلى الله عليه وسلم حكم بإسلام الأمة لما قال لها : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء . وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضى الله عنه : لما خلق الله الخلق كتب كتابا على نفسه وهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي وفي لفظ آخر : لما قضى الله سبحانه الخلق كتب على نفسه في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي . وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والماسة كما قالت المجسمة والكرامية ولا على معنى العلو الرفعة كما قالت الأشعرية ولا على الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة لأن الشرع لم يرد بذلك ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ، ذلك ، بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق . وقد روى عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل : « الرحمن على العرش استوى » ، السكيف غير معقول والاستواء غير مجبول والإقرار به واجب والجهود به كفر . وقد أسنده مسلم بن الحجاج عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم في صحيحه . وكذلك في حديث أنس بن مالك رضى الله عنه وقال أحمد بن حنبل رحمه الله قبل موته

بقريب : أخبار الصفات تمر كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل . وقال أيضا في رواية بعضهم - لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذه الأماكن في كتاب الله عز وجل أو حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه رضي الله عنهم أو عن التابعين .

فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود فلا يقال في صفات الرب عز وجل : كيف ، ؟ ودلم ، ؟ لا يقول ذلك إلا شكاك . وقال أحمد رضي الله عنه في رواية عنه في موضع آخر : نحن نؤمن بأن الله عز وجل على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف ويحدها حادلا روى عن سعيد بن المسيب عن كعب الأحبار قال : قال الله تعالى في التوراة : أنا الله فوق عبادي وعرشي فوق جميع خلقي وأنا على عرشي عليه أدبر عبادي ولا يخفى على شيء من عبادي . . وكونه عز وجل على العرش المذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف ولأن الله تعالى فيما لم يزل موصوف بالعلو والقدرة والاستيلاء والغلبة على جميع خلقه من العرش وغيره فلا يحمل الاستواء على ذلك . فالاستواء من صفات الذات بعدما أخبرنا به ونص عليه وأكده في سبع آيات من كتابه والسنة الماثورة به وهو صفة لازمة له ولا ثقة به كاليد والوجه والعين والسمع والبصر والحياة والقدرة وكونه خالقا ورازقا ومحيا وميتا موصوف بها ولا تخرج من الكتاب والسنة نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيها ونكل الكيفية في الصفات إلى علم الله عز وجل . كما قال سفيان بن عيينة رحمه الله : كما وصف الله تعالى نفسه في كتابه فتفسيره قراءة لا تفسير له غيرها ولم نتكلف غير ذلك فإنه غيب لا مجال للعقل في إحراكه ونسأل الله تعالى العفو والعافية ونعوذ به من أن نقول فيه وفي صفاته ما لم يخبرنا به هو أو رسوله عليه السلام . انتهى كلام الجيلاني قدس سره .

وروى أبو إسماعيل الأنصاري في ذم الكلام وأهله ، عن أبي زرعة الرازي

أنه سئل عن تفسيره الرحمن على العرش استوى ، فغضب وقال : تفسيره كما تقرأ هو على عرشه وعلمه في كل مكان من قال غير هذا فعليه لعنة الله .

وأُسند عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال : سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك ؟ فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا ومصرًا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف أحاط بكل شيء علما .

تنبيهات

الأول بطلان تأويل (استوى) بـ (استولى) :

قال الامام عبد العزيز بن يحيى الكنانى صاحب الشافعى رحمه الله تعالى فى كتاب الرد على الجهمية : زعمت الجهمية أن معنى استوى (استولى) من قول العرب : استوى فلان على مصر يريدون استولى عليها . قال : فيقال له : هل يكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس بمستولى عليه ؟ فإذا قال : لا ، قيل له : فن زعم ذلك فهو كافر فيقال له : يلزمك أن تقول : إن العرش أتت عليه مدة ليس الله بمستولى عليه وذلك لأنه أخبر أنه سبحانه خلق العرش قبل السموات والأرض ثم استولى عليه بعد خلقهن فيلزمك أن تقول : المدة التي كان العرش قبل خلق السموات والأرض ليس الله بمستولى عليها فيها ثم ذكر كلاما طويلا فى تقرير العلو والاحتجاج عليه .

وقال ابن عرفة فى كتاب الرد على الجهمية : حدثنا داود بن على قال : كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال : ما معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ، قال : هو على عرشه كما أخبر ، فقال : يا أبا عبد الله ؟ إنما معناه استولى فقال : لا يقال : استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاء فأبها غلب قيل :

استولى والله تعالى لامضاء له وهو على عرشه كما أخبر ثم قال : الاستيلاء بعد المغالبة كما قال النابغة :

إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجداء إذا استولى على الأمد

وروى الخطيب البغدادي عن محمد بن أحمد بن النضر قال : كان ابن الأعرابي جاءنا وكان ليله أحسن ليل وذكر لنا أن ابن أبي دؤاد سأله : أتعرف في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : لا أعرفه ؟ وفي رواية : أرادني ابن أبي دؤاد أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها « الرحمن على العرش استوى » استوى بمعنى استولى فقلت له : والله ما يكون هذا ولا وجدته . وابن الأعرابي أبو عبد الله كان لغوى زمانه كما قال الذهبي .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه « الإبانة في أصول الديانة » وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنعه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال :

« فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة . فإن قال قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون . قيل له : قولنا الذي نقول به التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتمدون وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد ابن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مشوبته قائلون ولما خالف قوله مخالفون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال وقمع به بدع المبتدعين وزينغ الزائغين .

ثم قال في « باب الاستواء على العرش » : إن قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟ قيل له : نقول : إن الله مستو على عرشه كما قال : « الرحمن على العرش استوى » وقد قال الله : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وقال : « بل رفعه الله إليه » وقال : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه » وقال حكايه

عن فرعون : « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الأسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا » كذب موسى في قوله : إن الله فوق السموات . وقال : « أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ؟ » فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات قال : أأنتم من في السماء لأنه على العرش الذى هو فوق السموات وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات وليس إذا قال : أأنتم من في السماء يعنى جميع السماء وإنما أراد العرش الذى هو أعلى السموات . ألا ترى أن الله ذكر السموات فقال : « وجعل القمر فيهن نورا ، فلم يرد أن القمر يملؤهن وأنه فيهن جميعا . ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم - إذا دعوا نحو السماء لأن الله على العرش الذى هو فوق السموات فلو أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها إذا دعوا - إلى الأرض .

فصل : وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى قوله « الرحمن على العرش استوى » أنه استولى وملك وقهر وأن الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق . وذهبوا في الاستواء إلى (القدرة) فلو كان هذا كما ذكروه كان لافرق بين العرش والأرض السابعة لأن الله قادر على كل شيء فالله قادر على الأرض وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم . فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى (الاستيلاء) وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها وإذا كان قادرا على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول إن الله مستول على الحشوش والأخيلية ، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش (الاستيلاء) الذى هو عام في الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها . وذكر دلالات من القرآن والحديث والاجماع والعقل - انتهى .

قلت : وكلام أبى الحسن الأشعري الأخير مأخوذ من كتاب رد الإمام أحمد

على الجهمية حيث قال في كتابه المذكور : « وما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله سبحانه على العرش . فقلنا : لم أنكرتم ذلك ؟ إن الله سبحانه على العرش وقد قال سبحانه . « الرحمن على العرش استوى » ، وقال . « ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً » قالوا : هو تحت الأرضين السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان لا يخلو من مكان ولا يكون في مكان دون مكان ، وتلوا آيات من القرآن « وهو الله في السموات وفي الأرض ، فقلنا : قد عرف المسلمون أماكن كثيرة وليس فيها من عظمة الله شيء فقالوا : أى مكان ؟ فقلنا أحشاؤكم وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب سبحانه شيء وقد أخبرنا أنه في السماء فقال سبحانه : أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ... الآية » وقال : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وقال : « له من في السموات والأرض ومن عنده » وقال : « إني متوفيك ورافعك إلی » وقال : « بل رفعه الله إليه » وقال : « يخافون ربهم من فوقهم » وقال وقال : « تعرج الملائكة والروح إليه » وقال : « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » - فهذا أخبر الله أنه في السماء ووجدنا كل شيء أسفل مذموماً قال الله تعالى : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار » وقال الذين كفروا ربنا أربنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلها تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين » وقلنا لهم : أليس تعلمون أن إبليس كان مكانه والشياطين مكانهم ؟ فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس ولكن إنما معنى قوله تبارك وتعالى : « وهو الله في السموات وفي الأرض » يقول : هو إله من في السموات وإله من في الأرض وهو على العرش وقد أحاط بعلمه ما دون العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله في مكان دون مكان وذلك قوله : « لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً » .

قال : ومن الاعتبار في ذلك : لو أن جلاكان في يده قدح من قوارير صاف وفيه

شئ كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم فى القدح فאלله سبحانه - وله المثل الأعلى - قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون فى شئ من خلقه ، وخصلة أخرى : لو أن رجلا بنى دارا بجميع مراقبتها ثم أغلق بابها وخرج منها كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيتا فى داره وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار فى جوف الدار . فآله سبحانه وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق ، وقد علم كيف هو ، وما هو من غير أن يكون فى شئ مما خلق .

قال أحمد رضى الله عنه : وما تأول الجهمية من قول الله سبحانه : « ما يكون من نحوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ... » ، إلى أن قال : « إن الله بكل شئ عليم ، قالوا : إن الله عز وجل معنا وفينا . فقلنا : لم قطعتم الخبر من أوله ؟ إن الله يقول : « ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما الأرض ما يكون من نحوى ثلاثة إلا رابعهم ، يعنى أن الله بعلمه رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم بعلمه فيهم ، يفتح الخبر بعلمه ويختمه بعلمه - انتهى .

ثم قال الامام أحمد فى آخر كتابه المذكور : وقلنا للجهمية : زعمتم أن الله فى كل مكان ، لا يخلو منه مكان . فقلنا لهم : أخبرونا عن قول الله جل ثناؤه : « فلما تجلى ربه للجبل جعله ، لم تجلى إذا كان فيه بزعمكم ؟ ولو كان فيه - كما تزعمون - لم يكن يتجلى لشيء . لكن الله تعالى على العرش وتجلى لشيء لم يكن فيه ورأى الجبل شيئا لم يكن يراه قط قبل ذلك .

وقلنا للجهمية : الله نور ؟ فقالوا : نور كله فقلنا : قال الله عز وجل : « وأشرقَت الأرض بنور ربها » ، فقد أخبر جل ثناؤه أن له نورا . قلنا . أخبرونا حين زعمتم أن الله فى كل مكان وهو نور فلم لا يضيء البيت المظلم من النور الذى هو فيه إذا زعمتم أن الله فى كل مكان ؟ وما بال السراج إذا أدخل البيت المظلم . قضى ؟

فعمد ذلك تبين كذبهم على الله . فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن القول الذى يخالف الكتاب والسنة وقال بقول العلماء وهو قول المهاجرين والانصار وترك دين الشيطان ودين جهم وشيعته . انتهى .

وقال الإمام الحافظ ابن عبد البر فى كتاب « التمهيد » فى شرح حديث « ينزل ربنا كل ليلة » الحديث مانصه : هذا الحديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث فى صحته وفيه دليل على ان الله تعالى فى السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة . وهو حجتهم على المعتزلة والجمعية فى قولهم : إن الله فى كل مكان وليس على العرش . والدليل على صحة ما قاله أهل الحق فى ذلك قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » ثم ساق عدة آيات فى ذلك - وقال : هذه الآيات كلها واضحات فى إبطال قول المعتزلة . وأما ادعائهم المجاز فى الاستواء وقولهم فى تأويل (استوى) : استولى فلا معنى له لأنه غير ظاهر فى اللغة ومعنى الاستيلاء فى اللغة المغالبة والله تعالى لا يغالبه أحد وهو الواحد الصمد . ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك . وإنما يوجه كلام الله عز وجل على الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم . ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع مائت شئ من البادات . وجل الله أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب من معبود مخاطباتها بما يصح معناه عند السامعين . والاستواء معلوم فى اللغة مفهوم وهو العلو والارتفاع على الشئ والاستقرار والتمكن فيه قال أبو عبيدة فى قوله : « الرحمن على العرش استوى » قال علا قال : وتقول العرب : استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت . وقال غيره : استوى أى استقر واحتج بقوله تعالى : « ولما بلغ أشده واستوى » انتهى شبابه واستقر فلم يكن فى شبابه مزيد .

قال ابن عبد البر : الاستواء : الاستقرار فى العلو بهذا خاطبنا الله تعالى فى كتابه فقال : « لتستروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذ استوitem عليه » وقال

تعالى : « واستوت على الجودي » وقال تعالى : فاذا استويت أنت ومن معك على
الفلك ، وقال الشاعر :

فأوردتهم ماءً بفيفاء حفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد (استوى) لأن النجم لا يستوى . وقد ذكر
النضر بن شميل - وكان ثقة مأمونا جليلا في علم الديانة واللغة قال : حدثني الخليل
وحسبك بالخليل - قال : أتيت أبا ربيعة الأعرابي - وكان من أعلم ما رأيت - فإذا
هو على سطح فسلنا فرد علينا السلام وقال : (استوا) فبقينا متحيرين ولم ندر
ما قال فقال لنا أعرابي إلى جانبه : إنه أمركم أن ترفعوا . فقال الخليل : هو من
قول الله (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) فصعدنا إليه . قال : وأما من نزع
منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن
عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنها في قوله (الرحمن
على العرش استوى) قال : استوى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان فالجواب :
أن هذا حديث منكر على ابن عباس رضي الله عنها ونقلته بجهولة وضعفاء . فأما
عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان . وإبراهيم بن عبد الصمد
مجهول لا يعرف . وهم لا يقبلون أخبار الأحاد فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا
الحديث لو عقلوا وأنصفوا ؟ أما سمعوا الله سبحانه حيث يقول : (وقال فرعون
يا هامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى
وإني لأظنه كاذبا) فدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول : إلهي في السماء
وفرعون يظنه كاذبا . قال الشاعر :

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ومن هو فوق العرش فرد موحد

ملك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهذا الشعر لامية بن أبي الصلت . وفيه يقول في وصف الملائكة :

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه يعظم ربا فوقه ويمجد

قال : فإن احتجوا بقوله تعالى : (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله)
وبقوله تعالى : (وهو الله فى السموات وفى الأرض) وبقوله تعالى : د ما يكون
من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) وزعموا أن الله سبحانه
فى كل مكان بنفسه وذاته - تبارك وتعالى جده - قيل : لا خلاف بيننا وبينكم وبين
سائر الأمة أنه ليس فى الأرض دون السماء بذاته فوجب حمل هذه الآيات على
المعنى الصحيح المجمع عليه ، وذلك أنه فى السماء إله معبود من أهل السماء وفى
الأرض إله معبود من أهل الأرض ، وكذا قال أهل العلم بالتفسير . وظاهر هذا
التنزيل يشهد أنه على العرش فالاختلاف فى ذلك ساقط ، وأسعد الناس به من
ساعده الظاهر . وأما قوله فى الآية الأخرى : (وفى الأرض إله) فالاجماع
والاتفاق قد بين أن المراد أنه معبود من أهل الأرض ، فتدبر هذا فإنه
قاطع .

ومن الحجة أيضا فى أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين
أجمعين من العرب والعجم إذا كرههم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى
السماء ونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها إلى السماء يستغيثون الله بهم تبارك وتعالى
وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته ،
لأنه اضطرارى لم يخالفهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم . وقد قال صلى الله عليه
وسلم للأمة التى أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة . فاختبرها رسول الله صلى
عليه وآله وسلم بأن قال لها : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء . ثم قال لها . من أنا ؟
قالت : أنت رسول الله . قال : أعتقها فإنها مؤمنة . فاكتمى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم منها برفع رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه .

قال : وأما احتجاجهم بقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)
فلا حجة لهم فى ظاهر هذه الآية ، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم

التأويل في القرآن قالوا : تأويل هذه الآية : هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله . وذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) قال : هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا . قال : وبلغني عن سفیان الثوري مثله . قال سنيد حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : الله فوق العرش وعلمه في كل مكان لا يخفى عليه شيء من أعمالكم . ثم ساق من طريق يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى الأخرى خمسمائة عام وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي إلى الماء مسير خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش ويعلم أعمالكم . وذكر هذا الكلام أو قريباً منه في كتاب (الاستدكار) .

وقال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى في (الرسالة المدنية) إذا وصف الله نفسه بصفة أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم أو وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم - فصرفها عن ظاهرها للاتق بمجالاته سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر ويجازي مخالفة الحقيقة لا بد فيه من أربعة أشياء :

أحدها : أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاءوا باللسان العربي ولا يجوز أن يراد منه خلاف لسان العرب أو خلاف الألسنة كلها ، فلا بد أن يكون ذلك المعنى المجازي مما يراد به اللفظ وإلا فيمكن كل مبطّل أن يفسر أى لفظ بأى معنى ناسخ له وإن لم يكن له أصل في اللغة .

الثاني : أن يكون دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه وإلا فاذا

كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة وفي معنى بطريق المجاز لم يحز حمله على المجازى
بغير دليل يوجب الصرف بأجماع العقلاء . ثم إن ادعى وجوب إن صرفه عن الحقيقة
فلا بد من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف . وإن ادعى ظهور صرفه
عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجح للحمل على المجاز .

الثالث : أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض ، وإلا فإذا
قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها ثم إن كان هذا
الدليل لم يلتفت إلى نقيضه وإن كان ظاهرا فلا بد من الترجيح .

الرابع : أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف
ظاهره وضد حقيقته فلا بد أن يبين للامة أنه لم يرد حقيقته وإنما أراد مجازه سواء
عينه أم لم يعينه لاسيما في الخطاب العلوي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم دون
عمل الجوارح فإنه سبحانه جعل القرآن نورا وهدى وبيانا للناس وشفاء لما في
الصدور وأرسل الرسول ليبين للناس ما نزل إليهم وليحكم بين الناس فيما اختلفوا
فيه ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ثم هذا الرسول الامي العربي
بعث بأفصح اللغات وأبين الالسنه والعبارات ثم الامة الذين أخذوا عنه كانوا
أعمق الناس علما وأفصحهم للامة وأبينهم للسنة فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء
بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلا يمنع من حمله على ظاهره
إما بأن يكون عقليا ظاهرا مثل قوله (وأوتيت من كل شيء) فإن كل أحد يعلم
بعقله أن المراد (أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها) . وكذلك قوله (خالق كل شيء)
يعلم المستمع أن المراد أن الخالق لا يدخل في هذا العموم . أو سمعيا ظاهرا مثل
الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعضها الظواهر . ولا يجوز أن يحيلهم
على دليل خفي لا يستبطله إلا أفراد الناس سواء كان سمعيا أو عقليا لأنه إذا تكلم
بالكلام الذي يفهم منه معنى وأعاده مرات كثيرة وخاطب به الخلق كلهم وفهم
الذكي والبليد والفقيه وغير الفقيه . وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب
ويقلوه ويتفكررا فيه ويعتقدوا موجهه ثم أوجب ألا يقصدوا بهذا الخطاب

شيئا من ظاهره لأن هناك دليلا خفيا يستنبطه أفراد الناس يدل على أنه لم يرد ظاهره كان تدليسا أو تلبيسا وكان نقيض البيان رصده الهدى وهو بالالغاز والأحاجي أشبه منه بالهدى والبيان فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفى على أن الظاهر غير مراد كيف إذا كان ذلك الخفى شبهة ليس لها حقيقة ؟ انتهى .

(الثانى) : يتوهم كثير أن القول بالعلو والاستواء يلزم منها القول بالتجسيم وقد رمى بذلك كثير من المحدثين ومن رماهم بذلك الجلال الدوانى فى شرح العقائد العضدية حيث قال - عفا الله عنه : وأكثر المجسمة هم الظاهريون المتبعون لظاهر الكتاب والسنة وأكثرم المحدثون . ولابن تيمية أبى العباس وأصحابه ميل عظيم إلى إثبات الجهة ومبالغة فى القدح فى نهيا . ورأيت فى بعض تصانيفه أنه لافرق عند بديهية العقل بين أن يقال : هو معدوم أو يقال : طلبته فى جميع الامكنة فلم أجده ونسب النافين إلى التلطيل . هذا مع علو كعبه فى العلوم العقلية والنقلية كما يشهد به من تتبع تصانيفه .

ومحصل كلام بعضهم فى بعض المواضع أن الشرع ورد بتخصيصه تعالى بجهة ، الفوق ، كما خصص الكعبة بكونها بيت الله تعالى ولذلك يتوجه إليها فى الدعاء ولا يخفى أنه ليس فى هذا القدر غائلة أصلا لكن بعض أصحاب الحديث من المتأخرين لم يرض بهذا القول وأنكر كون الفوق قبلة الدعاء بل قال : قبلة الدعاء هو نفسه كما أن نفس الكعبة قبلة الصلاة . وقد صرح بكونه جهة الله تعالى حقيقة من غير تجوز . انتهى كلام الدوانى .

وتعقبه غير واحد .

منهم : الشيخ إبراهيم الكورانى فى حاشيته عليه المسماة (بمجلى المعانى) قال : إن ابن تيمية ليس قائلا بالتجسيم فقد صرح بأن الله تعالى ليس جسما فى رسالة تكلم فيها على حديث النزول . وقال فى رسالة أخرى . من قال إن الله تعالى مثل بدن

الانسان أو إن الله تعالى يماثل شيئا من المخلوقات فهو مفتر على الله سبحانه . بل هو على مذهب السلف قائل بأن الله تعالى فوق العرش حقيقة مع نفى الوازم ونقل عليه لإجماع السلف . صرح به في الرسالة القديرية . انتهى .

ومنهم : ولى الله الدهلوى قدس سره قال في كتابه (حجة الله البالغة) : واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث وسموهم بحسمة ومشبهة وقالوا : هم المستترون بالبلفكة . وقد وضع على وضوحا بينا أن استطائهم هذه ليست بشئ . وأنهم مخطئون في مقالاتهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى انتهى .

ومنهم : الشهاب الالومى المفسر فإنه كتب على كلام الدوائى مانصه : حاشا لله تعالى أن يكون - يعنى ابن تيمية - من المحسمة بل هو أبرأ الناس منهم . نعم يقول بالفوقية وذلك مذهب السلف وهو بمنزل عن التجسيم . وجلال الدين وأضرابه أجعل الناس بالأحاديث وكلام السلف الصالح كما لا يخفى على العارف المنصف نقله عنه ابنه في (محاكمة الأحدين) .

وأقول : إن كل من رى مثل هذا الإمام بالتجسيم فقد افترى وما درى إلا أن عذره أنه لم ينقب عن غرر كلامه في فتاويه التى أوضح فيها الحق وأثار بها مذهب السلف قاطبة وهاك شذرة من درره قال رحمه الله في بعض فتاويه :

والأصل في هذا الباب أن كل ما أثبت في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وجب التصديق به مثل علو الرب واستوائه على عرشه ونحو ذلك . وأما الالفاظ المتبدعة في النفى والإثبات مثل قول الغائل : هو في جهة أو ليس في جهة وهو متحيز أو ليس بمتحيز ونحو ذلك من الالفاظ التى تنازع فيها الناس وليس مع أحدهم نص لا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة المسلمين - هؤلاء لم يقل أحد منهم أن الله تعالى في جهة ولا قال هو متحيز ولا قال ليس بمتحيز بل ولا قال هو جسم أو

جوهر ولا قال ليس بحسم ولا جوهر فهذه الالفاظ ليست منصوصة في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع . والناطقون بها قد يريدون معنى صحيحا ، فان يريدوا معنى صحيحا يوافق الكتاب والسنة كان ذلك مقبولا منهم . وإن أرادوا معنى فاسدا يخالف الكتاب والسنة كان ذلك المعنى مردوداً عليهم ، فإذا قال القائل : إن الله تعالى في جهة قيل : ما تريد بذلك ؟ أتريد بذلك أنه سبحانه في جهة موجودة تحصره وتحيط به مثل أن يكون في جوف السموات أم تريد بالجهة أمرا عدميا وهو ما فوق العالم شيء من المخلوقات . فإن أردت الجهة الوجودية وجعلت الله تعالى محصورا في المخلوقات فهذا باطل . وإن أردت الجهة العدمية وأردت الله تعالى وحده فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق وليس في ذلك أن شيئا من المخلوقات حصره ولا أحاط به ولا علا عليه بل هو العالى عليها المحيط بها وقد قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الآية وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يقبض الارض يوم القيامة ويطوى السموات بيمينه ثم يهزهن فيقول : أنا الملك أين ملوك الارض ؟ وقد قال ابن عباس رضى الله عنها : ما السموات السبع والارضون السبع وما بينهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم . وفي حديث آخر أنه يرميها كما يرمى الصبيان الكرة . فمن يكون جميع المخلوقات بالنسبة إلى قبضته تعالى إلى هذا الحق والصغار كيف تحيط به وتحصره ؟ ومن قال إن الله تعالى ليس في جهة قيل له : ما تريد بذلك ؟ فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السموات رب يعبد ولا على العرش إله ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يرج به إلى الله تعالى والأيدى لا ترفع إلى الله تعالى في الدعاء ولا تتوجه القلوب إليه فهذا فرعونى معطل جاحد لرب العالمين . وإن كان يعتقد أنه مقر به فهو جاهل متناقض في كلامه . ومن هنا دخل أهل الحلول والاتحاد وقالوا : إن الله تعالى بذاته في كل مكان وإن وجود المخلوقات هو وجود الخالق . وإن قال مرادى بقول (ليس في جهة) أنه لا تحيط به المخلوقات قد أصاب في هذا المعنى . وكذلك من قال إن الله تعالى متحيز أو قال ليس بمتحيز : إن أراد بقوله (متحيز) أن

المخلوقات تحوزة وتحيط به فقد أخطأ وأن أراد به منحاز عن المخلوقات بائن عنها عال عليها فقد أصاب . ومن قال : (ليس بمتحيز) إن أراد المخلوقات لا تحوزة فقد أصاب وإن أراد ليس ببائن عنها بل هو لا داخل فيها ولا خارج عنها فقد أخطأ والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف : أهل الحلول والاتحاد وأهل النفي والجحود وأهل الإيمان والتوحيد والسنة .

فأهل الحلول يقولون : إنه بذاته في كل مكان . وقد يقولون بالاتحاد والوحدة فيقولون : وجود المخلوقات وجود الخالق .

وأما أهل النفي والجحود فيقولون . لاهو داخل العالم ولا خارج ولا مابين له ولا حال فيه ولا فوق العالم ولا فيه ولا ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء . ولا يتقرب إليه بشيء ولا يدنو إليه شيء . ولا يتجلى لشيء . ولا يراه أحد ونحو ذلك . وهذا قول متكلمة الجهمية المعطلة . كما أن الأول قول عباد الجهمية . فتكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً ، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء . وكلامهم يرجع إلى التعطيل والجحود الذي هو قول فرعون . وقد علم أن الله تعالى كان قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلقها فإما أن يكون دخل فيها - وهذا حلول باطل - وإما أن يكون دخلا فيه - وهو أبطل وأبطل - وإما أن يكون الله سبحانه بائنا عنها لم يدخل فيها وهذا قول أهل الحق والتوحيد والسنة .

ولأهل الجحود والتعطيل في هذا الباب شبهات يعارضون بها كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها وما فطر الله تعالى عليه عباده وما دلت عليه الدلائل العقلية الصحيحة . فإن هذه الأدلة كلها متفقة على أن الله تعالى فوق مخلوقاته عال عليها قد فطر الله تعالى على ذلك العجائز والأعراب والصبيان في الكتاب كما فطرهم على الإقرار بالخالق تعالى . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء

ثم قال أبو هريرة رضى الله عنه : اقرأوا إن شئتم (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وهذا معنى قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : عليك بدين الأعراب والصبيان فى الكتاب ، عليك بما فطرهم الله تعالى عليه فإن الله سبحانه فطر عباده على الحق والرسل بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بتحويل الفطرة وتغييرها . وأما أعداء الرسل كالجهمية الفرعونية ونحوهم فيريدون أن يغيروا فطرة الله تعالى ودينه عز وجل ويوردون على الناس شبهات بكلمات مشتبهات لا يفهم كثير من الناس مقصودهم بها ولا يحسن أن يجيبهم . وقد بسط الكلام عليهم فى غير هذا الموضع . وأصل ضلالهم تكلمهم بكلمات مجحلة لا أصل لها فى كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله عليه الصلاة والسلام ولا قالها أحد من أئمة المسلمين كلفظ المتحيز والجسم والجهة ونحو ذلك . فمن كان عارفا بحال شبهاتهم بينها ومن لم يكن عارفا بذلك فليعرض عن كلامهم ولا يقبل إلا ما جاء به الكتاب والسنة كما قال تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) . ومن تكلم فى الله تعالى وأسمائه وصفاته بما يخالف الكتاب والسنة فهو من الخائضين فى آيات الله تعالى بالباطل . وكثير من هؤلاء ينسب إلى أئمة المسلمين ما لم يقولوه ، وكثير منهم قرأوا كتباً من كتب الكلام فيها شبهات اضلهم ولم يهتدوا لجوابهم فإنهم يحدون فى تلك الكتب أنه لو كان الله تعالى فوق الخلق للزم التجسيم والتحيز والجهة وهم لا يعرفون حقائق هذه الألفاظ ولا ما أراد بها أعصابها فإن ذكر لفظ (الجسم) فى أسماء الله تعالى وصفاته بدعة لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها ولم يقل أحد منهم إن الله تعالى جسم ولا إن الله تعالى ليس بجسم ولا إن الله تعالى هو البدن . ومن قال إن الله تعالى ليس بجوهر . ولفظ الجسم يحمل فعناه فى اللغة هو البدن . ومن قال إن الله مثل بدن الإنسان فهو مفتر على الله ضال ومن قال إن الله تعالى ليس بجسم وأراد بذلك أنه لا يماثل شيئاً من المخلوقات فالمعنى صحيح وإن كان اللفظ بدعة . وأما من قال إن الله تعالى ليس بجسم وأراد بذلك أنه لا يرى فى الآخرة وأنه لم يتكلم بالقرآن العربى بل القرآن العربى مخلوق أو هو تصنيف جبريل عليه السلام أو نحو ذلك فهو مفتر

على الله تعالى فيم نفاه عنه . وهذا أصل ضلال الجهمية من المعزلة ومن وافقهم على مذهبهم فإنهم يظهرون للناس التنزيه وحقيقة كلامهم التعطيل فيقولون : نحن لا نجسم بل نقول الله ليس بجسم . ومرادهم بذلك نفى حقيقة أسمائه وصفاته .

إلى أن قال : فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال منزّه عن كل نقص وعيب . ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله تعالى بما وصف نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فيثبتون ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات وينزهونه عما نزه عنه نفسه من عائلة المخلوقات لإثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل قال عز شأنه : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فقلوه (ليس كمثله شيء) رد على الممثلة وقوله تعالى . (وهو السميع البصير) رد على المعطلة انتهى ملخصا .

وقال رضى الله عنه (فى جواب على سؤال رفع إليه نصه : الاستواء هل هو حقيقة أو مجاز ؟) ما نصه ملخصا : القول فى الاستواء والنزول كالقول فى سائر الصفات التى وصف بها نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات فالقول فى بعض هذه الصفات كالقول فى بعض . ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التى وصف بها نفسه ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين ومعلوم بالاضطرار من دين الاسلام أنه لا يجوز إطلاق النفي على ما أثبتته الله تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات ، بل هذا جحد للخالق وتمثيل له بالمعدومات .

وقد قال ابن عبد البر : أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها

فى القرآن والسنة والايمان بها . وحملها على الحقيقة لاعلى المجاز لانهم لا ينفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة .

وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج فينكرونها ولا يحملونها على الحقيقة ويزعمون أن من أقربها مشبه . وهم عند من أقربها نافون للعبود لا مثبتون والحق فيما قال القائلون بما نطق به الكتاب والسنة وهم أئمة الجماعة . هذا الذى حكاه ابن عبد البر .

ومن أنكر أن يكون شيء من هذه الصفات حقيقة فإنما أنكر لجهله لمسمى الحقيقة أو لسكفره وتعطيله لما يستحقه رب العالمين . وذلك أنه قد يظن أن إطلاق ذلك يقتضى أن يكون المخلوق مماثلاً للخالق فيقال له : هذا باطل فإن الله موجود حقيقة والعبد موجود حقيقة وله تعالى ذات حقيقة وليس ذاته تعالى كذات المخلوقات وكذلك له علم وسمع وبصر حقيقة وللعبد سمع وبصر وعلم حقيقة وليس عليه رسمه وبصره مثل علم العبد وسمعه وبصره والله كلام حقيقة وليس كلام الخالق مثل كلام المخلوقين والله استوى على عرشه حقيقة وللعبد استواء على الفلك حقيقة وليس استواء الخالق كاستواء المخلوق فإن الله لا يفتقر إلى شيء ولا يحتاج إلى شيء بل هو الغنى عن كل شيء . والله تعالى يحمل العرش وحملته بقدرته ويمسك السموات والأرض أن تزولا فن ظن أن معنى قول الأئمة (الله مستو على عرشه حقيقة) يقتضى أن يكون استواؤه مثل استواء العبد على الفلك والأنعام لزمه أن يكون قولهم : إن الله له علم حقيقة وسمع وبصر حقيقة وكلام حقيقة يقتضى أن يكون عليه وسمعه وبصره وكلامه مثل علم المخلوقين وسمعهم وبصرهم وكلامهم . فمن ظن أن الحقيقة إنما تتناول صفة العبد المخلوقة دون صفة الخالق كان فى غاية الجهل ، فإن صفة الله أكمل وأتم وأحق بهذه الأسماء الحسنى فلا نسبة بين صفة العبد وصفة الرب كما لا نسبة بين ذاته وذاته فكيف يكون العبد مستحقاً للأسماء الحسنى حقيقة والرب لا يستحق ذلك إلا مجازاً ؟ ومعلوم أن كل كمال حصل للمخلوق فهو من الخالق سبحانه وتعالى فله المثل الأعلى . فكل كمال حصل للمخلوق فالخالق أحق به وكل نقص ينزه عنه

مخلوق فالخلق أحق أن ينزه عنه ولهذا كان لله المثل الأعلى فإنه لا يقاس بمخلقه ولا يمثل بهم ولا تضرب له الأمثال فلا يشترك هو والمخلوق بمثل ولا في قياس . ومذهب أهل السنة والجماعة لإثبات الصفات لله تبارك وتعالى بل صفات الكمال لازمة لذاته يتمتع ثبوت ذاته بدون صفات الكمال اللازمة له بل يتمتع تحقق ذات من الذوات عرية عن جميع الصفات وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع . فإذا قال : وجود الله وذات الله وعلم الله وسمع الله وبصر الله وكلام الله ورحمة الله وغضب الله واستواء الله ونزول الله ومحبة الله ونحو ذلك كانت هذه الأسماء كلها حقيقة لله تعالى من غير أن يدخل فيها شيء من المخلوقات ومن غير أن يماثل فيها شيء من المخلوقات وإذا قال : وجود الابد وذاته وماهيته وعلمه وقدرته وسمعه وبصره وكلامه واستواؤه ونزوله كان هذا حقيقة للعبد مختصة به من غير أن تماثل صفاته صفات الله تعالى بل أبلغ من ذلك أن الله أخبر أن في الجنة من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمسكن ما ذكره في كتابه . كما ذكر أن فيها لبنا وعسلا وخمرا ولحما وحريرا وذهبا وفضة وهورا وقصورا وغير ذلك . وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء . فذلك الحقائق التي في الجنة ليست بمائلة لهذه الحقائق التي في الدنيا وإن كانت مشابهة لها من بعض الوجوه والاسم يتناولها حقيقة ومعلوم أن الخالق أبعد عن مشابهة المخلوق والمخلوق عن مشابهة الخالق . فكيف يجوز أن يظن أن فيما أثبتته الله تعالى من أسمائه وصفاته مماثلا لمخلوقاته وأن يقال ليس ذلك بحقيقة ؟ وهل يكون أحق بهذه الأسماء الحسنى والصفات العليا مزرب السموات والأرض مع أن مباينتها للدخولات أعظم من مباينة كل مخلوق لكل مخلوق ؟ والجاهل يضل بأن يقول . العرب إنما وضعوا لفظ الاستواء الإنسان على السرير أو الفلك أو استواء السفينة على الجودي ولنحو ذلك من استواء بعض المخلوقات . فهو كما يقول القائل : إنما وضعوا لفظ السمع والبصر والكلام لما يكون محله حدقة وأجفانا وأصمخة وآذانا وشفيتين ولسانا وإنما وضعوا لفظ العلم والرحمة والإرارة لما يكون محله مضغة لحم وفؤاد . وهذا كله جهل منه .

فإن العرب إنما وضعت الانسان ما أضافت إليه فإذا قالت سمع العبد وبصره وكلامه وعلمه وإرادته ورحمته بما يختص به يتناول ذلك خصائص العبد . وإذا قيل سمع الله وبصره وكلامه وعلمه وإرادته وزحمته كان هذا متناولا لما يختص به الرب لا يدخل في ذلك شيء من خصائص المخلوقين وكذلك إذا قيل استواء الرب فهذا الاستواء المضاف إلى الله كالعلم والسمع والبصر المضاف إلى الله لا يجوز أن يتناول ذلك شيئا من خصائص المخلوقين .

وهؤلاء الجهال يمشون في ابتداء فهمهم صفات الخالق بصفات المخلوق ثم ينفون ذلك ويطلبونه فلا يفهمون من ذلك إلا ما يختص بالمخلوق وينفون مضمون ذلك فيكونون قد جحدوا ما يستحقه الرب من خصائصه وصفاته وألحدوا ما في أسماء الله تعالى وآياته وخرجوا عن القياس العقلي ، والنص للشرعي فلا يبقى بأيديهم لا معقول صريح ولا منقول صريح . ثم لا بد لهم من إثبات بعض ما يشبه أهل الإثبات من الأسماء والصفات . فإذا أثبتوا البعض ونفوا البعض قيل لهم : ما الفرق بين ما أثبتتموه وما نفيتموه ؟ ولم كان هذا حقيقة ولم يكن هذا حقيقة ؟ لم يكن لهم جواب أصلا وظهر بذلك جهلهم وضلالهم شرعا وعقلا . ونظائر هذا كثيرة فمن ظن أن أسماء الله تعالى وأسماء صفاته إذا كانت حقيقة لزم أن يكون مماثلا للمخلوقين وأن تكون صفاته مماثلة لصفاتهم كان من أجهل الناس ، وكان أول كلامه مفسدة وآخره زندقة لأنه يقضى نفى جميع أسماء الله وصفاته . وهذا هو غاية الزندقة والالحاد

وإن فرق بين صفة وصفة مع تساويهما في أسباب الحقيقة والحجاز كان متناقضا في قوله متهافتا في مذهبه مشابها لمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض .

وإذا تأمل اللبيب الفاضل هذه الأمور تبين له أن مذهب السلف والأئمة في غاية الاستقامة والسداد والصحة والاطراد وأنه مقتضى المعقول الصريح والمنقول الصحيح وأن من خالفه كان مع تناقض قوله المختلف الذى يؤفك عنه من أفك

خارجا عن موجب العقل والسمع مخالفا للفطرة والشرع والله يتم نعمته علينا وعلى سائر إخواننا المسلمين المؤمنين ويجمع لنا ولهم خير الدنيا والآخرة . انتهى .

(فائدة) في منشأ هذا التعطيل .

وبين رضى الله عنه في فتوى أخرى له في الصفات مورد هذا التعطيل حيث قال رضى الله عنه . تم أصل هذه المقالة إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركون وضلال الصابئين فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة - أعنى أن الله ليس على العرش حقيقة وإنما (استوى) استولى ونحو ذلك أول ما ظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها . فتنسب مقالة الجهمية إليه . والجعد أخذ مقالته عن أبان بن سيمان وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم وأخذها طالوت من لبيد بن أعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم . وكان الجعد هذا - فيما قيل - من أهل حران . وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود السكتانين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم وكانوا يعبدون الكواكب وينون لها الهياكل ومذهبهم في الرب ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم إليهم . فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة والفلاسفة وأخذها الجهم أيضا - فيما ذكره الامام أحمد وغيره - عن السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يمجّدون من العلوم ماسوى الحسيات . فهذه أسانيد الجهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشرّكين . والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشرّكين . ثم لما عربت الكتب الرومية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم . ولما كان في حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسى وطبقته وكلام الأئمة مثل مالك رضى الله

عنه وسفيان بن عيينة وأبي يوسف والشافعي وأحمد واسحق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم - في بشر المريسي هذا كثير في ذمه وتفضيله . وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وابن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم . وهي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه . وإن كان يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضا . ولهم كلام حسن في أشياء ، فلإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويل المريسي . وعلمنا ذلك بكتاب (الرد) الذي صنعه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري ، صنف كتابا سماه (نقض عثمان بن سعيد على السكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد) حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته ثم ردها عثمان بن سعيد بكلام إذا طالبه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف . فتبين له ظهور الحجة بطريقهم وضعف حجة من خالفهم . ثم إذا رأى الأئمة - أئمة الهدى - قد أجمعوا على ذم المريسية وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسي - تبين له الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم قال رضي الله عنه : ومذهب السلف بين التعطيل وبين التثييل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته وكل واحد من فريق التعطيل والتثييل فهو جامع بين التعطيل والتثييل . أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته

إلا ما هو اللائق بالخلق . ثم شرعوا في نفى تلك المفهومات فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل . مثلوا أولا وعطلوا آخرا وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى . فإنه إذا قال القائل : لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا ، وكل ذلك محال . ونحو ذلك من الكلام فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يشبه لاى جسم كان على أى جسم كان . وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم . أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شيء من الأوازم الثلاثة كما يلزم سائر الأجسام . وصار هذا مثل قول الممثل : إذا كان للعالم صانع فإما أن يكون جوهرأ أو عرضا إذ لا يعقل موجود إلا هذان . أو قوله : إذا كان مستويا على العرش فهو مائل لاستواء الانسان على السرير أو الفلك إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا . فإن كليهما مثل وكلاهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه ، وامتناز الاول بتعطيل كل مسمى الاستواء الحقيقي وامتناز الثانى بإثبات (استواء) هو من خصائص المخلوقين . والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه سميع بصير ونحو ذلك ولا يجوز أن تثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التى لعلم المخلوقين وقدرهم فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا تثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها .

واعلم أنه ليس فى العقل الصحيح ولا فى النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة عن الحق فن كان فى قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير . انتهى كلامه .

ومن أحاط عقله بهذه الفرر علم براءة ساحة السلف بما رموا به من التجسيم . وفى هذه النفائس من الفوائد ما يشفع لدى الواقف بطوله .

الثالث : يطلق العرش على معان : السرير ومنه آية (ولها عرش عظيم) والمملك
يقال : مثل عرشهم - وسقف البيت ومنه آية (وهي خاوية على عروشها) وحديث
(كالتنديل المعلق بالعرش) — أو البناء ومنه (وما كانوا يعرشون) أى يبنون
ومنه العريش وهو ما يستظل به . والعرش المضاف إلى الله تعالى لا يحد .

قال فى القاموس : العرش عرش الله تعالى ولا يحد . انتهى .

وقال الراغب : عرش الله عز وجل مما لا يعليه البشر إلا بالاسم على الحقيقة
ولذا لم يصح فى صفته حديث وكل ما روى فى ذلك فليس من مرويات
الصحيح .

قال البيهقى فى كتاب (الأسماء والصفات) : وأقاويل أهل التفسير على أن
العرش هو السرير وأنه جسم مجسم خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتعبد
بتعظيمه والطواف به كما خلق فى الأرض بيتا وأمر بنى آدم بالطواف به واستقباله
فى الصلاة وفى أكثر الآيات دلالة على صحة ما ذهبوا إليه وفى الأخبار والآثار
الواردة فى معناه دليل على صحة ذلك . انتهى .

وقال الحافظ الذهبى فى كتاب (العلو) : اعلم أن الله عز وجل قد أخبرنا -
وهو أصدق القائلين - بأن عرش بلقيس عرش عظيم فقال : (ولها عرش عظيم)
ثم ختم الآية بقوله : (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) فكان عرشها عظيما
بالنسبة إليها وما تحيط الآن علما بتفاصيل عرشها ولا بمقداره ولا بما هيته . ثم قال
فما الظن بما أعد الله تعالى من السرر والقصور فى الجنة لعباده . فما الظن بالعرش
العظيم الذى اتخذهُ العلى العظيم لنفسه فى ارتفاعه وسعته وقوامه وماهيته وحملته
الحافين من حوله وحسنه ورواقه وقيمته ؟ اسمع وتعقل ما يقال والجا إلى الإيمان
بالنبي فليس الخبر كالمعاينة فالقرآن مشحون بذكر العرش وكذلك الآثار بما
يتمتع أن يكون المراد به (الملك) فدع المكابرة والمراء فإن المراء فى القرآن كفر

آمنّا بالله واشهد بأنّا مسلمون . لا إله إلا الله الحكيم الكريم . لا إله إلا الله رب
العرش العظيم . لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم .
الحمد لله رب العالمين . انتهى كلام الذهبي رحمه الله تعالى .

الرابع : مثل الشيخ تقي الدين بن تيمية عليه الرحمة والرضوان - عن العرش : هل
هو كرى أم لا فإذا كان كريا والله من ورائه محيط به بائن عنه فما فائدة توجه
العبد إلى الله سبحانه حين الدعاء والعبادة فيقصد العلو دون غيره إذ لا فرق حينئذ
بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي ومع هذا نجد في قلوبنا
قصدا يطلب العلو لا يلتفت يمتة ولا يسرة فأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها
في قلوبنا وقد فطرنا عليها .

فأجاب رحمه الله بقوله :

إن لقائل أن يقول : لم يثبت بدليل يعتمد عليه أن العرش فلك من الأفلاك
المستديرة السكرية وإنما ذكره طائفة من المتأخرين الذين نظروا في علم الهيئة
فأروا أن الأفلاك تسعة وأن التاسع وهو الاطلس محيط بها وهو الذي يحركها
الحركة الشرقية وإن كان لكل فلك حركة تخصه . ثم سمعوا في أخبار الانبياء ذكر
عرش الله سبحانه وكرسیه والسموات السبع فقالوا - بطريق الظن - إن العرش
هو الفلك التاسع لا اعتقادهم أنه ليس وراء ذلك شيء إما مطلقا وإما أنه ليس
وراءه مخلوق . ثم إن منهم من رأى أنه هو الذي يحرك الأفلاك كلها فجعلوه مبدأ
الحوادث . وربما سماه بعضهم الروح أو النفس وجعله بعضهم هو اللوح المحفوظ
وبعض الناس ادعى أنه علم ذلك بطريق الكشف وذلك غير صحيح بل أخذه
من هؤلاء المتفلسفة كما فعل أصحاب (رسائل إخوان الصفاء) . والأخبار تدل
على أن العرش مباین لغيره من المخلوقات وأنه قبل السموات والارض فقد ثبت
في صحيح البخارى أنه صلى الله عليه وسلم : كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه
على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والارض - وأن له قوائم - كما

في حديث أبي سعيد : فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش . وقد استدل من قال إنه مقبب بما رواه من قوله عليه الصلاة والسلام (وإن الله تعالى على عرشه وإن عرشه على سمواته وسمواته فوق أرضه هكذا وقال بأصابعه مثل القبة) وهذا لا يدل على أنه فلك من الأفلاك ولا مستدير مثل ذلك . لكن لفظ القبة يستلزم استدارة من العلو لا من جميع الجوانب إلا بدليل منفصل . ولفظ الفلك يستدل به على الاستدارة مطلقا كما قال ابن عباس في : (كل في فلك) في فلكة مثل فلكة المغزل . وأما لفظ القبة فإنه لا يتعرض لهذا المعنى لابنفي ولا لإثبات لكن يدل على الاستدارة من العلو .

واعلم أن العرش سواء كان هذا الفلك التاسع أو جسما يحيط به أو كان فوقه من جهة وجه الأرض يحيط به أو قيل فيه غير ذلك فيجب أن يعلم أن العالم العاوى والسفلى بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر .

كما قال تعالى : (وما قدره الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض؟ وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول : أين الجبارون أين المتكبرون ؟ وفي لفظ : ويتميل رسول الله صلى الله عليه وسلم على يمينه وعلى شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفله شيء .

وفي رواية أخرى قال : قرأ على المنابر : والأرض جميعا قبضته يوم القيامة .. الآية قال : مطوية في كفه يرمى بها كما يرمى الغلام بالكرة . ففي هذه الأحاديث

وغيرها المتفق على صحتها ما يبين أن السموات والأرض وما بينهما بالنسبة إلى عظمته عز وجل أصغر من أن تكون مع قبضه لها إلا كالشئ الصغير في يد أحدنا حتى يدحوها كما تدحى الكرة .

ثم قال في الجواب : فلما وصف الله تعالى من نفسه وأسمائه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميانه كما سماه ولم تتكلف علم ما سواه فلا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف . وإذا كان كذلك فهو قادر على أن يقبضها ويدحوها كالكرة وفي ذلك من الإحاطة بما لا يحصى وإن شاء لم يفعل . وبكل حال فهو مبين لها ليس بمجانب لها . ومن المعلوم أن الواحد منا — والله المثل الأعلى — إذا كان عنده خردلة إن شاء قبضها فأحاطت بها قبضته وإن شاء لم يقبضها بل جعلها تحته فهو في الحالين مبين لها . وسواء قدر أن العرش هو محيط بالمخلوقات كإحاطة الكرة بما فيها أم قيل أنه فوقها وليس محيطا بها كوجه الأرض الذي نحن عليها^(١) بالنسبة إلى جوفها كالقبة بالنسبة إلى ما تحته أو غير ذلك — فعلى التقدير يكون العرش فوق المخلوقات والخالق سبحانه فوقه والعبد في توجهه إليه عز وجل يقصد العلو دون النحت .

وتمام هذا البحث بأن يقال : لا يخلو إما أن يكون العرش كرياً كالأفلاك ويكون محيطاً وإما أن يكون فوقها وليس بكري . وإن كان الأول — فن المعلوم — باتفاق من يعلم هذا — أن الأفلاك مستديرة كرية وأن الجهة العليا هي جهة المحيط وهو المحدود وأن الجهة السفلى هي المركز وليس للأفلاك إلا جهتان : العلو والسفل فقط — وأما الجهات الست فهي للحيوان فإن له ست جوانب : يؤم جهة فتكون أمامه ويخلف أخرى فتكون خلفه وجهة تحاذى شماله وجهة تحاذى يمينه وجهة تحاذى رأسه وجهة تحاذى رجليه . وليس لهذه الجهات في نفسها صفة لازمة بل هي بحسب النسبة والإضافة . فيكون يمين هذا ما يكون يسار هذا ويكون فوق هذا ما يكون تحت هذا . لكن جهة العلو والسفل للأفلاك لا تتغير فالمحيط هو العلو والمركز هو السفلى مع أن وجه الأرض التي وضعها الله

(١) كذا في الأصل .

تعالى للأنام وأرساها بالجبال هو الذى عليه الناس والبهائم وغيرهما ، فأما الناحية الأخرى منها فالبحر يحيط بها وليس هناك شيء من الأدميين وما يتبعهم ، ولو قدر أن هناك أحداً لكان على ظهر الأرض ولم يكن من فى هذه الجهة تحت من فى هذه الجهة ولا من فى هذه تحت من فى هذه . كما أن الأفلاك محيطة بالمركز وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر . ولا القطب الشمالى تحت الجنوبى ولا بالعكس وإن كان الشمالى هو الظاهر لنا بحسب بعد الناس عن خط الاستواء فإما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلاً كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة وهو الذى يسمى عرض البلد . فكما أن جوانب الأرض المحيطة بها وجوانب الفلك المستدير ليس بعضها فوق بعض ولا تحته فكذلك من يكون على الأرض لا يقال إنه تحت أولئك وإنما هذا خيال يتخيله الإنسان وهو (تحت) إضافي . كما لو كانت نملة تمشى تحت سقف فالسقف فوقها وإن كانت — رجلاها تحاذيانه وكذلك من علق منكوساً فإنه تحت السماء وإن كانت رجلاه تلى السماء ، وكذلك قد يتوهم الإنسان إذا كان فى أحد جانبي الأرض أو الفلك أن الجانب الآخر تحته . وهذا أمر لا يتنازع فيه اثنان ممن يقول إن الأفلاك مستديرة . وهذا كما أنه قول أهل أهل الهيئة والحساب فهو الذى عليه علماء المسلمين . كما ذكره أبو الحسين المنادى وأبو محمد بن حزم وأبو الفرج بن الجوزى وغيرهم وهو المأخوذ من قول ابن عباس وغيره . ومن ظن أن من يكون فى الفلك من ناحية يكون تحته من فى الفلك من الناحية الأخرى فى نفس الأمر فهو متوهم عندهم . فإذا كان الأمر كذلك فإذا قدر أن العرش مستدير يحيط بالخلوقات كان هو أعلاها وسقفها وهو فوقها مطلقاً فلا يتوجه إليه وإلى ما فوقه الإنسان إلا من العلو . ومن توجه إلى الفلك الثامن أو التاسع مثلاً من غير جهة العلو كان جاهلاً باتفاق العقلاء فكيف بالتوجه إلى العرش أو إلى ما فوقه ! وغاية ما يقدر أن يكون كرى الشكل والله تعالى يحيط بالخلوقات كلها إحاطة تليق بجلاله فإن السموات السبع والأرض فى يده أصغر من الحصى فى يد أحدنا . وأما قول القائل : إذا كان كرىاً والله من ورائه محيط بأئن عنه فما الفائدة فى التوجه إلى العلو دون

التحت ومع هذا نجد في قلوبنا قصد العلو ؟ فيقال : هذا إنما ورد لتوهم أن نصف الفلك يكون تحت الأرض وتحت ما على وجه الأرض من آدميين والبهائم وهذا غلط . فلو كان الفلك تحت الأرض من جهة لكان تحتها من كل جهة فكان يلزم أن يكون الفلك تحت الأرض مطلقا وهذا قلب للحقائق ، إذ الفلك هو فوق الأرض مطلقا وأهل الهيئة يقولون : لو أن الأرض مخروقة إلى ناحية أرجلنا وألقى في الخرق شيء ثقيل كالبحر ونحوه لكان ينتهي إلى المركز حتى لو ألقى من تلك الناحية حجر آخر لالتقيا جميعا في المركز أى الذى هو النقطة المتوسطة في كرة الأرض . ولو قدر أن انسانين التقيا في المركز بدل الحجر لالتقت رجلاهما ولم يكن أحدهما تحت الآخر بل كلاهما فوق المركز وكلاهما تحت الفلك . وإذا كان مطلوب أحد ما فوق الفلك لم يطلبه إلا من الجهة العليا لأن مطلوبه من تلك الجهة أقرب لأنه لو قدر أن رجلا أو ملكا يصعد إلى السماء كان صعوده مما يلي رأسه ولا يقول عاقل إنه يخرق الأرض ثم يصعد من تلك الناحية أو يذهب يميناً أو شمالاً ثم يصعد . ولو أن رجلا أراد مخاطبة القمر فإنه لا يخاطبه إلا من الجهة العليا مع أنه قد يشرق ويغرب فكيف بما هو فوق كل شيء لا يأفل ولا يغيب سبحانه وتعالى . وكما أن حركة الحجر تطلب مركزها بأقصر طريق وهو الخط المستقيم فالطلب الإرادى الذى يقوم بقلوب العباد كيف يعدل عن الصراط المستقيم ؟ .

مطلب في حديث الادلاء :

وحديث الادلاء رواه أبو هريرة وأبو ذر قد رواه الترمذى وغيره من حديث الحسن عن أبى هريرة وهو منقطع فإن الحسن لم يسمع من أبى هريرة ولكن يقويه حديث أبى ذر المرفوع فإن كان ثابتاً فمعناه موافق لهذا . فإن قوله عليه الصلاة والسلام : لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله إنما هو تقدير مفروض أى لو وقع الاداء لوقع عليه لكن لا يمكن أن يدلى أحد على الله عز وجل شيئا لأنه

عال بالذات وإذا أهبط شيء إلى جهة الأرض وقف في المركز . والمقصود بيان إحاطة الخالق سبحانه كما بين أنه يقبض السموات ويطوى الأرض ونحو ذلك بما فيه بيان إحاطته تعالى ولهذا قرأ في تمام الحديث : هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . وهذا كله على تقدير صحته . فإن الترمذى لما رواه قال : وفسره بعض أهل العلم بأنه هبط على علم الله . وبعض الحلولية والاتحادية يظن أن فيه ما يدل على زعمه الباطل من أنه سبحانه حال بذاته في كل مكان إذ أن وجوده وجود الامكنة ونحو ذلك . وكذلك تأويله بالعلم غير مستقيم بل على تقدير ثبوته فالمراد به الإحاطة ونحن لا نتكلم إلا بما نعلم وما لم نعلمه أمسكنا عنه . وقد فطر الله تعالى الناس على التوجه في الدعاء إلى جهة العلو وقال تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها . فجاءت الشريعة بالعبادة والدعاء بما يوافق الفطرة . وقد ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال : إذا إن قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه فإن الله تعالى قبل وجهه ولا يمينه فإن يمينه ملكا وليبصق عن يساره أو تحت رجله . وفي رواية : إنه إذا أن يبصق في ثوبه . وفي حديث أبي رزين المشهور : لما أخبر صلى الله عليه وسلم أنه ما من أحد إلا سيخلو به ربه فقال له أبو رزين : كيف يسعنا يا رسول الله وهو واحد ونحن جمع ؟ فقال سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله تعالى : هذا القمر آية من آيات الله تعالى كلما يراه غلينا به فإنه أكبر . وفي الصحيحين : لينتمين أقوام عن إبصارهم في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم . واتفق العلماء أن رفع المصلي بصره إلى السماء منهي عنه وروى محمد بن سيرين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع بصره في الصلاة إلى السماء حتى نزل : (الذين هم في صلاتهم خاشعون) فكان بصره لا يجاوز موضع سجوده . فهذا مما جاء به الشريعة تكميلا للفطرة لأن الداعي المأمور بالذل لا يناسب حاله أن ينظر إلى ناحية من يدعوه . خلافا للجهمية الذين لا يفرقون بين العرش وقعر البحر وقد قال تعالى : وقد نرى تقلب وجهك في السماء ، الآية ثم بين تأويل [الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله تعالى وقبل

يمينه [وقال : قد ظنوا أن هذا وأمثاله محتاج إلى التأويل وهذا وهم لأنه لو كان هذا اللفظ ثابتاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه صريح في أن الحجر ليس هو من صفاته تعالى . وتقييده بالأرض يدل على أنه ليس هو يده على الإطلاق فلا تكون اليد حقيقة . وقوله : [فكأنما صافح الله تعالى] الخ صريح في أن المصافح ليس مصافحاً له تعالى لأن المشبه ليس هو المشبه به .

إلى أن قال : فهذا كله بتقدير كرية العرش : وأما إذا قدر أنه ليس بكرى الشكل بل هو فوق العالم من الجهة التي هي وجه الأرض وأنه فوق الأفلاك الكرية كما أن وجه الأرض الموضوع للأنام فوق نصف الأرض الكرى أو غير ذلك من المقادير التي يقدر فيها أن العرش فوق ماسواه فعلى كل تقدير لا يتوجه إلى الله تعالى إلا إلى العلو مع كونه على عرشه مبايناً لخلقهم . وعلى ما ذكرناه لا يلزم شيء من المحذور والتناقض . وهذا يزيل كل شبهة تنشأ من اعتقاد فأنسد وهو أن يظن أن العرش إذا كان كرى والله تعالى فوقه كما تقتضيه ذاته سبحانه عن مشابهة المخلوقين - وجب (فيما عند الزاعم) أن يكون سبحانه كرى ثم يعتقد أنه إذا كان كرى فيصح التوجه إلى ما هو كرى كالفلك التاسع من جميع الجهات وهذا خطأ فإن القول بأن العرش كرى لا يجوز أن يظن أنه مشابه للأفلاك في أشكالها وأقدارها أو في صناتها بل قد تبين أنه سبحانه أعظم وأكبر من أن تكون المخلوقات عنده أصغر من الحصاة في يد أحدنا . فإذا كانت الحصاة مثلاً في يد الإنسان أو تحته أو نحو ذلك هل يتصور عاقل إذا استشعر علو الإنسان على ذلك وإحاطته بأن يكون الإنسان كالفلك ؟ فالله تعالى - وله المثل الأعلى - أعظم من أن يظن به ذلك . وإنما يظنونه الذين لم يقدرُوا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون . وإذا لم يكن كرى فالأمر ظاهر بما تقدم . وبهذا يظهر الجواب عن السؤال من وجوه متعددة والله تعالى أعلم .

ولما أشبعنا الكلام في هذا المقام لأنه من أصول العقائد الدينية ومهمات

المسائل التوحيدية وقد كثر فيه تدارك الآراء وتصادم الآهواء ولم يأت جمهور المتكلمين الماورين بشيء يعلق بقلب الأذكياء بل اجتهدوا في إيراد التمثلات التي تأبأها فطرة الله أشد الإباء فبقيت نفوس أنصار السنة المحققين مائلة إلى مذهب السلف الصالحين فإن الأئمة منهم كان عقدهم ما بيناه فلا تكن من الممترين والحمد لله رب العالمين .

الجزء السادس عشر صفحة ٥٦٧٢ :

سورة الحديد الآية ٤ :

(هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) .

« هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ، قال القاشانى : أى من الايام الستة الالهية . وقيل : المعهودة - والله أعلم . » ثم استوى على العرش ، قال ابن جرير : أى هو الذى أنشأ السموات السبع والارضين فدبرهن وما فيهن ثم استوى على عرشه فارفع عليه وعلا . « يعلم ما يلج فى الارض ، أى من خلقه كالاموات والبذور والحيوانات . » وما يخرج منها ، أى كالزروع . « وما ينزل من السماء ، أى من الأمطار والثلوج والبرد والافطار والاحكام . » وما يعرج فيها ، أى من الملائكة والاعمال وغيرهما . « وهو معكم أينما كنتم ، قال ابن جرير : أى وهو شاهد لكم أينما كنتم يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم وهو على عرشه فوق سماواته السبع . »

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى (شرح حديث الزول) : لفظ المعية فى سورة الحديد والمجادلة فى آيتينها ثبت تفسيره عن السلف بالعلم . قالوا : هو

معهم بعلمه . وقد ذكر الإمام ابن عبد البر وغيره : أن هذا إجماع من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان لم يخالفهم أحد يعتد بقوله . وهو مأثور عن ابن عباس والضحاك ومقاتل بن حيان وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وغيرهم . قال ابن أبي حاتم عن ابن عباس في هذه الآية : « هو على العرش وعلمه معهم : وهكذا عمن ذكر معه . وقد بسط الإمام أحمد الكلام على المعية في [الرد على الجهمية] ولفظ المعية في كتاب الله جاء عاما كما في هاتين الآيتين وجاء خاصا كما في قوله تعالى [إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون] وقوله [إنني معكم أسمع وأرى] وقوله (لا تحزن إن الله معنا) فلو كان المراد بذاته مع كل شيء . لكان التعميم يناقض التخصيص فإنه قد علم أن قوله « لا تحزن إن الله معنا » أراد به تخصيصه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار . وكذلك قوله « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » خصهم بذلك دون الظالمين والفجار . وأيضا فلفظ المعية ليست في لغة العرب ولا شيء من القرآن أن يراد به اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى . كما في قوله : « محمد رسول الله والذين معه » وقوله « فأولئك مع المؤمنين » وقوله « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وقوله « وجاهدوا معكم » ومثل هذا كثير . فامتنع أن يكون قوله « وهو معكم » يدل على أن ذاته مختلطة بذوات الخلق . وأيضا فإنه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم به . وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر وبين أن لفظ المعية في اللغة — وإن اقتضى الجماعة والمصاحبة والمعاينة — فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه فتح الخلق كلهم بالعالم والقسرة والسلطان ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد . انتهى .

وقال الإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي رضى الله عنه في كتاب « ذم التأويل » : فإن قيل : فقد تأولتم آيات وأخباراً فقلتم في قوله تعالى « وهو معكم » أينما كنتم ، أى بالعالم ونحو هذا من الآيات والأخبار فيلزمكم ما لزمنا ؟

قلنا : نحن لم نتأول شيئا وحمل هذه اللفظات على هذه المعاني ليس بتأويل لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره . وهذه المعاني هي الظاهر من هذه الالفاظ بدليل أنه المتبادر إلى الأفهام منها . وظاهر اللفظ هو ما يسبق إلى الفهم منه ، حقيقة كان أو مجازا . لذلك كان ظاهر الاسماء العرفية المجاز دون الحقيقة كاسم الراوية والظعينة وغيرهما من الاسماء العرفية . فإن ظاهر هذا المجاز دون الحقيقة وصرفها إلى الحقيقة يكون تأويلا يحتاج إلى دليل .

وكذلك الالفاظ التي لها عرف شرعى وحقيقة لغوية كالوضوء والطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج فإنها ظاهرها العرف الشرعى دون الحقيقة اللغوية وإذا تقرر هذا فالتبادر إلى الفهم من قولهم « إن الله معك » أى بالحفظ والكلام . ولذلك قال الله تعالى فيما أخبر عن نبيه « لاذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » وقال لموسى « لأنى معكما أسمع وأرى » ولو أراد أنه بذاته مع كل أحد لم يكن لهم بذلك اختصاص لوجوده فى حق غيرهم كوجوده فيهم ولم يكن ذلك موجبا لنفى الحزن عن أبى بكر ، ولا علة له .

فعلم أن ظاهر هذه الالفاظ هو ما حملت عليه فلم يكن تأويلا .

ثم لو كان تأويلا فما نحن تأولناه وإنما السلف رحمة الله عليهم الذين ثبت صوابهم ووجب اتباعهم هم الذين تأولوه . فإن ابن عباس والضحاك ومالكا وسفيان وكثيراً من العلماء فى قوله « وهو معكم » أى عليه . ثم قد ثبت بكتاب الله والمتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف أن الله تعالى فى السماء على عرشه ، وجاءت هذه اللفظة مع قرآن محفوفة بها دالة على إرادة العلم منها وهو قوله : « ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض » ثم قال فى آخرها « إن الله بكل شئ عليم » . فبدأها بالعلم

وختمها به ثم سيقاها لتخويفهم يعلم الله تعالى بحالهم وأنه يذبهم بما عملوا يوم القيامة ويجازيهم عليه .

وهذه قرائن كلها دالة على إرادة العلم فقد اتفق فيها هذه القرائن ودلالة الاخبار على معناها ومقالة السلف وتأويلهم . فكيف يلحق بها ما يخالف الكتاب والخبار ومقالات السلف ؟ فهذا لا يخفى على عاقل إن شاء الله تعالى وإن خفى فقد كشفناه وبيناه بحمد الله تعالى . ومع هذا لو سكت إنسان عن تفسيرها وتأويلها لم يحرم ولم يلزمه شيء فإنه لا يلزم أحداً الكلام في التأويل إن شاء الله تعالى .

انتهى كلام ابن قدامة رحمه الله ؟

الفهرس

منحة

الرد على الزنادقة والجهمية
لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل

- الرد على الزنادقة ٥٣
- باب بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن ٥٣
- بيان ما فصل الله بين قوله وخلقه ٧٤
- بيان ما أبدل الله أن يكون القرآن الا وحيا وليس بمخلوق ٧٥
- بيان ما جحدت الجهمية من قول الله د وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، ٨٥
- بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى ٨٧
- بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش ٩٢
- بيان ما تأولت الجهمية من قول الله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) ٩٥
- بيان ما ذكر الله في القرآن (وهو معكم) ٩٧
- بيان ما ادعت الجهمية أن القرآن مخلوق من الأحاديث التي رويت ١٠٠
- بيان ما تأولت الجهمية من قول الله (هو الأول والآخر) ١٠٠
- ملحق في الجهمية لأبي دارود السجستاني ١٠٤
- باب في القدرة والإيمان ١١٢

كتاب خلق العمال العباد للإمام البخاري

باب ما ذكر أهل العلم للمعظلة الذين يريدون أن يد لوا كلام الله

عز وجل

صفحة

١٣٧

أفعال العباد

١٥٧

التعرب بعد الهجرة

الجزء الثاني

١٧٧

من كتاب أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للبخارى

١٨١

ما جاء في قول الله عز وجل

١٨٨

باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر ويرويه عن ربه عز وجل

١٩٠

باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعين بكلمات الله لا بكلام غيره

باب ما نقش النبي صلى الله عليه وسلم في خاتمه من كتاب الله تعالى

١٩٥

وما يدخل به الحاجة

باب قول الله عز وجل عن أهل النار من الكفار المشركين وعبد

٣١٤

الأوثان

— باب وما يدل على اموات العباد قول النبي صلى الله عليه وسلم

أكثر منافق أمتي قراؤها . فقد قراء المعطلة والجهمية وأهل الامواء

٢١٦

وغيرهم .

٢١٧

— باب قول الله تعالى : (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين)

كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة

٢٢١

للامام عبد الله بن مسلم بن قتيبة

كتاب الرد على الجهمية

٢٥٣

للامام أبي سعيد الدرامي

٢٦٣

باب الإيمان بالعرش

— باب استواء الرب تبارك وتعالى على العرش وارتفاعه الى السماء

٢٦٧

وبينوته من الخلق

صفحة

٢٨٣	باب الاحتجاب
٢٨٤	باب النزول
٢٨٧	باب النزول ليلة النصف من شعبان
٢٨٧	باب النزول يوم عرفة
٢٨٨	باب نزول الرب تبارك وتعالى يوم القيامة للحساب
٢٩٠	باب نزول الله لأهل الجنة
٣١٠	باب ذكر علم الله تبارك وتعالى
٣٢٤	باب الإيمان بكلام الله تبارك وتعالى
٣٣٧	باب الاحتاج للقرآن أنه غير مخلوق
٣٤٢	باب الاحتاج على الواقعة
٣٤٦	باب الاحتاج في إكفار الجهمية
٣٥٢	باب قتل الزنادقة والجهمية واستتابهم من كفرهم
٣٥٧	كتاب رد الامام الدرامي عثمان بن سعيد على المريسي الغنيد
٣٦٣	باب الايمان بأسماء الله وأنها غير مخلوقة
٣٧١	باب وادعى المعارض . أن الله تعالى لا يدرك بشيء من الخواص الخفض
٣٧٧	النزول
٣٨١	الحد والعرش
٣٩٩	السمع والبصر
٤١٣	الرؤية
٤١٧	أصابع الرحمن

صفحة

الجزء الثاني

- من نقض ابى سعيد عثمان بن سعيد الدرامى على الضال المضل بشر
 المريسي الجبار العنيد ٤٢٥
 باب ما جاء فى العرش ٤٢٨
 القول فى كلام الله ٤٦٤

الجزء الثالث

- من كتاب نقض الدرامى على المريسي ٤٨٥
 — باب فى الحث على طلب الحديث والرد على من زعم انه لم يكتب
 على عهد النبى صلعم وأصحابه والحديث والذب عن أصحاب النبى صلعم
 وأصحاب الحديث وأهل السنة وفضلهم على غيرهم ٤٨٥
 الذب عن ابى هريرة رضى الله عنه ٤٨٩
 الذب عن معاوية بن أبى سفيان ٤٩٢
 الذب عن عبد الله بن عمرو بن العاص ٣٩٣
 النقض على ما ادعاه المعارض فى الوجه ٥١٥
 الحجب التى احتجب الله بها عن خلقه ٥٢٦
 باب لإثبات الضحك ٥٣٠

ملحق من التفسير

المسمى : محاسن التأويل

- لمحمد جمال الدين القاسمى ٥٦٧
 مطلب فى حديث الادلاء ٥٩٩